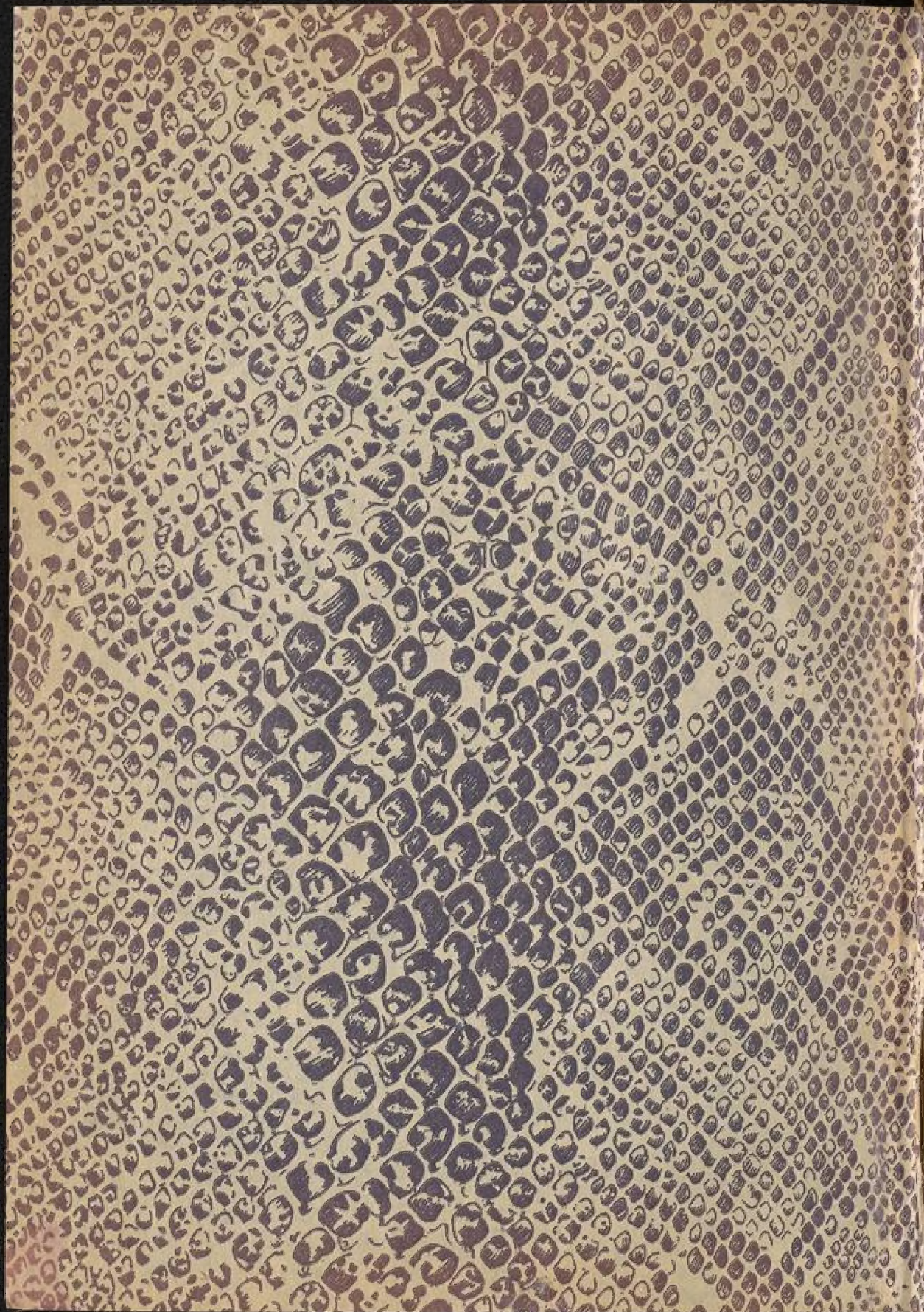
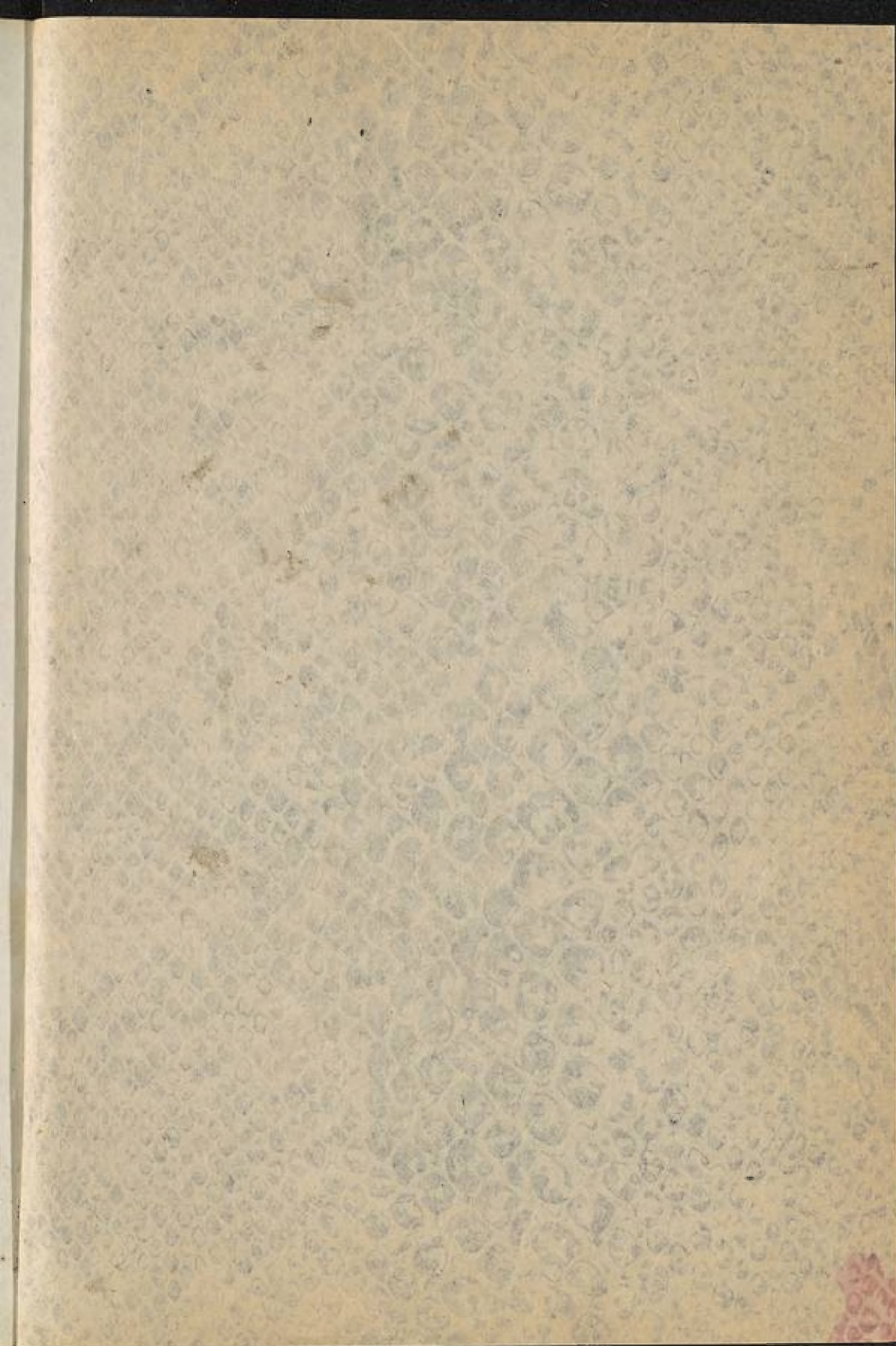


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







Col 800
594

مؤلفات الدكتور عبد الرحمن بدوي

(أ) مبتكرات

- | | |
|---------------------------|------------------|
| ١ — الزمان الوجودي | ٤ — الحور والنور |
| ٢ — هموم الشباب | ٥ — رسائل سلوى |
| ٣ — مرآة نفسي (ديوان شعر) | |

(ب) دراسات أوربية

- | | |
|----------------------|-------------------|
| ١ — الموت والعبقريّة | ٣ — قلوب الفلاسفة |
| ٢ — دراسات وجودية | |

خلاصة الفكر الأوربي

- | | |
|--------------|-------------------------|
| ١ — نيتشه | ٥ — أرسطو |
| ٢ — اشبنجلر | ٦ — ربيع الفكر اليوناني |
| ٣ — شوبنهاور | ٧ — خريف الفكر اليوناني |
| ٤ — أفلاطون | ٨ — برجسون |

(ج) دراسات إسلامية

- | | |
|--|---------------------------------|
| ١ — التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية | ٧ — منطق أرسطو في ه أجزاء |
| ٢ — من تاريخ الاتحاد في الاسلام | ٨ — شهيدة العشق الالهى |
| ٣ — شخصيات قلقة في الاسلام | ٩ — شطحات الصوفية |
| ٤ — الانسانية والوجودية في الفكر العربي | ١٠ — روح الحضارة العربية |
| ٥ — أرسطو عند العرب | ١١ — الانسان الكامل في الاسلام |
| ٦ — المثل العقلية الأفلاطونية | ١٢ — الاشارات الالهية (قتوحيدى) |
| | ١٣ — الآراء الطبيعية (لفلوطرخس) |
| | ١٤ — أفلوطين عند العرب |

(د) ترجمات : الروائع المائة

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------|
| ١ — أيشندورف : من حياة حائز بائر | ٥ — جيته : الأنساب المختارة |
| ٢ — فوكيه : أندين | ٦ — نيتشه : زرادشت |
| ٣ — جيته : الديوان الشرقى (في جزئين) | ٧ — رلكه : صحائف مائى برجه |
| ٤ — بيرن : أسفار اتشيلد هارولد | |

دراسات إسلامية

- ١٢ -

الأشبار أنبأ الألهية

للأبي حيان التوحيدي

حققه وقدم له

محمد الرحمن بدوي

[الجزء الأول]

مطبعة جامعة فؤاد الأول

القاهرة - ١٩٥٠

893.7T199

R73

v.1

57957 G

57957 G

تصدير عام

(١)

أديب وجودى فى القرن الرابع الهجرى

«الكتابة ضرب من الصلاة» هكذا قال أفرتس كَفْكا (Franz Kafka) !
وإن بين هذا الألماني المسلول الشريد فى دنيا اللامعقول ، وبين صاحبنا العربى
الغريب فى وطنه كمشابه ، وأىّ مشابه !
كلاهما تهاوت عليه الكوارث والأحزان من كل جانب ، وكان له من إرهاف
الحساسة ونصاعة الذهن وعمق الانفعال ما يجعله يستمد من هذه الولايات غذاءاً
لروحه ومادة لتفكيره : فأجهز على خلايا نفسه بمبضع التشريح الباطن حتى قضى
على ذاته بذاته . فقال كَفْكا عن نفسه : « أنا من حَجَر ، بل أنا حجرٌ لقبر
نفسى ، لا منفذ فيه للشك أو للإيمان ، للحب أو للنفور ، للشجاعة أو للقلق ،
على وجه التخصيص أو وجه التعميم : كلاً بل ثمّ أمل واحد غامضٌ يحمى ،
لكنه من نوع شواهد القبور » . وإنه ليدَّهش هو نفسه من هذا التحطيم المنظم
لنفسه خلال السنين ، وكأنه سدّ يتقدّم ببطء نحو انقطاعه . وهو يشاهد روحه
تفعل هذا كله مغتبطة بانتصاراتها على نفسها ، فيتساءل : لماذا لا يشارك أيضاً
فى هذا الاحتفال ، الاحتفال بعيد قضاء ذاته على ذاته ؟ ويخيّل إلى نفسه أنه صار
كالجيفة أو كالدبيع ، وأن هناك غرباناً سرّية مستورة تُرّق حوله (« يوميات »
سنة ١٩٢١ ، ١٦ / ١٠) . فى يده مطرقة ، لكنه لا يستطيع استخدامها

إلا بتحطيم اليد التي تحملها . قد يَرَفُّ الأمل الخُلب أمام ناظره القصير ، فيسعى إلى تحقيقه ، بأدلا كلِّ ما في وسعه ؛ لكنه حينما يمسك به ، أو يخيل إليه أنه أمسك به ، لا يجيد في يده إلا « قطعة من الخشب مضحكة » . وحاله حال قفص يسعى بحثاً عن طائر ، طائر موهوم . كلا ، بل أبشع من حال امرأة عاقر تعرف نفسها عاقراً ثم ترجو مع ذلك الولد .

وصاحبنا العربي يصف نفسه وأطوارها فيقول : « أما حالى فسيئة كيفما قلبتها ، لأن الدنيا لم تواتني لا كون من الخائضين فيها ، والآخرة لم تغلب على فأكون من العاملين لها . وأما ظاهري وباطني فما أشد اشتباههما ! لأنني في أحدهما متلطف متلطفاً لا يقرُّ بئى من أجله أحدٌ ، وفي الآخر مُتَبَدِّخٌ تَبَدُّخاً لا يَهْتَدِي فيه إلى رشده ؛ وأما سرِّي وعلائي فمفقوتان بعين الحق خلوهما من علامات الصديق ، ودُئُوهُما من عوائق الرِّق . وأما سكوني وحركتي فأفتان محيطتان بي ، لأنني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى ، ولا أعرى في الآخر من مرارة الشكوى . وأما انتباهي ورقدتي فما أفرق بينهما إلا بالاسم الجارى على المادة ، ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة . وأما قرارى واضطرابي فقد ارتهنني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلاً للقرار ؛ وغالبُ ظني أني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكك ، ولا انتظار عندي للانفكك . وأما يقيني وارتيابي ، فلي يقينٌ ولكن في دَرَك الشقاء . فمن يكون يقينه هكذا ، كيف يكون خبره عن الارتياح ؟ ! » (ص ١٨) .

وليس هذا منها لمجرد الاستمتاع بالتغنى بالآلم إرضاءً لترعة أدبية أو هاتف رومنتيكي . بل كان في حياة كلِّ ما يدعو إلى هذه المرارة في الشكوى ، يواكب هذا عرامة إحساس ينفذ من الظاهر إلى الباطن ، فلا يتخذ من الأحداث إلا رموزاً وعلامات على الجوهر الباطن في أعماق الوجود كله . فالآلم الذي يحياه

في لحظة هو ألم مرفوع إلى أمن السرمدية ، والافعال الذي ينطبع في نفسه من موضوع محدود ، سرعان ما يفتح على الوجود الواحد بأسره . وهذا هو ما يميز الأدب الوجودي الحق . فكأين من حدث تافه عند الناس يصبح لديهم حدث الأحداث ، لا لمبالغة في تقديرهم أو إفراط في التخيل الجامع ، لكن لأنهم يقولون مع جيته : « كلُّ حادثٍ رمزٌ » . فما بالك وقد لقوا في دنياهم عنثاً ليس بالهين !

فكفكا ينتسب إلى شعب مستأصل شارد ، عليه اللعنة والنقمة أينما حل وحيثما سار ، وإن ادعى لنفسه أنه « شعب الله المختار » ، إلا أن يكون مختاراً للشقاء وإشاعة الشر بين الناس وإهدار القيم النبيلة عند الآخرين ! وصاحبنا لا نعرف له أصلاً ، إنما هو من أولئك الموالى الذين اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكونت مركباً غريباً . على أنه كان يشعر بواشجة قربي مع الغرباء والأفاقين ، حتى كان لا يخالط إلا « الغرباء والمجتمدين الأدباء الأردباء »^(١) ، وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم ، إذ كان يرتد إليهم مهما زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم . على أن الأرجح أن يكون فارسى الأصل ، مع احتمال دخول أجناس أخرى ، وبالجملته فهو آرى في غالب الظن ، ولا شك أنه كان يشعر بالذحل العنصرى الذى كان بالغاً أشده في عهده ، أعنى القرن الرابع الهجرى ، خصوصاً وقد بدأ عنصره ينتصر ، بل ويستقل بدويلات لا تكاد تر بطها بمركز الخلافة إلا أوهى الروابط . ومن هنا كانت عناية كليهما بأمر الشعوبية ، وما ذلك إلا لما يعانیه من تجربة أو شعور أليم يبلغ حد المأساة ، لأنه شعور عنصر بأسره في كفاح حضارى مع عناصر قوية أخرى كانت لها عليه مكانة السيادة .

وكلاهما نشأ في أسرة تشتغل بالتجارة ، وطبيعة التجارة أشد ما تكون تنافراً مع الثقافة بالمعنى الرفيع . لأن التاجر لا يشارك في الثقافة إلا بالقدر الذي يستعين به على التجارة ، وما تجاوزه يُعده خيانة لرسالته . ومن هذا ينشأ التعارض الحاد بين الابن « الضال » في أتاويه الفكر ، وبين الوالد المترفع على دست المال . هاهنا صراع بين النافع والضائع ، بين الفرض والنافذة ، بين الجوهر والفضول . فالابن الضال يولع بالضائع والنافذة والفضول ، لأنه يرى فيها عين الحياة وقيمة الوجود ، ولذا ينفذ كل ما يعبده الآخر قيمة حقيقية . وعن هذا التعارض ، إذا ما اشتد وكان كلا طرفيه مرهقاً ، ينشأ الإفراط ، أستغفر الله ، بل التضوج الكامل لكلا الاتجاهين والشواهد على هذا لا تحصى في تاريخ الحياة الروحية ، ونجتزئ منها بذكر مثل واحد هو هينرش هينه (Heinrich Heine) . وكفكفا قد لقي من أبيه الأمرين ، حتى أحس بهذا طوال حياته القصيرة : فكان أبوه ملئ الثقة والاعتزاز بالنفس ، ذلق اللسان لأنه يردد العبارات التقليدية الطنانة ، خبيراً بالحياة والأحياء خيرة كونها المكر والدهاء ، يتبع الطريق اللاحب السلطاني الذي يتبعه أولئك « الناجحون » في الحياة ، وبالجملة كان من أولئك الذين يسميهم سارتر (Sartre) باسم « الأندال » (les salauds) ، بينما كان فرنس من الغشاشة (les tricheurs) ، والاولون هم أولئك « العقلاء » ، « الطيبون » الذين يحمون حياة آليّة ، ولا يتميز الواحد منهم من الآخر ، لأنهم أفرغوا في قالب واحد ، أو صنعوا بالجملة كما يقال في لغة الصناعة ، أما الغشاشة فهم الذين يَغشُون ، لأنهم يخادعون القواعد المصطلح عليها ، القواعد الشائعة الجارية بين كل الناس ، ولأن في اختيارهم جانباً مُهمّاً مُقلِقاً يزعج النفوس المطمئنة القافعة السمينّة الراضية . نعم ! كان كفكفا رجلاً مرهف الحساسة ، قلقاً ، طفلاً كثير الحياء والخشوع ،

حتى كان في حضرة أبيه يفقد كل ثقة بنفسه ، ويشعر بدلاً من هذا بشعور الخطيئة بغير حد ، حتى إنه كان يخشى ألا يبقى الخجل حياً بعد وفاته ، خجله هو أمام أبيه ، ذلك الجبار العاتى . ولقد قال له أبوه ذات يوم : « سأمرك كالمسكة » ، فظلت هذه اللعنة الأبوية تصرخ في ضمير كفكا طوال حياته . وآية ذلك أنه جمل من مغزاها مفزى لروايته : « الحُكْم » (Das Urteil) : فيها يحكم الوالد (ذو التجارة الواسعة والثراء المريض) على ابنه بأن يموت غرقاً ، صائحاً في وجهه : « حكمتُ عليك بالموت غرقاً ! » (Ich verurteile dich zum Tode des Ertrinkens) . بل تماهذ الشعور عند كفكا حتى وجد الأمر طبيعياً أن يلعن الوالد ابنه أو يحكم عليه بالإعدام ، إذ نشاهده يقول : « إن كروتوس ، سيد الآباء وأشرافهم ، قد ابتلع أبنائه . فإذا كان كروتوس (Kronos) قد فضل تلك الطريقة ، فلعل ذلك كان شفقةً منه على أولاده » .

ويلاحظ أن حظ صاحبنا العربي لم يكن خيراً من حظ هذا الألماني ، ونقول : « يلوح » لأنه ليس لدينا وثيقة واحدة تبين لنا هذه الناحية ، بيد أننا نستطيع استخلاصها من صمته عن كل ذكر لأهل ، بالرغم مما تبدي له من مناسبات عدة للحديث عن هذا الجانب ، بل يخيّل إلينا من خلل كلامه أنه فقد كل شيء في عيد مبكر ، كما فقد الصديق والصاحب والتابع والرئيس في جارى سنى عمره . ونعد نحن هذا الصمت دليلاً على خيبة أمل من هذه الناحية ، ناحية الأهل ، لكن منعه الحياء من الخوض فيها ، فاكتفى بالصمت الذى هو أبلغ من كل كلام .

بيد أن صاحبنا هذا لقي من دهره والأحياء ما هو أشد هولاً مما لقيه كفكا ، فتحدث عن ألم مرير أعنف من ألم كفكا ، لأنه حية على نحو

أعنف ، وإن التقيا في النهاية معاً في وصف عالم الإنسان بأنه عالم الخطيئة ، والخطيئة هي الشعور بالتضائل في إمكان الوجود ؛ وأنه عالم القهر ، كما يقول السهروردي المقتول ، القهر للإنسان تحت سلطان قوة مستورة جبارة ، قوة المصير الذي لا يرحم ؛ عالم السلب الذي يضع الحدود في وجه كل اتساع أمام الممكنات ، فلا تلبث أن ترتد إلى سردابها (souerrain) الذي تحدث عنه دوستوفسكي ، هذا السرداب المستنقع المستوحل الذي تنبعث منه روائح منقّرة لكل شعور حي بمعنى الحياة ومدلول الوجود ، هذا السرداب الذي هو مجال الشعور في باطنه الحر اللامعقول ، الثرى بالانفعالات الكابية والشهوات المتضاربة الشرسة ، المليء بالظلمات والأهواء المندفعة المعريدة ، مما هو في تعارض حادّ مع الظاهر الصافي ، وفي صفائه كل تهاة ، الطاهر وفق طهره فقر الحياة ، المستقيم وفي استقامته البساطة الزائفة . نعم افي هذا السرداب تتفجر عيون الخطيئة ، لكن الوجود خطيئة ؛ وتضطرم الشهوات ، لكن الشهوة سرّ الحياة ؛ ويسود اللامعقول ، ولكن اللامعقول هو المنطق الأكبر .

وفي هذا السرداب النفسي العامر بالأشباح تسكن هذه الأرواح ، متقيّنة ظلال الموت ، حانية على الجانب المتهّم من الوجود ؛ ولهذا كان حديثها في الخارج ، أعنى في آثارها الفنية ، مظهرًا لهذا الباطن الموحش . فدوستوفسكي يختار أبطاله من بين تلك النفوس المبهمة التي تستحلّ لنفسها ما يدعوها النظام العام إثمًا ، والتي ترى الحرية في فعل الشر أكثر منها في فعل الخير ، والحرية لها عندها خير مكانة ، لأن حرية فعل الخير هي القيد ، كلُّ القيد ، إن هي إلا اتباع وخضوع لما فرضه المجموع ، هذا اللامعقول الأكبر ،

من معايير وقيم إن صلحت للأندال (les salamis) ، أعنى للأخيار الطيبين
الصالحين ، فلا تصلح للفشاشة (les tricheurs) ، أعنى المتأزين الخريصين
على التفرد وتحقيق المعنى الصحيح الملىء للحرية . أبطاله من تلك النفوس الجنية
التي تحدث عنها كيركجورد (Kierkegaard) فوصف تراكيها وأنسجها النفسية
الفريدة الصنع ، والتي عرض لنا دوستوفسكى أحوالها الشائنة وأطوارها
الرهيبية في معظم ما كتب ، وبخاصة في تلك المناجاة الشيطانية الهائلة التي تفوه
بها إيثان كرمزوف (« الإخوة كرمزوف » : ١ : ١٩ ، ٩) ، هذا الروح
الخبثية ، وهذا الإيليس الرائع الذي عرف الله ، ولكنه لم يرد ، لأن طائفاً
شيطانياً يصوره نفسه أنها هي الأخلق بالتأليه ؛ ثم في شخصية راسكولنيكوف
في « الجريمة والعقاب » ، هذا القاتل الآثم ، لكن إثمه هو إثم القدر .
والنفس الجنية تتصف عند كيركجورد بخصائص عدة ، نبرز منها هنا ثلاثاً :
أولها « أنها تلك التي غُلِّقَ عليها فلا تنفتح إلا رغماً عن إرادتها . وكلا
هذين معنى واحد : فالمغلق صامت ، فإن وجب الإفصاح كان ذلك ضد
إرادتها » ، لأن الحرية بطبيعتها تفو إلى الانتشار والتفتح ؛ وهذه لا تعرف
الحرية إلا مفتعبة من المصير . وثانيها أنها « ما هو فجائي » ، ما هو في حال
اندفاع يطلق العنان لكل القوى العمياء الرائدة في الأعماق المستوحلة للشعور ،
وتصاعد في عنفها حتى تكسر السد الفاصل بين المعقول واللامعقول ، فتنتهي
إلى القضاء الذاتي ، بالانتحار وما أشبهه . وآخرها وثالثها أن « النفس الجنية
هي الجوفاء الرتيبة » بما يكثر من ترداد طائف شيطاني آثم واحد ، يلح
كأنه الفكرة المتسلطة ، فيشعر صاحبها بأن انحطاطاً وألوان الضعف تتكرر
بنفسها في حال من الإملال القاتل ، وأن الحياة خالية من كل معنى لأنها

عديمة الاتجاه ، لا تفتح على غيرها ، بل تشير دائماً إلى نفسها في نوع من الإحالة الكالحة الجافة^(١) .

وإِشار هذه النفوس الجنية من جانب أولئك الفنانين هو دليل على ما يشعر به هؤلاء الآخرون من واشجة قُرْبِي وَصَلَة رَحِم بِهَا . ولست أعني أنهم يفعلون في الواقع أفعال تلك النفوس ، وإنما أقصد أنهم يميلون إلى أن يحبوا في باطنهم أحوالهم ، ويستشعروا انفعالاتهم . في مظهرهم طفولة وبراءة ، لكن في سردايهم ضجيج الأشباح الشيطانية والأرواح الخبيثة . في مسلكهم في الحياة تعقل وحكمة ورزانة ، لكن في عماق الشعور ، أو بالأحرى في اللاشعور النامض عريضة وتجديف وتمرّد واستمّاع بمعنى الإثم المنقّل عن السبيل السواء .

فكفكنا أصيب بداء السل وهو في الرابعة والثلاثين . وظل يعاني هذه العلة التي تستهلك يده يوماً بعد اليوم ، حتى قضى منها ولما يتم الحادية والأربعين . فلم يشأ أن يرى في هذا الحادث مجرد حادث جسماني ، وأعانه على هذا الظن

(١) راجع في هذا بحثين قدما للمؤتمر الدولي للفلسفة الذي عقد في روما من ١٥ إلى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، ونشرا في « أعمال المؤتمر الدولي للفلسفة المنعقد بدعوة معهد الدراسات الفلسفية » ، الأول لاستفانيا بوتشيري بعنوان : « كيركجورد ودوستيفسكي أمام مشكلة الشر في العالم » ، ص ١٣٩ ص ١٤٢ (Stefania Bucceri) ؛ والثاني بعنوان « دوستيفسكي والوجودية » ، ص ١٤٣ — ص ١٥٨ تأليف ريمو كينتوني (Remo Cantoni) ؛ ميلانو سنة ١٩٤٨ . *Atto del Congresso internazionale di filosofia* ، promosso dall'Istituto di studi filosofici, II : L'Esistenzialismo .

بعناية انريكو كستلي (Enrico Castelli) .

أنه كان قوى البدن ، موفور الصحة ، ولم يشأ أن يصدق أن مرض السل هذا إنما يصيب في الغالب الأبدان المأمرة بالصحة والقوة والنشاط . وإنما أوله — على منهجه الذى تحدثنا عنه ، والذى شعاره قول جيته : « كل حادث رمر » — بأنه مجرد مجازير من إلى الجرح الذى يسمى التهابه باسم ف (الحرف الأول من اسم خطيباه) ، وعمقه هو رغبة فى التبرير ، ورأى فى نصائح الأطباء ، من هواء ونور وشمس وراحة ، مجرد مجازات . إن خطيباه ، وهى ممثلة الدنيا ، قد وقعت فى عراك لا نهاية له مع ذاته ، حتى صارا بسبيل أن يمزقا بدنه .

وهذه الخطبة هى الأخرى كانت من عوامل شقائه . فى شهر أغسطس من سنة ١٩١٢ التقى بفنائة سيرتبط بها يرباط الخطبة . فأتى فى نفسه هذا اللقاء تأثيراً رائعاً ، فتحت تأثيره كتب فى ليلة واحدة ، منتشياً بهذا الغرام الفريد ، قصة « الحكم » ، وفى الشهرين التاليين ألف كتابين من أهم كتبه ، ووضع مجل كتاب ثالث . فقد كان فى حال من الوجد العجيب والإلهام الخارق ، وكأنه موسى يشق الماء بمصاه ، كما وصف هو أحواله فى تلك الليالى المأمرة بالوحى . لكنه ، شأنه شأن كبير كجورد ، كان واحماً حين طلب يدها . فأمثاله قد قدرت عليهم العزوبة أبداً ، والوحدة أبداً . نعم ! استمرت الخطبة خمس سنوات . لكن طولها هذا أبلغ دليل على استحالتها ، إذ ظل طولها معذباً بين نداء الرسالة الخالدة ، رسالة المتوحدين ، وبين نداء رسالة الحياة الدنيا ، رسالة المنخرطين فى سلك « المجموع الأكبر » ، ولم يكن لديه من سرعة البت ما كان لدى شيخه الروحى كبير كجورد الذى لم يقو على استمرار الخطبة إلا أحد عشر شهراً^(١) . ولعل كفكنا لم يستطع القرار نهائياً إلا لما أن نبهه مرضه البضال إلى واجبه .

(١) من ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ إلى ١١ أغسطس سنة ١٨٤١

وصاحبنا قد لقي الأهوال من الأحياء . عرف الشقاء الذى لا يستحقه ،
 بينما وجد التافهين يرتفعون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف فى الدنيا .
 وسعى ما استطاع لطلب المثالة بين الناس « ولعقد الرياسة بينهم وللد الجاه
 عندهم »^(١) ، فحرم ذلك كله . وزاد من شعوره بالآلم أنه طلب المجد عند أناس
 مهنتهم مهنته أعنى حرفة الأدب ، لكنهم بلغوا مراتب الوزارة ، وهو لم ينل
 إلا البؤس والحرمان ؛ وظن أنهم أقدر الناس على معرفة قدره ، فلم يلقى منهم
 إلا كل نكران وتحقير وإهانة لكل كرامة . وعاد من حيث أتى ، لم يزد إلا هما
 على هم ، ومرارة إملاق على إملاق . فلم يجد غير القرباس يصب فيه جام غضبته
 المقدسة ، فراح يفضح « مثاليهما » ؛ أو بعض المحرومين من على شاكلته مثل
 أبى بكر القومسى الفيلسوف الذى قال هو عنه إنه « كان بحراً عجاجاً ، وسراجاً
 وهاجاً ، وكان من الضر والفاقة ، ومقاساة الشدة والإضاعة ، بمنزلة عظيمة ؛
 عظيم القدر عند ذوى الأخطار ، منحوس الحظ منهم ، متهماً فى دينه عند العوام ،
 مقصوداً من جهتهم » ، يناجيه صاحبنا ويطارح كل منها الآخر ، حديث
 شقائه ، وهما فى الحرمان والشقاء صنوان . قال لصاحبنا هذا يوماً : « ما ظننت
 أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ منى : إن قصدت دجلة لأغسل منها
 نصب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لآتيتم بالصعيد عاد صليداً أمّس »^(٢) ؛
 ومع ذلك كان ذا أنفة نفس واعتداد بالكرامة ، فلم يشأ أن يترامى على أعقاب
 الرؤساء ، هذا الداء العضال المستحكم فى الشرق حتى اليوم ويا للأسف الشديد ،
 بل رباً بنفسه عن كل هذا قائلاً : « معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة

(١) ياقوت : « معجم الأدياء » ، نشرة القاهرة ، ج ١٥ ص ١٨ ، القاهرة

بدون تاريخ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٠

الجهال والنيوس ، والصبر على الوحيم الوبيل أولى من النظر إلى محبياً كل
ثقل «^(١)» . فرد عليه صاحبنا : « ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه
وتتقلب فيه وتقاسيه سوى ، ولقد استولى على الحرف وتمكن مني نكد
الزمان »^(٢) . هنالك انطلق برمي زمانه وأهل زمانه بمقدع الهجاء ، شاكياً ناعماً
حيناً ، متمرداً غنيماً يجتدف بكل شيء حيناً آخر .

كذلك فرضت عليه الوحدة في الحياة ، فظل عمره لا يجد حوله « ولداً نجيباً
وصديقاً حبيباً ، وصاحباً قريباً ، وتابعاً أديباً ، ورئيساً منيباً »^(٣) ، ومن هنا شعر
بالوحشة الهائلة في دنياه . فانطلق يصفها بكل حرارة ومرارة في معظم
صفحات كتبه .

لقد أحسن بأنه « غريب » في كل شيء : غريب في وطنه ، غريب
عن أحبائه ، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء . فكان موضوع
« الغريب » هذا من أبلغ ما سطره قلمه ، وفيه ملامح وجودية لا يخطئها النظر
من أول وهلة ، ولهذا كانت الباعث إلى تأمس العناصر الوجودية في كتابته .
قال إن الغريب الحق ليس ذلك الذي « نأى عن وطن بني بالماء والطين »
وبعد عن آلاف له ، عيئهم الخشونة واللين ، وإنما هو ذلك الذي « طالت
غريبته في وطنه ، وقل حظّه من حبيبته وسكّنه »^(٤) . فهو في وطنه غريب ،
وتلك هي الغربة الوجودية ذات المعنى المصيق ، لأنها إحساس بالوحدة الذاتية
المطلقة التي يحملها الإنسان في داخل نفسه أينما حل وحيثما سار ، وفي أي وسط

(١) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٢

(٢) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٣

(٣) ياقوت : « معجم الأدباء » ترجمة التوحيدى ، ج ١٥ ص ١٩

(٤) « الإشارات الإلهية » ص ٧٩

كان ؛ فالوطن المادى لا معنى له إذا قيس بالوطن الروحى الذى تقطنه تلك النفوس الشاردة . وهذا يدلنا كذلك على معنى الاستئصال والإجذار (déracinement) الذى كان نتيجة ضرورية للدور الذى كانت فيه الحضارة العربية آنذاك فى القرن الرابع الهجرى ، أعنى فى دور المدنية المتأخر ، وفى مدينة بغداد التى كانت آنذاك مدينة علمية ، سرعان ما يستأصل فيها ساكنوها ، خصوصاً إن كانوا ممن اصطلمحت عليهم أخلاط من الأجناس والثقافات المتعارضة ؛ فضلاً عما يضاف إلى هذا من انعدام الشعور القومى الحلى عند أمثال صاحبنا من المفكرين الفضوليين على الحياة السياسية ، شأن المفكرين فى ذلك الدور الحضارى : يكونون عادة عالمى النزعة (cosmopolites) ؛ وهو ما عبر عنه أبو الفتح البستي خير تعبير فى ذلك العهد نفسه فقال :

وإن نَبَتْ بك أوطانٌ نَشَأَتْ بها

فَارْحَلْ ، فَكُلُّ بلادِ الله أوطانٌ

لكن صاحبنا لا يفتنع بهذا المعنى المبثّل فى عهده ودور الحضارة الذى ينسب إليه ، وإنما يرفعه إلى المعنى الأعق . فيقول : « قد قيل : الغريب من جنّاه الحبيب . وأنا أقول : بل الغريب مَنْ واصله الحبيب ، بل الغريب من تفاقل عنه الرقيب ، بل الغريب مَنْ حابه الشّريب ^(١) ، بل الغريب مَنْ نودى مِنْ قَريب » ؛ ثم يرتفع بهذه الذبّة إلى درجة عالية فيصيح : « بل الغريب من هو فى شربته غريب » (ص ٨٠) . آية روعة فى هذه العبارة التى تبدو فى صورة التناقض الوهمى (paradoxe) ، أو فى صورة الابتذال ؛ إذ معناها أن هذا الغريب قد صارت الغربة نفسها غريبة عنه ، ذلك لأنه ارتفع فوق معنى الغربة

عن الوطن إلى معنى القرية عن القرية بعد أن صارت القرية نفسها وطناً له . وهذا يؤذن بأنه في حركة متطورة ديناميكية مستمرة ، لأنه إن حى حالة واستثمر كل معناها ، ارتفع فوقها مقاماً آخر ، لأن الاقتصار هنا والتوقف يؤدي إلى الركود ، والركود السكونى هو والوطن المادى سواء ؛ وهو يرمى إلى التخلص من كل وطن مادى . فهذه القرية الأولى — أعنى التى فى المرتبة الأولى — قد تستحيل أدهى بالفعل تستحيل إلى استيطان ، والاستيطان نوع من الوطن الثانى الذى قد يفوق الوطن الأول ؛ لهذا كان عليه أن يملو على الوطن الثانى وهو القرية ، فيصبح غريباً فيه ، فيكون غريباً فى القرية نفسها . فها هنا إذن معنى دقيق لا يفتن إليه إلا فنان وجودى مثل صاحبنا هذا . وهو يعبر عن هذا المعنى للغريب والقرية فى العلاء والتطور الديناميكي فيقول : « أين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ، ولا طاقة به على الاستيطان ! » (ص ٧٩) . وبالجملة ، فإن الغريب الحق هو الدائم القرية أبداً ، الذى إن رأى قرية قد بدأت تستحيل إلى وطن فعليه أن يرحل عنها حتى يظل فى قرية أبداً .

وصاحبنا حريص كل الحرص على توكيد هذه التفرقة فى كل فقرة من تلك الصفحات الدامية النابضة بكل حياة . فنراه يقول عن هذا الغريب بالمعنى الصحيح الملى : « هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ، ولم يتزعزع عن مهبط أنفاسه . وأغرب الغريباء من صار غريباً فى وطنه ، وأبعد البعداء من كان بعيداً فى محل قُربه ، لأن غاية المجهود أن يسلم عن الموجود ، وينمض عن المشهود ، ويُغضى عن المعهود ، ليجد من يقنيه عن هذا كله بعباءة محدود ، ورفدٍ حُرْفود ، وركنٍ موطود ، وحتَر غير محدود » (ص ٨١ — ٨٢) . وهذا تفسير جيد لحقيقة هذا الغريب فى وطنه ، البعيد فى محل قُربه . فالقرية إنما تأتية من باطنه ، إذ عليه أن يسلم عن الموجود ، والموجود هنا يشمل كل شئ :

الموجود بالمعنى الماسدى ، والموجود بالمعنى الروحى ، والموجود بالمعنى الميتافيزيقى :
والأول بالزهد فى الحياة والعزوف عن الدنيا ، والثانى بالعلاء المستمر فى معراج
التطور الروحى . وفى هذا المعنى الثانى يتجلى الطابع الحركى الديناميكى الذى يميز
تحليل صاحبنا لهذه الأحوال الوجودية الممتازة الخاصة بالغريب . والمعنى الثالث ،
أى الميتافيزيقى ، يكون بتأمل فكرة الفناء : الفناء الفردى على هيئة الموت
للأحياء ، والفناء العام على هيئة الانطواء للوجود كله فى حِضْن الوجود
الواحد ، مما سيتناولوه هو من بعد وهو يتلمس النجاة والخلاص بأن يدعوكم ،
أيها الإنسان ، إلى « أن تصحب كونك بفراق كونك ، وتبدي فى عينك
عن عينك ، وتناى عن شاهد زينك وشئيك ، وتمحو أثر المسكان فى أينك »
(ص ١١٣) ، وهو ما ستحدث عنه عما قليل .

والغربة الحقّة كذلك تأتى من أن هذا الغريب هو الساعى إلى أن يغمض
عن المشهود « فيعرف عن كل ما يشاهد من أحوال متعاقبة متضاربة ،
لا يرى له مجالاً للمشاركة فيها لأنه صار بمعزل عنها أو من فوق طورها ، أو فى
القليل محروماً منها . وهو ما عبر عنه كفكاً فقال إنه كان يمد يده إلى الأشياء
والأحياء ، يمدّها ما وسعها المتد ، لكنّها كانت قصيرة لا تبلغهم . فليس عليه
إذن إلا أن يردّها إلى أصلها فيغمض عن المشهود . وهذا الغريب كذلك
تصاراه أن يغمض عن المعهود ، لأن المعهود هو ما اصطاح عليه المجموع الأكبر
(Le grand Ensemble) كما يقول كفكاً ، أو الأندال (les salauds)
على حد تعبير سارتر ؛ والروح الغريبة تهفو إلى التميز ، وألذ أعضائها
التكرار ، لأنها تنشُد دائماً أبداً التجديد والابتكار . فالمعهود هو القاعدة
العامة ، هو النواميس المقررة بين الناس ، هو ما يراه الناس وبه يحكمون
وعليه يسرون .

وزيدنا صاحبنا وصفاً للغريب يستقرى دقائقه ويحيط بأطرافه ، مما يجعله
عنده النموذج الأعلى للوجودى الحق . فالغريب كائن يعاوه الشحوب ويغلبه الحزن
حتى يصير كالشئ " " ؛ « إن نَطَقَ نَطَقَ حَزَنَانِ مُنْقَطِعاً ، وإن سَكَتَ سَكَتَ
حَبْرَانِ مُرْتَدِعاً . وإن قَرَّبَ قَرَّبَ خَاضِعاً ، وإن بَعُدَ بَعُدَ خَاشِعاً ... إن أَصْبَحَ
أَصْبَحَ حَائِلُ اللَّوْنِ مِنْ وَسَاوِسِ الْفِكْرِ ، وَإِنِ أَمْسَى أَمْسَى مُنْتَهَبِ السَّرِّ
مِنْ هَوَاتِكِ السَّرِّ ... مصّة الذبول وحالقه النحول » (ص ٧٩) — هذا
من حيث قسامة وملاحمة الخارجية ومظهره بين الناس . أما هو فى نفسه ،
فهو مَنْ « أَغْرَبَ فى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَغَرَبَ فى إِدْبَارِهِ وَإِقْبَالِهِ ... مِنْ نَطَقَ
وصفه بالحنّة بعد المحنة ، ودلّ عتوانه على الفتنة عَقِيبَ الفتنة ، وبانت حقيقته
فيه فى الفينة حدّ الفينة » (ص ٨٠) . فغرابة أقواله تجعله هدفاً للمحنة
من الناس : تقتحمه العميون ، وتضطهده النفوس جيلاً أو حقداً أو لكليهما معاً .
لكنه مع ذلك يفرض وجوده على الناس وإن لم يكن حاضراً . وسواء
على الناس حضوره وغيابه ، إذ هو كما قال صاحبنا فى عبارة رائعة حقاً
فى أحكام معناها وثرأ مدلولها : « الغريب مَنْ إن حضر كان غائباً ، وإن غاب
كان حاضراً » (ص ٨١) . ولعل هذه الحال التى تُعَبِّرُهَا هذه الجملة هى أشجع
أحوال الغربة بمعناها الوجودى . فهذا الشعور بالغياب يكوّن مرحلة عظيمة
فى مراحل الضمير المعنى الشئى بالمعنى الأعظم للوجود ، والغياب هنا فى الفاصلة
الأولى من الجملة هو الأشدّ أثراً . فهو غائب عن وجوده لأن الوجود يسلك سبيله
بدونه ، ولأن المصير الخاص يفعل فعله دون أن يستشير . وكفكنا برع
فى وصف هذه الحال براعة خالقة بالتنويه فهو يقول : « الحياة انحراف دائم

لا يسمح لنا حتى بأن نشعر بالاتجاه الذي تتخذته في انحرافها . وهل آلم للنفس وأدعى إلى خيبة الأمل ، بل واليأس من الحياة كلها ، من أن تعتقد وتؤمن إيماناً واسعاً بمجدوى ما تبذله في الدنيا من مجهود ، ثم ترى عما قليل أن مصيرك قد تحدد بنفسه ومن تلقاء نفسه وكأنك لم تشارك فيه أدنى مشاركة ؟ !
نعم ! إن بعض النفوس قد حلت هذه المشكلة نفسها وظنت أنها استراحت بأن أسلمت قيادها منذ البداية إلى هذا المصير . لكن هذا ليس من الحل في شيء ، إنما هو فرار من المشكلة ، أو بالأحرى إخفاء الرأس في الرمل أمامها ، لأنها لن تختفي أبداً ولن تريم عن مكانها ، ولن تستطيع أنت منها فراراً . ومن هنا اتسم أبطال رواياته بنوع من التسليم الماجز ، العاجز ولكنه على ذلك متمرد في باطنه .

ذلك أن هاهنا فارقاً — ولو كان ضئيلاً فيما نعتقد نحن — بين موقف كفككا من المصير وموقف صاحبنا . فكفككا ظل حتى النهاية لا يود التفويض إلى سلطة عليا فوق الكون ، وإن طاف به بين الحين والحين ، خصوصاً في السنوات الأخيرة قبل وفاته وفي شدة العلة ، طائف يقر به كثيراً من تصور وجودها . أما صاحبنا العربي هذا فلن نستطيع أن نفصل في أمره في هذه الناحية بيقين ، حتى إن المؤرخين أنفسهم ليختلفون في حقيقة إيمانه . فالذهبي — ولعله تأثر هنا بابن الجوزي — يرى أنه كان سبي، الاعتقاد . وابن فارس في كتاب « انحرية والفريضة » يقول عنه إنه كان « قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان » (وإنه) تعرض لأموال جسمان من القذح في الشريعة والقول بالتمطيل . وجاء ابن الجوزي في تاريخه فقال: « زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندي ، وأبو حيان التوحيدي ، وأبو العلاء (المعري) . قال : وأشدهم

على الإسلام أبو حيان ، لأنه مجحج ولم يُصرَّح ^(١) . بينما جاء فريق آخر على رأسه ياقوت ^(٢) وابن النجار ^(٣) والسبكي ^(٤) فبرأه من تهمة الزندقة ، على أساس أن ما في كتبه لا يدل على شيء من ذلك . وهذا حتى في جملة ، إذ ما بقى لنا من كتبه لا يدلنا على زندقة بالمعنى الدقيق ؛ لكن المستقصى لم يراهم البعيدة لا يعلم أن يجد سنداً لاثهامه بأنه كان في القليل رقيق الدين ، أو أنه كان يلونه بلون خاص به لا ينظر إليه أصحاب السُّنة نظرة الرضا . على أننا نعتقد أن تكفير ابن الجوزي هنا له إنما هو من نوع تكفيره للصوفية عامة ، كما سيفعل ابن تيمية من بعد بالنسبة إلى ابن عربي والخلاج والصدر الرومي وابن سبعين . ومع ذلك فيجب أن نعتزف بأننا لا نملك الوثائق الكافية للحكم في هذه المسألة حكماً صحيحاً ، لأن الرسالة التي كان يمكن أن تكون الفصيل في هذا الأمر وهي : « كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي » ليست بين أيدينا اليوم . وعضوانها يدعوا إلى كثير من التساؤل ، لأنه يُقرَّبنا كثيراً من جوِّ رابعة والخلاج ^(٥) ، ولعل هذا هو ما دعا ابن الجوزي إلى اتهمه إياه بالزندقة . وأياً ما كان الأمر ، فعلياً — إلى أن يأتي دليل مضاد — أن نسلم

(١) تاج الدين عبد الوهاب السبكي : « طبقات الشافعية » ، ج ٤ ص ٣ ، القاهرة بلا تاريخ .

(٢) « معجم الأدباء » ج ١٥ ص ٥٥ س ٤ : « وكان يقال ، والناس على ثقة من دينه » .

(٣) أورده السبكي في الكتاب المذكور ج ٤ ص ٢

(٤) تاج الدين عبد الوهاب السبكي : « طبقات الشافعية » ، ج ٤ ص ٣ ، القاهرة بلا تاريخ .

(٥) راجع كتابنا عن رابعة العدوية : « شهيدة العشق الإلهي » .

بأن التوحيدى كان على الأقل يؤمن بسلطة عليا فوق الكون ، كما كان يؤمن بهذا أيضاً أستاذه أبو سليمان المنطقى السجستانى والدائرة التى التأمت حوله .

وهذا الفارق بين كليهما قد جعل كفككا لا يكاد يقول بالتغويض والتسليم لقوة عالية فى صراحة إلا بعد جهاد مع نفسه طويل ؛ أما صاحبنا فيلوح أنه قال به فى سُرٍّ أكثر ، وإن عُدَّ به مع ذلك هذا التسليم . ولهذا لا نبالغ إذا قلنا إن مُحَصِّل تجارب كليهما واحد حتى فى هذا الباب أيضاً ؛ مع فارق قليل ، لعله يرجع فى بعضه إلى أن كفككا مات شاباً لما يبلغ الحادية والأربعين ^(١) ، بينما صاحبنا ذرَّف على التسعين أو فى القليل شارفها . فكفككا قد عاد لا يرى فى المجهود فائدة . فلماذا الكفاح ، بل لماذا التمرد ! كله لاجدوى له مادام المصير يعمل عمله دون أن يحفل مرة واحدة باستشارتنا . وهذه القوة العليا (العدو فى نظره) ، وإن لم تسكن عالمنا آخر غير عالمنا هذا ، فإنها مع ذلك غير منظورة ، إلى حد أنه يُحِيل إلينا كآتيها عالية على الكون . ولكونها مستورة غير منظورة ، فإنه يستحيل أن يكون تمَّ حوار بينها وبين الإنسان . والرحمة لاتم إلا إذا كان تمَّ التقاء بين نظرتين ؛ فكيف يكون التقاء بين مستور ومرئى ؟ كلا ، بل يلوح أن هذه القوة المستورة قد أعمت الإنسان عنها دون أن يعرف . ولهذا فليس أمام الإنسان غير التواضع : « فالتواضع يعطى كل إنسان ، حتى أشدَّ الناس يأساً ووحدة ، أقوى صلة يمكن أن توجد بينه وبين بقية الناس إخوانه ، وبطريقة مباشرة ، لكن فى الحالة وحدها التى يكون فيها التواضع كاملاً مستمراً . وهو يستطيع ذلك لأنه اللغة الحقيقية للصلاة ، الصلاة التى هى عبادة

(١) ولد أفرنتس كفككا فى ٣ يوليو سنة ١٨٨٣ بمدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا (التابعة للإمبراطورية النمساوية فى ذلك الحين) ؛ وتوفى إثر إصابته بالسل فى ٣ يونيو سنة ١٩٢٤ فى مصحة كيرلنج قرب فيينا بالنمسا .

وتضامن متين في وقت واحد . فالصلة بالناس الآخرين هي صلة الصلاة ، والصلة بالذات الخاصة هي صلة المجهود . فمن الصلاة تأتي القوة اللازمة للمجهود^(١) . لكن هذه الرابطة ، رابطة الصلاة ، هي نوع من المشاركة الإنسانية في نطاق هذا العالم ، وهي تسليم وإذعان .

أما صاحبنا التوحيدى فيرى أن تكون هذه الصلاة حواراً بين الذات وبين نفسها مرفوعة إلى أسس القوة العليا . وهو في هذا يقترب كثيراً من الوجوديين . ذوى النزعة الدينية مثل جبريل مارسل (G. Marcel) . لكنه يذهب إلى أبعد منهم ، فينتهى إلى نوع من تصوف الانحداد . فهو يقول مخاطباً الإنسان عامة — وهو الذى يوجه إليه الخطاب الحقيقى فى كل هذه المناجيات — ، وبعبارة أخرى هو ذاته : « إن كنت من أهل الفصة ، فتجزع بالتسليم مرارة النصّة ؛ وإن أردت أن تلحق بالملأ الأعلى ، فذنب بين البلاء والبلى ؛ وإن كنت من أهل الحنة ، فلا تنظر إلى الحنة ، ولكن انظر إلى المنّة فى الحنة » (ص ١١٢) . وفى هذا يلاحظ تسليم ممزوج بنزعة إيجابية ترمى إلى تلقى الحنة فى رضا بها ، بل تدعو إلى الإقبال عليها . والسبيل إلى هذا لا بد أن يفضى بك فى النهاية إلى الفناء بين البلاء والبلى ، بين الحنة والححو ؛ حتى ينسلخ المرء عن نفسه ، وينفسخ عليه نفعه ، فلا يكون بينه وبين ذاته ضد ولا نداء (ص ١١٣) .

نظرة صاحبنا إذاً تفتح على الأبدية وعلى العلو (transcendence) ، على الأمل ، لكنه أمل أقل تفاؤلاً من « رجاء » مرسل (Marcel) ، لأنه صدر عن شعور أليم بما فى الحياة من تعارض وبأن الوجود نسيج الأضداد ،

(١) « الاعتبارات » (أو : التأملات) ، الفقرة رقم ١٠٦ ، مجموع مؤلفاته :

وهو شعور ظالماً عبّر عنه صاحبنا في «الإشارات الإلهية» ، فقال في موضع من تلك المواضع العديدة : « حبيبي ! أما ترى ضعفتي في تحفظي ؟ أما ترى رقدتي في تيقظي ؟ أما ترى تفرّقي في تجمعي ؟ أما ترى فصفتي في إسافتي ؟ أما ترى دعائي لغيري مع قلة إجابتي ؟ أما ترى ضلالي في اهتدائي ؟ أما ترى دُشني في غتي ؟ أما ترى عتي في بلافتي ؟ أما ترى ضعفي في قوّتي ؟ أما ترى محزبي في قدرتي ؟ أما ترى غيبي في حضوري ؟ أما ترى كوني في ظهوري ؟ » (ص ١٠٤) وهو يستمر على هذا النحو من بيان اتحاد الضدين في الشيء الواحد ، وما ينشأ عن هذا من توتر في طبيعة الوجود والأحوال الوجودية ، قارعاً طبل بلاغته هذا القرع المنتظم الطويل الأمد . ولا تكاد تخلو صفحة من هذا الكتاب من ترداد هذا المعنى ، مما يؤذن بأنه كان يرى سرّ الوجود في هذا التوتر الحثي ، في هذا الاستقطاب (polarité) الذي فصّلنا القول فيه في كتابنا «الزمان الوجودي» ^(١) . وهو يوحى كذلك في بعض المواضع ^(٢) أنه يؤمن بتساوي الأضداد .

وأغلب الظن أن هذا المخاطب الذي يتجه إليه ما هو إلا نفسه ، إذ كثيراً ما يتحدث عن « بينك وبينك » (ص ١١٣ س ٨) « وبينى وبينى » (ص ١٣٤ س ١٢) ؛ ومعنى هذا أنه يقول بازدواج في نفسه . ومن هذا قد نستطيع أن نستخلص أن هذا العلو (transcendence) الذي يتجه إليه في هذه المناجيات أو الصلوات ما هو إلا نفسه ، وبذلك نظل في داخل ملكوت الإنسان ، شأن كل فلسفة وجودية حقيقية . فلا يجب أن ننخدع كثيراً

(١) ص ١٣٧ — ص ١٣٨ . القاهرة ، سنة ١٩٤٥

(٢) ص ٨٧

بشكره كلمة : « إلهي ! » التي يستعمل بها عادة فقرات هذه المناجيات ، فقد تكون مجرد العادة اللغوية هي التي تحمل على استخدامها . وبهذا التفسير الذي تقدمه ، في احتياط وحذر ، يتحقق قول كفكا الذي صدرنا به هذا البحث وهو أن « الكتابة نوع من الصلاة » ، والصلاة مناجاة بين طرف متواضع خاشع وبين آخر يفترض فيه أنه عال ، لا بالمعنى الديني حتماً ، وإنما مجرد ازدواج تنقسم فيه الذات على نفسها وفي داخل نفسها إلى متحاورين يتضرع أحدهما إلى الآخر وينتهل ، استمتاعاً بالحالين العاطفتين اللتين يلبسانهما . وقد يدخل في ذلك استلهاهم لرواسب عاطفية دينية تصرخ في الأعماق المستورة أو تدق أجرامها الداعية إلى إقامة الفروض الدينية ، لكن لات ثم مجيب ! كما قال ريمان^(١) . ولعل هذا ما قد يعطى ابن الجوزي بعضاً من الحق في اتهامه التوحيدي ، صاحبنا .

بقي علينا أن نسوق شيئاً آخر بين كفكا وبين صاحبنا أبي حيان ، شيئاً هو نتيجة طبيعية لهذا الشعور الألم بنقص (carence) الوجود ، ثم بعث ما تأتبه . وذلك هو ما فعله صاحبنا من إحراق كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره ، وما أمر به كفكا من عدم نشر ما خلفه من كتب ، بل رغبته في القضاء عليها . ويشبههما في هذا الصنيع رَنْبُو (Rimbaud) لما أن أحرق ، فيما يقال ، كل طبعة كتابه « مَلَاوَة في الجحيم » (Une Saison en Enfer) . والعوامل التي حملت كلاً من كفكا وصاحبنا على هذه الفعلية تكاد تتشابه . فصاحبنا قد كشف عن أسباب هذه الفعلية في رسالة كتبها إلى القاضي أبي سهل على ابن عبد الذي كتب إليه يعذله على صنيعه هذا ، فقال إنه أتى هذا الفعل بعد

(١) في « ذكريات الطفولة والشباب » ، المقدمة ص ٧ ، باريس سنة ١٩٤٧

تروّ طويل ، واستخارة لله أياماً وليالي . وذلك لأسباب : (أولها) أن العلم يراد للعمل ، والعمل يراد للنجاة ؛ فإن قصر العمل عن العلم ، كان العلم كلاً على العالم ، وصار في رقبة صاحبه غُلاً ؛ وهو يرى أن هذا العلم قد قصر عمله عنه ؛ فمن التفاق أن تظل هذه الكتب تدعو إلى شيء لم يعمل صاحبها به ؛ فضلاً عن أنها شواهد مُتمِّدة به بإظهارها الفارق بين ما أمّنه وما صار إليه ؛ فهو يحرقها إذن « لقلة جدواها » كما يقول ياقوت ^(١) . (وثانيها) هو قد بذل فيها عسارة نفسه ، وأودع فيها أصناف العلم : سرّه وعلا نيته (esotérique et exotérique) فكان على شعور قوى بعظم قيمتها ونفاستها ، فكيف لا يلتقي عنها الجزاء الذي يستحق ؟ لقد جمع أكثرها « للناس ولطلب المثالة » ^(٢) منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولتد الجاه عندهم ، فخرمت ذلك كلّهُ ^(٣) . وهذه لاشك صراحة محمودة من التوحيدى ، فإنه جرّؤ على إبداء هذا السبب الذى يخجل إلى الناس أنه يزرى بقدر صاحبه من الناحية الروحية . (وثالثها) أنه يعلم ما طبع عليه الناس من سوء الظن والميل إلى تنقّص العيوب ، وهو يعلم أن كتبه نافعة ، فيها سهو وغلط ونقص وعيب ؛ وهو عديم المنصف فى حياته ، « وفقد ولداً نجيباً ، وصديقاً حبيباً ، وصاحباً قريباً ، وثابعاً أديباً ، ورئيساً منيباً » ^(٤) . فشق عليه أن يدعها لقوم يتلاعبون بها ، ويدتسون عرضه إذا نظروا فيها ، فيشتمّون . إنه لم يعد له صديق — وهل كان له يوماً صديق ؟ إذ فقد « الإخوان والأخذان فى هذا الصقع من الغرياء والأدباء والأحياء » . لقد أصابه زهدٌ

(١) « معجم الأدباء » ، ج ١٥ ، ص ١٦

(٢) الفضل ، وحسن الحال .

(٣) ياقوت : « معجم الأدباء » ، ج ١٥ ، ص ١٨

(٤) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٩

في كل شيء ، وهو يرى مصارع أولئك الذين قدمهم « بالعراق والحجاز والجليل
والرّي وما إلى هذه المواضع » ^(١) . (ورابعاً) إنه لم يأت في هذا ببدعة ،
فله « في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ، ويؤخذ بهديهم » ^(٢) ،
يذكر منهم أبا عمرو بن العلاء اللغوي الأديب الممتاز ، وداود الطائي « وكان
من خير عباد الله زهداً وفقهاً وعبادةً ويقال له تلج الأمة : طرّح كتبه
في البحر ، وقال يناجيه : نَعِمَ الدليلُ كُنتَ ، والوقوف مع الدليل بعد الوصول
عناءٌ وزهول ، وبلاءٌ وخول » ، ثم يوسف بن أسباط ، والصوفي الكبير
أبا سليمان الداراني الذي جمع كتبه في ثَمُورٍ وسَجَرها بالنار ثم قال : « والله
ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك » ^(٣) . ويذكر كذلك سفيان الثوري
وأبا سعيد السيرافي ، وقد كان شيخ صاحبنا . ثم هو قد فعل فعله هذا
وهو في حالٍ من المرض والعسر والفاقة ، وهذه حال نفسية يرى هو فيها
من العذر أضعاف ما أبدى . وبهذا كشف عن كل العوامل التي تضافرت
وتمالأت حتى حملته على أن يصنع صنيعه هذا الذي لم ينفرد به ، بل سبقه
إليه طائفة صالحة من أجلة العلماء . على أن العنصر البارز في هذه الأسباب
هو تبرّؤه بهذه الكتب لأنها لا تعبر عن حاله الفعلية ، وهو في هذا يختلف
عن كفكا ، إذ أن كفكا إنما كان غير راضٍ عنها لعدم كمالها أو لقصورها
وضآلة قيمتها ، ثم إنه يعبر بهذا الفعل عن عدم الرضا اللازم للفنان . ولكنهما
يتفقان هنا في أن هذا الصنيع هو آية إخفاق : إخفاق في الظفر بالمجد عند
التوحيدي ، وإخفاق من فرط اليأس الذي استولى على النفس من طول مواجهتها

(١) المرجع نفسه ، ج ١٥ ص ٢١

(٢) المرجع نفسه ، ج ١٥ ص ٢٢

لمشكلة نفسها المستعصية على كل حل عندكم كما . ويتفقان كذلك في أن كلاً منهما نظر إلى إنتاجه فوجده عبثاً لا طائل تحته ، واقعاً هنا تحت تأثير حال المزوف والزهد والانصراف المطلق (abandon total) التي استولت على كليهما في أواخر عمرهما . أما الأسباب الأخرى التي ساقها التوحيدى فيغلب على الظن أنه انتحلها انتحالاً ، تواضعاً واعتذاراً وإمعاناً في المجاملة بأنهم النفس بما يشينها في الظاهر على الأقل . ورسالة التوحيدى مكتوبة كلها بهذه اللهجة اللبقة البالغة اللطافة (finesse) : فهو يعتذر بأسباب مادية وأحوال نفسية ، وكل هذا يجب ألا تأخذه مأخذ الجد ؛ لأن هذه الفعلة لا تصدر عن مغرور ؛ بل عن شعور شخصية نبيلة ترى أن كل كتابة هي حادثة فانية زائلة عابرة ؛ وخير قرطاس تكتب عليه هو الرمل الذي تذروه الرياح ، والماء الجارى الدائم التجديد . إن الكلمة التي تسجل على قرطاس ثابت تقيّد صاحبها . والكاتب الحرّ هو ذلك الذى لا تقيده كلماته ، ولا تصبح عليه كلاً ولا غلاً كما قال صاحبنا التوحيدى في عبارة قوية مليئة بالمعاني .

الكتابة زفرة ، فأطلقها مع مُرسلات الريح ، نَحْيُ أبدأ ، أمّا إن أسلفتها إلى الثابت ، فقد تحجّرت أبدأ وفي التحجّر الموات . عبّر عن خواطرك وأحاساسك ، ثم استودع هذه العبارة زجاجة تلقى في البحر المحيط ، كما حلم ألفرد دى فينى (Alfred de Vigny) ؛ ودع من أراد على مدى الأجيال كي يسعى للظفر بها ، فمن قبلت له وأرسلت إليه بعنوانه المجهول لا بد عاثرها يوماً ما في مكان ما أو زاوية خفية من زوايا ملكوت الروح . أنت عابر ، ووجودك عابر ، فاجعل كل إنتاجك عابراً ؛ فالوجود العابر لا يتفق معه إلا الكلمة العابرة ، والاتجاج العابر .

الكتابة هي « لا » نخشى أن تقول « نعم » ؛ فتسجيلها يخشى معه
 إن تحجر أن تستحيل معه « لا » إلى نعم . نعم ، الكتابة ضرب من الصلاة ؛
 وخير الصلاة ما اتجه إلى المجهول أبداً ، وصار سراً أبداً . فإذا بدا السر
 أو علم المجهول فأحرق ما كتبت وقل مع الداراني : « والله ما أحرقتك
 حتى كنت أحترق بك » .

(٢)

ونحن نشر هنا القسم الأول من كتابه : « الإشارات الإلهية والأنفاس
 الروحانية » . وفقاً للمخطوطة الوحيدة المعروفة حتى الآن عن هذا الكتاب ،
 وهي المخطوطة رقم ٨ تصوف (١٣٣٤) بالمكتبة الظاهرية بدمشق .

(١) أما أن الكتاب للتوحيدي فالدليل عليه ما يلي :

أولاً — أنه ورد في الورقة الأولى من مخطوط الظاهرية ما هذا نصه :

« الأول من كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ، من تصنيف

أبي حيان » .

وهذا أمر لم يتنبه إليه أحد من درس هذا المخطوط من قبل . والسبب
 في هذا أن هذه الصفحة الأولى قد ألصق بها مجلد الكتاب ورقة سميكة
 تضرب إلى الصفرة غطت ما تحتها ، فلم يبين منه شيء لمن يقرأ لأول وهلة .
 ومن هنا رأينا مارتن بلسنر ^(١) (Martin Plessner) يقول : ٢٧ (١)

(١) في مقال له بمجلة « اسلاميات » (Islamica) ج ٤ بعنوان : « مباحث
 في تاريخ الكتب الإسلامية » البحث الأول : دراسات عن مخطوطات
 عربية في استانبول وقونية ودمشق (Beiträge zur islamischen
 Literaturgeschichte I : Studien zur arabischen
 Handschriften aus Stambul, Konia und Damaskus.

الظاهرية ، تصوف ٨ : « كتاب الإشارات الإلهية » : يقول الزيات (أى حبيب الزيات فى كتابه : « خرائن الكتب فى دمشق وضواحيها » ، القاهرة سنة ١٩٠٢) فى ص ٤٩ إنه ورد فى فهرست المكتبة (الظاهرية) أنه لأبى حيان التوحيدى ؛ لكن لا يمكن فى الواقع أن نستخرج يقيناً من المخطوط من هو مؤلفه . وتابع بلسنر على رأيه كثيرون .

لكن كم كانت دهشتنا ونحن ندرس الورقة الأولى من المخطوط ، حينما عرضناها فى مقابل ضوء الشمس ! فقد تبين لنا أن هناك كتابة تحت الورقة الصفراء التى ألصقها المجلد . وسرعان ما أتينا بضوء « مصباح قوى » سلطناه على تلك الورقة فالتضح ما نحتها أو أكثر ؛ وقد ظهر بوضوح تام هذا النص الذى أوردناه . فلم يعد أماننا أدنى شك فى أن فى المخطوط نفسه ورد أنه لأبى حيان (التوحيدى) ؛ وأن الذى وضع فهرست المكتبة الذى أشار إليه حبيب الزيات إنما اعتمد على هذا النص الصريح قبل أن يجلد الكتاب وتلصق هذه الورقة به . ونحن بدورنا لم نستطع أن نصدق أن يكون واضح الفهرست المذكور قد كتب ذلك من تلقاء نفسه ، وهذا هو الذى دعانا إلى متابعة البحث فى المخطوط نفسه عما يدل على مأخذ قول واضح الفهرست ، حتى عثرنا على ضالتنا المنشودة بمجرد تعريض الورقة الأولى لضوء الشمس الساطع ثم لضوء المصباح الكهربى . ولو تيسر لنا مصباح كهربى قوى بدرجة كافية (ألف و٢٠ أو أكثر) لاستطعنا أن نُصوِّر هذه الصفحة الختفية بالتصوير الشمسى .

ولعل فى هذه النادرة عظةً للمشتغلين بالمخطوطات ؛ والنتيجة لهذا إذن أنه ورد فى صراحة ووضوح تامين أن هذا الكتاب هو « الإشارات الإلهية والأفاس الروحانية لأبى حيان (التوحيدى) » .

وثانياً — أنه ورد في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي ^(١) اسم هذا الكتاب من بين ثبت بأسماء مؤلفات أبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدى هكذا : « كتاب الإشارات الإلهية : جزآن » . ثم ورد كذلك في ثبت كتب التوحيدى الذى أوردده الصفدى ^(٢) قللاً من غير شك عن ياقوت ، فقال : « الإشارات الإلهية ، جزآن » .

ثالثاً — يوجد لهذا الكتاب مختصر مع شرح قام بهما عبد القادر ابن محمد بن بدر المقدسى الشافعى المتوفى حوالى سنة ٩٣٤ هـ (سنة ١٥٢٧ م) ، منه نسخة مخطوطة فى برلين (« فهرست المخطوطات العربية بمكتبة برلين » لأثرت (Adilwardt) ج ٣ برقم ٢٨١٨) يقول عنها مارتن بلسنر فى مقاله السابق الذكر إنها ملخص لا يسمح بالمقارنة مع النص الأصلى (الموجود فى مخطوط الظاهرية) مقارنة كافية ، أى أنه لا يفيد كثيراً فى تصحيح النص ، ولكنه يدل على كل حال على أن الكتاب للتوحيدى .

ومن سوء الحظ أننا لم نستطع الظفر بصورة من هذا الملخص ولا بالاطلاع عليه ، نظراً إلى الظروف الحاضرة التى تحول بيننا وبين هذا الاطلاع ، حتى نقرر مدى إمكان الاستفادة من المقارنة بين النص الذى ننشره والنص الوارد — موجزاً — فى هذا الملخص الذى عمله عبد القادر بن بدر المقدسى

(١) نشرة مرجوليوث ج ٥ ص ٣٨١ س ١٩ ، لندن سنة ١٩٢٩ ≡ ج ١٥ ص ٧ س ١٤ — س ١٥ من الطبعة المصرية بمطبعة دار المأمون ، القاهرة (بدون تاريخ) .

(٢) راجع نصه فى مقال مرجوليوث عن مناظرة السيرافى ومقى ، المنشور « بمجلة الجمعية الآسيوية الملكية » (JRAS) سنة ١٩٠٥ تعليق ص ٨١

الشافعي . لهذا لا نستطيع التحدث الآن عن هذا المخلص ، وإنما نرجى ذلك إلى أن يتيسر لنا ذلك الاطلاع .

رابعاً — وثبت دليل كان يمكن الظفر به ولكننا لم نظفر به حتى الآن ، وهو الدليل غير المباشر ، أعني أن تكون قد وردت اقتباسات من هذا الكتاب في كتب أخرى للتوحيدى نفسه أو لغيره . أما في كتب التوحيدى نفسها فلم نثر حتى الآن على إشارة إلى هذا الكتاب فيما نشر من كتبه : « المقابسات » و « الصداقة والصديق » و « الإمتاع والمؤانسة »^(١) . أما في كتب المؤلفين الآخرين فلم نثر على أية إشارة إلى هذا الكتاب . والموضع الوحيد الذى يغلب على الظن أنه مأخوذ من كتاب « الإشارات الإلهية » هذا هو بعض ما ورد في « شرح نهج البلاغة »^(٢) لابن أبي الحديد (ج ٣ ص ٨٨ — ص ٩١) . بيد أننا لم نجد شيئاً مما أورده هنا في هذا الجزء ، فقله نقله عن الجزء الثانى المفقود من كتاب « الإشارات الإلهية » ، هذا مع افتراض أنه مأخوذ من هذا الكتاب ، كتاب « الإشارات » لا من كتاب آخر من كتب التوحيدى المفقودة ، وإعما الذى يميل بنا

(١) « الصداقة والصديق » ومعها « رسالة في العلوم » وكتاها لأبى حيان التوحيدى ، طبع الجوائب ، الطبعة الأولى ، القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ (سنة ١٧٨٣) .

« المقابسات » نشرة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩
« الإمتاع والمؤانسة » نشرة أحمد أمين وأحمد الزين في ٣ أجزاء ،
القاهرة سنة ١٩٣٩ — سنة ١٩٤٣

(٢) نشرة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) .

إلى هذا الافتراض هو الشبه في الطريقة والهجته بين بعض هذه « الدعوات الفصيحة المستحسنة » كما نعتها ابن أبي الحديد وبين ما ورد في هذا الجزء من كتاب « الإشارات » ؛ أما البعض الآخر من هذه الدعوات فمأخوذ من مطلع كتاب « البصائر والذخائر » وذلك في قوله : « اللهم إني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق ، وعالماً بريئاً من الجهل ، وعملاً عرياناً من الرياء ... » إلى قوله : « فإنك على ذلك قدير »^(١) . ولعل قسماً قد أخذ من مطلع بعض كتب التوحيدى الأخرى . وعلى كل حال فإنه نظراً إلى أنه لم يذكر اسم الكتب التى اقتبس عنها ، ولما كانت هذه الاقتباسات غير واردة فى القسم الذى نشره ونعرفه من كتاب « الإشارات » فإننا لا نستطيع أن نقطع برأى فى هذا الباب .

وخلاصة البحث هنا أن الدليل غير المباشر لا يزال يعوزنا فيما اتصل بنا حتى الآن من مصادر .

كما يلاحظ من جهة أخرى أن بعض المصادر أغفلت ذكر هذا الكتاب ، مثل السبكي فى « طبقات الشافعية » (القاهرة ، ج ٤ ص ٢ و ٣) والسيوطى فى « بنية الوعاة » (القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩) وابن خلكان فى « وفيات الأعيان » (ج ١ ص ٦٠ و ٦١ ، القاهرة سنة ١٣١٠ فى ذيل الكلام عن أبى الفضل محمد بن العميد) ؛ لكن هذا الصمت عن ذكر الكتاب

(١) مخطوط كبير دج ورقة ٩٩ ا ، وهذه النسخة فى ١٩١ ورقة مقاسها ١٩,٩ × ١٣,١ سم ، ومسطرتها ٢٥ س ، وتاريخه ١٤ شوال سنة ١١١٧ هـ ؛ راجع إدورد . ج . براون : « المخطوطات الإسلامية فى مكتبة جامعة كبريدج » - كبريدج سنة ١٩٠٠ تحت رقم ١٣٤ Ed. G. Browne : *Muhammedan manuscripts in the Library of Cambridge University*.

لا يبدل على شيء ، لأن أصحابه لم يقصدوا إلى الاستيعاب والاستقصاء . كذلك لم يرد للكتاب ذكر في « كشف الظنون » لحاجي خليفة ؛ وكل ما ورد عن أمثاله هو : « (١) الإشارات في التصوف : لسعد الدين مسعود بن أحمد المتوفى سنة ... مختصر . أوله : الحمد لله الذي هدانا لهذا الخ . (طبعة استانبول سنة ١٩٤١ م : سنة ١٣٦٠ هـ ، ج ١ ص ٩٧) » ، ثم (٢) « الأنفاس الروحانية » (ج ١ ص ١٨٣) وقد ترك هكذا غفلا من اسم مؤلفه فلا نكاد نتبين شيئاً من مجرد ذكر هذا العنوان ، أو على الأقل لا يفيدنا في تحديد الأمر في كتاب « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » .

وبالجملة ، فليس نمت شك لدينا في أن « كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » هو لأبي حيان التوحيدي ، وفي أن النسخة التي بأيدينا ونشرها هنا هي بعينها كتاب « الإشارات الإلهية » للتوحيدي .

(٣)

وصف مخطوط الظاهرية رقم ٨ تصوف

(١) يقع هذا المخطوط في ١٥٦ ورقة ، يبدأ نص الكتاب في أول الورقة ١ ب وينتهي في منتصف الورقة ١٥٦

(ب) ورقة الوجه الأول (١١) :

قلنا إن هذه الورقة قد غطاها بحبل الكتاب بورقة خارجية صفراء اللون صميكة لا يستشف منها ماتحتها إلا إذا سلط عليها نور قوي جداً وقد فعلنا ذلك فوجدنا مكتوباً فيها بوضوح :

« وقف محرم مؤبد »

الأول من كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية

من تصنيف أبي حيان

وتحت هذا العنوان وعن يساره كلام كثير يتصل بوقف هذا الكتاب وأبولته ، وعليه ختم لم تمكن من قراءته . وهذا الكلام غير واضح تماماً ، ولا يمكن أن يستبين بجلاء كله إلا بتسليط نور قوى جداً عليه .

(ج) والورقة ب يبدأ بها الكتاب كما هو مبين في نشرتنا هذه ؛ لكن نخرمت منها مواضع في الأسطر الأربعة الأخيرة كما أشرنا إلى ذلك في هامش النص .

(د) الورقة الأخيرة من المخطوط قد لصق بإظهارها (ص ١٥٦ ب) ورقة فيها كلام منقول عن كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة أوله : « الفيلم ذكر السلاحف ، والآنثى سلحاء ، ويقال سلحفية ؛ والملجوم ذكر الضفادع ؛ والشيمم ذكر التنافذ ؛ وانغرز ذكر الأرناب ، وجمعه خزان . . . » وهو مأخوذ من مواضع متفرقة من « أدب الكاتب » وأوله مأخوذ من ص ٨١ (المطبعة المصرية سنة ١٣٤٦ هـ : سنة ١٩٢٧ م) والباقي من مواضع متفرقة في ثنايا هذا الكتاب . وهذه الورقة ليست من نوع ورق كتاب « الإشارات » نفسه ، ولهذا فهي ملصقة إصاقاً وخارجية عنه .

(هـ) مسطرة الصفحة ١٩ سطرًا ، طول السطر ١٢ر٥ سم ، وطول الصفحة في الجزء المكتوب منها ١٥ر٥ سم ، وطول الصفحة مع الهامش ٢٠ر٥ ، وعرض الصفحة مع الهامش ١٦ر٨ إلى ١٧ سم . والورق سميك جيد يضرب إلى الشُّرة .

وترقيم الصفحات يستمر بحبر أسود من نوع حبر الأصل حتى ورقة ٤٨ ، وبعدها كتب الترقيم بقلم رصاص .

وعنوان الرسائل أرقام هكذا : رسالة ١ ، رسالة ب الخ ، وهو مكتوب بالحبر الأحمر ؛ وحلى بالآخر مع الأسود بعض الحروف في ثنايا الصفحة ، خصوصاً

إذا كان رسم الحرف ممدوداً مثل السين في : بالسنتهم ، أو حيناً يمد خط بين حرفين مثل بين الحاء والياء ، أو للفواصل بين الفقرات .

(و) لم يرد في هامش المخطوط غير استدرأ كالت المناقص في الصلب ، أو تصحيح بعض الكلمات التي اضطرب رسم كتابتها .

(ز) ورد اسم الكتاب في داخله بصفحة ١٤١ ، مع عنوان فصل ، هكذا : « فم التفضيل بالفاشية والحاشية من الإشارات الإلهية » . كما ورد في آخره هكذا :

« تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والآنفا الس الروحانية » . وكل هذا يؤكد — إن كنا لا نزال في حاجة إلى فصل تأكيد — كون هذا المخطوط هو « الإشارات الإلهية » . (ح) وخاتمة المخطوط هي :

« تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والآنفا الس الروحانية » بحمد الله ومنة ولطف منه . ويتلوه المجلدة الثانية ، وهي الرسالة الخامسة والخمسون : كتابي إليك أيها الصديق ، وأنا أسالك أن يسألك . . . » .

وهي تدل على وجود مجلد ثانٍ يبدأ بالرسالة الخامسة والخمسين ، وهذا أولها . (ط) وعليه تاريخ في نهايته وهو : « وفرغ من كتبه محمد بن أحمد بن علي الأشعبي ، بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة » .

وليس لدينا ما يوجب الشك في صحة هذا التاريخ فقد كتب بنفس القلم والخبر اللذين كتب بهما المخطوط كله .

فالخطوة إذن قديمة جداً ، وتعد من أقدم ما بقي لدينا من مخطوطات عربية . ولقد نسخت إذن بعد وفاة التوحيدى بقرابة ستين سنة أو أقل (لسنا ندرى بالدقة ، لأننا لا نعرف على التحديد واليقين تاريخ وفاة التوحيدى ،

ولكنه حوالى سنة ١٤١٤ هـ : ١٠٢٣ م) ، فلعلها كتبت عن نسخة المؤلف نفسه أو نسخة نشرت في حياته ، إذا افترضنا أنه حينما أحرق كتبه إنما أحرق ما كتبه بيده وكان لديه ، مع جواز أن يكون قد خرج عن يده أيضاً ما كتبه بقلمه .

ومن هنا كانت مخطوطة الظاهرية بدمشق هذه التى عنها ننشر هذا الكتاب مخطوطة لا تصاب لها قيمة . فضلاً عن قدمها هذا ، فإن العناية تتجلى فيها فى كل موضع ، وقد ورد ذكر ذلك صراحة فى آخر المخطوطة ، إذ ورد ما يلى : « مُعَارَضٌ مُصَحَّحٌ مِنْ أَوَّلِ الْمَجْلَدِ إِلَى آخِرِهِ » .

وإنما أتت صعوبة النشر من رداءة رسم الخط إلى درجة هائلة ، ومن إهمال النقط واضطرابها بين الحروف المتوالية ، ومن عدم اتباعه قاعدة واحدة ، سواء فى كتابة الحروف الواحدة وفى نقط الحروف وفى وضع إشارات تميزها من الحروف المناظرة (مثل السين والشين ، العين والغين) ، مما جعل الكلام يستحكم على القارئ فى كثير من المواضع ، لهذا قاسينا فى سبيل قراءته نصّاً ناصباً ومشقة بالغة ، خصوصاً ولغة الكتاب غنية مفرطة فى الغنى ، لهذا احتاج إلى محصول لغوى غزير حتى يفصح عن مضمونه ، ويظهر ما خفى من مكنونه .

أين يمكن أن نضع هذا الكتاب فى مراحل حياة التوحيدى الروحية ؟ سؤال لن نجد عنه ، فيما بين أيدينا منه ، جواباً حاسماً ، إذ ليس فيه أدنى إشارة تاريخية : إلى أحياء أو أحداث ، والشخص الذى يشير إليه فى بعض هذه الرسائل من العسير أن نتعرفه بيقين ، وأغلب الظن أنه شخص خيالى ،

أعنى أنه « الأنت » الضرورى كما يتم الحوار النفسى أو المناجاة . فهو مجرد اختراع أدبى (fiction littéraire) .

لهذا لم يبق فى التحليل الباطن للنقد الخارجى إلا اعتباران : الأسلوب ، ثم مدلول اللمعة .

أما الأسلوب فلم يبلغ فى كتاب من كتب التوحيدى الأخرى : « الإمتاع والمؤانسة » و « الصداقة والصديق » و « ثمرات العلوم » و « المقاييسات » مقدار ما بلغه فى هذا الكتاب ، كتاب « الإشارات الإلهية » : سموًا ، وحرارة ، وموسيقى ، وتمكنًا من الأداء . والمشايات بين الجاحظ وبينه ها هنا أظهر منها فى كتبه الأخرى . نعم ، للموضوع مدخل كبير فى تلوين الأسلوب ، بل وصياغته . والموضوع هنا يهب الأسلوب بطبعه أجنحة وردية ترف فى نور الإيمان المتقدم ، مما يؤم دليلاً عكسياً يتنافى مع محصل الاعتبار الأول . إذ فضوح الأسلوب يكشف عن تأخر العهد ، بينما الحرارة فى النبرة قد تؤذن بحماسة الشباب أو حرارة مشارف الرجولة . واجتماع كليهما ها هنا قد يؤدى بالبعض إلى استنتاج موقف التوقف ، لتكافؤ الأدلة . وتلك أمور نحسب لها كل حسابها ؛ ومع ذلك فنحن لا نخرج إلى التوقف المطلق ، بل نؤثر الترجيح ، وهو ترجيح تدعونا إليه الاعتبارات التالية :

١ - أن التوحيدى لم يشر إلى هذا الكتاب فى واحد من كتبه الأخرى التى ذكرناها . أجل إنه ليس من عادة التوحيدى أن يشر إلى كتبه الأخرى فى مؤلفاته ، حتى إننا لا نذكر له إشارة واحدة فى أى من تلك الكتب إلى مؤلفاته الأخرى ، اللهم إلا إلى كتاب « مثالب الوزراء » فى خمل كلامه فى مستهل « الإمتاع والمؤانسة » ، وإن كان لم يذكره صراحة ؛

ومع ذلك فلا ضير من الاستناد إلى هذه الحجة — غير القاطعة — على الأقل بوصفها حجة مساعدة .

٢ — أن أسلوب الكتاب بالغ أعلى درجة نضوج لنفسها لدى التوحيدي ؛ وأنه يعبر فيه عن شخصيته وتجاربه الحية وأحواله النفسية على نحو يبرز فيه الجانب الشخصي ، وهو جانب من الصعب أن نتلمسه في « الإمتاع والمؤانسة » وفي « المقاييس » أو « الصداقة والصديق » . وهذا الاستقلال الروحي دليل قوي على النضوج وغنى التجارب في حياة يستمر منحني التطور فيها على نحو مطرد .

٣ — أن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالاً طويلاً . ففيه مرارة اليأس من الناس ومن دنيا الناس ؛ وفيه صرخة ألمة لأمل خائب تكسرت عليه نصال الخيبة بعد الخيبة ؛ وفيه عزوف رقيق ، ولكنه عميق ، عما يربط بالعاجلة ، واستدعاء متوسل لكل ما تلوح منه بوارق الآجلة ؛ وفيه شعور بهوة هائلة تفقر لها في نسج الوجود ؛ وفيه طعم الرماد يتذوقه المرء في كل عبارة وإشارة .

ومثل هذا الموقف هو موقف داوود في « مزاميره » ، لا أيوب في تجديقاته ؛ وهو موقف لا يتهيأ إلا لمن حصل من التجارب الروحية المنيقة نصيباً موفوراً ، ثم راح يجترأ الماضي ، وقد أحاله إلى تسليم ، في ابتهالات تسرى فيها شائمة الألم الكليل ، بل المليل . وهذا كله لا يتحقق إلا في سن متأخرة تماماً : حين تنضب قوى التجديف ، وتخفت صرخة التمرد ، فيشيع المرء بوجهه إلى الجانب الشاحب من الحياة .

لهذه الأسباب الثلاثة كلها نرجح أن يكون هذا الكتاب من كتب التوحيدي الأخيرة ومما كتبه في آخر عمره .

وهنا تنفض أماننا التهمة المشهورة ، وهي اتهام التوحيدى بالزندقة ،
 وأنه أحد زنادقة الإسلام الكبار الثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى والمعرى ،
 وأنه أخبت الثلاثة وشرهم لأنه « مجحج ولم يصرح » على حد تعبيرهم —
 فتطرح علينا السؤال التالى : كيف تتفق نبرة هذا الكتاب ، وهى نبرة
 صادقة تكشف عن إيمان عميق بالله ، وفيها تسليم مطلق لوجهه ، مع اتهامه
 بالزندقة ؟

وللجواب عن هذا السؤال نبداً فنقرر أولاً أن هذه التهمة لا يمكن
 أن يكون أصحابها قد استخلصوها اعتماداً على هذا الكتاب . فهما أمعنا
 فى التأويل ونعسفنا فيه فلن نستخلص بجحد ووضوح من هذا الكتاب ما يدل
 على شيء من الزندقة ، بل التجديف . فأصحاب تلك التهمة إذن لا بد أن يكونوا
 قد استندوا إلى كتب أخرى للتوحيدى ، وإن كنا لا ندرى بعد ما هى
 هذه الكتب ، لأن ما بين أيدينا لا يكفى للإدانة الصريحة .

وهاهنا نجبرؤ على الافتراض التالى : وهو أن يكون التوحيدى قد ألف
 كتاب « الإشارات الإلهية » فى دور تلاما يشبه التوبة ، وأنه لهذا يبر
 عن فترة إيمان مستسلم حارّ النبرة صادق الطوية كانت آخر فترات حياته
 الروحية ، وأنه قد سبقها فترات نزع فيها منازع لعلها أن تكون الدافع
 إلى هذا الاتهام .



وقد ذكرنا اسم « مزامير داوود » عن قصد ، لا لجرد المقارنة والتشبيه .
 ذلك أننا لا نستبعد أن يكون التوحيدى قد تأثر « مزامير » داوود فى وضعه
 هذا الكتاب ، إذ ليس من العسير أن نجد أشباهاً ونظائر عديدة فيما بين
 « إشارات » التوحيدى « ومزامير » داوود : فصيافة المناجاة المتوجهة إلى الله

واحدة ، وحرارة التجارب الالهية التي عاناها كلاهما متشابهة ، والشعور بالتسليم المطلق لوجه الله الواحد القهار يكاد يتخذ صيغاً للتعبير مشتركة فيما بينهما ، والشعيرة السارية في ابتهالات كليهما تصدر عن نفس مليئة بأحاسيس متفقة في ينايعها . ولعل الامر الذي باعد بعض المباعدة بين كليهما في هذا الباب هو الصنعة الفنية : فقد طغت المحسنات اللفظية — البديعية خصوصاً — عند التوحيدي حتى دفعت به إلى اتخاذ أسلوب عليه مسحة من التكلف ظاهرة ، مما أشاع بعضاً من البرود في حرارة النبوة العالية التي هي الأساس الاصيل فيها كتب . وتلك آفة التوحيدي . بينما أسلوب « المزامير » يصدر من القلب إلى القلب في غير تكلف ولا تعسف يلتقيان ضباباً كثيفاً على صفاء العاطفة ونصاعة التعبير عن المشاعر . ومن هنا كانت لهذه « المزامير » — فضلاً عن ملاسماها التاريخية ومكانة صاحبها أو من نسبت إليه — مَهْرُنا بمنف بالغ جداً أكثر بكثير مما تفعله « إشارات » التوحيدي .

وليس بعسير أن نثبت أن التوحيدي قرأ « الكتاب المقدس » بعهديه : الجديد والقديم . فقد أشرنا في عدة مواضع من هذا الكتاب إلى التشابه بين عبارات التوحيدي وبين آيات في الأناجيل ، وهذا يقطع بأنه قرأها ، أو في القليل عرف الكثير عنها ، وآيات بنصوصها . وما دام قد قرأها ، فمن الطبيعي أن يقرأ أسفار « العهد القديم » ، بل أن يعجب بها ، وهو الرجل الشاعري المزاج ، الصوفي النفس . ومن ذا الذي يقرأ « المزامير » و « سفر أيوب » و « مراثي أرميا » والأسفار الخمسة المنسوبة إلى سليمان ولا يطرأ لها ، إن كان في مثل نفسية التوحيدي !

يضاف إلى هذا السبب « المكتوب » ، أنه كان على صلة وثيقة بأبي على عيسى بن زُرْعَة وكانا يجتمعان في صحبة واحدة ، وكثيراً ما أشار ^(١) إليه التوحيدى ووصفه ، وأبو عيسى بن زُرْعَة من كبار المسيحيين اليعاقبة الذين كانت لهم مكانة ملحوظة الجلال في الكنيسة اليعقوبية المسيحية . فكيف لا يفيد التوحيدى منه ! ولطالما أفاد ابن زُرْعَة من التوحيدى وسائر أصحابه ؟

لهذا كله نرجح أن يكون التوحيدى قد تأثر « مزامير » داوود ، خصوصاً أنه لم يجد شواهد سبقته إلى هذا النوع في الأدب الإسلامى ، اللهم إلا آثاراً ضئيلة قد نجد البعض منها أولاً في كتب الحارث المحاسبي ثم في كلمات الخلاج . لكن هذه الآثار بعيدة الشبه كثيراً عن كتاب « الإشارات » هذا ، فلا يمكن أن يكون صاحبها تأثرها وحدها تماذج له ، وإنما الكتاب الذى يمكن أن يكون قد تأثره حقاً وبطريق مباشر وبصورة قوية بارزة ، هو كتاب « المزامير » المنسوبة إلى داوود النبي .

وهنا ميدان خصب للدراسة الأدبية ، وهو مدى تأثر الأدب العربى الإسلامى « بالكتاب المقدس » بمهديه : القديم والجديد ، خصوصاً و « العهد القديم » قد ترجم ترجمة ممتازة إلى العربية في القرن الثالث ، وهى الترجمة التى قام بها حنين بن اسحق .

(١) راجع : « المقابسات » ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٩٣ ، ٣٥١ . نشرة السندوبى . القاهرة سنة ١٩٢٩ ؛ — « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٨ ؛ ج ٢ ص ٦٣ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٩٧ .

والشواهد على هذا التأثير عديدة ، نذكر منها في المقام الأول أبا عثمان الجاحظ^(١) ، فهو في رسائله كثير الإشارة إلى آيات في « الأناجيل » خصوصاً وإلى أحداث تاريخية خاصة بالمسيح ، وهو يورد هذه الآيات أحياناً بنصوصها في ترجمة رائمة ، ألايتها وجدت اليوم لتحل محل الترجمة الشائنة الأعجمية البائسة التي يتداولها النصارى اليوم في البلاد العربية ١

على أن دعوانا تأثر التوحيدى بأسلوب « مزامير » داوود لا تقدح في أصالة التوحيدى ، بل نرى فيها ما يؤكد هذه الأصالة ويرفع من مكانتها ومكانة صاحبها . فلسنا من أولئك التافهين المعجزة الواهين المغرورين الذين يفزعون من فكرة التأثير فتنتهى أصالتهم المزعومة إلى أن تصبح طلاء زائفاً من السطحية الرخيصة التي لا ترضى غير الأغرار الأغمار من أمثالهم .

(٥)

والكتاب بعد هذا غنى بما فيه من منهج في المناجاة لا نكاد نجد له نظيراً قبل التوحيدى ، وبهذا يمكن أن يعد رائد نوعه ، والتفويض الأول لكتب المناجيات التي سنراها من بعد في الأدب الصوفي ، مثل « مناجاة الفرد الكامل » للصدر القنوتى^(٢) ، وهى مناجيات فيها وُجّه الخطاب إلى الله بلغة راقية قريبة الشبه بأسلوب التوحيدى في « الإشارات » ، ولكن

- (١) راجع : « مجموع رسائل الجاحظ » ص ٥٤ ، ٥٨ ؛ نشرة بول كراوس . القاهرة سنة ١٩٤٣ ثم « كتاب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دؤاد » في « شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون » لابن نباتة ، ص ١٧٥
(٢) مخطوط بالظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٨٩٥ عام من الورقة ١٦ ب إلى ٣٧ ب ، مقياس ١٨ × ١٣ سم . وسنقوم عما قريب بنشره .

تفترق عن لغة هذا الأخير بأن أسلوبها أحفل بالمصطلحات الفلسفية والصوفية ، وأقل حظاً من الجمال الفني والطلاوة الموسيقية والأدبية . ولسنا نبعد كثيراً إذا قررنا أن من الممكن أن يكون تمت تأثر من جانب الصدر القوتوى بأسلوب التوحيدى فى كتاب « الإشارات الإلهية » ، فضلاً عن منهجه .

وإذا كانت الصنعة الفنية قد غلبت على أسلوب التوحيدى فى هذا الكتاب على حساب المعنى والتجربة الروحية ، فى بعض المواضع ، فليس هذا بقادح فى شيء من القيمة الخطيرة التى لهذا الكتاب فى تاريخ التصوف الإسلامى والحياة الروحية ، تلك القيمة التى نرجو أن تفتح لنا فرصة قريبة للتحديث عنها وبيانها فى ذاتها ومع مقارنتها بنظائرهما فى هذا الميدان الضخم ، فى الأدب الروحى الإسلامى ، الذى يشمل فى المفاجأة الإلهية ، وهو فن يدل على ارتفاع هائل فى مستوى الذاتية ، وعلى عمق فى غور الحياة الباطنة ، وعلى إدهاف فى الحساسة الكونية عند النفوس المتقدة بشواظ من نار القداسة العليا ، العليا وفى علائها توكيد مع ذلك لكمال إنسانيتها ؟

عبد الرحمن بدوى

دمشق فى ١٨ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٩

رسالة

۱. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۲. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۳. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۴. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۵. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۶. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۷. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۸. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۹. نرسا اعلیٰ علیہ السلام
 ۱۰. نرسا اعلیٰ علیہ السلام

ورقة [١ ب] من مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٨ تصوف
وهي أول المخطوطة ، وفي ظهرها صفحة الغلاف المغطاة



فبازك حطراتي مع تعب الآي بلال الله اذا فكرت الآي وكونك فيه
 لا اله الا الله لا اله الا الله مثل الله الذي يتعبد للآي
 فلك سبائك وعلبك نرها لله في شفاقت احك فيه ولا شفاقت كبر الا الله في
 والجحش عيسى والارنا ابعس والارنا ابعس في شوق العباد في شوق وهداه مشرع وتجب
 محتج وبقود الله من الوشوا من الحنا من الذي يوسوس في صدق الشا من الحنا
 والناشع
 ثلث المحلة الاولى من الامت زات الامت والاهم والاهم
 كما انه وصيه والطف منه
 وثلاث المحلة الثانية هي الامت الحاميه والحميه
 كما انك انما القديق والكنك انك
 فبازك حطراتي مع تعب الآي بلال الله اذا فكرت الآي وكونك فيه
 لا اله الا الله لا اله الا الله مثل الله الذي يتعبد للآي
 فلك سبائك وعلبك نرها لله في شفاقت احك فيه ولا شفاقت كبر الا الله في
 والجحش عيسى والارنا ابعس والارنا ابعس في شوق العباد في شوق وهداه مشرع وتجب
 محتج وبقود الله من الوشوا من الحنا من الذي يوسوس في صدق الشا من الحنا
 والناشع

عسر

الورقة الأخيرة من المخطوطة وبها تاريخها ودلالة انتهائها
 عند الجزء الأول من "الإشارات الإلهية"

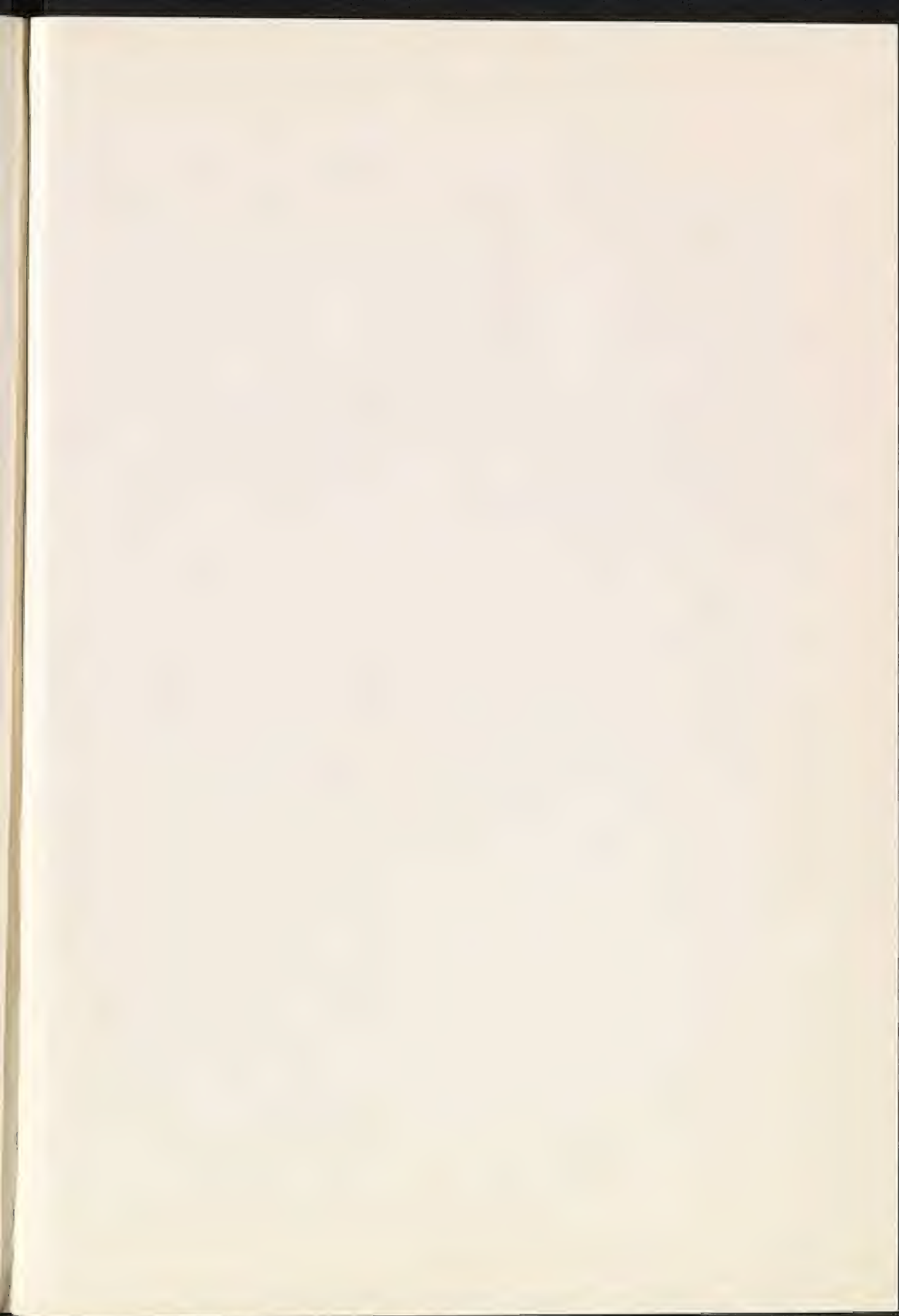


[illegible]









الأول من كتاب

الاشارات الالهية

والأنفاس الروحانية

من تصنيف

أبي حيان > التوحيدى <



ميمون الابتداء مبارك الانتهاء

رسالة (١)

- اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ ، مَا نَسْأَلُ ، لَاعْنِ ثَقَرٍ بِيَاضٍ وَجُوهِنَا عِنْدَكَ ،
 وَحُسْنِ أَعْمَالِنَا مَعَكَ ، وَسَوَالِفِ إِحْسَانِنَا قَبْلَكَ ؛ وَلَكِنْ عَنْ ثَقَرٍ بِكَرَمِكَ ٥
 الْفَائِضِ ، وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ . نَعَمْ ، وَعَنْ تَوْحِيدٍ لَا يَشُوبُهُ إِشْرَاكٌ ، وَمَعْرِفَةٍ
 لَا يَخَالِطُهَا إِنْكَارٌ . وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَارُنَا قَاصِرَةً عَنْ غَايَاتِ حَقَائِقِ التَّوْحِيدِ
 وَالْمَعْرِفَةِ ، فَنَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّ عَلَيْنَا هَذِهِ الثِّقَةَ بِكَ ، فَتُشْهِمَتْ بِنَا مِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ
 هَذِهِ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ . يَا حَافِظَ الْأَسْرَارِ ، وَيَا مُسْتَبِيلَ الْأَسْتَارِ ، وَيَا وَاهِبَ الْأَعْمَارِ ،
 وَيَا مُنْشِئَ الْأَخْبَارِ ، وَيَا مُوَلِّجَ اللَّيْلِ فِي التَّهَارِ ، وَيَا مُصَافِيَ الْأَخْيَارِ ، وَيَا مُدَارِي ١٠
 الْأَشْرَارِ ، وَيَا مُنْقِذَ الْأَبْرَارِ مِنَ النَّارِ وَالْعَارِ ؛ عُدَّ عَلَيْنَا بِصَفْحِكَ عَنْ ذَلَاتِنَا ،
 وَأَنْعَمْنَا عِنْدَ تَتَابُعِ صَرَاعَتِنَا ، وَخَطَرِ^(١) حَالِنَا مَعَكَ فِي اخْتِلَافِ سَكْرَاتِنَا
 وَصَحَوَاتِنَا . وَكُنْ لَنَا ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ لِنَفْسِنَا ، لِأَنَّكَ أَوْلَى بِنَا . وَإِذَا خِفْنَا
 مِنْكَ ، فَامْرُجْ خَوْفَنَا مِنْكَ بِرَجَائِنَا فِيكَ . وَإِذَا غَلَبَ عَلَيْنَا يَأْسُنَا مِنْكَ ،
 فَتَلَقَّهِ بِالْأَمَلِ فِيكَ . بَشِّرْنَا ، عِنْدَ تَوَجُّعِنَا نَحْوَكَ ، بِالْوُصُولِ إِلَيْكَ . مَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ ١٥
 إِلَى نُورِ وَجْهِكَ . أَسْبِغْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ بِمَا وَهَبْتَ لَنَا مِنْ تَوْحِيدِكَ . وَلَا تَهْجِرْنَا

(١) كَذَا ؛ وَلَعَلَّ هُنَا تَحْرِيفًا أَصْلَهُ : أَخْطَرُ .

بعد وصلك ، ولا تُبعدنا بعد قُربك ، ولا تُكربنا بعد رَوْحك^(١) . قد عادينا
أعداءك فيك ، فلا تُسبِّهم بنا لتقصيرنا في حقك ؛ ووالينا أصدقاءك لك ،
فلا تُوحِّشنا منهم لسهونا عن واجبك ...^(٢) ... لك فأرحنا بك ؛ ورفعنا أيدينا
إليك فأمدِّها من برك ولطفك . ٥١ ...
...^(٣) ... الدعاء فاعلم أنك ...^(٤) بالإجابة وإذا ما بع ...^(٥) ...
... شكر وإذا اكتد ...^(٦) ... لرب من كل ...^(٧) ...
... توالى عليك ...^(٨) ... فاعلم أنك [١٢] مخنوث على العمل .
وإذا أُشْهِدَ عيبَ حالك ، فاعلم أنك مخصوص باليقظة . وإذا غُيِبَتْ
عن شاهدٍ أمرك ، فاعلم أنك غير قابل بواقع الموعظة ؛ وإذا استوحشت
من بقاء الذكر ، فاعلم أنك معزول عن الولاية . وإذا غُمِيتَ عن الاعتبار
بآثار السلف ، فاعلم أنك مُخْلَى من بُيُئِنِ الهداية . وإذا استحسنْتَ القول
واستثقلت العمل ، فاعلم أنك بعيد من التوفيق والعناية ٥٢ .

يا هذا ! إن كنت تاكلًا فَتَحَّ^(١) على ما أُصِبتَ به ؛ وإن كنت مكروبًا
بالسر ، فَبُحَّ ، فلعلك تشفى غليلك فيه ؛ وإن كنت طالبًا فَبَدَّ ، ففساك فصل
إلى بُغْيَتِكَ منه ؛ وإن كنت واحدًا فاحفظ ، فإنك غير واثق من ثبات
ما ظفرت به . وتَلَطَّفْ ، جهدك ، حتى تقف على مكمنٍ أمرك ، فلعلك
مُسْتَدْرِجٌ من حيث لا تعلم ، ولعلك مرادٌ بالخصوصية وأنت مُسْتَكْتَمٌ .
رَبِّهِ وَجْهَكَ بالصورة البهية . حَسِّنْ أَمْرَكَ بالنية القوية الثقية . أنت في مناط

(١) الروح (يفتح الراء) : الراحة والنعيم .
(٢) خرم في الأصل بهذا المقدار تقريباً .
(٣) أى : ألقى على مُصَابِكَ .

الربوبية فلا تهبط إلى قاع العبودية . صانوك فلا تَبْدُلْ ^(١) . أعزوك ، فلا تَدِلْ .
أعلوك ، فلا تَسْفِلْ . غسلوك ، فلا تَتَوَسَّخْ . تقوُّك ، فلا تَتَلَطَّخْ . يسرُّوك
فلا تَتَعَسَّرْ . قرَّبوك ، فلا تَتَبَاعَدْ . أحَبُّوك ، فلا تَتَبَعَضْ . جدُّوا بك ،
فلا تَكْسِلْ . استخدموك ، فلا تَتَكَلَّ . اعتقوك ، فلا تَتَعَبِدْ . أقالوك ، فلا تَتَمَرَّ .
دعوك ، فلا تَتَأَخَّرْ . نسبوك ، فلا تَتَجَحَّدْ . جبروك ، فلا تَتَكَسَّرْ . أنبتوك ،
فلا تَتُدْر . حسَّنوك ، فلا تَقْبَحْ . حلَّوك ، فلا تَسْمُجْ . علموك ، فلا تَجْهَلْ .
نوهوا بك ، فلا تَحْمَلْ . قرَّبوك ، فلا تَضَعُفْ . لطفوك ، فلا تَكْشِفْ .
أسرُّوك ، فلا تَكْشِفْ . انتظروك ، فلا تَتَوَقَّفْ . آمنوك ، فلا تَتَخَوَّفْ .
قوموك ، فلا تَتَعَقَّفْ ^(٢) . ندُّوك ، فلا تَنْشَفْ .

يا هذا ! إنك إن عرفت هذه اللغة ، واستخرجت حالك من هذا الديوان ،
وحصلت ممالكك وعليك بهذا الحساب ، أوشكت أن تكون من المجذوبين
إلى حظوظهم ، والراسخين في عالمهم ، والخالدين في نعمتهم . وإن كنت عن هذه
الكنائيات [٢ ب | غمياً ، وعن هذه الإشارات أعجمياً ، طاحت بك الطوائج ،
وناحت عليك النوائج ، ولم توجد في زمرة الفوادى والروائح . مطَّرت سماء المحبة ،
فلم تبطل بقطرة من قطراتها . وهبت ريح الولاية ، فلم تعبق بنسيم من نسائمها .
وغنت ضائر الحكيم ، فلم تطرب على لحن من لحونها . وجليت عرائس الهدى
فلم تشبث بذيل من أذيال واحنم منها . فياجاني الطبع ، ويا قاسى القلب ،
ويا سبى الاختيار ! كيف يطعم الطامع في رشدك ، وهذا نظرك لنفسك !

(١) تَبْدُلْ وابتدل : ترك الاحتشام والتصون .

(٢) انعقف الشيء وتعقف : تعوج وانعطف .

أشهد أنك غيب^(١) الرأى ، مسلوب التوفيق . على أنه قد بقي من شمسك شئ^(٢) ،
فإن تداركت يقينك رجوت لك أن تساو عن فائتلك ، وإن جنتحت إلى التواني
وذهبت في آفاق الأمانى لم تثر من حالك إلا حسرة ، ولم تعضغ بفك إلا جمره .
يا هذا ! خفف أسى عما ساءك طلبة :

ما كل شام بارق يُسقاها !

٥

قد يسلم المرء مما قد يحاذره وقد يصير إلى المكروه بالخذر

وما هو كائن ، وإن استطلنا إليه التمهى^(٣) ، يوشك أن يكونا

ما خطب من حرم الإرادة وإدعاً خطب الذى حرم الإرادة جاهدا

يا هذا ! نخذ من التصريح ما يكون بياناً لك في التعريض ؛ وحصل
من التعريض ما يكون زيادة لك في التصريح ، واستيقن أنه لا حرف ولا كلمة ،
ولا صمّة ولا علامة ، ولا اسم ولا رسم ، ولا ألف ولا ياء ، إلا وفي مضمونه آية
تدل على سرّ مطوى وعلانية منشورة ، وقدرة يادية وحكمة محبورة ، وإلهية لا ثقة
وعبودية شاققة ، وخافية مشوقة وبادية معوقة . فاصرف زمانك كله في فلي هذه
الآبناء^(٤) واستنباط هذه الأنباء . على أن زمانك أقصر من ذلك ، أغنى
أن يطول لك حتى تقف على كنه حقيقته ، على ما في باطن ذرة من هذه القصة .

١٥

(١) الغيب : الضعيف الرأى .

(٢) شقيت الشمس ، شقي شئ : غربت .

(٣) استطلنا التمهى : النهى أى الوصول والبلوغ ، واستطلنا : أى وجدناه
طويلاً ، أى وجدنا الوصول إليه عزيزاً .

(٤) لعلم جمع (لم يرد في لسان العرب) أبنّة ، وهى العقدة والعيب ، والجمع
الوارد هو أبّن .

وهذه الإشارة ، وإن كانت محدثة للناس في النفس الضعيفة ، فإنها مبشرة بعظم
الحال في الغاية المنيفة . فائتزر ، حاطك الله ، بالانكماش ، وارتد بالجهد
[١٣] ، واكتحل بالسهر ، واغتر^(١) بالفكر ، وحرّم على بالك أن يلمّ به الهوينيا
والفتور . وإذا حطت في النوم برادك ، فعمل به في اليقظة . وزن واتزن ،
واخضع واستكن ، وقهل واستمكن ، وانظر واستحسن ، وسل واستين ، وحك
واستأن ، وقهر واطمان ، وارجع في كل حادث فادح ، وفي كل مغلق وطاقح ،
إلى ربك ، بل كن معه وعنده حتى لا يحتاج إلى الرجوع إليه . وإذا وردته
فلا تصدّر عنه ، وإذا صدرت عنه فلا تنسّه .

- يا هذا ! الحديث ذو شجون ، والقلب طافح بسوء الظنون بما لعله يكون
أولا يكون . فكر يخالطه جهل وجنون ، ويفارقه علم ويقين . لكن بقى
أن تملك زمام الفكر كما تملك عنان الذكر ، لأن القلب هدف ، والهدف لا يزول
عن تجاه الرامي ولا ينحرف ، إلى غير جهة المستد . فمن لك الآن بقوة بها
تدبر فذكرك ، أو تكرر ذكرك ، أو تأمن في أضعاف مذكرك وتذكرك !
إنك ربما اعوججت في طي مستقيم ، واستقممت في مخيلة المموج . وذلك لأنك
مملوك ، والمملوك لا يكون مالكا ، والأول لا يكون ثانيا ، والصاعد لا يكون نازلا .
هذا ، فديتك ! نبا غريب استنبط من الغيب المكنون ، والسرّ المخزون .
فإذا كان هذا خيرا عن بعض ما تراه العين ، فأين تجدك فيما يحده القلب !
ثم أين أنت عما وراء ذلك مما لا يبدو إلا بإذن الحق الذي أخفى الخوافي
في البوادي ، وأبدى البوادي في الخوافي ، ثم حكم بالبوادي على أنها الخوافي ،
وعكس الخوافي على أنها البوادي ، لتكون ملكوته محفوفة بالبرّة بعد البرّة ،
(١) غَرَى بالشيء يَغْرِى وغَرَى به غَرًا وغَرَاء : أولع به من حيث
لا يحمله عليه حامل .

ولينقلب المتصفّحون عنها بالحسرة بعد الحسرة ؟ ذلك سرٌّ لا سبيل إلى السؤال عنه ، لأنه جُرأة عليه ، والجرأة موصفة للوقت ، والمقت باب إلى السخط ، والسخط جالب للبعد . ولا سبيل أيضاً إلى الجواب عنه ، لأنه محو للكل ، وتطويح للعقل ، ولَبَسَ^(١) على التحصيل [٣٣ ب] وطمس على الدليل ، واغتراب في الوطن ، واجتذاب للحرّ ، واختلاط للتبصيح في الحسن . فسيحان من وارى ٥
منافع ما جهل من سرّه في عَرْض^(٢) ما عُرِف من علانيته ! وسيحان من لو شاء لأرانا في الذي أرانا غير ما أرانا ، وأتانا من لدنه سوى ما أتانا ! فلعلنا بذلك كنا على سكون لا تفتوره حركة ، أو على حركة لا يعتقها^(٣) سكون . فإن الحركة والسكون ، فيما كان ويكون ، قد أبلّيا جدتنا^(٤) ، وأكلا حدتنا ، وأضعفا شدتنا ، وأفنيا عدتنا ، فلم يبق منا إلا ذماء^(٥) ينبض في حشاشات مضحكة ، لا يطرقيها طارق إلا يحدّثان غريب ، ولا يزورها زائر إلا بأمر عجيب . فالشكوى معادة ، والكرب معتادة ، والأحوال مرادة ، والأوقات مُباداة . فلا حسيس^(٦) فيتعلّل به ، ولا أنيس فيستراح إليه . إنما هورنين وأنين ، وحنين وزفرات ، تُسَخِّن^(٧) العيون ، وتُحْمِلُ الظنون ، وتُبْرِزُ الفنون من ملاحظ العيون .

(١) من : لبس عليه الأمر : خلطه وجعله مشتبهاً بغيره .

(٢) عَرْض : ناحية .

(٣) يعتقها .

(٤) الجدّة : بكسر الجيم : ضد البلى .

(٥) ذماء : بقية النفس .

(٦) حسيس : صوت خفي .

(٧) أسخن الله عينه وبعينه : أي أنزل ما يبيكه . وعكسه : أقر الله عينه .

فأين الأمان ، وإنا^(١) أتينا من المأمن ! وأين المطلوب ، وإنا عطبنا
 في الطلب ! وكيف الطلب ، وإنا هلكنا بالوجدان ! ومن لنا بالخير ، وقد بؤنا
 بالأثر ! وهل لنا من مناص ، وقد أخذنا بالنواصي ! هيهات ! اليأس مما لا يتال
 إحدى راحتين ، والسؤلة عما لا يُدرك إحدى العاقبتين . يلى ! إن صدق القائل
 وصح الزجر ، وصادف الإلهام حقاً ، وارتفع الخلق عن أن يكون خلقاً^(٢) ، فلعل
 نسيم الأشجار يعث بهذه الأرواح المتبهكة ، ويتميز بهذه الصفات المشتركة ،
 فتذكر على خزائن الغيب بالتهب ، وتوقع وجوهنا بالاعتذار ، ونخلع أرساتنا^(٣)
 بالتلقى ، ونسترد حقوقنا المنصوبة ، وتبادر إلى أعلامنا المنصوبة ، ثم تجلس
 على منابر الرضوان متمرلين في عطف أولياء الحق ، نحمد على آفات طالما
 جرحت الصدور بها ، ونقترح آماني طالما [١٤] طمحت العيون إليها .
 فإذا كان ذلك — وعن قريب يكون ذلك — ، فإلك من رَوْح لا كرب
 بعده ، وإياك من صفو لا كدر معه ، وإياك من وصل لا هجر يشيعه ،
 وإياك من قبول لارد يريه ! اللهم لا تحرمنا هذه القامة^(٤) في دار المقام ،
 فإنك أظمتنا بوصفها ، وشوّقتنا إليها بذكرها . فبحرمة إظانك لنا بوصفها ،
 وبندمام تشويقك إيانا إياها ، إلّا أنعمت بآلنا بالقرار معك ، وأقررت أعيننا
 بالنظر إلى وجهك ، وحقت آمالنا في ذرى دار عزك ، وصدقت رجاءنا
 بما أسلفتنا من فضلك ، فإنك الجواد إذا لم تُسأل ، فكيف إذا سُئلت !
 والمتعّم إذا لم يُطالب ، فكيف إذا طُلب !

(١) ض : ان .

(٢) خلقاً : أى فاسداً .

(٣) جمع رُسْن : حبل ، أى قوائنا .

(٤) القامة (بضم الميم الأولى) : الإقامة .

يا هذا ! قد اخترط الحق لساناً لا يمر بصدع الإشعبة^(١) ، ولا يلثم قلب
 الارعة^(٢) ، ولا يطل على فاسد إلا أصاحه ، ولا يترع باباً إلا فتحه ، ولا يبل^(٣)
 على نبت إلا اعولب^(٤) ، ولا يجتاز براد إلا اعشوشب . فأصخ إليه ،
 واملأ عيانك منه ، فليس في كل حين تحال عن الماء والطين ، ولا في كل زمان
 تخص بالآمان ، ولا في كل بقعة تؤهل للرفعة ، ولا في كل وقت تناعى بلحن
 مطرب ، أو تناعى بلسان مغرب . فاليدار اليدار ، إلى محل الأبرار الأخيار ،
 الذين يحلو بصحبهم الحنظل الحولي^(٥) ، ويخف برؤيتهم الخوف عن هذا العالم
 السئلي إلى محل ذلك العلوى . ومتى انتهت^(٦) في هذه النصيحة فشاور عقلك ،
 وإلا فاستصح أوثق الناس في نفسك ، وأوضحهم سمة في الشقة عليك .
 وإلا فتدب الاستخارة لله عز وجل ، فإنه إذا استهدى هدى ، وإذا استنصح
 أسدى ، وإذا فزع إليه كفل ، وإذا توكّل عليه سهل ، وإذا طلب
 ما عنده جاد ، وإذا سئل ثانياً وثالثاً أعاد ، لا يؤوده^(٧) شيء ، ولا يعوزه شيء ،
 ولا يفوته شيء . وكيف يؤوده أو يعوزه أو يفوته وهو أول كل شيء وآخره ،
 ومبزره ومظهره وميسره ، ومضمره ! ذاك الله رب العالمين !

- (١) شعب من باب قطع : جمع ، فرق ، أصاح ، أفهد — ضد .
- (٢) رعبه : كسر رعيه وأزاله .
- (٣) وبل ، يبل : أمطر الويل وهو شديد المطر .
- (٤) مأخوذة على وزن اعشوشب من عكب : من باب نصر : اشتد وقنا .
- (٥) أى الذى يبق دائماً ، ولعله يكون شديد المראה .
- (٦) أنهمه بكذا اتهاماً : أدخل عليه التهمة (كهمزة) ، أى ما يمتهم عليه .
- (٧) آد ، يؤود : أعيا ، أعجز .

يا هذا ! دارت الفئات على مراكز المعاني بفوت المترك ، وإدراك
 الفئات ، بلا رسم معهود ولا أثر مشهود ولا دليل قاطع ورائد صادق ، بل طسم
 وقسم وحسم : إن جهل فبالواجب ، وإن علم فهو العجب العاجب . اللهم إنا
 في سكرة من وارداتك ، وفي حيرة من مجاري أقدارك ؛ وليت لك إذ لم تخصنا
 بانكشاف العين ، لم تشعرنا التني لما لم تجر به مشيئتك ، ولم يسبق في معلومتك .
 ٥ إلهنا : قدنا بزمام طاعتك إلى كريم حضرتك ، واعصنا من كيد كل
 كائد لنا من أهلك ، وامح أسماءنا من ديوان غيرك ، واكتبنا في التائبين^(١)
 إليك ، الذاكرين لك ، المفتخرين بك ، المبهجين بقربك ، المغمورين
 بعطائك ، المذكورين بحضرتك ، المتوجين بتاج صفوتك ، المخصوصين
 بالاطلاع على إشراك وإعلانك ، المطمئنين على بساط خبرك وعيانك ،
 ١٠ إذا الجلال والإكرام !

رسالة (ب)

استمع أيها المجلس الموانس والصاحب المساعد ، حتى أصف لك تصاريق
 ١٥ حالي ومقلب أمري ، وجهي مايدل على سكري وشكواي ، وراحتي وبلواي ،
 متيتاً فيها ومقترداً عليها ومطلعاً على غامضها وواضحها ، ومميزاً لثابتها
 من سائحتها . واعلم أنني مع ذلك كله انتهيت إلى حال لم أشهد فيها إلا النعمة ،
 ولم أحس إلا بالكرامة ، ولم أنطم إلا المقة ، ولم أشعر إلا باليد الطولى
 في الآخرة والأولى . وذاك أنني رأيت الفؤاد محشواً بالمعرفة ، واللسان ملجأ
 ٢٠ بالذكر ، والإشارة نافذة بالتوحيد ، والقالب مبرعاً بالإيقان ، والسر مطمئناً

(١) أناب إليه : رجع ، عاد ، التجأ .

بالوعد^(١) ، والنفس ممثلة للأمر والنهي ، والروح مشتاقة إلى اللقاء والزيارة ،
والأركان ثابتة على الإخلاص [١٥] والاستقامة ، والوجد عاملاً عملاً بالهر^(٢)
والتذكرة ، والغايل متقدماً بالحسين والصبابة ، والمسافة مقطوعة بالجلد له والتسمير ،
والصبر مستصحباً مع الأنفاس ، والسلوة قائمة عن زهرات العاجلة ، والأذن صاغية
إلى النداء ، والهيمنة ناعية بالنجاء الراسخ على الوفاء ، قبل بعد سُنة^(٣) النعم
والكرامات ، وبعد هذه الآثار والعلامات ، وبعد هذه الثبات والامارات ،
وبعد هذه المرامات والمقامات ، ما يهتدى إليه اقتراح بشر ، أو يكون لأحد
من الخلق عنه خبر أو أثر ؟ لا والذي ناجى الأرواح ، يدقائق ما عجزت
عن تضمينه الألواح ! هذا وقد أنعم وأكرم ، وتولى بالحسن قبل هذا الوقت
في القديم . قبل بعد هذه المقدمات المهيّجة ، وهذه الأوائل المتوشّحة ، وهذه
الوسائط التي قد أعجزت تفاريقها عن درك حقائقها دون جوامعها ، والتي أمت
على جلائها ودقائقها — إلا الشكر الذي به تدوم النعم ، وبه يمتري^(٤) المرید
من نقائس القسم . أليس من جملة هذه النعم انفتاح باب الشكر على القلب
بالتلذذ^(٥) ، وعلى اللسان بالتردد . أليس من جملة هذه النعم الاهتداء إلى الاعتراف
بالنعم ، والاعتزاء إلى المنعم بالسر والجهر ، والحدث والقديم . فهات الآن
حديثك أيها الإنسان ! هل لك إشراف على هذه القلل التي قد تكررت
الإشارة إليها ، وتردّدت الدلالة عليها ؟ فإن كان لك إشراف ، فأت

(١) أى الوعد بعدم البوح بالسر .

(٢) التحريك .

(٣) السنة : طيلة فووق الباب . ويقصد : سبوغ النعم والكرامات .

(٤) امتري الشيء : استخرجه .

(٥) التلذذ : التخيّر .

من المخصوصين بالزلفة ، ومن المقرّبين بالألفة . وإن لم يكن لك إشراف عليها ،
ولالك إشراف على أنه ليس لك إشراف ، فَبُؤْ بنقصك لمبتليك ، وانقُص
أثناء سرك^(١) التي تليك ، وهي أعيان حقائق ما فيك ، فإنك بهذا النقص
تصفو من كل دَرَنٍ ، وتنجو من كل غَبَنٍ ، وتجرى على كل سَنَنٍ ، وتنبعث
بكل حسن ، وتصير من حزب الله الغالبين [ه ب] ، وعباده الفائزين ،
وأوليائه المخلصين .

قد ناجيتك ياسيدي بإسان النعمة السابقة ، ودللتك على موقعها مني
في أوان الحاجة ، وحرّكتك إلى عرفان ما لعل قد اعتراك فيه السهو والغفلة ،
وبعثتك على أداة إن استعملتها دامت راحتك ، واتصلت كرامتك ، وعزّت
عليك بك ، وتصفحتك لك ، وأطلعتك عليك ، قضاء لحقك في الأخوة ، وتكثراً
بك فيما يحلّ عن الأبوة والبنوة . ولم أطوِ عنك ما يتعلق بسدادك ، وينتهي
إلى مصالحتك ، لكنني أمسكتُ عما وراء ذلك من حالي ، لا مداجمة^(٢) لك
في الصداقة ، ولا مداجمة^(٣) لك في المشرة ، ولكني لأنّي آثرت الاستئثار
عما خافني فيه الاستبصار ، وفاتني عليه الاستنصار . فإن قلت : وما ذلك ،
وما هو ، وكيف هو ، واكن^(٤) لي عنه إن لم تُفصح ، وأنعم به إن لم تُشرح ،
واقترع بابه إن لم تفتّح . فحق الاسترسال ، بين أهل الوداد ، يقتضي التهم
بكل واد ، والكشف عن كل ما غطاه حُجب الفؤاد . ولعمري إن التصافي

(١) أي تضاعف سرك المتطوية في باطن نفسك .

(٢) دامج : وافق .

(٣) عتج : التوى في الطريق يمنة ويسرة . ومداجمة : مسامرة .

(٤) من : أكني إكباء : سمّي ، تسمية . أي اذكره لي في صيغة الكناية ،

لا التصريح .

بين الشخصين والتناهي بين المتشاكلين وجبان ذلك ويجنون عليه ^(١) .
ولكن مع كل خطرة خيال ، ومع كل نظرة وبال ، ولكل أثمان ^(٢) حال ،
ولكل مقام مقال . ومع هذا التقديم والتأخير ، ومع هذا التعريف والتذكير ،
ومع هذا التسليم والتنفير ، فإني أقول :

٥ كيف يصفو سرور من ليس يدرى
أى وقت يسببه لحظ العيون

وأقول : أَعْلَلْ فيك النفس والنفس صبة
إليك ، وما تعليلها عنك نافع

وأقول : تواصلني وتقطعني وتدعو ثم تمتنع

١٠ فلا وصل ولا قطع ولا يأس ولا طمع

وأيضاً : ويؤنسني وعِد كورد ^(٣) بقيمة

متى رُمته كلفت بيضاء بَلَقَما

وهل ينفع الوعد الصحيح وتحتة

عقارب لا يتركن المحجب مضجعا

١٥ [١٦] وأيضاً : يا قابس النار من زندي تعالجه

أقدح برزقك في همى وأحرانى

ما النار أسرع إلهاً لموقدِها

في القود من زفرة في قلب حران

(١) جدا عليه : أعطاه الجَدوى ، أى البطاء .

(٢) الورد : الإشراف على الماء ، دخله ، أو لم يدخله .

(٣) الأسمان والأسمال : الأثواب البالية . والمعنى : لكل حال لبوس .

هذا — حاطك الله — دَيْدَنِي^(١) ، في حالي ومَعْدَنِي ، لأَمُور شَرَّحَهَا
 كَارِب ، وإن كان لي فيها مَآرِب ، ولك في عُرضه مذاهب ومطالب . فبعضها
 لَأَنِّي مُزَعِّجٌ عَنْ أَوطَانِ السَّلَوةِ ، مأخوذٌ بِأَحْكَامِ مَا لَيْسَ لِي عَلَيْهِ عَدَوَةٌ^(٢) ،
 وَلَا لِي إِلَيْهِ عَوْدَةٌ . وَإِنْ أُسْرِرَتْهَا فِي نَفْسِي تَمَّتْ عَلَيْهَا ؛ وَإِنْ كُنَّتِ عَنْهَا
 بِلْسَانِي ، غَلَبَ عَلَيَّ بِهَا شَيْئِي^(٣) ، وَإِنْ هَمَّتْ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، يَبِينُ وَيَبِينُ ، أَهْمِي^٥
 كُلِّي وَبَعْضِي وَكَيْفِي وَأَيْنِي^(٤) . فَنَاقِي مَعَكَ ، عِنْدَ إِشْكَالِ قَضَائِي عِنْدَكَ ، أَنْ أَقُولَ :
 طَرَبْتُ وَلَمْ أَطْرَبْ ، وَنَمْتُ وَلَمْ أَنْمِ
 وَلَمْ تَدْرَ مَا أَلْقَى ، وَلَكِنِّي أَذْهَبُ

عَنَابٌ لَيْسَ يَنْقَطِعُ ، وَقَلْبٌ لَيْسَ يَرْتَدِعُ ، وَفَضَاءٌ لَيْسَ يَتَسَعُ ، وَبَلَاءٌ لَيْسَ
 يَمْتَنِعُ ، وَرُوحٌ لَيْسَ يَنْتَفِعُ ، وَأَمْرٌ لَيْسَ يَرْتَفِعُ ، وَشَخْصٌ إِنْ زَالَ لَمْ يَزَلْ خِيَالُهُ ،
 وَحَبِيبٌ إِنْ غَابَ لَمْ يَغِبْ مِثْلَهُ ، فَالْشُّوقُ عَلَى احْتِدَامِهِ مُحْرِقٌ ، وَالْوَجْدُ
 عَلَى التَّهَابِهِ مُقْلِقٌ ، وَالزَّمَانُ عَلَى عَادَتِهِ جَامِعٌ مُفْرِقٌ . إِذَا اعْتَلَجَتْ النُّوَاطِرُ
 بِالْتَمَنَّى ، اخْتَلَجَتْ النُّوَاطِرُ بِالْتَطَلُّيْ ، وَإِذَا اشْتَهَتْ الْأَمَالُ بِالتَّوَقُّعِ ، التَّبَسَّتْ
 الْغَايَاتُ بِالتَّمَنُّعِ . وَإِذَا تَحَرَّكَ الْمَطَامِعُ بِمَحَلَّاتِ الْإِرَادَةِ ، زَهَقَتْ نَحْوَهَا كِتَائِبُ
 الْيَأْسِ بِمَرَارَاتِ الْإِبَادَةِ ؛ وَإِذَا تَرَوَّجَتْ الْأَكْبَادُ بِنَسِيمِ الْعَطَاءِ ، زَهَقَتْ
 ١٥ الْأَرْوَاحُ بِكَرْبِ الْيَأْسِ ، وَإِذَا اتَّقَدَّتْ نَارُ الرَّجَاءِ بِالظَّنِّ ، خَدَّتْ مِنْ سَاعَتِهَا
 عَلَى الْقَنُوطِ بِالْيَقِينِ .

(١) دِيدَنِي : دَأْبِي .

(٢) عَدَوَةٌ : سُلْطَانٌ .

(٣) أَيْ عَمِي يَنْمُ عَنْ حَقِيقَةِ حَالِي ، وَإِنْ لَمْ يَتَضَحَّ عَنْهُ لِسَانِي .

(٤) الْأَيْنُ : الْمَكَانُ . وَالْمَقْصُودُ ، أَحْوَالِي كُلِّهَا (يَذْكُرُ الْأَعْرَاضَ

فِي الْمَقُولَاتِ) .

وإذا قيل هذا أوان الروح والفرح ، ختم هناك الويل والجراح .
 فلا ذكر إلا وقد خافه النسيان ، ولا عشق إلا وقد شتمه ^{١٢} السوء ، ولا وجد ^{١٣}
 إلا وقد قدح فيه النص ، ولا فؤاد إلا وقد كدّر بالريب ، ولا طرف إلا وقد
 ازورّ بالملل ، ولا أذن إلا وقد برمت بالإصغاء ، ولا لسان إلا وقد [ب] ^{١٤}
 كل من الإسهاب ، ولا صبر إلا وقد عزّب عن المساعدة ، ولا صاحب ٥
 إلا وقد ملّ من المجاملة ، ولا عين إلا وقد جدت من البكاء ، ولا بدن
 إلا وقد فتر من العناء ، ولا خاطر إلا وقد وقف عن الشنوح ^{١٥} ، ولا وجه
 إلا وقد سمج بالكلوح ، ولا بال إلا وقد كسف بالقنوط ، ولا حال إلا وقد ثبتت
 على الهبوط ، ولا عزّ إلا وقد انتهى إلى الدّل . ولا قول إلا وقد عيب
 بالتكرار ، ولا صدر إلا وقد امتلأ بالوجيب ، ولا أمر إلا وقد استمرّ على وصف ١٠
 عجيب . فلم يا سيدي إلى شجو قد أمرت علينا كأشبه : وتقطعت بنا عليه
 أنفاسنا وأنفاسه . فاعل التعاون يجدي نفعاً أو يفتح باباً أو يهدي نسياً أو يقيم
 عذراً أو يخفف أمراً أو يصرف نكراً أو يزيل غسراً أو يبنى خسراً .
 قد طالت التجوى بهذه البلوى التي تليها بلوى . فتكرّرها بطول الصحبة
 معرفة ، ومعرفتُها بشدة الأذى نكرة ، وباقبها زائد على ماضيها ، وثاويها ١٥
 ألذع من طاريها . وغالب ظني يا سيدي أنك لمساعدتي على هذا الشجو تؤثر
 أثراً يخفّ به ما بنا ، ويخطّ عنا ما أفتلنا ، ويبيّض وجوهنا عند أحبائنا .

(١) جرح جرحاً (محرّكة) : أصابته جراحة .

(٢) شتم الشيء : فرقّه .

(٣) وجد : وجود .

(٤) ص : الشيوخ .

و يكفيننا شحاتة رُقْبائنا . وتهدينا إلى الجادة التي منها جَسَرُنا^(١) وغننا رُلنا .
 فإذا أدرك الله رأياً فيها سألتك ، فمَرَفْنِيهِ ، حتى ألبس لك شعار الشاكرين ،
 وأتلقاك بتحية المساعدين ، وأنشر فضلك بين الحاضرين والغائبين ، وأجلو
 عن عيني قذاها عند رؤيتك بالشَّمال واليمين . وأنت تفعل ذلك ثباتاً
 على شاكلكم المحموده ، وجرياً على عادتك المحبوبة ، وإيثاراً للسعي
 الذي تستثمر منه رضاء الله أولاً ، ومسرّة الإخوان ثانياً ، وشيوعه^(٢) للثناء
 ثالثاً ، والمنافسة في الخير رابعاً ، والثبات على اكتساب المحامد خامساً .
 الله أسأل أن يزيدك من مواهبه [١٧] الصافية ما يصير به فرداً ، ويوزدك
 من شرائعه الصافية ما تزداد به رباً^(٣) . هذا دعائي لك ، وثنائي عليك ،
 وظني بك ، ورجائي فيك ، وخبري عنك ، فاستثبتي عليه ، ودرجتي قليلاً
 إليه ، وكن لي كبيراً أكن لك ظهيراً ، وزدني إفضالاً من فضلك أزدك
 إجلالاً من جلالك بالله . أما ترى هذا التهادي والتمايل في هذه المعاني ،
 التي تلفظها من ناحية العقل بعد انتشارها على بساط الأنس ، دالة على صفات
 ودائع الصدور ؟ والله لو كان هذا كله هزلاً لا جد معه ، أو لعباً لا قصد فيه ،
 أولغوا لا تحصيل عنده ، لكان ينبغي أن تراه غنيمه بارده ، وكفراً مظلوماً
 به ، وباباً مفتوحاً إلى الرضا ، وطريقاً لاجباً^(٤) إلى المني ، ونعمة موافية
 على غير احتساب . فكيف وهو ينادي صارخاً بصحة الولاء ، وشدة الوفاء ،
 ومتابعة الدعاء ، ومواصلة الثناء ، وبجانبه الرياء ؟

(١) جَسَرُ الرجل من باب نصر ، جسوراً وجسارة : مضى ونفذ . أو أصلها : جسرتنا .

(٢) بمعنى : شيوع .

(٣) الربا بالكسر : الفضل .

(٤) لاجب : واضح .

أيتها السيد ! ما أصنع ^(١) والقلب منفطر من شواهد حال غلَق ^(٢) رهتها منذ زمان ، وَيَس من فكاهة في كل أوان ، وصار الطمع في ذلك محالاً أو كالحال ، وجهلاً أو كالجمل . وإنما أبت في وقت بعد وقت بعض عوارض النفس عند الفيض الشديد والغيبض المديد ، وحين يبلغ العجز آخره ، ويستغرق اليأس ظاهره وباطنه . فإنما أحاول بذلك البَثَّ ^(٣) تخفيفاً ، فلا أزداد به إلا تشيلاً ، وكان ذلك من خدائع الحال ، ومن تعذر المنال . اللهم اعرج بنا إلى جنابك الرِّيح ^(٤) ، وحيناً بكلامك الطيب ، واستصاحنا لخدمتك ، واخْلَطْنَا ^(٥) بالملأ الأعلى عندك ، وارحم قمرنا في غنانا ، واحفظ غنانا في فقرنا ، ولَدَدْنَا بطاعتك كيفما كنا ، وحل بيننا وبين ما يحول بيننا وبينك ، واجعلنا ممن إذا قال صدق ، وإذا عمل حق ، وإذا سلك طرق ^(٦) ، وإذا جمع فرق ، ^(٧) وإذا أشار دقق ، وإذا عبر رقق ، وإذا خطب شقق ، وإذا سار أعنق ^(٨) ، وإذا ملك أعنق ، وإذا بحث أعنق ^(٩) . إنك مَنْ توهل مَنْ تريد ، لِمَا تريد ، وإذا الجلال والإكرام .

(١) ص : أصبغ .

(٢) غَلَقَ الرُّهْنُ غَلَقًا : استحققه صاحبه ولم يقدر على افتكاكه في الوقت المشروط .

(٣) ص : أحاول بذلك السب .

(٤) الرِّيح : الطيب الطيب .

(٥) خَلَطَ بِهِ : ضَمَّهُ إِلَيْهِ .

(٦) طرق : بلغ الغاية التي يرجوها .

(٧) أعنق : أسرع .

(٨) أعنق البئر ونحوها ، وعَمَّقَهَا واعتمَقَهَا : جعلها عميقة .

رسالة (ج)

وَصَلَ كِتَابُكَ — وَصَلَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهِ — تَسَالَى فِيهِ
 عَنْ حَالِي ، وَتَسْتَنْطِقُنِي بِهِ عَنْ ظَاهِرِي وَبَاطِنِي ، وَعَنْ سِرِّي وَعِلَانِيَّتِي ،
 وَعَنْ سَكُونِي وَحَرَكَتِي ، وَعَنْ انْتِبَاهِي وَرَقْدَتِي ، وَعَنْ قَرَارِي^(١) وَاضْطِرَابِي ،
 ٥ وَعَنْ يَقِينِي وَارْتِيَابِي ، وَعَنْ تَقَاعُصِي وَانْتِصَابِي ، وَعَنْ عُلَى وَأَوْصَابِي —
 وَفِي الْجُمْلَةِ ، عَنْ جَمِيعِ أُمُورِي وَأَسْبَابِي ، وَفَهْمَتُهُ بِالشرحِ وَالتفصيلِ عَلَى مَا بِي
 مِنْ بَلَاءٍ وَعَذَابٍ . فَنَ لِي الْآنَ بَوَاقُ نَفْسِي حَتَّى أَهْدُ^(٢) عَلَيْكَ جُمْلَةَ
 تَسْوَعُوكَ ، وَتَفْصِيلاً بِحَوْلِ بَيْنِكَ وَبَيْنَكَ ، وَكِتَابَةً تُبَدِّدُ وَهْمَكَ ، وَتَصْرِيحاً
 يَقْبِدُ فِهْمَكَ ، وَبَلَاغَةً تَمَلُّأُ قَلْبَكَ ، وَغَنَاءً يَسْتَأْثِرُ لِبَنِكَ ، وَاخْتِصَاراً لَا تَحْصِلُ
 ١٠ مِنْهُ عَلَى حَرْفٍ ، وَإِسْهَاباً يَنْفِرُكَ غَرْقاً بَعْدَ غَرْفٍ ، وَوَاضِحاً يَصْلُكُ بِالْيَقِينِ ،
 وَمُسْتَمْتِعاً يُضِلُّكَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَوْ أَدْرَكْتُ هَذَا الْوَقْتَ ، وَأَصَبْتُ
 هَذِهِ الْغَايَةَ ، وَكُنْتُ مَزَاحَ الْعِلَّةِ ، أَرِيحِي الْهَيْمَةَ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ ، سَمَحَ الْعِلْبَاعَ ،
 مَلَّى النَّفْسَ ، رَسَخَ الْبَالُ ، فَصَبَّحَ اللَّهْجَةَ ، حَاضِرَ الْخَاطِرَ ، مَرَّضَى الْقَوْلَ ،
 حَسَّنَ الشَّارَةَ ، خَصَّيْبَ الدَّارَةَ ، لَمَّا اسْتَطَعْتُ بُلُوغَ أَوَائِلِ حَالِي ، وَلَوْ سَاعَدَتْنِي
 ١٥ اللَّفَنَاتُ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَاسْتَجَابَت لِي الْخَوَاطِرُ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَالتَّفَاقُهَا ، لَأَنَّ أَدْنَى
 مَا لَنَا مَمْنُونٌ بِهِ وَمَحْظُوظٌ فِيهِ وَمَرَادٌ بِهِ ، وَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، وَمَحْمُولٌ إِلَيْهِ ، وَمَغْمُوسٌ
 فِيهِ ، وَمَعْكُوسٌ مَعَهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

فَقَرَّ كَقَفَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَرَبَةً^(٣) وَصَابَةً^(٤) أَيْسَ الْبَلَاءِ لَوَاحِدَ

(١) قَرَار : اسْتِقْرَار .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ : سَرْدُهُ .

(٣) وَصَبَهُ : أَمْرَضَهُ فِي وَصْبِهِ ، أَيْ لَعَبِهِ .

وجواب مثلك عن مسألتك المختلفة إنما يكون بصدرٍ لا حرج فيه ، ولسانٍ
 لا كُنْةَ به ، وهم^(١) لم تمزقه الرزايا ، وسر لم تكسفه البلايا ، وظاهر لم تحتطفه
 الخطايا ، [١٨] وباطن لم ترتدفه الخطايا^(٢) . وعلى غلاتي التي وصفتها ، وخلائي
 التي رصفتها^(٣) ، فإني أبتدر إليك من جملة ما عنك ما يكون شرحاً لبعض
 ما بلغك عني ، وأرجو أن يكون ذلك في أثنائه إلى ما تريده فُرْجةً ، ولي في بث
 أشجائي إليك به فُرْجة . فاستمع الآن — يرحمك الله — فقد حملتُ على نفسي لك ،
 اعترافاً بفضلك ، وقضاءً لحناك ، وإيجاباً لمسألتك ، وإيضاراً لطاعتك ، وامتنالاً
 لأمرك ، وانتدباً لمرادك . فأما حالي فسيئة كئيبة قلبتها ، لأن الدنيا لم تواتني
 لا كون من الخائضين فيها ، والآخرة لم تغلب عليَّ فأكون من العاملين لها .
 وأما ظاهري وباطني فما أشد اشتباههما ! لأنني في أحدهما متلطف تلطفاً لا يقريني
 من أجله أحد ، وفي الآخر [متبدخ متبدخاً لا يهتدي فيه إلى رشد ،
 وأما سرِّي وثلاثيني فمقتولان بعين الحق ظلوها من علامات الصدق ودنوها
 من عوائق الرق . وأما سكوئي وحركتي فأفنان محيطتان بي ، لأنني لا أجد
 في أحدهما حلاوة النجوى ، ولا أعرى في الآخر [من مرارة الشكوى .
 وأما انتباهي ورقفتي ، فما أفرق بينهما إلا بالاسم الجاري على العادة ، ولا أجمع
 بينهما إلا بالوهم دون الإرادة . وأما قراري واضطرابي فقد ارتمني الاضطراب
 حتى لم يدع فيّ فضلاً للترار . وغالب ظني أنني قد عكفت به ، لأنه لا طمع
 لي في الفكك ، ولا انتظار عندي للانفكاك . وأما يقيني وارتياحي ، فلي يقين ،

(١) الهم : عقد القلب على فعل شيء ، أي النية .

(٢) الخطي : الرذال من الآدميين . ولعل أصله : « الخطايا » ، بدليل :

ترتدفه ، والمرتدف هو الراكب خلف الراكب على المطية .

(٣) رصف : ضم بعض الأشياء إلى بعض .

ولكن في ذلك الشقاء ؛ فمن يكون يقينه هكذا ، كيف يكون خبره عن الارتياح !
 وأما تقاعسي وانتصابي ، فقد وضحت لك في عرض شهودي وعياني ، ومنظوم
 إطنابي وإسهابي . وأما علي وأوصابي ، فقد أبت عنها في تضاعيف جوابي
 وكتابي . وأما أموري وأسبابي ، فمن أجلها طال خطابي وعتابي . فحدثني الآن ،
 يا سيدي ! أين أنت فيما تسمع عما كنت عليه ، وأين أنا فيما قلت لما أنا مدفوع
 إليه ! [٨ ب] دعنا يا هذا عن هذا . وهذا ! إلى متى تتلاقى فتشهادي ^(١) ،
 ونهادي فتعادي ، ونفاحي فتفادي ^(٢) ! ونحذ بنا إلى باب الله الذي عليه
 وقفت الميم ، فالطريق إليه أمم ^(٣) ، وهو لمن يقصده علم يتلقى بالنعيم ويشفي
 من السم ويقي بعد العلم ويلد بعد الألم . فإلى متى نعبد الصنم بعد الصنم ،
 كأننا حُر أو نَعَم ^(٤) ! إلى متى نسي ، ظننا به ، ولم نر خيراً إلا منه ؟ إلى متى
 نشكو إلى خلقه ، وليس لنا معاذ إلا إليه ؟ إلى متى نشرد عنه ، ولا قوام لنا
 إلا به ! إلى متى نسكذب به عن أنفسنا ، وهو أعلم بنا منا ؟ إلى متى نعتصم بغيره ،
 وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ؟ إلى متى نتق بسواه ^(٥) ، وهو لنا نجاه ؟
 إلى متى نختان ^(٦) أنفسنا ، كأننا على رُشد أو غبطة ^(٧) ؟ إلى متى نستحي

(١) نهادي : يسوق بعضنا بعضاً .

(٢) أي يتجنب كل منا الآخر .

(٣) أمم : يسير ، قريب .

(٤) أي حير وأنعام (ماشية) .

(٥) ص : هي .

(٦) أي نخون .

(٧) ص : غبطة .

من طَوَّلَ^(١) مالا يستحي^(٢) ! إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا ؟ !
 إلى متى ندعى الصدق ، والكذب شعارنا وذنارنا ! إلى متى نهادي في العَوَايَا^(٣) ،
 وقد فنى العمر بلبينا ونهارنا ؟ ! إلى متى نتنافس بذكره ، وزنا نهرنا^(٤)
 في أوساطنا ؟ ! إلى متى نُخَلِّدُ إلى الدنيا ، وقد دنا منها رحيلنا ؟ ! إلى متى نستظل
 بشجرة قد تقلص عَنَّا ظِلُّهَا ؟ ! إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها ؟ !
 اللهم إنا عليك نُقْبِلُ ، وإياك نَسْأَلُ ، وإليك نَسْتَرْسِلُ ، وبك نَتَوَسَّلُ ،
 ورضاك نُبْغِي ، ورحمتك نَرْجُو ، وعَفْوُكَ نُوَمِّلُ . لا تَوَاخِذْنَا بتحريرنا في العمل ،
 وبتجدينا في القول ، وسَمَلْ علينا اللَّيْاذْ بك ، وأُفْرِغْ على قلوبنا عُثْبَتَكَ ،
 واصطَلعنا على عينك ، ولذذا بحلاوة مناجاتك ، وأهلُّنا لرفع حجابك ، وأُنْسُنا
 خَلْقَكَ حتى لا يجرى على ألسِننا ذِكْرُهم بخير يكون شاغلا عنك ، ولا يَشِيرُ يكون
 مُبْعِداً منك . وعود جباهنا السجود لك ، وقلوبنا الفكر فيك ، وأرواحنا
 الشوق إليك ، وجوارحنا القيام على طاعتك ، وأَجَلْ أَعْيُنُنَا [١٩] في مذكورتك ،
 واكحلها بالاعتبار ، وألِّفْ أسرارنا بك وانغمرها بالأنوار . وقرِّبنا من سرادقات
 عِزِّكَ حتى نسطع بروائح كرامتك ، وأنعم لنا بحروف ربوبيتك حتى نُخَلِّصَ لك
 وننسى مادونك . إنك إذا شئتَ قَرَّبْتَ وأدْنَيْتَ ، وإذا شئتَ طَوَّدْتَ
 وأَقْصَيْتَ . لك المِنة التي لا تُطَوَّلُ بها ، والعمرة التي لا تُغَالَبُ عليها ، والقدرة
 التي لا تُجَارَى فيها ، والحكمة التي لا يُبْلَغُ منهاها . نُجَدِّدُ علينا بك ، وآمِناً منك ،
 وأَوْصِلنا إليك ، وقدَّسنا لك ، وأهلُّنا في كل حال لما أنتَ أهله . هذا

(١) الطَوَّلُ : الفضل .

(٢) بالفتح ، ولا يكسر .

(٣) جمع زَنَار ، كناية عن الخضوع لله .

- هَذَاكَ اللَّهُ - آخر جوابي عن كتابك الذي حرَّ كَتَبْتَنِي فِيهِ مُبَايَنَّتُكَ ، فَإِنْ سَرَّكَ
 هَذَا الْجَنَسُ وَأَعْجَبَكَ هَذَا الْأَنَسُ ، فَوَاصِلُ ذَلِكَ مَفِيداً لَّا جَرَى عَلَى عَادَتِي مُسْتَفِيداً .
 وَاعْلَمْ أَنَّ فِي النَّفْسِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ ، وَمُطَاوَعَةَ الْغُيُوبِ ، وَمُبَايَنَّةَ
 الْغُيُوبِ ، وَمُطَالَبَةَ السُّيُُوبِ ^(١) ، وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ لِلْجَبَانِ الْهَيُوبِ ، الْجَاهِلِ بِالطَّلُوعِ
 وَالْغُرُوبِ ، الْعَاجِزِ عَنِ الشَّرَى وَالذُّؤُوبِ ، فِي آفَاقِ هَذَا الْعَالَمِ الْحَبُوبِ .
 أَيُّهَا السَّامِعُ ! لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَقَدَ حَلَمَ بِمَا يَرِيدُ ، وَلَا كُلُّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ
 نَالَ مَا يَطْلُبُ ، وَلَا كُلُّ مَنْ أَدَّعَى سُلَّمَ لَهُ دَعْوَاهُ ، وَلَا كُلُّ مَنْ دَعَا أُجِيبَ ،
 وَلَا كُلُّ مَنْ قَرَعَ الْبَابَ دَخَلَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ اسْتَرْقَى السَّمْعَ سَمِعَ ^(٢) ، وَلَا كُلُّ
 مَنْ اسْتَعْفَى أُعْفِيَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ بَدَأَ ^(٣) لِي تُرِكَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ اسْتَرْحَمَ
 رَحِمَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ تَعَرَّضَ ^(٤) اسْتُخْدِمَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَصَلَ وَدَّةً ، وَلَا كُلُّ
 مَنْ بَعُدَ عُدِمَ ^(٥) ، وَلَا كُلُّ مَنْ سَأَلَ حُرِمَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ أَلْخَفَ أُعْطِيَ ،
 وَلَا كُلُّ مَنْ بَكَى أَرْضِيَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ خُطِبَ رُؤِجٌ ، وَلَا كُلُّ مَنْ مَلَكَ
 تَوَجَّ ، وَلَا كُلُّ مَنْ رَجَا أَدْرَكَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ مُنِعَ خَابَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ قَلِمَ
 قُتِدَ أَكْرِمَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ أَخَّرَ قَدْ أَهِنَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ سَبَحَ غَرِقَ ،
 وَلَا كُلُّ مَنْ خُوفَ قَرِقَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ أَوْمِنَ اطْمَأَنَّ ، وَلَا كُلُّ مَنْ رُبِّيَ
 ارْجَحَنَّ ^(٦) ، وَلَا كُلُّ مَنْ تَوَسَّلَ قُبِلَ ، وَلَا كُلُّ مَنْ التَّمَسَّ نُؤِلَ . فِي الْغَيْبِ

(١) جَمْعُ سَيِّبٍ : عَطَاءٌ .

(٢) أَيْ سَلِمَ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يُضْمِرُ لَهُ أَوْ الْمُتَأَمِّرَةَ الَّتِي تُحَاكُّ لَهُ .

(٣) بَدَأَ لِي : أَيْ عَنِّي ، فِي حَالِ الذَّنْبِ ، فَيَمْتَنِرُ بِهَذَا عَنْهُ فَيَتْرِكُ عِقَابَهُ .

(٤) أَيْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْخِدْمَةِ عِنْدَ إِنْسَانٍ .

(٥) أَيْ لَمْ يَأْخُذْ نَصِيبَهُ الْمَقْدَرُ لَهُ ، وَذَلِكَ فِي حَالِ غِيَابِهِ .

(٦) أَيْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ زِيدَ فِيهِ رَجَحَ .

عجائب ، وفي العجائب أيضاً عجائب . كيف لا يكون هذا ، والاستدراج
 [٩ ب] قائم مع اللحظات ، والتلبيس جارٍ مع اللحظات ، والترحات مطوية
 في الترحات ، والترحات مبنية على الترحات ، والشجرة ^(١) قيام على أهل
 اليقظات والنفلات . فلا العلم باختلاف الأحوال نافع ، ولا الجهل به ضار ،
 بل ربما ضرَّ العلم ، وربما نفع الجهل ، وربما نيل بالخط ^(٢) ، وربما فات
 بالتأني ، وربما بعد الداني ، وربما قرب النائي . فليس لشيء مما تراه عينك
 منهاج ، ولا لذى لب به سرور وابتهاج . وهذا كله لقدرة صادرة عن غيب
 مشيئة ، ولمشيئة نافذة ، واردة على شهادة قدرة ، وحكمة خافية في آفاق
 المملكة ، وأحكام جارية على أصناف الخليفة ، وأسرار مجهولة عند البحث والحقيقة .
 العقول في خفياتها أسرى ، والأحاساس ^(٣) في جلياتها فوضى مبعدة ، والمقائد
 في التنقيير عنها منحلة ، والآقوال في وصف تشاكلها وتباينها مختلفة . فلا جرم :
 لا سرَّ إلا وهو منهم ، ولا قاتل إلا وهو متوهم ، ولا سامع إلا وهو كظيم ،
 ولا عامل إلا وهو ملهم ^(٤) ، ولا قلب إلا وهو سقيم ، ولا لأم إلا وهو ملوم ،
 ولا واجد إلا وهو عديم ، ولا غني إلا وهو فقير ، ولا عظيم إلا وهو حقير ،
 ولا كثير إلا وهو قليل ، ولا صحيح إلا وهو عليل ، ولا قريب إلا وهو
 بعيد ، ولا هين إلا وهو شديد ، ولا علم إلا وهو جاهل ، ولا عاقل إلا وهو

٥

١٠

١٥

- (١) السحرة : السحر الأعلى ، أو أول السحر .
- (٢) نيل : لقط النبل ثم دفعها إلى الراعي ليرى بها من جديد ، والحلظ النبل
 يرى بها . والمعنى أنه ربما يلتقط النبل بالنبل ، أي يداوى الداء بالداء نفسه .
- (٣) جمع : حسن .
- (٤) الملووم هو الذي يلام ولا ذنب له ، والمليم هو الذي يأتي ما يستحق
 أن يلام عليه (« أدب الكاتب » لابن قتيبة) .

ذاهل ، ولا آمن إلا وهو واهل ^(١) ، ولا ريان إلا وهو ناهل ^(٢) ، ولا مضرور
إلا وهو باهل ^(٣) . خبرٌ والله طريف ، وحديثٌ والله عنيف ، الفكر فيه
يورث الوسواس في الصدور ، والسكون عنه يصدُّ عن الجواز والعبور ،
والسؤال عنه يُحمل على التهمة ، والجواب عنه يزيد في الحيرة . فهل رأيت قولاً
كلما بان غمض ، وهل رأيت عرقاً كلما سكن نبض ؟ فهل رأيت ناراً
كلما أطفئت اشتعلت ، وهل رأيت كيداً كلما بليت جُفت ؟ وهل رأيت سقماً
كلما عولج أعضل ؟ وهل رأيت بياناً [١١٠] كلما وضع أشكل ؟ وهل رأيت
مظلوماً كلما دنا بُعد ؟ وهل رأيت صداً كلما جلى زاد ؟ وهل رأيت شيئاً
كلما كُؤن فسد ^(٤) ؟ وهل رأيت فتناً كلما رُتق اتسع ، وهل رأيت مهجراً
كلما استظلّ أضيى ؟ وهل رأيت مريضاً كلما استبلّ ^(٥) نكس ؟ وهل رأيت
وضماً كلما استقام عكس ؟ وهل رأيت أمراً كلما استمر قعس ^(٦) ؟ هيهات !
عَرَّ امرؤ منته نَهْ س أن تدوم له السلامة

أيها الصديق بالسة ، المخلص بالدعوى ! اسمع هذه البلايل فإنها والله
مخرجة لكل صدو وإن كان مشروحاً ، ومطرّدة لكل صبر وإن كان ممدوحاً .
وإذا سمعت فتعجب ، وإذا تعجبت فتعجب بعد التعجب . فَوَحِّ الحق ١٥

(١) وهل يؤهل : فزع .

(٢) ناهل : عطشان .

(٣) بهكت الناقة : حُلَّ ضرارها وترك ولدها يرضعها .

(٤) من الكون والفساد المعروفين في الطبيعيات .

(٥) ص : استقل . استبل من مرضه : برى . نكس المريض : عاوده مرضه .

(٦) قعس : ثبت ، توقف .

إن السر فيها مكتوم ، وإن الغيب فيها لمعلوم ، وإن الظاهر منها مفهوم ،
وإن الباطن فيها لموهوم . هكذا وقع الخداع ، وعلى هذا تحيّر الطباع اهـ .
اللهم نور قلوبنا حتى ندرك بها ما أوحشنا منا وأنسنا بنا ، وحيرتنا فينا
وسأطنا علينا . أما إبحاشنا منا فلملنا بنزولنا في ديار مخالفتك ، وأما أنسنا بنا
فلفلتنا عما فاتنا منك ، وأما حيرتنا فينا فيما يراد بنا لك ، وأما تسلطنا علينا
فلمعينا في هلاكنا باليد عند التناول ، واللسان عند القول ، والعقد عند التفكير .
اللهم فسرّحنا من قيد هذه الحياة الكدرة ، ومن معاناة هذه الأحوال الوضرة^(١) ،
إلى تلك الحياة التي من هبّ عليه نسيمها عاشر وبقي ، ومن فاته ذلك طاش
وشقى ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (د)

أحبائي على القرب بالتصافي ، وعلى البعد بالتوافي ! جمع الله لكم قوامي
الثني^(٢) ، وأثالكم بكرمه أفضل الثني^(٣) ، وخفف عليكم الاعتصام بأسباب الرثي^(٤) ،
ورفع عن أسراركم مناجاة الشكوى ، وأهبّ عليكم نسيماً ناعماً من شرف المأوى^(٥) ،
[١٠ب] وفتح أرواحكم بمناغة المولى^(٦) ، وأوضح لكم غوامض النجوى ، وكتب
أسماءكم وصفاتكم في ديوان من سبقت له من الله الحسن^(٧) ، وأذلّ لكم مصاعب
الأمور ، وتولاكم في قوارع الدهور ، وزين بكم عراض أهل الحقائق ، وكفاكم
في السفر والحضر فواجي البوائق^(٨) :

لكل نفس مميّ وشانٌ وأنتم مُميّق وشانٌ

(١) الوضّر: الوسخ .

(٢) البائقة : الداهية

لأنى إذا ذكرتكم ذكرتكم ما أخلق جديده ، وإذا خننت إليكم خننت حيناً ما ترزعزع وليده ، وإذا وجدتكم^(١) بكم وجدت ووجداً ما لان شديده ، وإذا هممت بكم هممت هيماناً ما تناهى رديده ، وإذا وصفتكم وصفت وصفاً لا يخلصي عديده ، وإذا صاغت طيفكم صاغت طيفاً لا ينقضى نزوله وصوده . فليكن السلام من قلب قريح ، وفؤاد جريح ، بلسان فصيح ، وضرب صحيح . فما أشد بكائي بكم على بُعدكم ! وما أكثر تلفتي بكم ! وما أبلغ تذكري شجوك !

من أى نواحي الأرض أبني وصالككم

وأنت ملوك ما لمقصدم نحو^(٢)

- ١٠ كتبت إليكم^(٣) يا أحباب قلبي ، ووراد شربي ، وطلاب قربي ، عن قرب يلتهب أسفاً^(٤) عليكم ، وشوق يعصر الدموع إليكم ، وبال متحرك عند تنفي عطفكم ، وليل يتباهى في مراعاة طيفكم ، ونهار متعب في توقع لطفكم . فتولوا إلى الآن : « كيف التلاقي والمزار »^(٥) بعيد ؟ أم كيف التواصل والرقباء أسود ؟ أم كيف العزاء والفؤاد عميد^(٦) ؟ أم كيف الصبر والبلاء ممدود ؟ أم كيف التوجه والطريق مسدود ؟ أم فقياً يعيش مضي نصيراً^(٧) في ظلال صحبتكم ، ورعياً^(٨) لزمان تنفسي حيداً في مجالس عشرتكم ! ما كان

(١) وجد به وتوجد : أولع به وعشقه .

(٢) أى : اتجاه .

(٣) ص : إليك .

(٤) ص : أسفى .

(٥) شطر بيت شعر .

(٦) أى ممدود : حزين شقه الوجد .

(٧) رعياً لك : حفظاً لك .

أحلى ممرنا معكم ، وما كان أبيع أنسنا بقريةكم ، وما كان أملك شمائلنا
 في خدمتكم ، وما كان أشبهى دلالتنا بحضرتكم ، وما كان أشجى نعمتنا
 بين لا ونعم في تمنعكم وإجابتكم ! نعم ! وسقياً للرسائل التي كانت تجري
 بيننا وبينكم ، نعم ورعياً [١١] للوسائل التي كانت تردد عندنا وعندكم ، —
 ٥ والوشاة على خيبتها في الظفر بتأديكم ^(١) ، والعيون موكلة بخضوعنا وتبكم ،
 والأنفاس متصعدة بالأسى والنالهف من أجلنا ومن أجلكم ، والأكف
 مبسوطة إلينا وإليكم تلتمس فضلنا وتفضلكم ، والأحباب شهادى بحديثنا
 وحديثكم : فمن كاذب قد صدق ، ومن صادق قد كذب . وكل ذلك يحلو
 بذكركم ، ويحتمل لوجوهكم ، ويستزاد ، وإن كان لاذعاً لأنه منكم وبكم .
 ١٠ من الذي يطمع في نعمت ما سلف لنا ولكم ؟ ! ومن يقدر على استيفاء تلك
 اللطائف التي جرت بيننا وبينكم ؟ وكيف يؤتى عليها ؟ أم كيف يُسلك
 إلى غايتها ، وقد كان في عرضها ما تجافى عنه اللفظ ، ويتأى دونه الوهم ،
 وخفى عن كوامن الغيب ؟ ! وإنما يتذكر أشياء بقيت رسومها في النفس بآثار
 بقيت من بقايا الأنس ، ألغها القلم ونظمها الكلام .

فأما ما احتجب عن الظنون ، واستتر عن العيون ، وسبح في بحر
 ١٥ لاساحل له لكان ويكون ، فذاك شيء قد ضربت دونه الأسداد ^(٢) ، ووضعت
 عليه الحفظة والأرصاد ، ولهذا ترم المترنم ، قال :

سِرُّ المَسَاكِين لا يبدو به أحدٌ هناك حَبْرَةٌ هَمَامٌ وَفَقَارٌ

(١) ص : بناويعكم ؛ أو صوابه : بتأديكم ؟

(٢) الخواجز .

فيا أحيائي ! ارحموني في أوصابي ، ودبروا ما بي ، فإني لمسائي .
 وإن استوحشتم لتقصيري مني ، فاستأنسوا بما ألقىته عليكم عني . أنا — وحياتكم
 إليكم — ذوصباية ، لكنني أشتعل من أجلكم على مهابة ، فارغوا أذمام خدمتي لكم ،
 وحافظوا على ما تحمّلت فيكم ، فقد شربت الملقم في هواكم ، وداريت العدى
 تحملاً لكم ، ولزمت الصمت حتى نسيت الكلام^(١) ، واعتزلت حتى قيل هو
 من الوحش ، وغصصت حتى قيل من المُميان . لو كنت مُدّعياً فيا أقول ،
 لكان لي تحرم^(٢) بكم وكان توليكم^(٣) أن تتكرموا . فكيف ، ولي شهود
 في محبتكم عدول : ذوب جسم ، وانتكاث بشاشة ، وتصفد نفس ، [١١ ب]
 وانهمال دمع ، وانتحال^(٤) صبوة ، وخفقان صدر ، وذلة نفس ، وطاعة أمر ،
 ومواربة حاسد ، ومقاربة واش ، ومصانعة رقيب ، واستحالة سحنة ، واحتمال
 مخنة ، وتردد حشرجة ، وسهر ليل ، وتعب نهار ، ووحشة وحلوة ، ودهشة
 فكرة ، وعطشة سفرّة ، ورقبة^(٥) حصرة ، ونجعة عيان ، وروعة خبر !
 فبهذه بيناتي في محنتي ، وآلتي في فتنتي . فإين أنتم من مجازاتي ومكافاتي
 حسب ما يليق بكم أوبي ! أسأل الله مادة من الصبر على محنتي فيكم ، وصنماً

(١) كذا ولعل صوابه : لمسبي ، من أسبأ الأمر الله : خضع ، والمعنى
 أنه ينقاد لهم .

(٢) الكلام هنا بمعنى علم الكلام ، والقرينة في قوله : « اعتزلت » ، أي صرت
 من أهل الاعتزال أو المعتزلة ؛ و « اعتزلت » بعدها بمعنى توحدت وانفردت .

(٣) أي التجأ إلى حرمتكم ومودتكم .

(٤) يقال : تولك أن تفعل كذا ، أي : حثك ويلبغ لك أن تفعل كذا .

(٥) انتحال : تحول .

(٦) الرقبة بالكسر : الحراسة والتحفظ ، والفرع ؛ والآخر هو الأنسب هنا .

من التوفيق على فتنى بكم . أيها القوم ! انتسبت إليكم ، واعتمدت عليكم ،
وزلت في جوارحكم ، وعيقت بنسبكم ، وألفت تراب أرضكم ، وشربت بكأس
ودكم ، وعشقت اسمكم ، ولهجت بذكركم ، وقلت أنتم وأنتم ؛ وحشت^(١)
القلوب إليكم ، وحشدت الجمع على بابكم ، وأذنت في الوصول إلى مجلسكم
عظيما لقاصدي خدمتكم ، وحجبت عنكم غيرة على عظيم محلكم ، وسئلت عنكم
فدحتكم ، واسترشدت إلى ربكم فأرشدت إليكم ، وقيل لي : صف لنا كرمهم ،
فأبلغت عنكم ، واستخبرت عن صنيعكم فأوضحته ذلك لهم بكم .

وقيل لي : ما ذا حصلت منذ انقطعت إليهم ؟ وما ذا كسبت منذ تعلقت
بذيلهم ؟ فرغت عقيرتي وقلت : حصلت مكنون الغيب في الشهادة ، وكسيت
عزير الحال في مرجو السعادة ، وغنيت بهم غنى لا أخاف بعده الفقر .
ظاهرى الاستقلال بكل وارد ، وإن خفي الظهر ، وباطنى الاستكمال بكل
شارد ، وإن خفي على أهل العصر . استثار صدرى بمعرفة ، وأطلق لساني
بتوحيده ، وخفت أطرافى بخدمته ، والتطم ضميرى بأمواج محبته ، واكتنف
أطرافى بوادي إحسانه ولفظه . فما يسبح لي سائح إلا وفيه آية من آيات
كرامته ، ولا [١١٢] يبرح في بارح إلا وعليه علامة من علامات برّه ورأفته .

إن قلت فهو مصحوب قلبي ، وإن أمسكت فهو ساكن سرى . إن قدحت
فهو الذي يورى^(٢) ، وإن غرست فهو الذي ينمي ، وإن سألت فهو الذي
يُعنى ويعطى ، وإن سكنت فهو الذي يعيد ويبدي ، وإن شكرت فهو الذي

(١) من : حاش الصيد يخوشه خوْشاَ وحياشة : جاء من حواليه ليصرفه
إلى الجبال .

(٢) وَرَى يَرَى الرَّندُ وَرَيَا : خرجت ناره ، ضد صلد (من باب ضرب) .

يقيده ويُرزقه ويسدي . فهذا آخر ما قطعت عليه قولي ، على أئني ما بلغت
معشار ما عندي اهـ .

فيا أجباني ! ما في هذا القليل الذي ثبات به عنكم ما يرضي ذمائي
عندكم ، ويخلطني بصغيركم وكبيركم ، ويكثر بي عددكم ، ويُعطف عليَّ أبيكم ،
ويُنِيَّ إليَّ حافيتكم^(١) ، وَيُيْلُ كفاي من سَجَلِكُمْ^(٢) ، وَيُقَرِّئِي عُنوان كتابكم ،
وَيَمْتَعُ طَرْفي بالنظر إلى حيطان دوركم ، وَيَطْرَحُ في عيني ذرور محبتكم ،
ويكتب اسمي في عامَّة حُشَمِكُمْ إذ لم يكتب في خاصَّة خَدَمِكُمْ ، بل إن ظنني بكم
لجبل ، ولي على ذلك ضامن وكفيل ، والله على ما أقول وكيل .

يا أجباني ! إذا قرأتكم كتابي ، فتفضلوا عليَّ بجوابي ، فلعلني أداوي بكتابكم
ما بقي . فقد نَفَسْتُ^(٣) بالمرء : أرتاع لطنين الذبابة ، وأهيم من حسن ذوى الصبابة .
فخالي في الأحوال عجيبية ، وهمتي في المسم غريبة . ظاهري مُبْتَرِ^(٤) لا أملك
منه شيئاً ، وباطني مستعير لا أجده فيثاً . أجرع النُصص كاظماً ، وأتفرَّد بالخلوة
هائماً ؛ وإن حضرتُ جميعاً^(٥) فلبسوس تجمل وتوق ، وإن غبت عنهم فلبسوس
تَحْمَلُ وتبقى . لا رائد لي إلا وهو يكذب^(٦) ، ولا ذا يد عني^(٧) إلا وهو يعتب ،

(١) الخافي : المبالغ في الإكرام والفرح ، القاضى — أو لعل أصلها : كافيك .

(٢) السجل : الدلو ، العطاء .

(٣) أى خرجت لتنفيس همومي بالمرء فكنت أرتاع .

(٤) مقطوع عني .

(٥) بمعنى : جمع أو مجتمع .

(٦) إشارة إلى الحديث : « الرائد لا يَكْتِيبُ أهله » .

(٧) عني : عندي .

فَأَنَا الْمُتَشَرِّقُ^(١) المَقْرور ، والمتَحَرِّق المَصْرور^(٢) ، والقاصد المحجوب ،
والرائد المكشوب ، والراصد المكروب . وهذا لأنني أطمعت مطامعي فاستبدتني ،
وَلَوْ أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حَرًّا^(٣)

فيا سادتي ! بالذي خصكم بالفضل ، وأهلكم للإفضال ، وجعلكم من أهل
التفضل — ألا رقتم لي : وأهديتم إلي رقتاً بي ، وقد طال عطشي . واشتد ذهني ،
من كرم دام ، وسر سام ، وبیت طلق مصباحه ، وباب ضاع مفتاحه ، وأمر
تخاص أوله وآخره ، وتسكر غائبه وحاضره . فإني أظن ظناً كاليتين أن من تلمون
شمتكم ، وتجمعون بدم [١٢ب] وتحتفظون ضيعته ، أنجبكم بكم ، وتهدى إلى سواء
الصراط بمكانكم ، وعرف ماله وعليه بإشفاقكم ، ووضح عنده ما أشكل
من حاله بينكم ، لأن يد الله معكم وليس فوق يد الله يد ، وغينه راعيتكم ،
وليس بعد عينه عين . فطوبى لمن فاز بحظوته عندهم ، وحصل له ذكر
في صحيفتكم ، وجرى اسمه على أفواهكم ، وأهل الله خطرة من خطر انكم ! فذاك
المغبوط الذي تشير إليه الأصابع ، وذاك الرشيد الذي تئجي إليه الأضالع ،
فكونوا عند ظني بكم لي ، وانفثوا من بركات ريقكم علي ، ونوروني بفضل شعاع
شمس معارفكم ، وبللوا رقبتي برش من ماء عين كرمكم ، وزينوا ما بدا مني بما بدا
منكم ، وما خفي عني بما خفي عنكم . وفي الجلالة ، أدرجوا كلني في كلكم ، حتى تكونوا
وأكونكم ، أعني : بالنصافي والمودة ، والإيجاب والحفاضة ، والحياء والمراقبة .
والإفضال والمساعدة . وهذه إشارات لاتتبع عن أذهانكم ، ولا نفوت فطنكم

(١) المتشرق : القاعد في موضع التعود في الشمس بالشاء . والمقرور المصاب
بالقر (بالضم) أي البرد .

(٢) المصروع : المنوع ، المحجوب عن نوال المطلوب أو ما يتحرق إليه .

(٣) شطر بيت شعر .

فلماذا تلبست بها استعطاءً لكم ، وتكثرت بذكركها تفرُّباً إليكم ؛ فلا تخيَّبوا رجائي فيكم ، ولا تردوا كفى عن فضل ما وهب الله لكم ، ولا تسودوا وجهي عند الناظرين إلى وإليكم ، وكونوا فوق الظن بكم ، فذاك أعلى تقدركم ، وأرفع لناظركم ، وأشيع للأحدوة الحسنة عنكم ، والسلام عليكم .

- اللهم إني كتبت هذه الكلمات إلى أشخاص أنشأتهم بين عبادك ، واختصتهم بطائف هدايتك ، وجعلتهم أعلاماً لمن أراد أن يهتدى إلى بابك .
 ويُنيخ براحتك يضافك ، ليهبوا إلى من فضل ما وهبتهم ، ويمنوا على من بعض ما مننت عليهم . وليس مسئلتى إليهم للياس منك . ولا لتهمة عرَّضت في نفسي لا تليق بك ، ولكن لأن مواجعتي إياك بالافتراح ، مع إقامتي على مخالفتك ، افتضاح . وهم إذا ما أجابوني إلى طلبتي فبأياديك ^(١) وتوفيقك وحسن صنيعك . فهم سُفَرَاءُ إليك ، وسُفَعَاءُ لديك . لا لِعَطْن ^(٢) ضاق ، ولا لأمر عاق . ولكن لحياء غلب وسرّ كَرَب . وأنت أطلع [١١٣] :
 على ما أقول ، لأن علمك محيط بكل شيء ، وقدرك سارية في كل شيء ، وحولك آت على كل شيء ، لا يخلج ناظر إلا وعنتك مبداه ، ولا يعتلج خاطر إلا وإليك منهاه . جَلَّتْ وَلَدَاكَ تُعَبِّد ، وَتَرْزَتْ (ولَدَاكَ) تَطْلُب . فأنت الذي لا يمكن دون مكان ، وأنت النازح ^(٣) لا في زمان قبل زمان ، يا مالك الأرواح في الأبدان ، يا مُصَرِّف الأسرار في الإعلان ، يا مُدْرِج الألوان في الألوان ، يا مبرز الألوان في الألوان ، يا ملحق الأكوان بالأكوان . ويا من هو كل يوم هو في شأن . إلهنا !

(١) ص : فبأيديك .

(٢) العَطْن : المُنَاخ حول الوِرد (أى مورد الماء) ؛ ومنه واسع أو ضيق العَطْن ، أى رجب الصدر أو ضيقه .

(٣) كذا ! ولعل هنا تحريفاً .

إياك نحمدُ ونُسَبِّحُ لأننا عبيدك ، بك نقوم وإليك ننتسب ، وبأياديك نعترف ،
وبفضلك نعيش ، وعليك نقولُ ، وفيك نندله . إن بدت منّا خلّة فذاك لما نحمد
من قوّة فيضك ، وإن بان علينا كَلّة فذاك لما يصدر عنا من عجز الفطرة .
خلقتنا ضغفاً لنبين عنك ، ثم قوّيتنا بمعرفتك لنبين بك ، ثم دعوتنا بأصناف
لُغتك لنكون في ذراك في أهنأ عيش وألهم بال . فلك الحمد بدءاً ، وعوداً —
حداً يتجدد على مرّ الزمان ، حمداً يتردّد مع الأنفاس كرمّاً ومجدداً ، فإن الحمد
إذا خلّص من شوائبه ، والثناء إذا صفا من روائبه ، كان الحمد محموداً ،
والمُثنى مودوداً . اللهم فأهلنا ونجّنا من الممالك ، واصحبنا في جميع المسالك
إلى محبوبّة المالك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (هـ)

أى رأى لمكذوب ، أم أى عشق لمكروب ، أم أى قرار لمرعوب ،
أم أى اطلاع على الفيوب لمن هو محشو بالعيوب ؟ ! هيهات ! هيهات ! لن ندال
المقامات والدرجات إلا برفض الهنات وما دون الهنات . إنك إن ظننت أنك
بالحالفة والهوى تدرك الناية القصوى ، ظننت محالاً ، ومن ظنّ الحال وسكن
إليه وقع في الوبال ودفع عليه . الأمر جدّ والتشهير واجب ، والداعي معذّر ،
والطريق نهج ، والعلامة ظاهرة ، والعلّة مُزاحة ، والاستطاعة حاضرة ، والنعمة
متابعة ، والإحسان [١٣ ب] غامر ، والبشير صادق ، والنذير ناطق ، والمندر
زائل ، والوهم حاصل . فهل بقي بعد هذه الفوائح ، التى حتمت الخلق بالصنع
والرفق ، ما يكون حجة أو شبهة لأحد في ترك طلب المتق من الرق ؟ وهل يجوز
لك ، أيها الماكف على الجهالة ، أن تحتج بما لا حجة لك فيه ولا مقالة ؟
يدعوك الله إلى حظك : تارة بظاهر تنزيله ، وتارة بباطن تأويله ، وتارة

على لسان رسوله ، وتارة يخاف دليله ، وتارة يوضح سبيله ، وأنت مُعْرِض
 كأنك لا تسمع ولا تعلم ! أما تعلم أنه ما وهب لك السمع والبصر ، إلا لتعي
 وتعلم ، وإلا لتسأل وتستخير ، وإلا لتعلم ما عليك فقتسم ، وما لك فستبشر ؟
 أما تعلم أنه ما نظمك هذا النظم العجيب ، ولا أودعك هذا السر الغريب ،
 إلا لأمر بعيد قريب : بعيد إن تصامت عنه ، قريب إن سارعت ^(١) إليه !
 يعاتبك فلا تُعِيب ^(٢) : ويدعوك فلا تحجب ! ونعم عليك فلا تشكر ، ويبتليك
 فلا تبصر : ويُحْضِرُكَ قدرته فلا تبصر ، ثم تولى وتستكبر ، وتعتقد أنك مستقل
 منتصر ! هذا — والله — الجهل الغالب عليك ، والشقاء المحيط بك ، والشبهة
 الحاضرة لك . يُقَرِّبُكَ فتبتعد ، ويمأئلك فتشرد ، ويطع بلطف بك فتطمع ،
 ويقومك فتجنح . فيا ويلك ! أى بلاء أنت على نفسك ، وأى خاسر أنت
 فى سعيك ! تبغى رضا الخلق ، وتهانون برضاء الخالق ؟ وما كان الخلق أنصح
 لك ، وأذنب عنك ، وأقوم بمصلحتك ، وأقدر على الدفع دونك ، وأهدى
 إلى مُرادك ، وأوفى لك فى عاقبة أمرك : هذا ، والله ، الغرور ، وآخر هذا الغرور
 الويل والشبور . انتبه ، عافاك الله ، من هذه الرقعة التى قد استغرقك بالأحلام ،
 واعترف بحق الله عليك فى كل مثال ومقام ، واتخذ حجة لنفسك يوم القيامة
 إلى انضمام . فإن كنت تؤمن بالله على الحقيقة والتمام ، زهدوك فى الدنيا ورغبت فيها
 ورغبتوك فى الآخرة فزهدت عنها . [١٤] وكرروا عليك النصيحة فى الحالين ،
 فأعرضت عنها ، ورددوا إليك فتأفقت ^(٣) منها ! فيا مؤثر الخلاف على الوفاق ،
 ويا غائصاً فى بحر النفاق والشقاق ، ويا من ليس له فى الآخرة من خلق .

(١) فى الصلح : إليك ، والتصحيح بالهامش .

(٢) أعتب : أرضى .

(٣) ص : فناققت .

كيف يكون الشقي إلا مثلك ، وكيف يكون المرحوم ^(١) إلا من سلك طريقك !
 أما ترى بشائر الحق كيف تتردد بين أذنك وقلبك ؟ ! أما تسمع زواجر الحق ،
 كيف تكرر على سمعك وألبك ! أما ترى مواهبه كيف تنسكب على قرنك
 إلى قدمك ! أما ترى قدرته كيف تمنن فيك ! أما ترى حكمته كيف تبدو منك !
 أما ترى داعيه كيف يناديك ، أما ترى رسوله كيف يناجيك ، أما ترى كيف
 أبرزك من العدم وحنك بالتعم ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وقسمك فيمن تقدم ،
 وعظمتك فيمن عظم ، وسألك أن تتقدم فلم تتأهب لأن تقدم ، وأمهالك
 لأن تفكر وتشاور وتستظهر فلم تتبين ذلك ولم تفهم ؟ ! فقد آن لك الآن
 أن تنقطع حسرةً على حظوظ فائتت من الله ، وحسن بك أن تلطم خدك حزناً
 على أحوال من نالها سعد بتوفيق الله . وجب عليك أن تبكي دماً على ما صنعت
 بنفسك في إضاعة حق الله . كذبتك نفسك فصدقتها ، وعرضت لك الآيات
 والندور فصدفت عنها . وذكرتك الأسقام والعلل فتناسيتها ، وحدثك الليل
 والنهار فلم تُصغ إليهما . وأقبلت على لذاتك الخسيسة فتهرقت فيها واستكثرت
 بها ، وتمردت على الله الذي دعاك إلى تركها ليعوضك خيراً منها هـ ا .

اللهم إنا ندعو خالقك إلى طاعتك ونحن الذي دعاك إلى تركها ^(٢) ليعوضك
 خيراً منها . فلا تؤاخذنا بذلك ، فما إرادتنا في ذلك إلا أن نحبيب منك إليهم ،
 وننشر آلاءك عليهم ، ونعرفهم ما سبق من رفدك وفضلك إلى صغيرهم
 وكبيرهم . فاجبر ما نقص من عملنا في مراضاتك بأفضل من اجتهدنا في دعائنا
 بإيأم إليك [١٤ ب] ودلائنا لهم إلى بابك من غير جدوى نلتسها منهم
 (١) وكيف يكون المرحوم : مكررة في الأصل . ويمكن أن يكون قوله

« المرحوم » خطأ وصوابه : المحروم أو المرحوم .

(٢) الضمير يعود إلى « خلقتك » .

على ذلك . اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْجُرَنَا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، فَإِنْ لَمْ تُؤْجِرْنَا عَلَيْهِ
فَلَا تَوَاضَعْنَا بِهِ . فَوْحَقَّكَ مَا تَقْصِدُ بِمَا تَقُولُ وَاصْفَيْنَا لَكَ ، وَبِمَا نَعِيدُ وَنُبَدِّئُ
حَالَتَيْنِ ^(١) لَهْم إِلَيْكَ ، إِلَّا لِيَسْرَعَ مُدُنْبٌ ، وَيُقْلَعَ مُصِرٌّ ، وَيَسْتَبِينَ ضَالٌ ،
وَيَقْتَوِمَ زَائِعٌ ، وَيَعْتَدِلَ رَائِعٌ ^(٢) ، وَيَهْتَدِي تَائِهٌ ، وَيَبِينُ قَلَسٌ ، وَيَتَذَكَّرُ
نَاسٌ ، وَيَتَوَاضَعُ مُسْتَكْبِرٌ ، وَيَنْتَبِهُ نَاسٌ ، وَيَصْحُو مُنْشَسٌ ، وَيَصْفُو سِرٌّ ،
وَيَطِيبُ قَوْلٌ ، وَيُطَهِّرُ عَمَلٌ ، وَيَقْصُرُ أَمَلٌ ، وَيَتَجَدَّدُ كَمَلٌ ، وَيَنْفَعُ عَدْلٌ .
فَالْوَيْلَ لِمَنْ ذَكَرَكَ خَلْقَكَ خَادِعًا بِكَ ، وَالْوَيْلَ لِمَنْ دَعَاكَ إِلَيْكَ شَارِدًا عَنْكَ ! هـ .
اللَّهُم أَنْتَ حَبَبْتَ إِلَيْنَا هَذِهِ السَّيْرَةَ ، وَأَجْرَيْتَنَا عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ ،
فَتَقَبَّلْ عَفْوَنَا فِي الْعَمَلِ ، وَزِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ بِمَا يَأْتِي عَلَى الْأَمَلِ ، يَا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ
وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ! هـ .

١٠

أَيُّهَا الْمُبْتَدِعُ بِالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالتَّخَالُقِ الْمَصْطَنَعِ بِالْمَشِيعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ، وَالْإِنْسَانِ
الْمُخْضَعِ بِالنِّعَةِ الْمَلَكِيَّةِ ! نَأْمُلُ مَوَاقِعَ آيَاتِهِ فِيكَ ، وَاسْتَنْقِ شَوَاهِدَ آثَارِهِ
عَلَيْكَ ، وَتَصَفِّحْ مُتَأَنِّي أَيْدِيهِ عِنْدَكَ ، وَانْظُرْ بِأَيِّ فَضْلٍ خَصَّكَ ، وَمِنْ أَيْ حَالٍ
خَلَّصَكَ ، وَإِلَى أَيْ دَرَجَةٍ رَفَّكَ ، وَبِأَيِّ رَتْبَةٍ حَلَّاكَ ، وَإِلَى أَيْ كَهْفٍ آوَاكَ ،
وَبِأَيِّ سِرٍّ نَاجَاكَ ، وَبِأَيِّ غَيْبٍ نَافَاكَ ، وَمِنْ أَيْ ثَمَرٍ وَقَاكَ ، وَلِأَيِّ غَايَةٍ بَقَاكَ ؛
وَبِأَيِّ تَاجٍ تَوَّجَكَ ، وَإِلَى أَيْ حِفْظٍ هَيَّجَكَ ، وَأَيِّ مَلِكٍ قَلَّدَكَ ، وَأَيِّ مَشْرَبٍ
صَفَّاكَ ، وَبِأَيِّ لُطْفٍ حَاشَاكَ ^(٣) ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ سَكَّرَ جَاشَاكَ ^(٤) ، وَبِأَيِّ صُنْعٍ

١٥

(١) حَالُ الصَّيْدِ وَأَحَاشُهُ وَأَحْوَشُهُ : جَاءَهُ مِنْ حَوَالِيهِ لِيَصْرِفَهُ إِلَى الْحَبَالَةِ .
(٢) رَاغٌ يَرُوعُ رَوْعًا وَرَوْعَانًا : مَالٌ وَحَادٌ عَنِ الشَّيْءِ ، وَالْأَسْمُ الرِّوَاغُ كَسَحَابٍ
وَكَشْدَادٍ .

(٣) حَاشَاكَ هُنَا بِمَعْنَى اضْطَرَّادِكَ .

(٤) سَكَّرَهُ (بِتَشْدِيدِ السَّكَافِ) تَسْكَيرًا أَيْ خَنَقَهُ ؛ وَالْجَاشُ : نَفْسُ الْإِنْسَانِ .

أزال استيحاشك ، وبأى صرعة انتاشك ، ولأى أمر أعاشك ! خضك بفضل
 ما اهتديت إلى طلبه بتحكمك ، وخلّصك من حال ما عرقها بثوهمك ، ورمائك
 إلى درجة ما خطرَتْ قط ببالك ، وحلّاك برتبة ما خلّقت بها نفسك ، وآواك
 إلى كهف ما اطمأن به ^(١) قلبك ، وناجاك بسِرِّ به تَمَيَّنْتْ قدمك ، وناغاك
 بغييب به تَضَاعَفَ طربُك ، ووقاك من شرِّ به تَمَّ أمرُك ، وبِقَاك لغاية بها قَرَّتْ
 عينك ، وتَوَجَّك بتاج به أشارت الأصابع إليك ، وهيجك إلى حفظ ^(٢)
 هو غاية أمانيك ، وقَدَّكَ مُلْكًا هو نهاية آمالك ، وصنَّ لك مشرباً متى كَرَعْتَ
 منه لم تظلم بعده ، وحاشك بلطف هو الذى جعلك مَبْهُوطًا فى حالك ، وسَكَّرَ
 جأشك بشئ هو الذى أنالك مرادك ، وأزال استيحاشك بصنع أدركت به كل
 آمالك . فخدثنى الآن واصدق : هل فى المنعمين من ذا جوده ، وهل فى المحسنين
 من ذا تفضله ، وهل فى المشتقين من ذا رفقه ، وهل فى الكرماء من ذا عطاؤه ،
 وهل فى المحبين من ذا نافلته ، وهل فى القادرين من ذا اقتداره ، وهل
 فى النافرين من ذا اختباره ، وهل فى الماضين والغايين من ذا إرادته وإصداره ؟
 ولا ، وحق الحق الذى يلهج به الخلق اىما يقدر على هذه العجائب إلا هو ، ولا يجود
 بهذه المواهب إلا هو ، ولا يأتى بهذه الغرائب إلا هو . جلَّ معبوداً ومقصوداً ،
 وعزَّ مطلوباً وموجوداً . إن كَفَيْتْ عنه سبق التصريح به ، وإن صرحت به
 غلبت السكناية عليه . وإن عَيَّرْتَ عن صفاته كدرت العبارة ، وإن أشرت
 إلى ذاته اضمحلت الإشارة . فالزم — هداك الله — حدك فى العبودية ،
 واستعصم فى نفسك من آفات البشرية ، وتبرأ من كل ما فضحك من البرية ،
 ولن تبرأ حتى تطهر من كل خطية . ولن تطهر إلا بيد من عنده قوة .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صوابه : ما اطمأن إليه . أو « ما » زائدة .

(٢) ص : حظك .

يا هذا ! لا مُسْتَقَلٌّ لَكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا عَوْدَ لَكَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، وَلَا تَوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَلَا خَيْرَ لَكَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ ، وَلَا نَجَاةَ لَكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا مَنَعَ عَلَيْكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا بَدَلَ لَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنَ اللَّهِ . فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، وهي أيام معدودة وأنفاس معدودة . وإن انتفت إلى نصيبك من الله أقبل الله عليك ، وإن حاسبت نفسك لله أغضى الله عنك ،
 ٥ وإن وهبت نفسك لله حفظها الله لك . وإن تواضعت لله رفع الله قدرك ، وإن جنتحت [١٥ ب] السُّلَمَ تقبل الله منك ، وإن لُذت بالله عطف الله عليك ، وإن شكوت ما بك إلى الله سمع شكواك ، وإن ادعيت صادقاً أو كاذباً لم يفضحك في دعائك . هو ألطف بات منك بنفسك ، وهو أصدق لك منك عليك لنفسك ، وهو أرفأ بك منك بنفسك . هو الذي دَلَّكَ على خطأك ثم عاتبك على تهاونك
 ١٠ في تمصيكك ، هو الذي أرادك قبل أن تريد ، هو الذي أجابك قبل أن تدعوه ، هو الذي نظر لك قبل أن تسأله .

أحسن بك — بعد هذه اللطائف السابقة ، وبعد هذه النعم السابقة ، وبعد هذه الأيادي المتتابة — أن يطلع من شرك على سوء ظن به ، أو على إيثار هوى عليه ، أو على تقصير في خدمته ، أو على استعانة^(١) بنعمته ، أو على مخالفته ؟
 ١٥ لا وحق الفتوة فإنها شعار الكرام .

يا هذا ! إنك لن تقف على حدود هذه المرامي ، وعلى عواقب هذه الأسامي ، إلا بعد أن تخلع نفسك من نفسك كما تخلع قميصك من جلدك ، وكما تخلع جلدك من لحك ، وكما تخلع لحك من عظمك . وإنما قلت هذا لأن

(١) كذا ! ولعل صوابه : استهانة .

المراد عزيزٌ والمرام بعيدٌ ، والفهم قاصرٌ ، والهوى متناصرٌ : والقوة المسعدة غائرةٌ ، والطبيعة الحاضرة حائرةٌ ، والشهوة بين الإنسان وبين سعادته جارية . وبضاعته في طلب الربح باثرة . فإن لم تكسب هيئةً لنفسك غير هذا الذي وورثته بمزاجك ، ونشأت عنه بضروب حركاتك واختلاجاتك ، لم تغفر بما يكون سبباً لسرورك وابتهاجك . وهذه نصيحة قد كرمها لك وعليك ، وأردت بها الخجوع^(١) فيك والمهجوع منك ، وأن تُقبِلَ على نفسك الشريفة بإدبارك عن نفسك ، أعني أن تقبل على نفسك الشريفة الفاضلة المقتبسة من نور عنك الحائلة بينك وبين جسيم طلمك ؛ وأعني بإدبارك عن نفسك نفسك الأمارة بالسوء الوثابة بالعتو ، الطارحة لك بيد العدو . فافطنْ لهذه المويضة التي هي إقبالك [١٦] على نفسك وإدبارك عن^(٢) نفسك ؛ فإن ظاهر هذا القول يحدث تناقضاً ويورث صدوداً ، وباطنه يحدث اتفاقاً ويورث شهوداً .

اللهم إنا قد تَقَلَّقْنَا في نَصَبِنَا حياةً من التعذير في قضاء حَقِّكَ ، واضطربنا في أحوالنا لَنَكُونَا عن حياة نصيبنا منك في طلب مَرْضَاتِكَ . وإحساساً بهذا القدر قد أوقد على قلوبنا جمراتُ الحُسرة وحسراتِ الفرقة ، فلا جَرَمَ بَقْصِ العيش في هذا البلد الوبي ، وفي هذا المكان المُقْصِ بين هذا السواد المظلم على هذا البساط الشائك . وبقدر بغض العيش طاب تَجَرُّع الحُمام مع التوجه إليك ونيل الخطوة منك . فترَّب اللهم ذلك على أسهل وجه ، وأقرب حين .
يا ذا الجلال والإكرام !

(١) بَجَعَ لِي بِالْحَقِّ بُخُوعاً : انقاد ؛ بَجَعَ بِالْحَقِّ (من باب علم) : بخاعة وبُخُوعاً : إذا أقرَّ إقرار مدَّعين بالغ جهده في الإذعان به .

(٢) ص : على .

رسالة (و)

« وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
 فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ »^(١) . يا هذا ! أما تسمع هذا الخطاب
 بحضور بال ، وبقظة فؤاد ، وفكر ظاهر ، واعتبار حاضر ؟ أما تجد به ما يجده
 أهل البصائر من الازدجار ؟ أما تستيقن به الارتحال عن هذه الدار ؟ أما تعلم
 أنك متقلب بين هذه الأوزار^(٢) التي إن لم تستعظها بالتوبة عنك صرّت
 حطب أهل النار ؟ بلى ، والله ! إنك لتسمع هذا الخطاب وغيره من بدائع
 ما في الكتاب ، ولكنك بدنسك من الذنوب واحتفائك للعيوب ، محبوب
 عن كل غيب في النيوب . تسمع الحق بأذن مجاجة ، وتعيه بقلب متخرق ،
 وتتدبره بعقل سادر ، وتقرأه بلسان أكن . والمعجب أنك أيها العالم الفقيه
 والأديب النحوي تسكلم في إعرايه وغريبه ، وتأويله وتنزيله ، وقصته وشأنه ،
 وكيف ورد ، وبأي شيء تعلق ، وكيف حكمه فيما خص وعمم ، ودل [١٦ب] وشمل ،
 وكيف وجهه ، وكيف ظاهره وباطنه ، ومشتمله ورمزه ، وماذا أوله وآخره ،
 وأين صدره وعجزه ، وكنايته وإفصاحه ، وكيف حاله وحرامه ، وبلاغته
 ونظامه ، وغايته ودرجته ومقامه ، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ، —
 ثم لا تجد في شيء مما ذكرتك به ووصفتك فيه ذرة تدل على صفاتك في حالك
 وإدراكك ما لك ، بل لا تعرف حلاوة حرف منها ، ولا تزال موجوداً فيما دعيت
 إليه من أوساطها وتواحيها ، فملكك كله لفظاً ، وروايتك حفظ ، وعملك

(١) سورة إبراهيم : آية ٤٧ .

(٢) ص : الازرار .

Ritual powers

Raymond Jamous

M. E. COMBS-SCHILLING

Sacred Performances: Islam, sexuality, and sacrifice

377pp. New York: Columbia University Press. \$31.50.

0 231 06974 X

Morocco is unique among North African countries, and indeed in the entire Arab world, in that its distinctive Islamic character has for many centuries been dependent on the institution of monarchy. Established in the ninth century by a Sharifian dynasty (in Morocco the term signifies descent from the Prophet) this monarchy has endured through a succession of tribally based dynasties from the eleventh century to the fifteenth and thereafter through two Sharifi lineages, the Sa'adians in the sixteenth century and the Alawites from the seventeenth century until the present day.

M. E. Combs-Schilling's ambitious book, which is based mainly on previously published sources, has three objectives. The first and most important of these is an anthropological analysis that attempts to show how the restored Sharifian monarchy equipped itself from the sixteenth century onwards with the values of Islam, maintaining the idea of nationhood through an array of religious and familial rituals.

The second objective is to achieve a historical understanding of the political economy of the Moroccan monarchy through analysis of its international economic and political context (rather than tracing the transformation of Islamic ideology). Having dominated the Western Mediterranean from the eleventh century to the thirteenth, Morocco, weakened by plague, was threatened in the fifteenth by European expansionism to the north and Ottoman power to the east. Without a solid economic base, Morocco was able to find in the Sharifian kings and their rituals a means to

resist foreign aggression and to redefine nationhood in cultural terms. "Superstructural strength compensated for infrastructural weakness", writes Combs-Schilling, "and Morocco endured, and endures still." This astonishing claim amounts to proposing that a house may be built on a quicksand yet stand for centuries. Would it not have been more fitting to compare like with like, that is, to look at the political and religious organization of the earlier tribal dynasties that maintained the monarchy for five centuries during the Middle Ages in relation to that of the subsequent Sharifian dynasty?

The final objective of *Sacred Performances*, though, is both more universal in intent and more polemical. Throughout the book the author stresses the way in which the monarchical rituals of the Sharifi, as in other monotheistic societies, play on sexual difference and the role of the sexes in biological reproduction. Only man is in direct relationship with God; women occupy a subordinate role, their existence is ephemeral, part of nature.

These three aims result in three—conflicting—interpretations of the rituals in question. In the first case the accent is on their internal coherence, their power of integration; in the second on their capacity to compensate for economic, military and administrative weakness; in the third on their putative capacity to disguise the realities of power and to legitimate male domination.

The middle part of the book is the most original. The Sharifi kings, we are told, base their legitimacy on their descent from the Prophet, claiming title to the highest authority known to Islam, that of the Caliph. According to this argument, the special position of Morocco, a weak country particularly exposed to threats from outside, is somehow sublimated in this identification with the Islamic community. The author speaks of a return to "mainstream Islam" by the Sharifian kings, pin-pointing three kinds of "sacred performance" where the monarch occupies, directly or indirectly, a central role. The first is the Feast

of the Birth of the Prophet, celebrated in one of the royal palaces, which affirms the king as a worthy successor of Muhammad and reinforces the unity and identity of the nation; the second, the marriage ceremony, in which every bridegroom becomes, symbolically, Sultan, ensures that all male Moroccans entering adulthood are able to define themselves in relation to this archetype and insert themselves into the existing patrilineal, patriarchal system. Combs-Schilling singles out a third ritual, the annual sacrifice of a sheep performed first by the king for the community at large and then by each of his subjects, of which she says,

At the center of the Great Sacrifice is the metaphorically established equivalence of Ibrahim (the father of believers), Muhammad (the final prophet, the conveyor of the complete revelations), the Sharifi (the present guardian of the Muslim community on earth), local communal authorities, and the heads of individual households. All hold the same position within the ritual performance.

For believers these three figures all represent, in some sense, the archetypal man. Muhammad and Ibrahim, or Abraham, are the final referents in an analogy whereby the king, pre-eminent among the faithful, stands for the last of the Prophets and his subjects for the community of belief first established by Muhammad.

It is an intriguing interpretation, but one that provokes serious reservations. It is a pity that the author has not followed the lead of A. M. Hocart's magisterial *Kings and Councillors*, in which he argues that the act of governing and the violence visited by a monarch on certain of his subjects are rituals of the same order as animal sacrifice (in fact Combs-Schilling affirms exactly the contrary). Furthermore, if metaphorical equivalences are important in such rituals, equally important is the differentiation between the two poles of the relation, between Abraham and Muhammad and the king and his subjects. During the ritual moment one moves on from an earlier phase where such equivalences are not yet estab-

lished to a later one where the participants are distanced from the original point of reference, where identification is suspended the better to appreciate the differences. During the marriage ceremony, for example, the husband-to-be is, initially, single; during the festivities he becomes, temporarily, a sultan-bridegroom; but afterwards he is just a married man, no longer equivalent to the monarch. As such he does not think of himself simply by reference to the figure of the Sultan, the archetype of manhood, he also has a status that is defined by his own community. The patriline he takes his place in is distinct from that of the sovereign: local social institutions are not a microcosm of the community of Moroccan Muslims symbolized in the figure of the Sultan. If it means anything to be a Moroccan, this identity must be located in the relation between these local levels of organization and the Sultan, in the similarities between them and the differences.

The notion of the return to "mainstream Islam" is also questionable. Kings of the royal line are not the only descendants of the Prophet. There is a vast literature on marabouts or saints from Sharifian lineages (some living, and enjoying local, tribal authority; some dead, the object of special cults, or the founders of religious brotherhoods) and their relation to the Sultan. By concentrating on the Sultan Combs-Schilling appears to make him the sole heir of the Prophet; she rejects too quickly Clifford Geertz's characterization of Moroccan Islam (in *Islam Observed*) as a "highly parochial . . . saint-centred complex of rules and worship called maraboutism". Must we choose, in discussing Morocco, between this view of its historical particularity and Combs-Schilling's vision of a universal Islamic community? Would it not have been more worth while to analyse the relation between these two sets of values, local and universal? The uniqueness of Morocco since the sixteenth century lies not in a hypothetical return to origins but in the way it has combined these various local forms of Sharifi Islam within a single nation.

Star qualities

Romanticism - Reconsidered

MLJ - V53 - D'69 - p567

WHR - V19 - Summer '65 - p273

A Study of English Romanticism

MLJ - V54 - F'70 - p131

- Modern Language Journal -

PB

M47

Language of poetic mythology as the principal
feature of the Romantic movement.

Frye treats Romanticism as a change
in the language of poetic mythology, the change
itself having been brought about by historical
and cultural forces and events, the French
Revolution.

In "Prometheus Unbound", or in the other essays
Frye illustrates his thesis of a change in the

كله رفض ، وتبريتك كله نقض ، ودعواك كلها وقاحة ، وحلقتك كله
 وتاحة ^(١) ، وسركك كله خبيث ، وسيرك في الباطل خثيث ، وجهرك نفاق ،
 وباطلك شقاق ، وذكرك حيلة ، وسكوتك غيلة ^(٢) ، ومعاملتك اختلاس ،
 وأمانيك أدران وأدناس ، ووعظك خديعة ، واتعاظك ربح ، وبعضك غشاء ^(٣) ،
 وكلك هباء . وعبادتك رياء ، وحضورك غيبة ، وآخر أمرك خيبة . كأنه
 ليس لك إلى الله أوبة ، لأنك بنيت أمرك كله على المكر والغيلة ، وعلى النش
 والمكيدة ، وعلى الهوى والمطعمة ، وعلى الخساسة والنجاسة ، وعلى الجهالة
 والندالة ، وعلى طلب العاجلة دون الآجلة . فلا جرم بار سقيك في حياتك
 التي لا تعود عليك ، وانبتز أملك في كمنحك بما لا ثمرة لك عندك . فما أشأم
 ناصيتك على نفسك ، وما أقل رحمتك لروحك ، وما أسخاك بحياتك في كل
 ما يصرك ، وما أطوعك لشيطانك ، وما أطوحك في غيئك وعدوانك !
 إن عدو الله لا يرضى منك إلا بالبعد عن باب الله ، وإلا بالخزي والهوان من ثواب الله ،
 وإلا بالملق والخسران عند ملائكة الله ، وإلا بسواد الوجه عند أولياء الله .
 يا هذا ! لو علمت ما قد نزل بك ، وما صب على هامتك ، وما أحاط بك من
 شقائك — ملأت الدنيا صراخاً على نفسك ، وسألت التواحين أن يساعدوك
 بالبكاء على ما فاتك . أي مصيبة [١١٧] أعظم من مصيبتك ، وأي بلاء
 أعظم مما قد استولى عليك ! قلب لا يهب فيه نسيم الوجد ، وفكر لا ينهي
 إلى تمييز الباطل من الحق ، وعين لا تفرق بالدمع على الخلد ، ورأى لا يصح
 في الوقوف عند الخلد ، ونفس لا تبالي بالمجران والصد ، ونصيحة لا تقبل

(١) وتفتح ككرم وتاحة : قل وصار تافهاً .

(٢) الغيلة : الخديعة والاعتيال .

(٣) الغشاء (كخراب) : المالك البالي من ورق الشجر .

على ما فيها من الخير والرشد ، وصديق لا يُشكى إليه من شيء من هذا العناء والكدر ، وصاحب لا يشاور فيما أشكل من هذه الحال في القبول والرد . يا هذا ! فتنت هذه الزينة الخائلة ، وذهبت مع هذه العاجلة الزائلة ، فلا تُجوع لقول فيك ، ولا أثر لقلاح منك . فاسكُب الآن دموعك على هذه الحال التي قد حصَّلت عليها ، وشقَّ عليك النزوع عنها . فإن الدموع المنحدرة على هذه الحدود النَّصْرَة شفاء للأكباد المحترقة بالندامة والاسف . ألا ترى كيف يقول الأول :

لعلَّ انحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبَ راحة

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

سار والله الرُّكْبُ الْمُحِبُّونَ ، وتركوك ، ونجا والله الْمُحِبُّونَ ولم يَكُونُوا عَلَيْكَ ،
وَحَدَّ الْمُدْبِلُونَ الشَّرَى ^(١) وبقيت لَعَضُ أَنَا مَلَكٌ مِنَ الْغِيظِ وَالْأَسَى
يا هذا ! قد كان القوم أنأخوا عندك ، وسألوك الرحيل معهم ، وبدَّلُوا لَكَ
المعونة جيدهم . وقدَّمُوا لَكَ راحلتهم ، وجذبوا بَضِيعَكَ ^(٢) طاقهم ، ووعدوك
أن يلبفوك غايتهم ، ورفقوا بك وبجميع ما كان عندهم ، ثم خَوَّفُوكَ الوحشةَ
بعدهم ، والندم على ما يفوتك منهم ، فأبيت وتوانيت ، وجهجت وطغيت ،
وتعدَّيت وبغيت ، وفردت برأيك ، وظننت ظنونا كَلِمًا عَلَيْكَ . فلما حَقَّت
الحقيقة وجاءت المصدوقة ، أَخَذْتَ تَلَوَّكَ لَأَنَّكَ بِالْوَيْلِ ، وتَحَلَّ عَيْنُكَ
بِالْإِصْبَعِ ، وتقول : يا حسرتي على ما فرطت في جَنَبِ اللَّهِ .

(١) نَجِيَّ الْبَلَابِلِ : ما ينجي المرء من الهموم . والبيت لذي الرُّمَّة . راجع ديوانه نشرة مكارنتي ص ٤٩٢ بيت رقم ٢ ؛ كبردج ، سنة ١٩١٩م / ١٣٣٧ هـ .

(٢) مأخوذ من المثل المعروف : عند الصباح يحمد القومُ الشَّرَى .

(٣) الضَّيْع : العُصْد .

هيهات ! هيهات ! والله لتصيرن الحسرة على [١٧ب] صدرك جرة من النار ، تتوقد بالليل والنهار ، إلا أن يقضى الله فيك ، فما ^(١) أنت أهله . فإليه المصير يا هذا !

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَاثِقًا فَأَجِرِ التَّوَكُّلَ شَأْنَهُ التَّهَوُّنُ

طَرَحَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ فِي رِزْقِهِ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَضْمُونُ

يا هذا ! الحق أحق أن يقبع ، خير الأدوية ما نفع ، خير الكلام ما نفع ، خير الإخوان من رَدَع . يا هذا ! كيف أصف لك احتراقك في حالك ، وتقلبك في صروف زمانك ، وخمولك بين خلطاءك ^(٢) ، وكسادك عند العارفين بك ، وازدراء الصغير والكبير لك ، وتفرد الرقيق والوضيع لك ، وطرفهم الخفوض لك ، وخيبتك منهم إذ [١] طمعت فيهم واتقلا بك باليأس عنهم . وأنا في أشباه ذلك ونظائره ، بل في دوام يزيد عليه وتوفي ، لو ترجمت عنها بكلمة عوجاء ، أو رمزة هوجاء لضاق في الثقلان والتقى على الخافقان ، فلا تكونن — عافاك الله — الذي وصفه الأول حيث قال له كلمة له :

أَطْمَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبِدَتْني وَلَوْ أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

وما أحسن ما قال الآخر :

حَتَّى مَتَى يَسْتَرْقِي الطَّمَعُ وَلَيْسَ لِي فِي الْكِفَافِ مُتَّعٌ

مَا أَوْسَعُ الصَّبْرِ وَالْقِنَاعَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا لَوْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا

أَمَّا الْمَنَايَا فَصَبْرٌ غَافِلَةٌ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ كَأْسِهَا جُرْعٌ

(١) كذبا ، أو لعل صوابه : بما .

(٢) جمع خليط : أي صديق أو مرافق معاشر .

وإنما وقفتك على هذا السرِّ لأنَّ جميع ما يتشكَّاه الناس رجَّع إلى الطمع والضَّرْع^(١) . اللهم إنا نسألك أن تقطع مطامعنا عن عبادك بالثقة بموعودك ، وتكفَّ استشرافنا خلقك بالرضا لقدورك ، ونُضَرِّمَ البُرحاء في شوقنا إلى ما قبلك ، وتجعلنا من خاصتك ، وتأذن لنا في وصفك ووصف ما ظهر بإرادتك ، وتحول بيننا وبين الالتفات إلى ما سواك بالإقبال على ما يُزِلُّنا^(٢) عندك .

[١١٨] يا هذا ! لو دُفِّت حلاوة عيشك مع ربك ، لعلمت أن كل ما عداها باطل ، ولو أشرفت على النعيم الذي أعدّه لخدمته لأيقنت أن كل شيء بعده زائل ، ولو علمنا إلى ما تنتسب لذهب الفخر < بنا > كلَّ مذهب .

بالله ، أما تراني ! كيف أترأى لك عياناً ، وكيف أتوارى عنك خبراً ؟

١٠ فلا عياني يخبرك عني ، ولا خبري يصدقك مني ! خفيتُ في بدوي لاني متقلب في حالي ، وبدوت في خفي لاني متقلب إلى أمر عال ، فإذا كلمتك بلسان الظاهر وفيت لك وخنت نفسي ، وإذا ترنمت لك بلسان الباطن جنيت لك وظلمت نفسي .

لاني في الأول هازل كجاذ ، وفي الثاني قابل كراثر . فارحني إذا قلت ، وارحم نفسك إذا سمعت ، ومهما شككت في شيء فلا تشكَّن في أمرك الذي خلص لك

١٥ وتتصل بك^(٣) ، أعني الرحيل عن هذه المرصة ، التي قد تجرعت فيها ألوان الغصة ، إلى كنفك ربِّ ، به وجدت ، وبه عرفت ، وبه خييت ، وبه سعدت ، وبه عقلت ، وبه رَشَّيت ، وبه أكرمت ، وبه أعطيت ، وبه خَرَّمْت ، وبه أشررت ، وبه سُرُرت ، وإليه نُسبت ، وإليه اذْهَبت ، وإليه سَعَيْت ،

(١) الخضوع والاستكانة .

(٢) أزلُّ الشئ : قربه .

(٣) بمعنى : خلص .

وإليه اشتقت ، وإليه سلكت ، وعليه توكلت ، وعليه توليت . كنف ما أوى
إليه أحد إلا أوجد ما نأمن اليأس ، كنف ما سكنه أحد إلا فاز بالرضوان ، كنف
ما شام برقه أحد إلا وثق بالسَّحِّ الدائم ، كنف ما لاذ به أحد إلا توج بالعرز ،
كنف ما استنشق هواءه أحد إلا وقي كل سُقم ، كنف ما أله أحد إلا وثق
بالكفاية ، كنف ما اطلع أحد على ما فيه إلا سلا عن كل ما دونه ، كنف
ما سمع أحد بوصفه إلا هام عليه ، كنف ما استقر فيه أحد إلا اختلط بالريوية .
كنف العز والقدس والكبرياء والعظمة والقدر والحكمة والجود والمجد
والجلال [١٨ب] والتكرمة والنعمة والبهاء والنساء ، كنف لا ظمأ فيه ولا جوع ،
ولا نصب ولا تعب ، ولا فنى ولا أذى ، ولا خوف ولا مرض ، ولا عرى
ولا حاجة ، ولا يراء ولا لجة ، كنف عرفه العارفون فهاجروا إليه ، وقضوا
حياتهم في طلبهم ^(١) ، وتعاونوا على قصده ، وصبروا على كل مكروه من أجله ،
فبعد ذلك ظفروا بحبيرة لا غيرة ^(٢) بعدها . ووصلت لاهجر بعدها ، وقرحة
لا ترحة بعدها ، وأمنة لا خوف بعدها ، وراحة لا تعب بعدها . يا تجار الآخرة !
أبشروا بالأرباح الفاخرة ! يا مساكين الدنيا ، أبشروا عند المولى بالغنى والمعنى !
يا قوَّام الليل بالأسحار ، أبشروا عند الله بمقامات الأبرار ! يا صوَّام النهار
في الهواجر الواقعة ، أبشروا عند الله بالرضا والكرامة والعاقبة ! أيها المستجيبون
لله في هذه الأحوال الصعبة ، أبشروا من الله بكل رغبة ليس معها رهبة !
يا هذا ! ارفق بعباد الله إذا دعوتهم إليه ، وسوِّقهم بالآية التي تتابعت
على كل بعيد عنه وقريب منه ، ولا تعجب من قلة إجابتهم ، فإن تلك من قلة

(١) كذا في الأصل ، ولعل ضوابه : طلبه .

(٢) الحبيرة (وبالتحريك) : النعمة . والغبرة ضدها .

- إخلاصهم في دعائهم . واعلم أن ما تتطوى عليه من الحق هو الذي ينتشر عنك عند الخلق ، وما تنسب إليه في السر هو الذي تدل عليه في الجهر ، وما تنزوده في الخضر هو الذي يقدّم إليك في السفر . فانظر أين أنت في دعائك إلى الله لعباد الله ، فإنك عن هذا مسؤول ، وبه مهجور أو موصول ، وله مردود أو مقبول ، وعلى قدره مَصُونٌ أو مبدول ، ويحسبه معبود أو مسلول ، ٥ وعلى حَكَمِهِ في الحق والباطل محمول . عليك ^{١١} الجهد في إيقاظك إن كنت نائما ، وعليك الجهد في التيقظ وإن كنت حائما . وعلى ذلك فلو أن الله قد أراد بنا جميعاً الخير وعرضنا للرشد ما أنطقني لك بحرف [١١٩] ولا وقتك لاستماع حرف ، وقليل الصوب يَبُلُّ كما أن كثير القطر يسيل . وإنما قلت هذا اعترافاً بنعمة الله التي عرضتنا لهذا القول المختلف الوصل والقطع ، المؤلف الرفع ١٠ والوضع — والاعترافُ بالنعمة مدعاة للزيادة ، والزيادة موقوفة على الاعتراف والشكر عنوان ذلك ، ومن لحظ المنعم بنائمه ، استغنى عن تلفيق اللفظ بلسانه . ألا ترى أن مصالحة الضمير بالوداد ، أبلغ من مصالحة اليد بالعهاد ؟ فإذا وصفنا أنفسنا بالغفلة فقد دللنا على بعض الانتباه ، لأن الغافل لا يشعر بغفلته . فما أوجب الحمد في هذا المضيق ، وما أنفع الشكر على هذا التوفيق ، وما أحسن ١٥ الوصف بهذا التدقيق ، وما أبلغ اللفظ بهذا الترقيق ، وما أشرف المرحى بهذا التحقيق ! اللهم إنا قد أبلينا وجَّددنا في محبتك ، وسافرنا وحضرنا في طلب رضاك ، وقتلنا وسكتنا واجدين بك ، وسلمنا وتمرَّضنا طامعين في قبولك ، وصبرنا وجبرنا عند تصاريف قضائك ، وجُبرنا وعدلنا في مقاصدنا إليك ، وأصبنا وأخطأنا في الطاعة لك ، وبالننا وقصَّرتنا في جميع أحوالنا معك . ٢٠

فذلّاك بإلهيتك المشتملة على عبوديتنا ، وبقدرك المستوفية لعجزنا ،
وبحكمتك المحيطة العتولنا ، وبرحمتك المتلافية لكل خال منا — < إلّا >
أغضيت عنا ، وخفّت علينا ، وقبّلتنا على عوارنا ^(١) ، وصنّتنا عن الشفيح
إليك ، وأكرمتنا عن اليأس منك ، إذا الجلال والإكرام !

رسالة (ز)

يا هذا ! بأيّ قوة أنعمت ^(٢) عن صرعتك وأنا على مثال حالك ؟
وبأيّ حجة أطالبك بالحق وأنا مطالب به فيك ؟ إلا إني مع هذه الحال الملتاة ،
[١٩ ب] ومع هذه التجة الظاهرة ، أقول قولاً صافيه لك وكدره على ، إن قبلت
وانتفعت ، وراجعت واستمعت ، واستتلت وارتفعت . يا هذا ! القول في الجملة
كثير مختلف ، منتشر مشتهر ، بقي أن يصادف قلباً علوقاً ونفساً عشوقاً ،
حتى يعمش فيها تعشيشاً ويريشها ترييشاً . وأين ذلك القلب ؟ وأين ملك
النفس ؟ هيات ! عمت الأنباء وخبّت الأنوار والأضواء ، وخوت ^(٣) السماء
والأنواء : وقفد الصباح وأدرك العشاء . فلا كبد إلا وهي مقرونة بالحزن ، ولا دين
إلا وهي ذارفة عن القلق والفرق . وعند الحقيقة لا معاج ^(٤) إلا إلى الله ،
ولا مُعرج إلا على باب الله ، ولا ظن يحسن إلا بالله ، ولا أمل يصح إلا في الله ،
ولا رجاء يستقيم إلا فيما عند الله ، ولا خير يحق إلا عن الله ، ولا توكل
إلا على الله ، ولا نجاة إلا بروح الله ، ولا أنيس إلا بكرامة الله ، ولا منفذ

(١) العوار (مثلة العين) : العيب .

(٢) أي : أنعمت .

(٣) خوت النجوم والأنواء خيّا : أملت فلم تطر ، كأخوت وخوت .

(٤) عاج : رجع ، عطف .

الإلهادية الله ، ولا ظفر إلا بنصر الله ، ولا عز إلا بتعزيز الله ، ولا سكنى إلا في جوار الله ، ولا أمن إلا في حرم الله . ولا توجه إلا إلى كعبة الله ، ولا غنى إلا لمن خزانة الله ، ولا فوز إلا بلجنة إلا بتفضل الله ، ولا خلاص من نار الله إلا برحمة الله .

٥ فاعلم علم هذه الجملة - تنل حقيقة التفضيل عند الله ، ودع قيل شيء ، وبعده المولى ولا تتخذ شريكاً .

يا هذا تجمع عن كثرتك ، وتفرق في تجمعك ! أندرى ما أرى تفسير هذا اللفظ ؟ أى : احضر عن غيبتك ، وتغيب في حضورك . هذا أيضاً لنز أنا كشفه لك بما هو أبين ، فتحل منه بما هو أزين . معنى ذلك : انف عن شرك المعلوم كلها حتى تنقى من كل دنس يكون في الأسر ، ثم اخطب محلك ١٠ من حضرة الحق بقبول ما يجود به لك ، ثم أفرغ كلك في شك هذه المناجى التى كلما جلوتها كانت أحسن وأبهى ، [١٢٠] وكلما عرضتها كانت أعلى وأشهى .

يا هذا ! أما ترى فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة : بصنوف العبارة عن الأدركان الوثيقة ، دالة على الآيات الأنيقة ، جامعة للأراء الرقيقة ؟ فجل ١٥ في أطرافها طالباً نفسك فيها : وعص في أعماقها محصلاً لحقيقتك منها ، واجعل بوادى تبشير هذه الأحوال مادة لصبرك إن كنت مبتلى ، أو عدة لسرك إن كنت مجتلى ، وترتح في هذا الفضاء الذى قد انخرق لك من هذه الورقات التى هى ألف ورقة متزها ، وانطفئ من مهارها ما تدلى لك ودنا منك ، وترشفت

(١) ص : على . (٢) كثره وصفاه — ضد : فالرقيق هنا بمعنى الضائق .

(٣) رقيق الماء : كثره وصفاه — ضد : فالرقيق هنا بمعنى الضائق .

من عينها ما ساع لك وعُتِبَ في هاتك . وإياك والشك فإنه للقلب مرض ، وللمؤمن
عَرَضٌ ، ولخالق حَرَضٌ^{١١} . وإياك أن تريد إلا وأنت حريد ، فأما إذا كنت
مراداً فتجنب كل إرادة لك فإنها إرادة فيك . واجتهد أن تكون سابقاً متبعلاً .
وإياك أن تكون سبوقاً متبعلاً ، فإن ذلك عنوان الفتوة وآية الحسرة وعلامة
الأسف . وامح عن سيرك الفكر في كل ما كان أمس ، وصله بمحو ما يكون
في غد ، فإن ذلك أحضر لبالك في يومك وأدعى لك إلى إحراز نصيبك
من وقتك . والوقت حادٌ ، فكُنْ من حِدَقِهِ على حَذَرٍ . والحذر هنا أن توكل
هملك بالمعويات الأدبيات الدائمات الباقيات الصالحات الناعمات . فإن اعتلاق
الهم بها استغراقٌ لخاسنها ، وفي هذا الاستغراق تشبه كبيرُ يمانيتها ، وفي هذا
التشبه بروزُ يخفاتها . وفي هذا البروز يخفاتها الفوز بنعمتها ، ومن نعمتها
خلودها . فأى إشارة أخلص من هذه ، وأى عبارة أخلص من هذه ! قد صنع
لك فيما نعم به عندك ، ولطف بك فيما عرض عليك ، فكُنْ لآلاء الله
من الشاكرين ، ولفضله من الذاكرين [٢٠ ب] . وزن رجاءك بالخوف وزناً عذلاً ،
ثم رجَّح الرجاء فإنه أدلّ على كرم المرجو ، وقابل التوكل بالتعرض مقابلة
صحيحة ، ثم اجعل الرجحان في جانب التوكل فإنه أشبه بحال العبد ، وأجِبْ
عن مبدأ الوجد ، فإن^{٢١} كان من آثار الكون النائر الزائل الحائل فلا تعمج
عليه ، وإن كان من آثار العلوم الدائم الخالد فارْتَدِّ به واتزر ، والتحف عليه ،
ووفق بأفك إذا أهملت للتبخر في هذه الساحة ، فقد نلت كل لذة وأصبت
كل راحة . وما أقرب هذا البميد ! وما أسهل هذا العسير ! وما أشد استجابة
هذا الواني ! وما أسرع انحياش هذا النائي !

(١) الحَرَضُ (محرقة) : الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل .

(٢) ص : فإنه .

رسالة (ز) (١)

أيها صاحب القادى على بخشوعه ، الرائج إلى بخشوعه ، الملتبس
من الحكمة ما قد أفل نجمه ، وتصوّح نبتة ، واجتث أصله ، واقتضب قرّعه ،
ولم يبق لأهله مسكن إلا خرب ، ولا ماء تيمّن إلا نضب ، ولا متاع إلا بار ،
ولا تمد (٢) إلا غار ، ولا حى إلا مات ، ولا مطلوب إلا فات ، ولا باب
إلا أُرْمِج ، ولا لسان إلا تجلّج ، ولا قول إلا بُرّج ، ولا مرعى إلا أُمْرَج (٣) .
فكيف صرت من بين هؤلاء وهذه الأحوال ؟ تسأل عن الأعمال وآفاتنا ،
وعن الأحوال وعاهاتها ، وعن الأخبار ونهاياتها ، وعن الأسرار وغاياتها ،
وتلهج بالبحث عن المذكرات الخفوفة بالجبروت ، وتدبّر مسألك عن كل
ما كمن في الشاهد ولاح في الغائب ، ويرز بنوالب القدرة ، ونشأ عن سوابق
العلم ، وتوارى في أثناء الإدارة ، وجرى على المساءة والمسرّة بالنقصان والزيادة .
فإن كنت إنما تبغى — بسعيك وكدحك ، وإخلاصك وفتحك ، وإخفافك
وتجّحك — خطأ من هذه الدنيا المشئومة ، فقد ساء نظرك لنفسك ، وردّك
اختيارك [١٢١] في يومك وأمّسك ، ولم تُؤتَ إلا من إطراد الله لك عن
حضرتة وإبعاده إياك عن خدمته . وإن كنت إنما تريد مباهاة لأبناء جنسك ،
واستطالة على من يشير إشارتك ، وطلباً للمز عليهم في دعواك ، فذاك والله أدلّ
على أنك ممقوت عند ربك ، ومحجوب عن ودائع الله قبلك ، ومحروم في أولئك
وآخرك . وإن كنت إنما تحب أن يكون لك طرب على ذكر الحق ،

(١) ورد هكذا في الأصل ، مع أن هذا الحرف ورد رقماً للرسالة السابقة .

(٢) التمد : الماء القليل .

(٣) أُمْرَج الدابة : تركها في المرعى تذهب حيث شاءت .

واشتياق إلى كل القرب ، والتقاط لما ينشر من العين المنبثة في الخلق ،
الكاشفة لسوآت الصدق ، فأنت والله غريب في حلك ، وعزيز في ذلك .
فما أحق جهتك بالتعبيل ، وما أولاك في تأميك بالتحويل والتحويل .
وكأني بك وقد رفع عنك الحجاب ، وصير ما أنت به ولّه عن العتاب ، وصرف
عن بالك كوالح الاكثاب وجوانح الارتياب . نعم ! وكأني بك وقد وجدت
نسب الوصال ، وأغفيت من الإغماض والإيضاح في طول هذا القيل والقال .
نعم ! وكأني بك وقد تجلّى عليك الملك برُتبته ، وسقيت من دقان غيبه
وشهادته ، وقيل لك : إردو فطالما ظممت ، وأسد فطالما شقيت ، واكتس
فطالما عريت ، ونعم فطالما ضنيت ، وأبق فطالما فزيت ، وانظر إلينا فقد
تجلينا لك ، واتصل بنا فقد اتصلنا بك ، واشهدنا فقد أشهدناك ، واطمن إلينا
فقد قبلناك ، وعن علينا فقد حكناك بعيننا .

تقلبت في فترك وصررك ، وبشهاد منا صبرت على بلواك ومحنتك ، ونحن
سبكناك في اختلاف أحوالك لتصلح لخدمتنا في آخر أمرك . لم ينب عنا
شأك ، ولم يخف علينا سرّك وعلايتك . لقد مضت في محبتنا الحفظ
المُسلّ ، واقتنحت الحجر المُسرّ ، وفرقت في البحر الأخضر ، وآويت
إلى المزابيل ، [٢١ ب] وأصبحت كلاً على كل كاهل . منعك خلق الكسرة
والخسفة ، وحرموك الخرفة والفضة ، وابتدلوك بأعيثهم ، وآذك بالسنتهم ،
وطردوك من أقيثهم ، وحقروك بقاوتهم ، وفروا منك لما قربت ، وتهاووا
بسبك لما بعدت ، وسخروا منك عند قولك ، وأهانوك عند سكونك ،
وأنفوا من مؤاكلتك ، وكرهوا أن يصلوا معك إلى جانبك . وكنت إذا
دعوتهم لم يلبوا ، وإذا حدثهم لم يحميوا ، وإذا سألتهم لم يسعفوا ، وإذا
حضرت مجالسهم لم يُفسحوا . كل ذلك كان منا بمسمع ومرأى ، لم يتطو

عنا منه خردلة ولا ذرة . فقد اخترنا صبرك ، وعلى ذلك أجرنا أمرك ، ومن أجله
 « رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ^(١) . فلا يمسك ما كان ،
 فقد أفضيت إلى عز جوارنا ، وصرت مكرماً لدينا ، مضطفي عندنا ، حكك
 نافذ في ملكنا ، وقولك مفتول على خلقنا ، وأملك مبالغ ياذنا ، وأنك
 مضاعف بقرنا ، وجورك زائد يحبا ، وكللك منعم بنصينا . ولولا ما تجرعت
 من جزع البأساء والضراء لوجهننا ، ما كنت اليوم تصير إلى حظيرة قدسينا ،
 ولا كنت تؤهل لسلطاننا وأئسنا . ولو أن عبادى علموا ما أرشحك له وأموك
 إليه والأطفاك به وأتبعى به إلى أجره ، لصرت فتنة عليهم ، لأنهم كانوا
 يأخذون التراب من تحت قدمك ، ويكتحلون به عند الرمد ، وكانوا يقرشون
 لك الخدود حتى تمشى عليها ، ويهدون لك الأرواح حتى تتحكم فيها .
 إنما أخفيت عنهم صباية لك ، وشفلتهم عنك توقيراً إليك ، وعاتبهم مع ذلك
 بسبك ، وقلت لهم : لم تحقرون أوليائى بالجهل ، ولم تردونهم بالكبر ،
 ولم تبخلون عليهم بالقليل ؟ أترون أنى زوت عنهم الدنيا وبسطها عليكم ،
 لانهطاط قدركم [٢٢ ب] ، وارتفاع قدركم ؟ إنما عرشت بعضكم لبعض
 محنة ، وجعلت بعضكم لبعض فتنة . أردت بهم أنهم لا يطمئنون إلى نعم
 العاجلة فأقررت رزقهم ، وأوتحت ^(٢) من الدنيا حظهم ، وأحببت أن ينشوا
 فى كل حال يتعذر عليهم إلى ، ويتوكلوا فى كل ما يلبسون به على ، وليجروا
 على تدبيرى فى توسعتى وتقديرى ، وأحببت لكم أن تفيضوا عليهم مما أفضته
 عليكم ، فتكونوا منعمين بنعمتى ، وواهبين من فضلى ، لتحوزوا بذلك

(١) سورة « ألم نشرح » : آية ٤ ، ٧

(٢) وتحت وأوتحت : أعطاه التليل ، أو قلل عطاءه منه .

مرضى ، وتستحقوا بها جوارى فى جناتى . فأما أوليائى ، فقد قطعوا
أبلى الدنيا بالبصر ، وانتهوا إلى بالطهارة ونالوا النقى . وأما أئمتهم فأوترتم ظهوركم
بالإثم والعُدوان ، وأعظمت الإساءة إلى أنفسكم بالمنع والحرمان ، فلهوا إلينا
بالمعذرة إن كانت لكم ، وهاتوا حجتكم إن كانت معكم ، وإلا فبعداً وسُحراً
لأمثالكم .

يا هذا ! إلى ها هنا امتدّ نفسى فيما بدأت به من إيضاظك وزجرِكَ
وتنبيهك . وقد قيل : كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً . وصواب
ما سمعت غيرُ خلفٍ ، فإذا هو دواء ، وأنت بك داء ، فاجعله دواءً لدائك ،
فمن قليل ما تصير إلى شئتلك . قد مضى هذا الفصل على ما تجده فى نفسك ،
أو على ما تجده نفسك فيه . بلى الآن أن تتحول عنه إلى غيره ليكون
لى فى القول ولك فى الاستماع طوفان فى أرجاء الحكمة ، ومثاقفة ^(١) فى ميدان
المعرفة ، واختطاف من يروق الربوبية ، وانصراف من عوائق العبودية ،
واعتماد بعلاقات الخصوصية ، وامتناء لظهور البشرية ، وأخذ بالتحريم ^(٢)
فيما عاد بالأنس والراحة والأمل والأمنية . فنقول وتسمع ، ونُصرح فتفقه ،
ونُكسّي فتنته ^(٣) .

يا هذا ! حدّثنى الآن عني ، واسمعنى منى ، [٢٢ب] وأتلّ حواشى حدّثنى
وظنى ، واثبت لأصناف فى وعنى . فقد قابلتك بوجهٍ وقاح ، وقابلتك
بلسانٍ نواح ، ووقفت فى حالى بين رجاء إذا أنستُ به يئست منه ، وإذا

(١) ثاقفه فنقّفه (كنضره) : غالبه فغلبه فى الحدق .

(٢) التمتع والاحتواء .

(٣) نقه الحديث (كفرح) واستنقحه : فهمه .

استوحشت منه رجعت إليه ، وأنا في عرض ذلك لا أدري كيف أُبرِد غُلَّتِي
وقد حرَّت ، ولا أدري كيف أُخمد جهرتي وقد التهمت ، ولا كيف أُسكن
زفرتي وقد توالَت ، ولا كيف أنفُس كُرْبِي وقد غالت ، ولا كيف أُكفُّ
عبرتي وقد سالت ، ولا كيف أُصرف خبرتي وقد استرسلت : فدأتني
من دوائِي ، وعلَّتني من طبيبي ، وبلائي من نعيمِي ، وفنائِي من حبيبِي . وهذا
لأتى فرغت من ظاهرٍ قد حُشِي بالشُرور إلى باطنٍ قد غُشِيَ بالغرور ، فلم يكن
في هذا مَنقَع ولا إلى ذاك مَرَجع . بقيت والله بين الباب والدار ، يعطيني
النسيم إذا زَفَرَق ، ويؤنسي البرق إذا بَرَق ، فأقول :

أصاح أَلَمْ تُخزِنِك رِيحٌ مَرِيضَةٌ وَيَبْرُقُ تَلالًا بِالْعَقِيقِينَ لَامِعُ

١٠ فَإِنْ غَرِيبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ : نَسِيمُ الرِّيحِ وَالْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ

فهذا شدو من حديثٍ إن تُجْوِزَ طَرْفَهُ لَمْ يَلْتَقِ إِلَى آخِرِ الْعَمْرِ ، ولكن
على كل حال قد تذكّرنا به شجواً ، وتطلبنا منه صفواً ، وإلى أن ينطق مرزهر
الحق بلسان الصدق في ذلك به مُتَمَكِّل من أَفَانِينَ مَا يُتَضَاقِقُ بِهِ وَيُتَعَاشِرُ
عليه ، ومن ضروب ما تستغيث منه ثم تفزع إليه . وكيف نبرأ من هذه
الأمراض ، وقد نبتنا في معادن البلاء ، ودعينا في بلاد الفناء ، سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ! هذا صحيح ، لا محيص بالصبر ولا بالجزع ،
ولكن باطن من عند مَنْ كَانَ بِهِ الْجَزَعُ وَلَهُ كَانَ الصَّبْرُ ، فإنه إذا بدت ذرة
من عنايته أغنت [١٢٣] عن الجزع والصبر ، وطمست آثار الحجة والعذر ،
ورفعت من هذا القطر إلى القطر ، فاستنارت الأشياء المظلمة ، واستبانَت الأمور
المُهِمَّة ، وتحللت العقود المُبْرَمَة ، وتسَلَّت النفوس المغمومة ، ووُجِدَ ما كانت
الأمنية لا تسرى إليه والتحكم لا يطلع عليه ، وصار الخشن ناعماً واليابس

لَدُنَّا ، والتفا وجهاً ، والمعدوم وجوداً ، والبعيد قريباً ، والنازل صاعداً ،
والمتخلف مؤتلفاً ، والكثير واحداً ، والغائب شاهداً ، والصادر وارداً ،
والذائم حامداً ، والآهب خامداً ، وتناغت الأشياء بلغة عجباء ولكن
مفهومة ، وتلاقت الأحوال بلباس الإيضاح ولكن مكتومة . فهاتِ الآن :
أَيْنَ الجيب الممزق على هذه الأشجان ، وأَيْنَ الذيل المجرور في هذه الأوطان ،
وأَيْنَ الخلد الخמוש على فوت ما بين هذا الخبر والعيان ، وأَيْنَ الكف المبسوطة
إلى هذه الأغصان ، وأَيْنَ القامة المتطاولة إلى هذه الأعيان ، وأَيْنَ العلامة
المذكورة بهذا الشأن بين أهل هذا الشأن ، وأَيْنَ سر هذا الحديث من علانية
مَنْ يَقُولُ كان وكان — لا أَيْنَ ، ولا من يقول : ولا أَيْنَ اه .

يا هذا ! هذه نبرات قومٍ عن هواجس قد جادها الحق بصور الاختصاص .
قبهاسوا بينهم في أوقات كان لمثولهم قهيم تصرف بحق إبداء العين وذمام
إنشاء الكون ، فتحافظوا بها متهاجرين ، ونبروا عن حقائقها متناجزين ،
وعادوا على سرائرهم مع خلواتهم لمعادهم متناجزين . فإن كنت تعرفهم أو تفهم
عنهم ، فاذن منهم ، وتوّر قلبك برؤيتهم ، وغامس روحك في غديرهم ، وارفع
في روضتهم ، واعتبق بذكاء طيبهم ، وتعلق بفضل عطا فيهم ، وتمرّز بذكر
أسمائهم ، واصبغ ظاهرك وباطنك بصفاتهم [٢٣ ب] . وإلا فالخذر الخذر ، فإنك
إن دثوت من نارهم جاهلاً بأسرارهم احترقت احترقا تعود عنه رماداً . اللهم لولا
إغضاؤك عنا في وصفك ، ولولا سترك علينا في ذكرك ، ولولا رفقك بنا في الدُّعاء
إليك — لكنا هالكين ، لأننا نصِفُكَ صِفَةً المارقين ، ونعبُدُكَ عبادة الجاهلين ،
ونذكرك ذكر الحاضرين ، وننسألك نسي الغائبين ، ونُدعو إليك دعاء الناصحين .
ونستجيب لك استجابة الغامسين . فنسألك — بفضلك ورحمتك — أن تسمح لنا
وتسأحنأ حتى نقبهي إلى رضوانك وإلى غفرانك . على أننا لا ننال رضوانك

إلا بغفرانك ، ولا تملك غفرانك إلا برضوانك ، يا أعز من دُعي وأكرم
 من أجاب ، يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا غائب ، يا حاضر ، يا جابر ،
 يا كاسر ، يا شاكر ، يا عادي ، يا هادي ، يا ناصر ، يا قوي ، يا قادر ، يا وارِد ،
 يا صادر ! نسألك لطائف صنعك وغرائب لطفك ، حتى نجول في أكناف ملكتك ،
 ٥ متصرفين بأديك ، جادين بإحلالك ، قائلين بإنطاعتك ، حائلين عن مساخطك ،
 متطلبين لمراضيك ، موحدّين لك ، عارفين بك ، قارّين معك ، قانتين لك ،
 متوجهين نحوك ، نازلين في خطّك ، جانّين من ثمار كلامك ، واجدين غيب
 ربوبيتك . اللهم ! إنك أنت مُفجّر عيون القلوب ، وأنت المُطَهِّر لما في العيون ،
 وأنت الواهب لما تشيخ به النفوس ، وأنت القابل لأبرّ المحسوس ، وأنت
 ١٠ القائه إلى الحل المائوس . فبتفردك إلا أفردتنا ، وبعزّك إلا أعزّزتنا . إلهنا !
 إنا نقول ما قول عن عي وحصر ، ونتناول ما تتناول عن قاءة وقصر ،
 ونطلب ما نطلب من حاجة وقتر ، ونحمل ما تحمل على قدر الوسع والطاقة .
 فاجبر كل نقیصة لنا ، وارفع كل خسيّة منا ، وأيدنا منصورين ، وانصرنا
 مؤيدين ، وعلمنا اسمك الأعظم [١٢٤] حتى ندعوك به ممجّدين ، ونقترب
 ١٥ إليك به مُقدّسين . ومهما فعلت بنا فلا تفضحننا على رؤوس الأشهاد ،
 ولا ترعجننا عن وئير المهاد ، ولا تبئنا بمواقب العناد ، يا ذا الجلال والإكرام !
 إنك رؤوف بالعباد .

رسالة (ح)

اللهم ! كثر غلظتنا فينا ، وطال لغلظنا علينا ، واشتد الضعف بنا ،
 ٣٠ ونادى منادى العزیدلنا ، وذلّ ذلیل الهتك على فضاحتنا ، وامتدت حيرتنا
 فينا ، وترادفت حشرتنا منا ، واربد نظرنا إلينا ، وثمّت بنا عدونا ، ووجد

السبيل نحونا حاسدنا ، وأصبحنا بين خلقك ملحوظين ، وبالْمَقْتِ والشَّانِ
موظوبين^(١) ، وبالقسوة والعدوان مقروفين^(٢) ، بالكذب والبهتان . اللهم !
فَجِدْ عَلَيْنَا مِنْكَ مَا يُسَكِّنُنَا عَمَّا حَرَمْتَنَا مِنْهُمْ ، وَمَيِّزْنَا بِلطيف لطفك عنهم ،
وعزِّدنا بِعزِّ عزِّكَ حتى لا نرى عزَّ العزيز ينير عزَّكَ ، وعدَّ هَمُّنا إِلَيْكَ ،
واصرف هَمُّنا عَمَّا لَدَيْكَ ، وافعل معنا في الآخر نظير ما بدأتَ به في الأول ،
إنك المجيد الكريم ذو الفضل العظيم .

يا هذا ! إني أرى ما ترى ، فهل ترى ما أرى ؟ أم أنت من هذا الوردى
نديم الشرى ولا تحمد صباحَ المسرى ؟ أرى جملةً أنوارِ الخلق عليها ساطعة ،
وأخبارُ الخلق عنها قاطعة ، وذلك أنها تُضْحِي مصدوقة بلسان التزويق ،
وَتُخْشِي مكذوبة بلغات التحقيق ، تمرّ في التهم كالريح ، وتقف حَرَوًّا^(٣)
في مساكن التطويح ، متوقفة لعلامات التصريح ، أو أمارات التلويح .
ومن أعاجيب نعتها ، في كل مكانها ووقتها ، أنها تتحرك على نفسها ، وترى
الزيادة في قصصها . إن فعلت فعلت سرّاً ، وإن تركت تركت صلفاً ، وإن نطقت
نطقت تمويهاً [٢٤ ب] ، وإن سككت سككت تيهاً ، وإن أمنت أمنت
اغتراراً ، وإن خافت خافت احتذاراً ، وإن أيت أيت اقتداراً ،
وإن أجابت أجابت اضطراباً ، وإن ألفت ألفت إغلالاً^(٤) ، وإن ملّت ملّت
استلاباً ، وإن طمعت طمعت مصانعة ، وإن تسلّت تسلّت قانعة . ثم إنها

(١) يقال رجل موظوب : أي تداولت النوائب ماله ، ووظب عليه
داومه ولزمه .

(٢) قرفه بكذا : اتهمه به .

(٣) الذابة الحرون هي التي إذا استدّرّ جرّيتها وقعت .

(٤) أي خيانة ، من أغلّ إغلالاً : خان .

لا تجد مصحوبها مع اختلاف فنونها إلا علة لها وبالأعلى عليها وأخذاً فيها .
 هذا طرف من شأنها . فأما ما يتفضل منها وينفصل عنها ويتصل بها ويصل
 إليها فهو يدل عن خلس الطرف ، فضلاً عن تصوير ذلك بحرف بعد حرف ؛
 عين تروى للقلب ، وقلب يتووى بأحكام الكرب ، وشوق يوهن أركان
 الجسد ، وتيه يهيج الحاسد على الحسد ، وينفث النفثات في العقدة ؛ ونفس
 لولا طروق الخيال بنواحيها لكانت تزهى ، وروح لولا إلغام المنى بجواشيتها
 لكانت تزهى . وحال لولا تكفل المولى بنظامها لكانت تمحق ،
 وحشاشة لولا صنع اللطيف بها لكانت تتهرق . فيها أنا قد سبحت في لجة
 الأفكار ، وضرت منها إلى نوع من القلق :

أضرت نفسي في نفسي كما انطبقت

أجفان عيني على الأشفار والحدق

إن رمت إدراك عزت موارده

وإن قصفت خلاصاً منه لم أطلق

أحتت النفس أن القرب يؤنسني

وإن وصلت إليه عنت من فرق

لا تعجب فإني قد ذهبت^(١) كما

بذهي سواه الدجى من شقرة الشفق

اسمع حديثي ، وخذ من طيبي وخبثي : أشهدني ألا كوان منخرقة
 بأخبار وأعيان ، فتلقني من بها تشويقاً ، ثم حلقني^(٢) عنها توفيقاً ، ثم لم ألبث

(١) ذها : تكبر .

(٢) حلقه عن موضعه : أزاله عنه .

إِلَّا هُنَيْبَةً حَتَّى أَدَجِنِي فِيهَا وَأُدْرَجَنِي مَعَهَا . فَلَمَّا تَسَيَّبَتْ^(١) هُنَاكَ قَلِيلًا فَتَحَتْ
بَصْرًا [١٢٥] كَلِيلًا ، وَجَرَرَتْ حَبْلًا طَوِيلًا ، فَرَأَيْتَ هُنَاكَ خَلْقًا يَمُشِقُ
خَلْقًا ، وَخُلُقًا يَقْتَضِي خُلُقًا ، فَطَلَبْتُ قِرْقًا فَلَمْ أَجِدْ قِرْقًا ، ثُمَّ أَسْنَدْتُ إِلَيْهِ
تَهَاوِيلَهُ وَأَفَاعِيلَهُ تَمَلُّسًا مِنْ إِضَافَةِ الْمَلِكِ ، وَخَيْفَةً مِنْ مَوَاقِمَةِ الْكُلُوكِ ، فَسَلَّطْتُ عَلَى
السَّنَةِ مُرَّعَةً بِالتَّقْصِيرِ ، وَأَظْهَرْتُ أَهْوَالَ مُرَّوَعَةٍ بِالتَّكْبِيرِ ، حَتَّى كَانِي
تَبَيَّنْتُ عَنِ الْكُونِ نُبُوءًا ، وَسَمَوْتُ عَلَيْهِ سَمَوًّا . فَلَمَّا أَخَذْتُ بِمُخْتَلِقِي فِي هَذَا
الْوَقْتِ ، وَمَنْعَنِي مِنْ أَنْ أَهْتَفَ أَوْ أَكْشِفَ ، عَطَفْتُ لَانْتِذَا بِالْأَسْفَارِ عَمَّا دَهَانِي
بِهِ الْإِسْتِتَارُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ كَذَلِكَ جَبَسَنِي فِي نَفْسِي ، وَوَدَفَنِي فِي رَمْسِي ، وَسَلَبَنِي
رُوحِي وَأَنْفُسِي ، وَغَيَّبَ عَنِّي قُرَى وَشَمْسِي ، وَحَسَمَ حَسِي عَنْ غَدِي وَأَمْسِي .
قُلْتُ بِلِسَانِ الْعَدَمِ : يَوْلَى الْقَدَمِ ! أَمْعَاقُ فِي عَشْقِكَ أَنَا ؟ قَالَ : بَلِ مَعَاقِبُ
أَنَا فِي صَدْرِكَ فِي عَشْقِكَ . قُلْتُ : سَيِّدِي ! فَمِلْ وَرَاءَ الصَّدَقِ غَايَةً ، أَوْ هَلْ
فَوْقَ الْعَشْقِ نَهَايَةٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! غَيِّبْكَ عَنْ صَدْرِكَ بِرُؤْيَا صَدِيقِكَ ،
وَعُزُوبِكَ عَنْ عَشْقِكَ بِاسْتِيلَاءِ عَشْقِكَ . فَفَعَلَهَا صَرَخْتُ مُسْتَفِينًا وَقُلْتُ :
فَمَا حِيلَةٌ مِنْ إِنْ أَدْنَيْتَهُ أَبْلَيْتَهُ ، وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ جَلَّيْتَهُ ، وَإِنْ عَرَّيْتَهُ حَلَّيْتَهُ ،
وَإِنْ وَارَيْتَهُ أَرَيْتَهُ ، وَإِنْ سَكَّنْتَهُ هَيَّجْتَهُ ، وَإِنْ قَيْدْتَهُ أَمْرَجْتَهُ^(٢) ، وَإِنْ آوَيْتَهُ
أَرْجَعْتَهُ ، وَإِنْ أَرْدْتَهُ أَدْرَجْتَهُ ، وَإِنْ مَقَّتْهُ اسْتَدْرَجْتَهُ ، وَإِنْ أَرَوَيْتَهُ أَعْطَشْتَهُ ،
وَإِنْ تَرَأَيْتَ لَهُ أَدْهَشْتَهُ ، وَإِنْ أَحْوَجْتَهُ خَيَّيْتَهُ ، وَإِنْ أَطْلَعْتَهُ غَيَّبْتَهُ ،
وَإِنْ اسْتَدْعَيْتَهُ سَيَّيْتُهِ ، وَإِنْ حَرَكْتَهُ وَقَفَّتَهُ ، وَإِنْ سَتَرْتَهُ كَشَفْتَهُ ، وَإِنْ أَمْنْتَهُ
خَوَفْتَهُ ، وَإِنْ حَرَمْتَهُ أَسْعَفْتَهُ ، وَإِنْ سَكَّنْتَهُ شَغَفْتَهُ ، وَإِنْ أَتَّحَفْتَهُ أَتْلَفْتَهُ .

(١) تسبب الماء : جرى وسال .

(٢) أخرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت .

وإن أنلفته شَرَّفه . فكل الذى منك به عجب ، وكل الذى فى منك شجب ،
ولا غير له فما هذا الخبير ، وليس غيره قبل من أثر ١٩

يا هذا ! زين حقيقتك بالحق كما زين ظاهرك بالخلق ، ولا تجهل [٢٥ ب]
صِرف ما بين الزينتين ، فإن إحداها ظل الأخرى ، والشخص أشرف من الظل
لأن الظل تابع له ومنبث عنه ، والظل لا يكون إلا للشخص ، وقد يكون
الشخص ولا ظل .

أدرك الإشارة المدفونة فى العبارة ، والإيماء الذى فى الإيماء ، والإيماء
الذى فى الإنباء ، والإنباء الذى فى الإغراء ، والإغراء الذى فى الإسرء ،
والإسرء الذى فى الإيفاء ، والإيفاء الذى فى الإبراء ، والإبراء الذى
فى الإشفاء ، والإشفاء الذى فى الإغفاء ، والإغفاء الذى فى الإلقاء .

أما الإشارة المدفونة بالعبارة ، فهى التى نجافت العبارة عنها لأنها
استصعبت تركيب الحروف ، ولطفت الإشارة عنها لأنها تزهت عما يتحكم
فى الأسماء والأفعال والظروف . وأما الإيماء الذى فى الإيماء فسر حرّم
إعلانه فى الثانى لما وجب كتابته فى الأول . وأما الإيماء الذى فى الإنباء
فلمشاهدة بدت فى عرضة من الحق . وأما الإنباء الذى فى الإغراء فلا يرتقى
حتى تكون مناراً للخلق . وأما الإغراء الذى فى الإسرء فلمحو ما دون
الأول توحيداً للأول . وأما الإسرء الذى فى الإيفاء فليُبدّل السبيل
لسالكيه إلى المحل الأعلى . وأما الإيفاء الذى فى الإبراء فليصع الطلوع
على المراد بلا حاجز يؤذى ولا ظن يقضى . وأما الإبراء الذى فى الإشفاء
فليعتدل القتاتل من أجله ^(١) الذى همت الدوع بالعمق ^(٢) والتهبت الضلوع

(١) كذا ولعل فيه تقدماً وتأخيراً أصله : القتاتل الذى من أجله همت ...

(٢) كذا ، ولعل أصله : الفرق جمع غرقه ، مثل الشربة من اللبن .

بالحرق . وأما الإشفاء الذى فى الإغناء فهو من باب الطليقة التى طال
فى الفحص عن حقيقتها الخوض ، ونقص من أجل الإقبال على معرفتها الروض .
وأما الإغناء الذى فى الإلقاء فللعجوبة التى حار بسببها البصر وعدم على ذلك
كل وزر عصر . هذه جُنة لا يفتحها — عافاك الله — هؤلاء المطارون ، أغنى الذين
يعرقهم قسهمكون^(١) ، ويدقون ويسخنون ، ويرقون ويركبون ، ويمزجون
ويخلطون ويغلظون . هذه جُنة^(٢) لا يملكها إلا العارفون ، ولا يتطيب
منها إلا الواجدون [١٢٦] ، ولا ينظر بها إلا الواصلون ، ولا يتجر منها
إلا الغر المحجلون ، ولا يعبق برمجها إلا الأفراد الموحدون : وحدوا فوجدوا ،
وتوجدوا فاتحدوا ١٥ .

يا هذا ! أين نحن ؟ حدثنا عنا فقد طحنا . ما هذا ، وليس لنا من هذا
الديوان إلا الحديث ، ولا من هذه الجنة إلا الخبر ؟ فكيف بنا لو عاينا
هذا الخبر ، وشاهدنا هذا المنظر ، وقطعنا هذا المعبر ، وظفرنا بهذا الخبر !
الله أكبر ! الله أكبر ! من أحبنا أفلس ، ومن أبغضنا توسوس ؛ هذا
سرورنا ، من شاء يلومنا . هذا غداؤنا وعشاؤنا ، فليكد حسادنا وشناؤنا^(٣) ! ٥

يا هذا ! خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام .

مت فداء الصمت خير لك من هذا الكلام

أتدرى بأى شيء أولمت ؟ أتعلم عن أخبرت ؟ أنشعر عن عرفت ؟ ألك خبر
عن هو أولك وآخرك ، وغائبك وحاضرك ، ومطلقك^(٤) ، ومفرقك وجامعك ،

(١) السبك : ربح كريمة ممن عرق ، والفعل سبك من باب فرح .

(٢) الجنة بالضم : سائلة منسأة آدمياً تكون مع العطارين .

(٣) جمع : شانىء .

(٤) كذا ولعل هنا نقصاً .

- وضارَكَ ونافعَكَ ، وُمُغَّرَبَكَ وُمُبْعَدَكَ ، ومُصَوَّبَكَ ومُصْعَدَكَ ، وفَاتَقَكَ وراثَقَكَ^(١) ،
 وظاهرَكَ وباطنَكَ ، وخافِكَ وعانَكَ ؟ بل هل لك خبر عَمَّنْ كَأَنَّهُ أَنْتَ وليس بك ،
 وكَأَنَّكَ هُوَ وليس به ؟ بل فيكَ منه ، وعليكَ عنه ، أَعْنَى كَأَنَّهُ أَنْتَ
 لما دعاكَ واجتباكَ ، وخاطَبَكَ وناجاكَ ، ووقاكَ حقَكَ واصطفاكَ ؛ — وليس بك ،
 لأنكَ مع الغنى محتاج ، ومع الاعتدال منعاج^(٢) ؛ — وكَأَنَّكَ هُوَ لأنكَ متناول
 إلى نعوتِهِ ، وشديد العشق لمشافهته باقتناء المعارف ، والصبر على المخاوف ،
 والتعرض للمتألف ؛ — ولستَ به لأنكَ مع هذا الجهد المبذول ترجع إلى حد
 مردُول ، وتتميز بشكل ليس له قَبُول . بل فيكَ منه ، لأنه لولا منأَمِيهِ^(٣) قَبْلَكَ
 ما عرفته ، ولولا أَنَّكَ عرفته ما وصفته ، ولولا أَنَّكَ وصفته ما اشتقت
 إليه [٢٦ ب] ، ولولا أَنَّكَ اشتقت إليه ما تهالكت عليه . وفي الجملة ، لولا
 أثره فيكَ ما عَزَفْتَ نفسك عن سواه ، ولا ذَوَبْتَ كَمَلِكَ في هواه . وهكذا
 عَنَّكَ عنه لأن الآثار فيكَ بَيِّنَةٌ ، والأخبار عنكَ متظاهرة — أَعْنَى بِالْآثَارِ
 ما أَنْتَ به خَلْقٌ ، وأَعْنَى بِالْأَخْبَارِ ما أَنْتَ به رَبٌّ . فَاحْظُ الآنَ هذه الأسرارَ
 بعين لم تَخْلُقْ من لحم ، ولا رُكِّبَتْ من شحم ، ولا جُعِلَتْ على طبقات ، بل بعين —
 إلا أن هذه بالإطلاق في حَالِي الغنى والإملاق — هي العين التي سحرت العيون ،
 هي العين التي نضبت من أجْلِهَا العيون ، هي العين التي بها جرت العيون ،
 هي العين التي لها دمت العيون ، هي العين التي اغرورقت عند ذكرها العيون ،
 هي العين التي فاضت منها العيون ، هي العين التي انتهت إليها العيون ،

(١) ص : فاتَقَكَ وأَرثَقَكَ .

(٢) أى مُعَوَّجٌ .

(٣) جمع مَنِيحَةٍ : أى نَعَمٌ وهَبَاتٍ .

هي العين التي ليس لها جفن ولا أشفار، ولا حجاب ولا طرف ولا اختلاج ،
هي العين التي غُضَّتْ لها الميرون حياء ، ثم حُدَّتْ الميرون نحوها استجلاء .

يا هذا ١ كم تعذبني وتؤذيني ، وتحجبني عن مصالح شؤوني ، بشرح
فتوى وفنوى ! والله ما نحل لك ، ليس هذا من حق الصحة ، ولا من ذمام
العشرة ، ولا من حسن العهد في الصداقة . أُبَيُّ عَلَىَّ لِي ، وَإِلَّا فَأُبَيُّ لَكَ .
ما هذه المطالبة الشديدة ، وهذه الهزة المثلثة ، وهذه الفظاظلة المستعملة ،
وهذه القسوة المتكافئة . أرسل حياي^(١) وأطلب مني ما أملك ، ولا تَشُقَّ عَلَى
فلست من حجر ولا من حديد . « كم يحملون على ضعفي فأحتمل » . تستنظفني
في المعرفة ، وتحولني إلى التوحيد ، وتحادني في البيان ، ولا تقابلني بالرفق ،
وتجري كأناك جواد ، وتقف كأناك كودن^(٢) ، وتوهم كأناك حر ،
ثم تعجز كأناك عبد ، وتمدُّ بأعك إلى ما يقصر عنه ، وترمي بوجهك
إلى ما يفرق منه .

ما هذا بالرأي السديد ولا بالهدى الرشيد ، ولا بالحزم الجليل ، ولا بالعزم
المهيد . سَلْ — هداك الله — عن آفات الأعمال ، وعن وساوس الضمير ،
وعن قلل الجوارح ، أعني اللسان عند انطلاق لفظ ، واللحظ عند [٢٧]
تسريح لفظ ، وما شا كل ذلك من جلسة غير لائقة بالعبد ، وتكآة غير مستحبة
من ضيف ، ومن رقدة في غير حينها أو في غير مكانها ، أو من أدب قد ساء ،
ولا بدء من الانحراف عنه والرياسة دونه عن نية الثابت في العبادة ،
وعن حال رائت في تحقيق الزهادة ، ونسل عراض في طلب الزيادة .

(١) كذا ولعلها : حسابي .

(٢) الكودن والكودني : البغل والبرذون .

فأما المعارف والإلهيات وما هو في حوزتها ويمجى في جملتها فما يحل أن تكابرني
عليها ، ولا أن تجاذبي إليها ، ولا يحل لي أيضاً أن أعقد بيني وبينك جسراً
من الخياء فتعابر عليه على وقاحة لا تليق بنا في السؤال والجواب . لم لا نقبل
على أنفسنا فقرم منها ما قد انأذ من هذه الأخلاق الفاسدة ، والعادات الخبيثة ،
حتى إذا تقينا من أدناسها ، واستضأنا بأقباسها ، وتأهينا بأفاسها ، واختلطنا
بناسها ، حيث نرى نروم من هذا الحديث حرفاً بعد حرف على طريقة أهل الأدب
الحسن ، وعادة ذوى الحكم والفطن ؟ اللهم تفيض لنا منك ما يقفنا على صراطك
المستقيم ، ويؤمننا من الزلل في سواء الجحيم . قدّر يا قديم ، يا حلیم ، يا كريم ،
يا ذا الجلال والإكرام !

١٠

رسالة (ط)

١٥

اللهم ! رَوْحُ صدورنا بنسيم وُدِّكَ ، وانحر أرجاء قلوبنا بنواصر من رِفْقِكَ ،
وأدقنا حلاوة بَرِّكَ ، ومَلَكْنَا مقاليد مُلْكِكَ ، وَجُدْ علينا بِكَ ، وَخَلِّ بيننا
وبينكَ ، وَجَلِّ أَبْصَارنا إِلَيْكَ ، واغضضْ أعيننا عن غيرِكَ ، وأسلفنا كرامتك ،
وسهلْ مقاديرنا في الإيجاب لك والاستجابة لك والصبر معك . واجعل أرواحنا
مغارس معرفتك وألسنتنا قواطع وصفك [٢٧ ب] ونعمتك في قدرتك وحكمتك ،
وإذا عطشنا فَرِّوْنا ، وإذا ضَعُفْنَا فَتَوِّنا ، وإذا اعوججنا فَسَوِّنا ، وإذا ضَجَرْنَا
فَأَوِّنا ، وإذا اعتلانا فِدَاوْنا ، وإذا كَدَرْنَا فَمَسِّنَّا ، وإذا دَلَسْنَا [اسنا شا]^(١)
فَنَقِّنَّا ، وإذا فسَدْنَا فاستصلِحنا ، وإذا أنكرناكَ فَعَرِّفْنَا ، وإذا جهلناكَ
فَعَلِّمْنَا ، وإذا تَسَرَّنا عليك فسهِّلنا ، وإذا افتقرنا فَاغْنِنَا ، وإذا بَنَّا منك

(١) كذا ، ويلوح أنه خطأ مضروب عليه .

فصلنا بك ، وإذا التوينا عليك فتومنا لك . أيها الصاحب المؤثر للطائف
 البر ، السكّام لتوأمض السرّ ، الحافظ لأعيان الغيب ، الطاهر من أدران
 الريب ، الشاكر على اليسير من النعمة ، الراعي للقليل من الحرمة ، المتمكن
 في درجات المعارف ، المنجّر من سكرات المتانف ! متى انفتح بصرك لطلب
 حياة نفسك ، وانشرح صدرك في تعرف كمالك وفضلك ، وانجاب عنك
 غبايتك ، فبدت لروحك منك غايتك ، وحنّ فؤادك إلى الفحص عنك بما يحقق
 يقينك ، ويجمع لك صفتك ، ويحرس عليك سمّتك ، ويوجدك بك ،
 ويصفيك منك ، ويهيئك لمن هو أولى بتصرفك ، وأملاك لتصرفك ،
 وأدلم بصرفك ومتصرفك — فتابل ذلك كله بالقبول ، واستترّ عليه بالصبر .
 وصل الصبر بالاستسلام ، وامرّج الاستسلام بالتوكل ، وحلّ التوكل بالمحبة .
 وثبتّ المحبة بالصدق ، وجلّ في أثناء الصدق بالإخلاص ، ومُجّ في الإخلاص
 بالوجد ، ووجد في الوجد بالوجود ، فهناك مكانك ومعانك ^(١) ، وهناك سرارك
 وعِلانك ، ونكرانك وعِرْفانك ، وولايتك وسلطانك ، وحجّتك وبرهانك ،
 وهناك أنت أنت سلاطة المعرفة ، ومُصّاص ^(٢) التوحيد ، وصفو الحق ، [١٢٨]
 وعين الدين وكنه الكنه ، فلعالك إذا شخصت عنك بالسلامتك ، وانساخت
 منك بشخصك ، وبايتك مباينة ، وعمايتك معاينة ، وكنت فيما كنت غير كأن
 تصلح لمنادمة من هو أولك وآخرك ، وتؤهل لمواصلة من هو وليك وناصرك .
 هذا دَرَوُّ من النجوى في هدايتك وإرشادك ، ونُبْد من الشورى يجديه
 السبيل إلى استقامتك وسدادك ، فإن هتّت لها روحك وثاب إليها عقلك ،

(١) المعان : المباءة ، المنزل .

(٢) المصّاص (بضم الميم) : خالص كل شيء .

وثبت عندها شرك ، وانخذل عنها اعتراضك ، وانجلي دونها امتعاضك ،
 فازدد منه ازدياداً ، لا تنفر قواك عن القبول ، ولا تحل غراك عن القيام بالفروع
 والأصول ، ومتى سمعت — في مطاوي حالك ومناشرها ، وفي مباشر شؤونك
 ومعاشرها — هاتف العقل فلا تحفل به ، ومتى أحسست في مُفترقِ حالك
 ويجمعها ، وفي مظن ممالك ومرام ، بهاجس الحس فلا تمج عليه ، ومتى أوجست
 في ممتدك ومعتمدك ، وفي منافحك ومقاتلك خيفة من تسويل نفس وتزيين
 هوى — فلا تفرق منه ولا تنجذب إليه ، بل تقبل كلمة أخرى ، فيها صحتك
 وسلامتك ، ورفعتك وسعادتك . اصف من كدر النفس العائقة لك عن معاني
 القدس الثلاثة بك ، فإن في صفائك اتصال بقاءك ، وفي كدرك دوام فناءك ،
 ولا تركب بحر البحث فتنرق ، ولا تنص على عمقه فتتوى ^(١) . إن عجرت
 فلا تستعف استعفاء المتخوفين ، وإن مرضت فلا تستشف استشفاء المترفين ،
 وإن ملأت فلا تستكف ^(٢) استكفاء المتعينين ^(٣) .

يا هذا ! إن كنت تسمع ما يسمع فأقبل واستبشر به [٢٨ ب] . وقم عليه
 بالحق ، وكنه بالصدق ، ولا حظ أمام ذلك قديم إحسانه إليك وغريب امتنانه
 عليك ، وغامر أياذيه لك ، وصوافي مواهبه عندك : كيف أظهر بك قدرته
 البالغة ، وكيف قلبك في رنمه السابغة ، وكيف عجبك من صنعته الرائعة ،
 وكيف دللك على معرفته البارعة ، وكيف قربك من حقيقته الشاسعة ، وكيف
 آمنك من سطوته القارعة ؟ يحوشك بهذه الأعاجيب إلى نفسه حوشاً بعد حوش ،

(١) توى توى (كرضى) : هلك .

(٢) استكف الشيء : استوضحه بأن يضع يده على حاجبه كمن يستظل

من الشمس .

(٣) المعين : الذي يتمكن عن طريق الطير .

وينوشك بهذه الأساليب إلى أَنَسِه نَوْشًا يَعد نَوْش . كل ذلك لتعرف لُحْفَكَ
ولُغْفَكَ ، وتُحْرِز نصيبك ، وتبادر < إلى > مالك ، وتنفي شينك ، وتنتقي
زينك ، وتدخر ما يأخذ بيدك ويجذب بضبعك ^(١) ، ويرفع من طرفك ، ويُثلي
من كدك ، وينجو ^(٢) لنفسك ؛ ولتكون مستضيئًا بمصباح دينك ، مسديرًا ^(٣)
متجلببًا بجلباب عبادتك ، متسرلاً بسر بال زهادتك . وأنت على عادتك
في الفتور والنفور ، مؤثراً لخاوض الظلمات على النور . لم ذلك ، ولم ذلك ،
وفيم ذلك ، وعلام ذلك ؟ أما أراح عُنُوك ؟ أما وقّر طائفتك ؟ أما شهِجَ سبيلك ؟
أما وضح دليلك ؟ أما رفق بك ؟ أما أخذ بيدك ؟ أما أنعم إليك ؟ أما أحسن
إليك ؟ أما حباك في وهلك ؟ أما ساخ في سرك ؟ أما سكن حرَمك ؟ أما قبل
بِرَّك ؟ أما قَدَّم إسماعلك ؟ أما نَظَّم الطائفة ؟ أما قَدَّى عينك ؟ أما أمد لولك ؟
أما آثر نجاحك ؟ أما قَدَّم غِيَاثك ؟ أما نصر وليك ؟ أما خذل عدوك ؟ بلى ،
ولكن الإنسان لربه لَكِنُودٌ ^(٤) ، ولآياته عَنِيدٌ ، ولِنِعْمِهِ جَحُودٌ .

أيها الممتع المؤنس ، والمفرج المنفس ! أما سمعت من قال : أين قُتِلَتْ ثَمَارُ
العُنْبِي ؟ قُتِلَ له : حيث تُغْرَسُ أشجار البلوى . قتال : قتل [١٢٩] يُقْضَى ذمام
الصحة ؟ قُتِلَ له : إذا سكن في مساكن الغربية ، يتجرع الكربة بعد الكربة .
يا هذا ! لا تكذبن ولا تخدعن ولا تقمرن ^(٥) ولا تسحرن . فالحديث ذو شجون ،
والحال مختلفة الفنون ، والأمر في الجملة مظنون ، والإنسان فيما بينهما مغبون

(١) الضَّيْع : الضَّئِد .

(٢) ص : منحوا .

(٣) كذا ، ولعل هنا نقصاً .

(٤) كفور بنعمة ربه .

(٥) قَمَر الرجل (من باب علم) : تحير بعمره من التلج ، أرق في القمر .

مفتون . ولكن على كل حال : كَلِّحُ الظاهر خير من بُغَضِ الباطن ، وَعَتَبِ اللسان
أخف من حقد القلب ، وحياةٌ بِشِكِّ خير من موت يبتين ، وقليل يَنْقُذُ خيرٌ
من كثير ^(١) يَنْسَهُ ، ومُتَوَّهٌ يعلمُ أَشْفَقَ من مرشدٍ يجهل ، ونفاقٌ يُبْقِيَا أجدى
من تجاليع ^(٢) باستئصال ، وقابلٌ لعذرٍ أرحم من مُتَجَنِّ لغير ذنب ، وشاهد
بتعريف أبلغ من غائب بتسويق ، وخادعٌ ببيان أنصح من محقق بخبر .
هذا كلامي بعد ثقة أضرت بي ، ومثمةٌ سلبت لي ، وحالٍ تناجيك وتناجيك
وتشاكيك وتياكيك . ووصل الجد بالمرح ، ومزج العذب بالمالح ، وخلط العتب
بالصلح ، ليكون أغرب في غرائب العبرة ، وأذهب لمجائب الفكرة .

يا هذا ! إن سهر طرفك فأجعله يراعى محاسن وجهه ، وإن رقد جفحك فليلهو
بطييف خياله ، وإن ألحَّ فؤادك فليستمتع بالطمانينة إليه ، وإن تولى خبطك
فليتنفل بشهاب قبس منه ، وإن اعوجَّ لسانك فليرحم حالك معه ، وإن استنَّ
شكرك فليعلم مضاعف برّه عندك ، وإن حرج صدرك فليهبه أريحته إليك ،
وإن ارقان ^(٣) جأشك فليبينك خصوصية أنسه بك . دع ذا أيضاً ، فالخذ
أَمْضَى من أن يستراح إلى هذا ، واستيقن أنه هو انخضم والحقكم ، وقوله
النَّصْل والحقكم ، وأنه بك أبعدك منك ، ولك شوقك إليك . وفيك ظهر ،
وعنك استتر ، والظهور والاستتار [٢٩ ب] صفاتك ، وليست في الجملة غيره ،

(١) التسنُّه : التكرُّج ، يقع على الخبز والشراب . وخطام سنه : أتت عليه
السنون . وخبز مُتَسَنَّهُ : متكرَّج . وكرج الخبز كفرج ، واكثرج وكرج
وتكرج : فسد وعالته خضرة .

(٢) التجاليع : التصميم والاقدام .

(٣) رفا الرجل : سآته ، ورفا بينهم : أصلاح ، وأرفأ : جَنَحَ وامتشط ودنا
وأدنى وحاجى ودارى .

لكن ليس هو في التفصيل إياك . فإن خبّرت عن الاسم بالاصطلاح كان ضلالاً منك ، وإن خبّرت عن المعنى بالمعقول كان وبالاً عليك ، وإن خبّرت عن المعنى والاسم كان محالاً عندك ، وإن قلت المعنى أصل فالاسم فرع عليه ، وإن قلت : الاسم أصل فالمعنى غير مشارٍ إليه ، وإن قلت : المعنى والاسم أصلان فأيّهما يعول عليه ؟ وإن قلت : الاسم والمعنى فرعان ، فأين الأصل الذي تقف لديه ؟ هيهات أن يكون مُخبراً بلسان ، أو مضمرّاً بجنان ، أو مطوياً بقلب ، أو ملوياً بلب ، أو موهوماً بحدس ، أو مهموساً بهمس ، أو ملموساً بنفس ، أو محسوساً بحس ، أو معتولاً بعقل ، أو موجوداً بعيان ، أو مفقوداً بمكان ، أو موسوماً بزمان ، أو مُحَرَّفاً بنمت ، أو مُعَرَّفاً بوقت ، أو معرّفاً بالفت . حشو القلوب منه التخجيل المحض ، ونهاية الإنسية منه التمثيل البحت ، والحق من وراء ذلك على التخصيل الصرف .

أيها السامع ! هذا ديوانٌ مائضٌ ختمه منذ ختم ، وهذا بابٌ مافرع مذ أغلق وأبهرم ، هذا مقال ما استنبط ظلمه مذ كُفّم .

يا هذا ! أتى وجهت من هذا التعميق والترويق وطراً فاقضيه ، وإن فاتك فسلم لاهله ولا تقفئه ، لأن المترض على الخلق متعرض ينزوي الخلق ، فكيف المترض على الحق والمستزيد من الناس ممقوت ، فكيف المستزيد من إله الناس ! جهه المُقل في هذا الشأن كثير ، وإفضال المُترى فيه خطير ، وزُخرف القول فيه غرور ، وتجبهر اللفظ فيه تحيير ، وهتك السر فيه افترصاح ، وكتمان الحال فيه إيضاح . مقاد القول فيه سهل ، مراد القائل فيه صعب ، الرجاء فيه ممدود [٣٠] ، والحق به مصبود ، التلبيس فيه تأنيس ، التحريش فيه تنعيش ، التلّف فيه إنجاز ، الدلّ فيه إعزاز ، الدرك فيه فوات ، الموت فيه حياة ، الزمان فيه بالحق ممتد بلا زمان ، والخلق فيه عن الحق مرتد بلا بيان .

السلامة فيه غنيمة ، فكيف الغنيمة ؟ فيه ^(١) رطوبة ، فكيف الرطوبة ؟ البعض
فيه كل ، فكيف الكل ؟ ! أوه ! التبس الجهر بالسكتان ، وامتزج الخبر
باليمان ، واشتبه العدم بالكيان ، واختلطت الكرامة بالهوان ، واعتلق فقدان
بالوجودان ، وغار البيان في البيان فخلّ البيان ، واستنار الشان في الشان
فعرّ الشان . فلا جيمّ إلا وهو عاطل بعد التحلي ، ولا حق إلا وهو باطل بعد
التحلي ، ولا مزن إلا وهو سحّ بعد التولي . ولا قلب إلا وهو عاشق بعد التسلي
بحكم لا مرد له ، وساطان لا قبل به ، وقضاء لا متنفس فيه ، ورق لا عتق معه ،
وأسر لا فكك منه ، وعقب لا عتبي ^(٢) بعده ، وكرب لا تنفس عنده .
فما أقول وما أصنع إن كان لسان التناجي محصوراً ، وزمان التهادي مقصوراً ؟
فهلّم حتى نتشاكى وتبأكي ، لعلنا يُبرّد غليلاً أو نشفي غليلاً أو نجد
إليه سبيلاً . قد صرنا إلى حد المطب ، مُدّ استمر بنا كيده الزمان واستتب ،
واتهينا إلى حريم اليأس وعرصه القنوط ، لا يُجد لنا بعزاء ولا يفاض علينا
صبرٌ ، حتى كأنّ الذنب كله لنا ، وحتى كأننا شقين بنا وحرماننا أو بُدّ لنا
عنا . ها أنا أصرح وأقول : يا كيد الزمان ، ويا نكد الأيام ! عوجا على رسم
جسي فحذا حظك من بَسَمَى ورَسَمَى ، فما لك في ساحة هواي له مسكنٌ
ولا مَرَبَع ، ولا لك في حل عُقد حَيّ له مأمول [٣٠ ب] ولا مطمع . فنا بذاتي
وخالفاتي وحارباتي ، فما لك مني إلّا ما تريان ، ولا لك عندي إلّا ما تسمعان .
يا نسيم رُوح الاجتماع ، انصرف مودّعاً بأطيب لذة الشكوى . تباعد مَعْرِباً

(١) كذا ، وواضح أن هنا نقصاً .

(٢) العتبي : الرضا .

إن شئت أو مطالعاً . يا حلائل النجوى ! أحرى ! يا بوازع القلب اسلمى !
 يا نيران الحجر توقدى ! يا مضاجع البلوى تهدي ! يا غاية المنى تباعدي ! يا مقادير
 الدهر تراقدي ! يا حلاوة الهوى أهرى ! يا عاذلتى على جنونى اهتدي عني وقرى !
 يا مناهل العيش تكثري ! يا معارف الغيب تذكرى ! يا حشرات القلب تحرقى !
 يا أمستار الضمير تهتكى ! يا معالم الأنس بيدي ! يا عقب الهوى زيدي ٥
 ثم زيدي ! يا مصائب الدنيا اقصدي وائزلى بي ! يا عجائب الدهر والأيام
 تعجبي مني ! أترى برزت غليلاً طالما عهده يَغلي ؟ أترى ديناً طال
 ما يُقضى به مَعْلَى ^(١) ؟ أترى بلغت غاية نزعتم إليها يَجُورى وعدلى ؟ أترى
 تخلصت من معدن ضاق على بعضى وكَلَى ؟ أترى وصلت إلى من أفنيت له
 عمرى فى حِلَى ورحلى ؟ أترى أشقى غليل من أفنيت له فيه عِزّى وذلى ؟
 والله المستعان أخشى . — والله ما لى من هذا القول إلا عِناؤه ، وما لى من هذا
 المعنى إلا هبائه ، وما لى من هذا المد والجزر إلا عُناؤه ^(٢) . أستغفر الله من زلة
 أبكتنى دماً ، وأستقبله عثرة أوردتنى سقماً ، وأسترجه لعبرة قتلتنى ندماً
 أو سُدماً . اللهم اكفنا مُؤنة قول لا تُراد به ، وعائلة معنى لا تصح فيه ،
 وغيب أمر لا تكون عنده . اللهم اصرف عنا الشيطان وتعويله ^(٣) ، والهوى
 وتسويله ، والباطل وتعليله ، وأرنا منك الحق لتتوخاه بتوفيقك ولطفك اللذين
 هما تمام كل شىء وبهجة كل شىء .

(١) مَطْلُ الدِّينِ : التسويف به ، كالاتطال والمطال والماطلة .

(٢) الغناء : الزَّيْدُ .

(٣) أى التعويل عليه والاعتماد .

رسالة (ى)

[١٣٦]

يا لسان الوقت ، وواحد هذا الوري ، وعين الزمان ١ اسمع حديثي عن شوقي
إليك لاهب ، ووجد به غالب ، وعين نوحك رانية ، ونفس في يدك عانية ،
وكل عندك رهين ، وبعض بسوء إغفالك له ممين ، وجل إذا سبر كاسد ،
ودق إذا فتش قاسد ، وحال إن قام خطيبها بشرحها فصيح وافتضح ، وودعة
٥ إن طلبها صاحبها جرح واجترح ، ورأي كلما ضفى كدر ، وكلما عرف نكر ،
وأمر في الجملة لا ينادى وليده ، وسر في التفصيل لا تتأهى وفوده . ومما قد زاد
في بلوى^١ هذا الخطاب وحاشني إلى هذا الكتاب أتى قانط من عودك
إلى معبودى منك ، مرحوم في حالى التى ملك زمامي فيها لك ، طامع
١٠ في أريحية تحركك ، وفنوة تميم راقدة نشاطك ، وتطلع على شمس رحمتك ،
وتجلى^٢ على كرب الفتنة بك . وما اشتملت على هذه الأمور التى كنيت عنها
لنية تغيرت مني فيك ، ولا لسبب اقتضاني ذاك لتقصيرك ، ولكن لأنك
معدى عن محلى الهابط ، ومصون عن التفات ما يبتذلك ، ومراد بالخصوصية
التي هي غاية آمال الخلق . فهناك من أعطاك ما أعطاك ، ورنالك من سقاك
١٥ من سقياك ، وأعذك من عين تحيّل النهار ليلاً ، وتقلب السرور ويلاً ، وتجيّل
القطر سيلاً ، وطرح في قلبك رقة على من يناديك من بعيد فلا تحفظه ،
ويناجيك من قريب فلا تلمحظه ، ويسألك أن تعينه على أن يحوي لك
ما طاب لك ، ويموت فيك إذا أردت ذلك واخترت . وهذا دعاء إن سمع مني
كان حقلك فيه أسنى من حظي ، وقسطك منه أوفر من قسطي ، لأنك تعرف

(١) كذا ، ولعل أصله : بلوى .

(٢) كذا في الأصل !

بالفضل [٣١ ب] الذى وهب لك ، وشَهِرَ بالكرم الذى وقر عليك ، وتلذذ بالشكر الذى هو مطلوب الخلق . فَأَمِّن الآن — أحاطك الله — على دعائى ، وقَرِّبْ أَذُنَكَ من ندائى . خذ يدي من بلأى ، فَلَا نَأْبَى فى خدمتك وأزكى على طاعتك أشرف لك من أن أموت على هذا الكمد بلا رَوْح ساعة ، ولا فرح لحظة ، ولا نيل نعمة ، ولا تحقيق عِدَّة^(١) ، ولا تعليل بنظرة ، ولا إقالة عثرة ، ولا ستر عورة ، ولا قبول عِدَّة . فالجلالة والرفعة والكرم والرياسة فى إحياء مثلى واستبقائه ، لا فى إفنائه وإردائه^(٢) . سيدى ، انظر إلى ! سيدى ! أَقْبِلْ عَلَى . حبيبى ! اذْنُ منى ! صاحبى ! احفظ عنى . وإذا نظرت فارحم ، وإذا أقبلت فتكرم ، وإذا دتوت فجد ، وإذا حفظت فخذ . وإنما أردد فى هذا المكان لسان التلطف حتى تعيد على ما فقدته من التعطف ، وإنما أَكَلَفَ عيني البكاء حتى تنعم عليها بفرحة اللقاء ، وإنما أعذب روحي بالشوق إليك حتى تملكها بالأنس معك . وإنما أعيد فنون القول وأبدي ، حتى تفضل بما ملكك الله وتُسدَى . وإنما ألهج بذكرك عند القريب والبعيد ليكونوا شفعائى عندك ببذل المزيد . هذا على أنى ، وإن لم أقل بلسانى حرقاً ، فإن فؤادى يفيض بما فيه غرقاً فغرقاً ، لأنه طافح بجفائك ، نازح عن وفائك ، عارٍ من عطائك ، حالٍ بولائك ، فان بيلائك ، باق ببقائك ، مُتَمَنٍّ فى وصف علائك ، ومستغيث بالله من شدة غلائك . فهذا حديثى إذا سكنت ، وذلك شأنى إذا نطقت . قتل لى الآن : كيف المنجى^١ من هذا القضاء العاص ، وكيف الخلاص ولات حين مناص ! وهل الرجوع بعد هذا كله إلا إلى إطراق ياهب الأحشاء ، ويذرى الدموع [٣٢ ا] الغزار ، ويسد باب رَوْح الحياة ؟ أو إلى تهلل وجه بالتصنع

(١) العدة : الوعد .

(٢) أردى فلاناً : أهلكه .

وإنشاء حركة بين الإجابة والتمنع ، ولفظ مداره على الزخرفة ، ومعنى مجازة إلى السفسفة ، وليس بعد هذا القول قول ، ولا وراء هذا السكوت سكوت .
 اللهم غفري ! بلى ^(١) ! هناك ما يطوح نطق كل ناطق ويستغنى سكوت كل ساكت بواردات من ناحية الحق ليس يهلك فيها شيء من رسوم الخلق ، وإتمام هيئات نسيم ^(٢) زفت فترتمت ، ولطفت فتستجحت . من رام الخير عنها تاه ، ومن حدث نفسه بالظفر شاه . وكيف يكون ذلك وإنما هو كتمان في وجدان (وكتمان في ^(٣) وجدان) ، ونكرة في عرفان ، وعرفان في حدثان ، فالزمان لا يرممه سيجاً ، والباطن لا يجتاز سنجاً ، واللفظ لا يقوم به وزناً ، والمراد لا ينقاد له حزناً ، والدوى لا تمر به وهماً ، والجدال لا يحصّله فهماً . ذلك شأن لا يلوذ به نبأ ، ولا يطور ^(٤) به حلم ، ولا ينقر عنه بأين ، ولا يستمان عليه بكيف ، ولا تستعمل فيه ليم ، جلّ فدق ، ودق فجّل — أعنى جلّ في نفسه فدق على من رامه ^(٥) ، ودق في لطفه فجّل على من سامه . فطوبى لمن بصر فأبصر ، وأشهد فشهد ، وجلى عليه فكأنّ ، وخضّ به فتلذذ ، ووهب له فتقم ، وأهل له فنال ، واحتبى منه فأدرك . نعم ، وطوبى لمن سمع به فسأل عنه ، وتيل له فسعى من أجله ، وسرق في محله فاشتاق ، ورغب في حظه فنشط ، وهز إليه فاهتز . نعم ! وطوبى أيضاً لمن عجز عن هذا كله فتمنى ، وسأل عنها فتأوه ،

(١) ص : غفري بلى هناك .

(٢) زفت الريح : هبت في ضحى .

(٣) كذا في الأصل . وقد كان : وجدان في . . (كتمان) ثم ضرب عليه .

(٤) طار به يطور طوراً وطور راناً : قربه — يقال : «أنا لأطور بفلان» ،

أى : لا أحوم حوله ولا أدنو منه .

(٥) ص : رام .

وصمم وصفه فحنّ إليه ، والتدّ بحديثه فحنّ ، وتدله بوجهه فترع ^(١) ، وتوله
 بوجهه فتوسع . يا هذا ! أظن أن هذا أمر قليل وشأن حقير ؟ والله طالت
 زافرت الزافرين ، وبسببه [٣٢ ب] سركبت عبرات الباكين ، ومن أجله
 سهرت عيون المشتاتين ؟ ولولا ذلك قرت النفوس وسكنت الحركات وهدأت
 الأعضاء ، وخفت المون ، وزال التشكى ، وسقط النزاع ، وذهب الآنين ، وقُتد
 الرنين ، ورفع الحنين . هيهات ! وأنت لك بذلك والمهج تذوب خوفاً من فراقه ،
 والحدود تاطم حسرة على الفات منة ، والجيوب تشقق حرقة على ما عهد عليه ،
 والآمال تغفل إلى ما لعها لا تصل إليه . فهل يبقى بعد هذه ترتم باحن ، أو تنغم
 بشجو ، أو تطاول إلى مذكور ، أو تقاعد عن سرور ، أو تحدث بما يُجسى ،
 أو تخلص بما يُردى ويسدى ؟ ! بدأت في محادثتك على مذهب المترسلين
 الذين يبنون بكنائهم بالتمّة واليتيم ، فنشبتُ معك في فنون تضلّ فيه ضروب
 الخلق أجمعين . وهذا أيضاً من رواجع القصة ، وتوابع الإشارة ، وطرائف ما يبدو
 من باحة الغيب في ساحة الشهادة ، ويغيب من ساحة الشهادة في باحة الغيب .
 فإن طُلب فات ، وإن حُقق طاح ، وإن يُنس منه قابل ، وإن يُخيّر فيه استوسع ،
 وإن أُعرض عنه < تعرض ، وإن تُعرض له أُعرض . فكيف أصفه لك
 وأنا معذب بالرمز منه معك ، لأنى أذكرك ممجياً بك ، وأشتاق إليك نازعاً
 نحوك ، وأنشر فضلك تلذذاً بذكرك ، وأنت على سهوك أو على تساهيك ،
 أو على لهُوك أو على تلهيك . فإن كان ما لغوت ^(٢) طناً منى فيك فارفعه بيشر منك
 عند اللقاء ، أو بهنئة عند العطاء ، أو برأفة عند البلاء ، أو برحة عند اللأواء ،
 أو بفرج عند البأساء ، أو برقة عند الضراء ، أو ببرقة عند الغللاء ، أو بيزورة

(١) ص : فزع .

(٢) ص : ما لغول ؛ أو تغول ؟

عند شدة الغناء . وإن كان حقاً فاعترف بتقصيرك فإنه أبقي لسرفك ،
وأنت لسرفك ، وأدعى إلى حسن العدة منك ، وأقرب إلى اعتقاد البتة منك .
فما تقول — أبقاك الله — فيمن يُقنعه منك اعتراف بتقصير إن كان ،
أو إحسان بيسير إن [٣٣] وجدت إليه الإمكان ؟ وليس بعد هذه الملاوذة ^(١)

- مستزاد ، ولادونه لباغى الحياة مستزاد . فاعطف — يرحمك الله — على شيخ
قد نحكم فيه البلوى ، وأقام بين الحياة والردى ، لا يذوق أحدهما على تمامه ،
فيكون في ذلك رَوْحاً ونعيمه ، أو ما يحزن عليه صديقه وحيمه . فياوبخ
من هذا ذكركه ، ودلى هذا ظاهره وباطنه ، وإلى هذا الكنف عوده وبدؤه !
ما أحوجه إلى نعمة تبكى عليه ! وماذا تُغنى النعمة ، وماذا تنفع الباكية ؟
هل في ذلك إلا تعب لا يرد نفعاً ولا يدفع ضرراً ؟ وبعد هذا الأذان والتكبير ،
وبعد هذا التقدير والتقرير ، وبعد هذا التكسير والتحسير ، إن تأخذ معي بحكم
الفتوة التي هي فوضى بين أهلها ، بها يتوادون وعليها يتحايون ، ومن غرسها
يقطفون ، ودلى عرشها يكفون ، وإلى أركانها يعطفون ، وإلى قُلَمِها يُعرجون ،
ومن أبواها يخرجون ويلجئون . فإنك إن بَحَلْتَ على هذا القدر ذهب عشق
لك في الهباء ، وحصلت من حالى منك على العزاء . ولك والله قاصمة الظهر ،
وأبدة الدهر . والله يهديك إلى التي هي أشبه بحاسنك ، وأجدي في عرض
فضائلك . هـ .

- الاهم لا تؤاخذنى يا قبالى على خلتك ، وبمسئلتى إياهم على ما هو عتيده
عندك ، وبتواضعى لهم فيما أجده حاصلأ قبلك ، فإنما ذلك فزع منى
إلى كل من ادّعى وتحملى بحبك واتمنى إلى خدمتك ، وبفضل حتى لك أحب
كل محب لك ، ولفرط وجدى بك أجده بكل واجد بك ، أنت المطلع

(١) اللوذ واللياذ والملاوذة : الاستتار بالشئ والاحتضان به .

على خبأ الضمير ، والمحيط بكل مستور ، والمصافي كل من صافاك ، والموالي
 كل من والاك . لك الفضل في الثاني لأن لك الفضل في الأول ، وأنت الموجود
 في كل زمان ، والصاحب [٣٣ ب] لكل إنسان . لا تخفى عنك ذرة ، ولا تفوتك
 خطرة . تجزى بالحسنة أضعافها ، وتمحو السيئة عن أصحابها ، لك الآلاء الخفية ،
 والآيادي الجلية ، والآثار المكشوفة ، والأخبار المعروفة ، والآناس عليك ٥
 تتحرق ، والجباه من أجلك تتعرق ، والعيون إليك بالشوق تفرق . لك مع كل
 رُوح رُوح ، وفي كل قلب قلب ، وعلى كل فؤاد رقيب ، ومع كل نفس
 منفس ، وإلى كل بعيد مقرب ، وفي كل موجود دلالة . طلبت فلم توجد ،
 ووجدت فلم تُعرف ، وعُرفت فلم تُوصف ، ووصفت فلم تُلمح ، وشوهدت
 فلم تُذكر . وكيف لا تكون كذا وفوق ذا ، ونحن لا نحيط ببعض خلقتك ١٠
 على خوافي ما نظن فيه من حكمتك ، وبوادي ما ظهر عليه من قدرتك ؟
 وإذا كان عجزنا عن ذلك يفضحنا عندنا ، ويردنا علينا ، ويوارينا فينا ، ويخجلنا
 منا ، ويعكسنا إلينا ، — فما قولنا فيما خلا ذلك مما لا تحسه بمشاعرنا ، ولا نلحقه
 ببصائرنا ؟ على أن مشاعرنا بك تُحس ، وبصائرنا بك تلحق ، وكلنا لك
 وإن كنت أعزتنا ذلك ، وكلنا بك وإن كنا مفترين بذلك . ولَيْتَنا بأمرك ١٥
 ونهيك ، ثم وَلَيْتَنا بملك وإرادتك ، فعلينا أن نؤدى ما تقدمت به إلينا .
 وليس لنا أن نعرض عليك فيما تفردت به دوننا ، لأنك مالك قليلنا
 وكثيرنا ، ومُصرف أولنا وآخرنا ، والحاكم بما تراه فينا مما ساءنا وسرنا .
 يا أحكم الحاكمين ! يا أرحم الراحمين ! لك البسطة ، ولنا بها الضيقة . فقنا
 منك السَّخطة ، وإن وقفنا في الورطة ، ونُسَّنا في السقطة . ٢٠
 إلهنا ! إنا لا نمل من مواجهتك ، ولا نرؤى من مناجاتك ، ولا نسلو
 عن حبنا لك ، ولا نفسي أبداً ما نوالى علينا من نعمك . فنحن نذكرك

سراً وجهرًا [٣٤] ، وُحُلماً وَاَتْبَاهَا . وعلى كل حال تَلَوْنَتْ بنا ،
وفي كل مكان تَنَبَّرَ علينا . إِلَيْكَ نَتَسَبَّ ، وَرِضَاكَ نَكْتَسِبُ ، وَأُرْوَا حَنَا
فِي ظَلَبِ ذَاكَ نَحْتَسِبُ . فَضْلُنَا بِتَوْفِيقِكَ ، وَلَا تُعَرِّتْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ ،
وَلَا تُخَوِّجْنَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ . يَا مَنْ إِذَا أُغْنِيَ أَقْنَى ، وَإِذَا أَقْنَى أَقْبَى ،
وَإِذَا أُعْطِيَ أَسْتَى ، إِذَا الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ هُ .^(١)

يا هذا ! لك أحوال في يَفْقَظُكَ وَمَنَامِكَ ، وَحَرَكَتِكَ وَسُكُونِكَ ، وَغَضَبِكَ
وَرِضَاكَ ، وَأَخْذِكَ وَعِطَاكَ ، وَوَحْدَتِكَ وَلِقَائِكَ ، وَحِرْصِكَ وَعِفَافِكَ ،
وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَعِلْمِكَ وَجَهْلِكَ ، وَرِيَاءِكَ وَإِخْلَاصِكَ . فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ
فِي يَفْقَظِكَ وَمَنَامِكَ نَاطِرًا إِلَى اللَّهِ بَانْثُشِيَّةً وَالْحَيَاءِ ، وَفِي حَرَكَتِكَ وَسُكُونِكَ
أَنْ تَكُونَ وَازِنًا لَهَا بِالْعَدَالَةِ الَّتِي تَحْفَظُ عَلَيْكَ مَا لَكَ ، وَتَنْفِي عَنْكَ مَا لَيْسَ هُوَ لَكَ ،
وَفِي غَضَبِكَ وَرِضَاكَ أَنْ تَكُونَ ثَابِتًا عَلَى سَنَنِ : لَا يَزِيدُ هَيْكَ الرِّضَا وَلَا يَسْتَفْرِقُكَ
الْغَضَبُ ، وَفِي أَخْذِكَ وَعِطَاكَ أَنْ تَكُونَ : حَاضِرَ الذَّهْنِ مُتَوَقِّفًا مِنَ الْغُلْطِ
لَكَ وَعَلَيْكَ ، وَفِي وَحْدَتِكَ وَلِقَائِكَ : جَامِعًا لِمَالِكَ فِي قَضَاءِ الْحَقِّ عَنْكَ
وَلِغَافِلِكَ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ لَكَ ، وَفِي حِرْصِكَ وَعِفَافِكَ : مُتَحَاجِرًا عَنْ كُلِّ
مَا يَشِينُكَ ، وَفِي قَبْضِكَ وَبَسْطِكَ : عَلَى مَا سَلَفَ الْقَوْلُ فِي نَظَائِرِهِ مَعَكَ ،
وَفِي عِلْمِكَ وَجَهْلِكَ مُسْتَسْلِمًا لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِكَ مِنْكَ ، وَفِي رِيَاءِكَ وَإِخْلَاصِكَ :
أَوْيَا إِلَى مَالِكَ زِمَامِكَ وَخُطَامِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نُرْوِعُ^(٢) عَنْكَ بِجَهْلِنَا الَّذِي
ابْتَلَيْتَنَا بِهِ ، وَنُرِينُكَ إِلَيْكَ بَعْلَمَنَا الَّذِي كَاشَفْتَنَا بِهِ ، وَتَقِفْ حِيَارِي بَيْنَ أَمْرِكَ

(١) هنا ورد فوق حرف هـ : « نسخة أخرى » . وَأَقْنَاهُ اللَّهُ : أَغْنَاهُ
وَأَرْضَاهُ وَأَعْطَاهُ مَا يَتَنَبَّى مِنَ الْقَنِيَةِ .

(٢) رَاعَ الشَّيْءَ يَرْوِعُهُ وَيُرْوِعُهُ (بِالضَّمِّ) : رَجَعَ ، — رَاغَ إِلَى كَذَا : مَالَ
إِلَيْهِ سِرًّا ، وَفِي السِّكِّتَابِ الْعَرِيزِ : « فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِمْ » — أَيْ ذَهَبَ إِلَيْهَا خَفِيَةً .

الذى استصلحتنا عليه ، وبين علمك الذى أدركتنا فيه . وأعجب من هذا كله
 أنك بَصَرْتَنَا فَوَاتِحَ الْأَحْوَالِ [٣٤ ب] ، وَأَغْشَيْتَنَا عَنْ خَوَاتِمِ الْأَعْمَالِ ،
 فَتَنَى حَاوِلَنَا دَرَكَ الْقَرِيبِ بَعْدَ ، وَمَتَى تَطَاوَلْنَا إِلَى لِحَوقِ الْبَعِيدِ قُرْبَ .
 فَلَا مَا نَنَالُهُ يُوَسِّنَا بِالِاسْتِمَاعِ ^(١) بِهِ ، وَلَا مَا يَفْرَتُنَا يُوَسِّنَا مِنْ نَيْلِهِ بَعْدَ الْاجْتِهَادِ
 فِيهِ . إِلَهْنَا ! مَا أَعْجَبَ أَسْرَارَكَ فِينَا ، بَلْ مَا أَعْجَبَ شَوَاهِدَكَ عَلَيْنَا ، بَلْ مَا أَعْجَبَ
 جُهْلَتَنَا فِي تَفْصِيلَانَا ، بَلْ مَا أَعْجَبَ تَفْصِيلَنَا فِي جَهْلَتَنَا ! كَلَّمْتَنَا مَعْرُوفَكَ ، وَحَجَّجْتَنَا
 عَنْ كُنْهٍ حَقِيقَتِكَ ، وَشَوَّقْتَنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ سَدَدْتَ طَرِيقَنَا . فَوَحَقَّكَ لَا بَرَحًا
 وَلَا سَتَحْنَا ، وَلَا هَـأُنَا وَلَا سَكُنَا ، حَتَّى نَصِلَ إِلَيْكَ ، وَنَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ،
 وَنَقُولَ بِمَا لَدَيْكَ ، وَنَنْظُرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ نَظْرًا يوجب لَنَا رِضَاكَ عَنَّا ،
 وَإِقْبَالَكَ عَلَيْنَا ، وَنَسْمِعَ كَلِمَتَكَ الْعَلِيَا : « أَوْلِيَانِي ! إِنَّمَا أَتَعَبْتُكُمْ لِنَسْتَرِيحُوا ،
 وَإِنَّمَا أَشَقِيتُكُمْ لِنَسْعِدُوا . سَرَّيْ فِيمَكُمُ غَرِيبٌ ، وَشَأْنِي مَعَكُمْ عَجِيبٌ ، فَاسْتَبْشِرُوا
 الْآنَ » — وَالسَّلَامُ : ٥١ .

رسالة (يا)

سَأَلْتَنِي — رَفَقَ اللَّهُ بِكَ ، وَعَطَاكَ عَلَى قَلْبِكَ — [و] أَنْ أَذْكَرَ
 لَكَ الْغَرِيبَ وَمَحَنَهُ ، وَأَصِفَ لَكَ الْفُرْبَةَ وَعَجَائِبَهَا ، وَأَمُرَّ فِي أَضْغَانِ ^(٢) ذَلِكَ
 بِأَسْرَارِ لَطِيفَةٍ وَمَعَانِ شَرِيفَةٍ ، إِمَّا مُعْرِضًا ، وَإِمَّا مُصَرِّحًا ، وَإِمَّا مُبْهِمًا ،
 وَإِمَّا مُقَرَّبًا . فَكَانَتْ تَلِي أَنْ أُجِيبَكَ إِلَى ذَلِكَ . ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِي حَالِي
 شَاغِلًا عَنْكَ ، وَحَائِلًا دُونَكَ ، وَمُتَرَفِّقًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَكَيْفَ أَخْفِضُ

(١) ص : الاستماع .

(٢) أى : تضاعيف وثنائيا .

الكلام الآن وأرفع ، وما الذى أقول وأصنع ، وبماذا أصبر ، وعلى ماذا أجزع ؟
وعلى العلات التى وصفتها والقوارف التى سترتها أتول :

إنَّ الغريبَ يَحيثُ ما حَطَّتْ رِكائِبُهُ ذليلٌ
ويَدُ الغريبِ قَصرٌ وَلِسانُهُ أَبداءٌ كليلٌ
[١٣٥] والناسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُم بَعْضًا ، وَنَاصِرُهُ قَليلٌ

وقال آخر :

وما جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلَتْ ^(١)

دُمُوعِي ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبٌ

يا هذا ! هذا وصفُ غريبٍ نأى عن وطنِ بُنيِ بالما والعين ، وبعد
عن آلافٍ له عَهْدُهُم الخشونة واللين ، ولعله عاقرهم الكأْسُ بين الغُدُونِ
والرياض ، واجتلى بعينه محاسن الخلق المراض ، ثم إن كان عاقبة ذلك كله
إلى الذهاب والافتراض ، — فأين أنت عن قريب قد طالت غربته فى وطنه ،
وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكّنه ؟ ! وأين أنت عن غريب لاسبيل له
إلى الأوطان ، ولا طاقة به على الاستيطان ؟ ! قد علاه الشحوب وهو فى كَنٍّ ،
وعليه الحزن حتى صار كأنه شَنْ ^(٢) . إن نطق نطق حزنان منتظما ،
وإن سكت سكت حيران مرتدعا ، وإن قرب قرب خاضعا ، وإن يمد يمد
خاشعا ، وإن ظهر ظهر ذليلا ، وإن توارى توارى عاليلا ، وإن طلب طلب واليأس
غالب عليه ، وإن أمسك أمسك والبلاء قاصد إليه ، وإن أصبح أصبح حائل

(١) خَضِلَ (من باب فرح) خَضَلًا ، وَأَخْضَلَ وَأَخْضَلَ وَأَخْضَلَ : واخضوضل :
فَتَرَى وَابْتَلَى ، فَبُو خَضِلَ وَخَضِلَ .

(٢) الشَنْ (وبهاء) القُرْبَةُ الخَلْقُ الضَّعِيفَةُ ، والجمع : شَنان .

اللون من وساوس الفكر ، وإن أمسى أمسى مُتَهَبَّ السر من هوائك
السَّتر ، وإن قال قال هائباً ، وإن سكت سكت خائباً ، قد أكله الحول ،
وصَّه الذبول ، وحالفه النحول ، لا يتمنى إلا على بعض بني جنسه ، حتى يفضي
إليه بكامينات نفسه ، ويتمأل برؤية طلعتة ، ويتذكر لمشاهدته قديم
كُوْنَتِه ، فينثر الدموع على صحن خده ، طالباً الراحة من كده .

وقد قيل : الغريب مَنْ جَفَاهُ الحبيب . وأنا أقول : بل الغريب من واصله
الحبيب ، بل الغريب من تفاؤل عنه الرقيب ، بل الغريب من حاباه
الشريب^(١) ، بل الغريب مَنْ نُودِيَ مِنْ قَرِيب ، بل الغريب [٣٥ب] من هو
في غربته غريب ، بل الغريب من ليس له نسيب ، بل الغريب من ليس له
من الحق نصيب . فإن كان هذا صحيحاً ، فتعال حتى نسكى على حال أحدثت
هذه النقوة ، وأورثت هذه الجفوة :

لعل المجدارَ الدَّعْرَ يُقَبُّ راحةً من الوجد أو يشفي نجيَّ البلبال^(٢)
يا هذا ! الغريبُ من غربتِ شمسُ جماله ، واغترب عن حبيبه وعدَّاله ،
وأعرب في أقواله وأفعاله ، وقرب في إدياره وإقباله ، واستغرب في طوره^(٣)
وسرِّه . يا هذا ! الغريب من نطق وصفه بالحنة بعد الحنة ، ودلَّ عنوانه
على الفتنة عقيم الفتنة ، وبانت حقيقته فيه في الفينة حدَّ الفينة . الغريب

(١) الشريب : من يشاركك في الشرب ، من يستقي أو يسقى معك ،
النديم ، ويقصد به نديم المحبوب .

(٢) هذا البيت لدى الرُّمَّة (راجع دايونه ، نشرة مكارتي ص ٤٩٢)
بيت رقم ٢ . كبردج سنة ١٩١٩ م / ١٣٣٧ هـ .

(٣) الطُّر : الثوب البالي ، والسربال : القميص ، أو كل ما يلبس .

من إن حضر كان غائباً ، وإن غاب كان حاضراً . الغريب من إن رأيته لم تعرفه ، وإن لم تره لم تستعرفه . أما سمعت القائل حين قال :

يَمَّ التعلُّلُ ؟ لا أهلٌ ، ولا زمنٌ

ولا تديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكنٌ^(١)

هذا وصف رجل لحقته الغربة ، فتمنى أهلاً يأنسُ بهم ، ووطناً يأوي إليه ، ونديماً يحلُّ عُقدَ سِرِّه معه ، وكأساً ينتشى منها ، وسكناً يتوادم عنده . فأما وصف الغريب الذي اكتنفته الأحزان من كل جانب ، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب ، وتحسكت فيه الأيام من كل جاء وذاهب ، واستغرقته الحسرات على كل فائت وآتٍ ، وشقته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب ، — وفي الجملة ، أتت عليه أحكام المصائب والنوائب ، وحطته بأيدي العوائب عن المراتب ، فوصفٌ يخفى دونه القلم ، ويفنى من ورائه القرباس ، ويشلُّ عن بحسه^(٢) اللفظ ، لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر ، ولا رسم له فيشهر ، ولا طي له [٣٦] فينشر ، ولا عُذر له فيعذر ، ولا ذنب له فيغفر ، ولا عيب عنده فيُستر . ٥١ .

١٥ هذا غريبٌ لم يترشح عن مسقط رأسه ، ولم يترزعزع عن مهَبِّ أنفاسه . وأغربُ الغرباء من صار غريباً في وطنه ، وأبعدُ البُعْداء من كان بعيداً في محلِّ قُربه ، لأن غاية المجهود أن يساو عن الموجود ، ويُغض عن المشهود ،

(١) السكن (محرَّكة) : كل ما يستأنس به .

(٢) وشلَّ يشل : قلَّ وضعف واقتقر ، ومنه الوشل : الماء القليل .

والبحس : تفجر الماء ، ومنه : عين بحيس : غزيرة .

ويُقضى عن المعهود ، ليجد من يغنيه عن هذا كله بعتاء ممدود ، ورفد^(١) مرفود ، وركن موطود^(٢) ، وتحد غير محدود .

يا هذا ! الغريب من إذا ذكر الحق هجر ، وإذا دعا إلى الحق رجز .
الغريب من إذا أسند كُتب ، وإذا تظاهر^(٣) عُتب . الغريب من إذا امتار لم يمر^(٤) ، وإذا قعد لم يرز . يارحمتا الغريب^(٥) ! طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى !

الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله ، وإذا رآوه^(٦) لم يدوروا حوله .
الغريب من إذا تنفس أحرقه الأسى والأسف ، وإن كم أكمده الحزن والألف . الغريب من إذا أقبل لم يؤسع له ، وإذا أعرض لم يسئل عنه .
الغريب من إذا سأل لم يعط ، وإن سكت لم يُبدأ . الغريب من إذا عطش لم يشمت^(٧) ، وإن مريض لم يتفقده . الغريب من إن زار أغلق دونه الباب ، وإن استأذن لم يرفع له الحجاب اه .

الغريب من إذا نادى لم يُجب ، وإن هادى لم يُحب . اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك ، فآتسنا في فنائك . اللهم وأمسينا مهجورين عندهم ، فصلنا

(١) أى : عطاء معطى .

(٢) وطيد ، ثابت .

(٣) تنزه عن الأدناس . أو أصلها : تظاهر (بالظاء المضممة) ؟

(٤) مار عياله يمر ميراً وأمارهم وامتارهم : جلب لهم الطعام .

(٥) تذكر لبيت على بن الجهم :

يارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا ينتسه ضنما !

(٦) ص : راوده .

(٧) التشميت والتسميت : الداء للعاطس .

بِحَبَائِكَ ^(١) . اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عَادَوْنَا مِنْ أَجْلِكَ لَا تَأْذِرْنَا لَمْ فَتَفَرُّوا ، وَدَعَاؤُنَا
إِلَيْكَ فَاسْتَكْبَرُوا ، وَأَوْعَدْنَا بِعَذَابِكَ فَتَحَبَّرُوا ، وَوَعَدْنَا بِثَوَابِكَ فَتَجَبَّرُوا ،
وَتَعَرَّفْنَا بِكَ إِلَيْهِمْ فَتَنَكَّرُوا ، وَصَبَّأَكَ عَنْهُمْ فَتَنَمَّرُوا ؛ وَقَدْ [٣٦ ب] كُنَّا ^(٢)
عَنْ تَذِيرِهِمْ ، وَيَسْنَا مِنْ تَوْقِيرِهِمْ .

اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ حَارَبْنَا فِيكَ ، وَسَالَمْنَا لَكَ ، وَحَكَمْنَا لَهُمْ عَنْهُمْ لَوْجُحَكَ ،
وَصَبَّرْنَا عَلَى أَذَاهُمْ مِنْ أَجْلِكَ ، فَخَدَّ لَنَا بِحَقِّنَا مِنْهُمْ ، وَإِلَّا فَاصْرِفْ قُلُوبَنَا عَنْهُمْ ؛
وَأَنْسْنَا حَدِيثَهُمْ ، وَاكْفِنَا طَلَبَهُمْ وَخَبِيرَهُمْ .
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِ الْغَرِيبِ وَمَحْنَتِهِ ! إِلَى هُنَا بُلُغُ وَصْفِي فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ .
فَإِنْ اسْتَزِدْتَ زِدْتُ ، وَإِنْ اكْتَفَيْتَ اكْتَفَيْتُ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُكَ تَسْدِيدًا
فِي الْمُبَالَغَةِ ، وَلِي تَأْيِيدًا فِي الْجَوَابِ ، لِتَتَلَقَّ عَلَى نِعْمَتِهِ ، نَاطِقِينَ بِحِكْمَتِهِ ،
سَابِقِينَ إِلَى كَلِمَتِهِ .

يَا هَذَا ! الْغَرِيبُ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ كُلِّ حُرْقَةٍ ، وَبَعْضُهُ فُرْقَةٌ ، وَلَيْلُهُ أَسْفٌ ،
وَنَهَارُهُ كَهْفٌ ، وَغَدَاؤُهُ حَزَنٌ ، وَعِشَاؤُهُ شَجَنٌ ، وَآرَاؤُهُ ^(٣) ظَنَنٌ ، وَجَمِيعُهُ
قَتَنٌ ، وَمَفْرِقُهُ مَحَنٌ ، وَسِرُّهُ عِلَنٌ ، وَخَوْفُهُ وَطَنٌ .
الْغَرِيبُ مِنْ إِذَا دَعَا لَمْ يُجِبْ ، وَإِذَا هَابَ لَمْ يُجِبْ .
الْغَرِيبُ مَنْ > إِذَا < اسْتَوْحَشَ اسْتَوْحِشَ مِنْهُ : اسْتَوْحِشَ لِأَنَّهُ يَرَى
نُوبَ الْأَمَانَةِ عَمْرَقًا ، وَاسْتَوْحِشَ مِنْهُ لِأَنَّهُ يَجِدُ لِمَا بَقَلْبِهِ مِنَ الظُّلُمِ مَحْرَقًا .

- (١) الحَبَاءُ (بَكْسَرُ الْحَاءِ) : الْعَطِيَّةُ ؛ مَهْرُ الْمَرْأَةِ .
(٢) كَفَّتْ عَنْهُ أَكْبَعُ وَأَكْعَ ، كَيْعًا وَكَيْمُوعَةً : إِذَا هَبَّتْ وَجِبَّتْ عَنْهُ ،
فَهُوَ : كَائِعٌ ، وَهَمٌّ : كَاعَةٌ .
(٣) ض : وَرَوَاهُ . وَظَنَّنَ جَمْعَ ظَنَنَهُ بِالْكَسْرِ : تَهْمَةٌ . أَوْ : وَرَوَاهُ ؟
جَمْعُ رُؤْيَا .

الغريب مَنْ فَجَعْتَهُ مُحْكَمَةً ، وَلَوْعَتَهُ مُضْرَمَةً .

الغريب مَنْ لَيْسَتْهُ خِرْقَةٌ ، وَأَكَلَتْهُ سَلْمَةٌ ، وَهَجَعَتْهُ خَفَقَةٌ .

دع هذا كله ! الغريبُ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ اللَّهِ بِأَنْبَاءِ الْغَيْبِ دَاعِيًا إِلَيْهِ .

بل الغريبُ مَنْ تَهَالَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ . بل الغريبُ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ

قَالِيًا لِكُلِّ مَنْ سِوَاهُ . بل الغريبُ مَنْ وَهَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ مُتَعَرِّضًا لِمُجْدَوَاهِ .

يا هذا ! أَنْتَ الْغَرِيبُ فِي مَعْنَاكَ .

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِ الْغَرِيبِ ! اْعْمَلْ وَاحِدَةً وَلَا أَقِلْ مِنْهَا ، وَإِذَا أَرَدْتَ ذِكْرَ

الْحَقِّ فَانْسَ مَا سِوَاهُ ، وَإِذَا أَرَدْتَ قُرْبَهُ فَابْعُدْ عَنْ كُلِّ مَا عِنْدَهُ ، وَإِذَا أَرَدْتَ

الْمَكَانَةَ عِنْدَهُ فَدَعُ مَا تَهْوَاهُ لِمَا تَرَاهُ ، وَإِذَا أَرَدْتَ الدُّعَاءَ إِلَيْهِ فَتَبَيَّرْ مَا لَكَ

مِمَّا عَلَيْكَ فِي دَعْوَاهُ . — طَاعَاتُكَ كُلُّهَا مَدْخُولَةٌ ، فَلِذَلِكَ مَا هِيَ لَيْسَتْ مَقْبُولَةٌ .

هَمَمُكَ كُلُّهَا فَاسِدَةٌ ، فَلِذَلِكَ مَا لَيْسَتْ هِيَ [١٣٧] صَاعِدَةٌ . أَعْمَالُكَ كُلُّهَا

زَائِفَةٌ ، فَلِذَلِكَ مَا لَيْسَتْ نَافِعَةٌ . أَحْوَالُكَ كُلُّهَا مَكْرُوهَةٌ ، فَلِذَلِكَ مَا لَيْسَتْ

هِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَيْلَكَ ! إِلَى مَتَى تَسْتَخْجِعُ ، وَعِنْدَكَ أَنْتَ خَادِعٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَظُنُّ

أَنْتَ رَاجِحٌ ، وَأَنْتَ خَاسِرٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَدْعِي ، وَأَنْتَ مَنفِي ؟ وَإِلَى مَتَى تَحْتَاجُ ،

وَأَنْتَ مَكْنِي ؟ وَإِلَى مَتَى تَبْدِي الْقَلْقُ ، وَأَنْتَ غَنِي ؟ وَإِلَى مَتَى تَهْبِطُ ،

وَأَنْتَ عَالِيٌ ؟ مَا أَعْجَبَ أَمْرًا تَرَاهُ بَعَيْنِكَ ، أَطْلُوكَ عَنْ أَمْرِ لَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ .

الْحَارُّ أَيْضًا يَرَى بَعَيْنَهُ وَلَا يَرَى بَعِيرَهَا . أَفَأَنْتَ كَالْحَارِّ فَتَعْذُرُ ؟ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ

حَارًّا ، فَلِمَ تَتَشَبَّهُ بِهِ ؟ وَإِنْ كُنْتَ ، فَلِمَ تَدْعِي فَضْلًا عَلَيْهِ ؟ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ

حَارًّا بِظَاهِرِ خَلْقِكَ وَصِبْغَتِكَ ، فَلَا تَكُنْهُ أَيْضًا بِبَاطِنِ نَيْتِكَ وَجَلِيلَتِكَ .

قَدْ وَاللَّهِ فَسَدَتْ فَسَادًا لَا أَرْجُوكَ مَعَهُ لِفَلَاحٍ ، وَلِذَلِكَ مَا أَدْرِي بِأَيِّ لِسَانٍ

أُحَاوِرُكَ ، وَبِأَيِّ خُلُقٍ أُجَاوِرُكَ ، وَفِي أَيِّ حَقِيقَةٍ أَشَاوِرُكَ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ

أُدَاوِرُكَ ؟ — سِرُّكَ كُفْرَانٌ ، وَلَفْظُكَ بُهْتَانٌ ، وَسُرُورُكَ طُغْيَانٌ ، وَحَزَنُكَ عِصْيَانٌ ،

وغناك مريح وبَطَر ، وفقرك ترح وضجر ، وشبعك كظَّة ^(١) ونُخْمَة ، وجُوعك قنوط ونُهْمَة ، وغزُّوك رياء وشُعمَة ، وحجُّك حيلة وخُدْعة ، وأحوالك كلها بهرج وزيف ، وأنت لا تحاسب نفسك عليها : هَلَمْ ، ولا : يَلَمْ وكيف اهـ .
ما أسعد من كان في صدره ودِعة الله بالإيمان فحفظها حتى لا يسلبها منه أحد ! أتدري ما هذه الودِعة ؟

هى والله ودِعة رفيعة هى التى سبقت لك منه وأنت بَدَد ^(٢) فى التراب لم تجمعك بعدُ الصورة ، ولم يقع عليك اسم ، ولم تُعرَف لك عين ، ولم يدلَّ عليك خبر ، ولا يحويك ^(٣) مكان ، ولم يصنِّك عيان ، ولم يحطِّك بيان ، ولم يأت عليك أوان . أنت فى ملكوت غيب الله ثابت فى علم الله ، عَطُل ^(٤) من كل شىء إلا من مشيئة الله [٣٧ ب] . تُرَشِّح لمعرفته ، وتُلحظ فى صفوته ،
وتؤهل لدعوته . فما أسعدك أبها العبد ! فهذه العناية القديمة من ربك الكريم الذى نظر لك قبل أن تنظر لنفسك ، وأيدك بما لم تهتد إليه همتك ، حتى إذا نَشَرَ مَطْوِيَّكَ ورتَق مُفْتَقَكَ ، وجع متفرِّقك ، وقوم مُنَادِك ^(٥) ، وسوى معوجِّك وفتح عينك ، و طرح شعاعها على ملكوته التى جعلها قبالة بصرك ، وعرفك نفسك ، ودعاك باسمك ، وشهرك بحكمته فيك ، وأظهر قدرته عليك ، وعجَّبك وعجَّب غيرك منك ، ولاطفك ولطف لك ، وبَيَّن لك مكانتك إذا أطعت ، ومهانك إذا عصيت . وثبَّت على شهواتك فتناولتها ، وعلى لذاتك فانهمكت فيها ،

(١) الكظَّة (بالكسر) : البطنة .

(٢) أى : متفرِّق .

(٣) حص : يحويك .

(٤) عَطُل (بضمين) : متجرد ، عارٍ عن .

(٥) المنَاد : المعوج .

وعلى ماضيك (لمن هذا حديثه معك) فركبت سنامها ، ولم تفكر فيما خلفها وأمامها . ولما قيل لك : اتق الله ! أخذتكَ العِرةُ بالإثم ، وُجُوتَ فيما فيك من نعم الله عليك ^(١) ثمَّ على ناصحك ، ونهراً بالمشفق عليك ، وتُحاجُّهُ بالجهالة ، وتُقابله بالكبرياء والتَّحِيْلَة ^(٢) . إنك عندى لمن المسرفين ، بل من المحرمين ، بل من الظالمين ، بل من الفاسقين ، بل من المطرودين ، بل ممن قد تعرَّض لأن يسلبه الله ما أعطاه ، ويجعل النار مأواه ، حتى يصير عبرة لمن وراه ^(٣) اهـ .

يا هذا ! أَحَجَرَ أَنْتَ ؟ فما أقمى قلبك ! وما أذهبك فيما يفضب عليك ربك ! أبيتك وبين نفسك ^(٤) بَرَّةٌ ؟ هل يفعل الإنسان العاقل بمثوِّه ما تفعله أنت بروحك ؟ لا يتفكك وعظ وإن كان شافياً ، ولا ينجعُ فيك ^(٥) نصحٌ وإن كان كافياً ! اللهم تفضل علينا بمفوك إن لم نستحق رضاك .
يا ذا الجلال والإكرام !

(١) هَرَّ الكلبُ : نبح وكشَّر عن أنيابه .

(٢) الكبرياء .

(٣) أى وراءه ، يتبع سيرته .

(٤) بَرَّةٌ : ثأر .

(٥) ص : نصحاً .

أركان المعرفة

من الإشارات الإلهية (يب)

[١٣٨] العلم بلاء ، والجهل عناء ، والعمل رياء ، والقول داء ، والسكوت هباء ، والنظر عداء ؛ وكل ذلك سواء . فأما بلاء العلم فلا أنه يهوى بصاحبه ^(١) إلى تلجج الفكر . وأما عناء الجهل فلا أنه يُقحم صاحبه في شعاب ^(٢) النكر .
 وأما رياء العمل فلا أنه يجلب على صاحبه جميع الكد . وأما داء القول فلا أنه يصبُّ العُجب على أهله في كل قبول ورد . وأما هباء السكوت فلا أنه يُعزّي صاحبه من كل فائدة . وأما عداء النظر فلا أنه يعود على صاحبه بكل أبدة .
 وأما سواء كُله فلا أنه عِلْمٌ لذوى النهى^١ باحتمال كله . فهات الآن حالاً ليس للعلم فيها نسب ، ولا للجهل فيها سبب ، ولا للعمل فيها بقية ، ولا للقول فيها خبيّة ^(٣) ، ولا للسكوت معها علاوة ، ولا للنظر عندها علاقة ، ولا لكُله فيها استواء ، ولا لبعضه منها تنواء . وأين تلك الحال وكيف ؟ وهل تقف عليها بعُدل أو حَيْف ؟ وهل تصل إليها بمرح أو سيف ؟ وهل تقدر أن تتمناها بـ « لعل » أو « سوف » ؟ فإذا كانت هذه الحال تنزه عن التمتّي في ضائر النفس ، فكيف يستطيع الامتلاء بها على صحة الإرادة والحقيقة والقيس ؟ هي والله حال ذابت عليها
 الأكباد ، ومَرَّت على هذا الحديث في نعمتها الدهور والآباد . هي والله حال زَهَقَت عليها النفوس والأرواح ، وآتت على نعمتها المساء والصباح . هي والله علّت عن الصفات والرسوم ، كما نزلت الصفات والرسوم عنها . هي والله حال

(١) ص : بصاحبه .

(٢) جمع شعب (بكسر الشين وسكون العين) : الطريق .

(٣) خبيّة : شئٌ مخبئاً ، والجمع : خبايا .

سَبَّحَ فِي لَجَّتْهَا فَكَرَّ كُلُّ نَحِيرٍ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى سَاحِلٍ ، وَطَارَ فِي هَوَائِهَا وَهُمْ
كُلٌّ مُتَمَكِّنٌ فَلَمْ يَقَعْ عَلَى طَائِلٍ . هِيَ وَاللَّهُ حَالٌ إِنْ حَلَمْتَ بِهَا أَيْقَظْتُكَ ،
فَإِنْ اسْتَيْقَظْتَ عَنْهَا حَلَمْتَ بِكَ . هِيَ وَاللَّهُ حَالٌ [٣٨ ب] بَرَزَتْ بِالْجَبَرُوتِ ،
وَخَفِيَتْ فِي الْمَلَكُوتِ ، فَلَا الْكَلَامَ يَقَعُ فِي وَصْفِهَا أَوْ تَهْنِئِهَا ، وَلَا السَّكُوتَ .
هِيَ وَاللَّهُ حَالٌ مَنْ ذَاقَهَا عَرَفَ ، وَمَنْ عَزَفَهَا وَصَفَ ، وَمَنْ وَصَفَهَا انْتَهَى
وَوَقَفَ ، وَمَنْ انْتَهَى عَنْهَا وَتَوَقَّفَ ابْتَدَأَ الْحَنِينَ إِلَيْهَا وَتَشَوَّفَ . دَعِ هَذَا أَيْضًا !
وَاسْمِعْ شَجْوَ لَبِيبِ كَرِهِ الْمَقَامِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي قَدْ امْتَلَأَتْ بِالذَّلَالِ ، فَقَالَ :

نَظَرْتُ فَلَمْ يَعْلَقْ بَعْضِي سِوَى الْقَدَى

وَجُلْتُ فَلَمْ أَجْلِبْ لِنَفْسِي سِوَى الْأَذَى

وَلَمْ أَرَ وَجْهًا مُسْتَحَقًّا لـ « مَرْحَبًا »

وَلَا وَجْهَ أَمْرٍ مُسْتَحَقًّا لـ « حَبْنًا »

رَأَيْتُ شِرَارَ النَّاسِ يُمَضُّونَ حَكَمَهُم

عَلَى الْجَانِبِ الْأَدْنَى إِلَى الشَّرِّ مَنْفَذًا

وَيَسْعَوْنَ فِيهِ نَحْوَ أَبْعَدِ غَايَةٍ

وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الْخَيْرِ أَقْرَبَ مَأْخِذًا

وَوَاصِلَهُمْ حَتَّى سَمِعْتُ فَلَمْ أَجِدْ

سِوَى هَجْرِهِمْ مِنْ وَصْلِهِمْ لِي مُنْقِذًا

يَعْدُونَ ، عِنْدَ السَّخَطِ ، حِلْيَ مِهَانَةٍ

وَيَسْمُونَ يَوْمَ الْحَفْلِ عَارِضِي بَدَا^(١)

(١) بداء : فاحشة ؛ يسمون : أصلها : يسمون .

وَيَعْلُونَ مِنْ أَرْخَى لَهْمٍ مِنْ عِثَانِهِ

بسوط^(١) ، ويستخذون للمرء ذى الشدا^(٢)

فقد ترك الوعظ اللبيب لأنه

إذا هذ^(٣) قول البرّ ظنوه قد هدى

وما يصنع العين العليم بشحذه

إذا لم يجد في جانب السيف مشحدا

فخذ نائيا عن سمنهم متحررا

وسرّ بينهم من شرهم متعوذا

وغش هكذا طول الحياة فرما

سليت عن الأشرار إن عشت هكذا

وصل حيوان الأرض ، لا من ارتدى

على صورة الإنسان منها أو احتذى

فإن تبّل هذا الجنس تبّل أشدها

خبيثة أحماد وأبلغها أذى

[١٣٩] ودع هذا أيضا بعد أن تركعى زهره ، ونجنى ثمره ، وترد

أوله وآخره ، وتعرف ظاهره وباطنه . وعُد بنا إلى حديث الأعمال وآفاتهما ،

وإلى حديث الأفكار ومنافاتها ، وإلى حديث الأذكار وموافاتها ،

(١) الشدا : الأذى والشر . يقال لكل شيء يؤذى : شدا . ويقال :

أنى لأخشى شداة فلان : أى شره .

(٢) الهذ : القطع .

وإلى حديث العبودية وصفاتها ، وإلى حديث الربوبية ومصافاتها .
 وأما الأعمال فشوبة ، وأما الأفكار فريبة ، وأما الأذكار فموقفة ،
 وأما العبودية فمحققة ، وأما الربوبية فمحيقة . هذا نعت على الاختصار
 والإيجاز ، فإن أردت أن تشبع بعد هذا وترؤي^(١) ، وتتخلص من قنون
 القول وتكتفي ، فتجزع مرارة الدنيا ، وتجنب حلاوة الشكوى ،
 وتلذذ بصعوبة البلى ، فلعلك تؤهل خالصة النجوى ، بالنظر في أشعار
 الهدى ، من ديوان العلى الأعلى . لا تاصح لك إلا من نفي عنك الكدر ،
 وجلب إليك الصفو ، ولا مرشد إلا من أخذ بيدك من الظلمات ، وهجم بك
 على النور ، ولا مشفق عليك إلا من دعاك إلى حاله بعلمه لا بقوله ،
 ولا خادع لك إلا من زخرف لك علمه بقلمه . تنكب سبيل الفاوين ، واجهر
 عرصات المذنبين ، واسهر ليلك مع المتعبدين ، وتشبه بأهل الدين المتين ،
 واعتبر بالماضين ، واعلم أنك منهم في الباقين ، وكأثر البكائين ، وداخل
 في جملة الواجدين ، وانطق عن زمرة الله رب العالمين ، وانف عنه سوء ظن
 الظانين ، وتقرّب إليه بدم العاصين ، وأصف طاعة الطائمين ، وامسح حزبه
 الغالبين ، وانظر إلى قدرته على الخلق أجمعين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .
 يا هذا ! إلى كم أستميلك إلى حظك ، وأتقلب معك إلى مرادك ؟
 لست منك إن لم تعني على ذلك ، ولست مني إن سلكت طريق المهالك .
 أمن العدل أن أنصحك وتغشني وأرق لك وتقسو عليّ ، وأريد بك الحسنى
 [٣٩ ب] وتكأيدني ، وأهوى لك الجميل وتعمدني ، وأدلك على رشدك
 وتضل عني ، وأقيمك على المحجة فتقاعس عليّ ؟ إن هذا إلا شقاء قد سبق
 إليك دوني . البعد منك البعد ! البراء منك البراء ؟ الويل لك الويل !

- الخطية لك الخطية ! لئلا تسعرت الجحيم ، وأعدت لئلا العذاب الأليم ،
وبك أغرى المُقْعَد والمقيم ، وبئلك سقى الجحيم ، ولئلا هيئ العذاب الأليم .
لا ترجع في أمورك كلها إلى رعاية لوقت أو مصارفة في نفس ، واحتياط
في دين ، أو أمانة في معاملة ، أو جهاد طوى ، أو كبت لشیطان ، أو فيثقة
إلى التقى ، أو رجعة إلى الهدى ، أو طفرة إلى النهى ، أو هجرة للعبدى ،
أو فملة للأخرة دون الأولى . — ها أنا قد أعرضت عنك حياة لك . ها أنا قد
استوحشت منك خوفاً عليك . ها أنا قد أعدت جهدى وطاعتي إليك .
ها أنا قد غسلت يدي من فلاحك . ها أنا قد يئست من صلاحك . أهكذا
يكون من عرف الله سرّاً أو جهرّاً ؟ أهكذا يكون من اغترف به رياءً
أو إخلاصاً ؟ أهكذا يكون من تطاعم إحسان الله غائباً أو حاضراً ؟ أهكذا يكون
من ذكر الله سرّاً أو جهرّاً ؟ أهكذا يكون من اشتاق إليه ساكناً أو متحرّكاً ؟
أهكذا يكون من أحبه متسلّياً أو متهاكاً ؟ أهكذا يكون من دعا إليه صادقاً
وكاذباً ؟ أهكذا يكون من تترغ في نعمه صباحاً أو مساءً ؟ أهكذا يكون
من بوى بالآية مُشَبَّهاً أو ناثماً ؟ أهكذا يكون من تلاطف شاهداً وغائباً ؟
أهكذا يكون من يحافظ على حظه راضياً أو عائباً ؟ أهكذا يكون من هو محتاج
مع من هو غنى ؟ أهكذا يكون من هو عاجز مع من هو قوى ؟ أهكذا يكون
من هو عبد مع من هو سيد ؟ أهكذا هكذا أبداً إلى أن ينكسر القلم عند
الكتابة ، وإلى أن يمينا اللسان [١٤٠] عند الخطابة ، وإلى أن يهيم القلب
في وادى المجابة ، وإلى أن تفقد الروح في فلاة الغيبة ؟ !
- يا هذا ! قد وصفتك ووصفت غيرك معك وأنا غيرك ، فني وصفك وصفى ،
وفى وصفى وصفك ، حتى تتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات ،
والمداومة على العبادات ، والمبادرة للساعات ، والحذر من الآفات ، والحرب

من العاهات ، والثبات على رفض الشهوات ، والإعراض عن اللذات ، والتوجه
إلى خالق الحيوان والنبات . فإنه إذا رأى إخلاصنا في فقرنا إليه وتعاوننا على طلب
مالديه ، أخذ بأيدينا ، وجنب بنواصينا ، وأطلعنا على ما فينا ، وكان لنا
ناصرًا ومعينًا ؛ إنه كريم فصّيق ، ورحيم خفّيق ، وجواد فيّيق . سَلِّهْ فإنه لن يفتَحْ
باب المسئلة منه إلا ويُدرَ أخلافَ برّه من لدُنّه . معاملته قد جُرِّبت وحدثت ،
وأخباره شاعت فصَدقت ، وشواهدُه بانت وانتشرت ، ونعمه واصلت
فدامت . إِنْ تَوَعَّدْ فَإِنَّمَا يَخَوْفُكَ ، وَإِنْ وَعَدْكَ فَإِنَّمَا يَشَوْفُكَ ، وَإِنْ عَاتَبَكَ
فَإِنَّمَا يَشْرَفُكَ ، وَإِنْ كَرَّرَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا يَعْرِفُكَ ، وَإِنْ فَرَّقَكَ فَإِنَّمَا يُؤَلِّفُكَ ،
وَإِنْ أَخَذَ مِنْكَ ، فَإِنَّمَا يَسَلِّفُكَ . كُلُّ قَعْلَةٍ عَجِيبٌ ، وكلُّ شَأْنٍ غَرِيبٌ ،
وكلُّ مَا تَرِيدُهُ مِنْهُ قَرِيبٌ ، ليس له في هذه الصفات شريك ولا ضريب .
حَلِّمْ عَنْكَ لِيغْضِبَ عَلَيْكَ ، وَغَضِبْ لئَلَّا يَحْلُمَ عَنْكَ ، وَوَصِّفْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ
مِنْهُ ، وَدَعَاكَ حَتَّى كَأَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَيْكَ ، وَلَا طَلْفَكَ حَتَّى كَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْكَ .
وَأَنْتَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ سَادِرٌ هَادِرٌ ، لَا تَلْوِي عَلَى فَائِثِكَ مِنْ رِضَا ،
وَلَا تَبَالِي بِمَا تَجْنِي عَلَيْكَ يَدُكَ . لِمَ هَذَا وَلِمَذَا ؟ أَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرُهُ ؟ أَلَيْكَ مَوْلَى
سِوَاهُ ؟ هَلْ رَأَيْتَ الْخَيْرَ قَطُّ إِلَّا مِنْهُ ؟ هَلْ هَدَأْتُ قَطُّ إِلَّا مَعَهُ ؟ هَلْ وَصَلْتُ إِلَيْكَ
بِرٍّ إِلَّا عَنْهُ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ انْفِاسٌ
إِلَّا فِي نَعْمَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ [٤٠ ب] لَكَ مَدَارٌ إِلَّا عَلَى مَشِئَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ رَجَاءٌ
إِلَّا فِي رَحْمَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ نَجَاةٌ إِلَّا بِعَصْمَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ رَسْمٌ إِلَّا بِجُودِهِ
وَسَعَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ لَكَ اسْمٌ إِلَّا بِتَسْمِيَتِهِ ؟ هَلْ كَانَ بِكَ غَنَى إِلَّا عَنْ نُصْرَتِهِ ؟
هَلْ كَانَ لَكَ التَّفَاتُ إِلَّا عَلَى عَقْوَتِهِ ^(١) ؟ هَلْ كَانَ لَكَ اسْتِقْلَالٌ بِغَيْرِ كِفَايَتِهِ ؟

(١) العَقْوَةُ : شَجَرٌ ، وَمَا حَوْلَ الدَّارِ ، وَالْمَحَلَّةُ ، كَالْعَقَاةِ : وَالْجَمْعُ عَقَاءٌ .

هل كان لك مخرج من ولايته ؟ هل كان لك بيان عن إلهيته ؟ — لا والله !
 أين أنت بالنسبة التي لك منك إلى ذرة من خلقه لو شاء لأبرز منها ما يحار
 فيه بصرك ، ويتبدد عليه عقلك ، ويضمحل دونه كلك وبعضك ، ويبعد عنده
 شاهدك ورشيدك ! إلزم — عافاك الله — حديثك ، وطالب نفسك لله بما له عندك ،
 واحرض على أن تكون عبداً حقاً : فإنه إن وجدك عبداً حقاً لم يرض لك
 ٥ حتى يجعلك ملكاً حقاً . هذا سره فيك ، وممراده لك . فافطن ودع الكسل ،
 واطمأن .

اللهم إنا بك — فلا تلحقنا عنك ، ولك — فلا تسلط علينا غيرك ، وإليك —
 فلا تصرف وجوهنا دونك . إياك نرجو ونخشى ، وسواك نكره ونعاف ،
 وإليك نسعى حافدين^(١) ، وجنابك نرعى وافدين ، ونُعَمِّاك ننشر على الأقربين
 ١٥ والأبعدين ، وبحمتك نتهادى بين المريدين والعارفين ، وفيك نتعبر والهاين
 دالين^(٢) ، وفيك نَرْغَب الزاهدين الشاكين ، ورحمتك نرجو محتاجين
 مفتقرين ، وعن ربوبيتك نُنْقِرُ واجدين مُرَجِّين ، وبصحبتك نفتخر بهجين
 وفرحين . يا هذا ! ارحم غربتي في هذه اللغة العجاء ، بين هذه الدهاء الغبراء ،
 ١٥ وتعتجب من بدائي في هذه الغلاة الغبراء بين الأرض والسماء . فلا أحد^(٣)
 يجيب مساعداً أو معيناً حتى كأنه^(٤) أوطان المعرفة قد خلت من سكانها ،
 ومنازل العبادة قد خلت من قُطَّانها ؛ وحتى كأن القدرة مع بُدُوها خافية ،
 والحوادث مع تكررها متجافية . أين العقول الخسيفة ؟ أين القرائح الصافية ؟

(١) حَمَدٌ يَحْمَدُ حَقْدًا وَحَقْدَانًا : خَفَّ فِي الْعَمَلِ وَأَسْرَعَ .

(٢) دَلَّهَ يَدُلُّهُ (من باب فرح) : ذهب فؤاده من همٍّ أَوْ وَجَدَ .

(٣) ص : أَحَدًا .

(٤) كَذَا : وَلَعَلَّ صَوَابَهُ كَانَ .

أَيْنَ الْأَذْهَانِ الْمُتَوَافِيَةِ ؟ أَيْنَ الْأَلْسَنِ الْفَصِيحَةِ ؟ أَيْنَ الْأَخْلَاقِ السَّجِيحَةِ ^(١) ؟
 أَيْنَ الْأَيْدِي الْمَبْسُوطَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ ؟ أَيْنَ التَّوَاصِي بِالنَّصَاحِ وَالْعِظَاتِ ؟ أَيْنَ الْإِقْبَالِ
 عَلَى إِنْجَازِ الْعِدَاتِ ؟ أَيْنَ مَلَازِمَةِ الْأَسَاطِينِ فِي الْمَسَاجِدِ لَا تَنْظَارُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؟
 أَيْنَ الْخَوْضِ فِي اسْتِبَانَةِ الْمَعَارِفِ عِنْدَ سَوَائِحِ الْخَطَرَاتِ ؟ أَيْنَ مُحَاسِبَةِ الْأَشْرَارِ
 عِنْدَ خَائِنَةِ ^(٢) الْأَعْيُنِ فِي النِّظَرَاتِ بَعْدَ النِّظَرَاتِ ؟ أَيْنَ الْأَعْيُنِ الرَّاشِحَةِ بِالْعِبَرَاتِ
 عِنْدَ تَذَكُّرِ الْعَثَرَاتِ فِي عَقَبِ الْعَثَرَاتِ ؟ أَيْنَ النَّدَمِ الْقَارِحِ الْأَكْبَادِ [الْقِي]
 عَلَى الْفَرَطَاتِ ^(٣) بَعْدَ الْفَرَطَاتِ ؟ أَيْنَ الْحُرْقِ الْمُتَوَالِيَةِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنَ التَّقْصِيرِ
 مَعَ الْحُسَرَاتِ عَلَى الْحُسَرَاتِ ! اللَّهُمَّ فَسَلِّمْنا مِنْ هَذِهِ الْكَرَبَاتِ الْمُتَّصِلَةِ
 بِالْكَرَبَاتِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ !

(١) السَّجِيحَةُ : السَّمْحَةُ

(٢) خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ : مَا يَسَارِقُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ .

(٣) فَرَطٌ (مِنْ بَابِ نَصَرَ) فِي الْأَمْرِ ، فَرَطًا : قَصُرَ فِيهِ وَضِيقُهُ حَتَّى قَاتَ .

ذم التفضيل بالغاشية والحاشية

من الإشارات الإلهية (يج)

- ألا قارعَ لباب الله ؟ ألا قاصد إلى الله ؟ ألا راغب فيما عند الله ؟
 ألا عائفَ لثمّني الله ؟ ألا قابلَ لأمر الله ؟ ألا هائمَ في الله ؟ ألا واحدَ بالله ؟
 ٥ ألا متوكلَ على الله ؟ ألا مناجيَ لله ؟ ألا باذلَ لرُوحه في الله ؟ ألا ناظرَ لنفسه
 مع الله ؟ ألا آخذَ بخطامِ سرِّه بحق الله ؟ ألا محاسبَ لنفسه على حق الله ؟
 ألا متوجّهَ إلى ما عند الله ؟ ألا خاطبَ لما عند الله ؟ ألا مسرورَ بتوحيد الله ؟
 ألا نادمَ على ما فرطَ له من مخالفة الله ؟ ألا مشيرَ بالحقيقة إلى الله ؟ ألا معظّمَ
 لشعائر الله ؟ ألا مقتدىَ بسفراء الله ، ألا متبجحَ في روضة الله ؟ ألا شارحَ
 في غدير الله ؟ ألا واثقَ بالله ؟ ألا طامعَ في وعد الله ؟ ألا خائفَ من وعيد الله ؟
 ١٠ ألا راحمَ لعباد الله ؟ ألا عامرَ [٤١ ب] لبلاد الله ؟ ألا مُنتحى ^(١) لثناء الله ؟
 ألا ناشرَ لكلمة الله ؟ ألا داعيَ إلى الله ؟ ألا محيِبَ لله ؟ ألا شفيعَ لعبد الله
 إلى الله ؟ ألا مُشْتَقٍّ من خيائنه على نفسه من الله ؟ ألا ذاكرَ بالتحقيق لله ؟ ألا عابدَ
 بالإخلاص لله ؟ ألا شاكرَ على النعمة لله ؟ ألا صابرَ على البلوى لوجه الله ؟
 ١٥ ألا مصغىَ لعتاب الله في كتاب الله ؟ ألا مُشْتاقٍ إلى رِضْوَانِ الله ؟ ألا منافسَ
 في طاعة الله ؟ ألا مُتَحَوِّلَ عن أوطانِ المخالفة إلى جوار الله ؟ ألا راضىَ بقضاء الله ؟
 ألا مُحْتَشِتَ عن الله ؟ ألا دالَّ على قدرة الله ؟ ألا باسطَ للرجاء في عفو الله ؟
 يا هذا ! خلعت العيراض ^(٢) من ناس كانوا إذا تنفسوا أحرقوا المحجِبَ
 بينهم وبين الله : تيهًا به ، وثقةً بوعده ، ورضاً بفعله ، وخطأً في اختياره ،

(١) ص : منتحى .

(٢) جمع عَرَصَة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

وتسليماً لحكمه . كانوا إذا برزوا لك صفحات وجوههم رأيت تباشير الخير عليهم ، وروائد^(١) الصدق معهم ، وكانوا إذا ذكروا الله تفلقت ضائرهم بالوان الشوق إلى المصير إليه ، وإلى القيام بين يديه . أين أولئك ، وأين هم ! وكيف ذهبوا بأسرهم حتى لم يبق منهم دينار ولا صافر ولا نافع صرمة^(٢) ! فليهذا حال نور الدين ، وقل التلذذ بوجدان اليقين ، وقحلت الأسرار عن تدى الغيب المكنون ، وبلى كل أحد بالظنون والمظنون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » . فإننا لله وإننا إليه راجعون .

يا هذا ! عتد عن ذكر قوم باتوا بأشخاصهم وأرواحهم وإن كانوا قد أبقوا عندنا من ترائهم ما يشوقنا إلى اللحاق بهم ، واسمع ما أنصك بذكره وأريد نفساً أيضاً معك في عرصة إذا نفحت في صدرك نفحة من نضجات روض الأنس من العالم الأعلى فارقد عليها ، وتلذذ بطعمها ، واستدم نسيمها من معدنها ، وشم مزتها من صمائها . ولا سبيل لك إلى ذلك [١٤٢] إلا^(٣) برفض الرذائل كلها : قليلها وكثيرها ، وتحلى الفضائل بأسرها : دقيقها وجليلها . وهذه صورة الإلهية متى حركت نفسك إليها وحلّيت بزيفتها ، وبرزت بهيجتها ، وزارتك ملائكة السماء بالتحية بعد التحية ، وأهدت إليك العطية بعد العطية ، — كرمت بين البرية ، وصيرت إذا دعوت أجبت ، وإذا تمنيت أضبت ، وإذا توهمت حققت ، وإذا أومأت اكتفيت ، وإذا أشرت بلغت ، وإذا قلت كان قولك مسموعاً ، وإذا سعت كان سعيك مشكوراً ، وإذا عملت كان عملك مبروراً . وقد ذكرت لك الفضائل جملةً بالاسم العام ، وكذلك الرذائل .

(١) جمع رائد .

(٢) الصرمة (محركة) : الحجرة ، النار .

(٣) ص : إلى .

وما أحوجك إلى تصنيفها من طريق الإيجاز إن تعدد كشفها على طريق الإشباع والإبراز. منها — عافاك الله ! — الشجاعة ، وهي التي بها تقهر كل ما توعد منك وتلين كل ما يكرم^(١) عليك . وكل هذه الشجاعة — التي تتخذها قعودك^(٢) ، وتعمل عليها قيامك وقعودك — تمكنك أن تقهر ما أردت مما عداك ، لأنك إذا قدرت على نفسك فأنت على نفس غيرك أقدر ، وإذا جرت في خاصتك^(٣) فأنت عن خاصة غيرك أجور . — ومنها العدالة ، التي إذا صارت لك صورة اكتسبت بها بهجة إلهية ، لأنك تملك بهذه الخلة التساوى ، والتساوى من الوحدة ، والوحدة هي التي إليها الشوق ، وعليها وله الخلق . — ومنها الحلم ، وهو الذي يُحْيِيك بحلية ربانية ، إذا بدوت بها طووعت وخودمت وقوربت وحدث . والحلم من الخصال المرقية للبشر عن صفات النوع . — ومنها الكرم ، وهو الذي به يقوامك في نفسك ، وعليه مدارك مع بني جنسك . — ومنها الرأفة ، وهي التي تنثني إليك أعناق الجبابرة . — ومنها [٤٢ ب] الجود ، وهو الذي يكملك الكمال اللائق بك بقدر طاقتك .

و < إذ > قد انكشفت لك أيضاً الفضائل بأسمائها الخاصة وحدودها العامة ، فقد انكشفت لك أيضاً الرذائل بأسمائها الخاصة ورسومها العامة — أعني أنك إن نظرت إلى الشجاعة التفتت إلى الجبن ، وإذا أشرت إلى الكرم فقد أومأت إلى اللؤم ، وإذا ذكرت الحلم فقد رَهَدَتْ في السفه ، وإذا ما كُنَيْتَ عن الجود فقد صرحت بالبخل . فلهذا قلت : إن بانكشاف الفضائل انكشاف الرذائل ، وكذلك بانكشاف الرذائل انكشاف الفضائل . ولا تأخر ، لأن التأخر

(١) عزم كنهض وضرب وكرم وعلم ، عرامة وغراما ، فهو عازم وعزم : اشتد .

(٢) التمود بالفتح : من الأيل ما يعتمد الراعي في كل حاجة .

(٣) ص : خلصتك .

والتقدم بالزمان والمكان ، وليس هناك زمان ولا مكان . فإن قلت : والتصاحب أيضاً في الزمان والمكان . فالجواب أن هذا غلط ، إلا إذا سلطت إرادتك على قوايل الحس ، لأن التصاحب صورة مأخوذة من الوحدة ، والوحدة بها يكون غيرها متوحداً ، ولا تكون به هي وحدة . وهذا كلام زللنا به عن مكاتنا الذي كنا واقفين عليه . ولا عجب ، فإن المعاني إذا تدفقت بالعز رأيت الحروف تتبدد بالذل ، لأن تلك من المبسوط الأول ، وهذا من المقبوض الثاني . فلهذا ما شتغ هذا الفعل ، وحسن العذر ، ووجب بعدهما الفخر والقبول على عادة أهل التفضل . وإذا كان قولهم ^(١) :

وفي كل شيء وله آيةٌ تَبْلُغُ على أنه الواحد

صحيحاً ، فلا شك أن أصناف الحيوانات وضروب الجمادات على هذا . وبقى أن نفهم عنها نطقها ، فإن بعضها ينطق بالشكل والقدر ، وبعضها بالخلية والصورة ، وبعضها بالحرف والصوت ، وبعضها بالنقصان والمكان ، وبعضها بالفعل ، وبعضها بالحس ، وبعضها بالتركيب من الجميع ، وبعضها بالفعل الوارد عليه . فإذا صدقت رغبتك [١٤٣] في البحث عن هذه الغرائب التي لذلك ^(٢) في نفسك وفي جنسك ، بأن لك حينئذ ، بالعيان واليدين ، ما كنت غافلاً عنه بالشك والفنون ، واستفدت من ذلك نوعاً من التوحيد لا يتجده في قاص ^(٣) الحلة وحاكم البلدة ومتوسط الخصومة ومفتي الجادة ، بل هو نمط

(١) البيت لأبي العتاهية راجع ديوانه : « الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية » ، ص ٧٠ من ٢ . طبعة اليسوعيين . بيروت سنة ١٨٨٦
(٢) لَدَّه : حبسه .

(٣) كذا ! ويمكن أن يكون أصله : قاضي ، بدليل قوله : حاكم ، متوسط الخصومة .

- قد خصَّ الله به أعيان عباده ، وأعلام خلقه في بلاده ، فلهم بهذه الخصوصية منازل الملائكة وكرامة أولى العزم من الرسل . وكيف لا يكون هذا النعتُ تآمراً ، وهذا القولُ عامّاً ، ونحن نعلم أن استخراج الذهب من معدنه أشرفُ من جمع البعثر من عطنه ! وإذا كان الله تعالى كما قال : « وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » ^(١) ، فلأن يجتهد في وصفه بكل ما كان دالاً عليه وداعياً إليه وموثقاً به ومؤمناً منه كان أولى وأوجب ، والتوحيد من ناحيته أعلى وأمجّد . فلهذا ورثه عترتُ بتلك السمكيات الروائع في سمتها غير هائب من كل حاضر وغائب ، وسامع وطالب .
- يا هذا ! إن الله عمّ بنعمته وخصّ بفضله ، وجعل العلمَ فوزي لا نزاحمَ عليه ولا تنافس فيه ، وجعل الخاص مصروفاً إلى أهليه . فانظر في حالك مميّزاً بين مالك منك ، وبين ما عليك فيك ، فإن كنت من الذين عمتهم نعمته
- ١٠ — فأنت قانع بذلك لا تتوق إلى أكثر منه — فأنت على شأنك غير مأوّم ولا مذموم . وإن كنت من الذين خصّهم فضله ، وبك نزاع إلى تخليص ذلك منك وإظهاره عنك ، حتى يبرز لعينك ، ويتجلى لبصرك ، ويصح به التنافس لك ، فاجتهد أن تتصفّح عالم ربك المجيد فتعرف منه ما بطن وما ظهر ، وما غلب وما استتر ، وما جلّ وما دقّ ، وما فعل وما انفل ، وما نطق
- ١٥ وما صمت ، وما ضرب وما نفع ، وما دبّ وما مشى ، وما انتصب وما انعكس ، [٣٤ب] وما ضاق وما اتسع ، وما استدار وما استقام ، وما اختلف وما ائتلف ، وما صعد وما هبط ، وما لزم قراراً واحداً وما دار كل مدار ، وما تغير وما جل عن أن يتغير ، وما حسن وما قبح ، وما أنس وما قَرّ ، وما عاد وما قرّ ، وما انتظم وما التأم ، وما خصب ^(٢) وما أجذب ، وما اعوجّ وما اعتدل ،
- ٢٠

(١) سورة « الأنعام » : آية ٩٩

(٢) من بابي : علم وضرب .

وما أراد وما كره ، وما قُرب وما بُعد ، وما بلى وما بقى ، وما سَعِدَ وما شقى ،
وما نزل وما رَقِيَ ، وما اختلط وما استقل ، وما احتاج وما استغنى ، وما نعى
وما نقص ، وما طار وما سبج ، وما حقّ وما بطل ، وما صفا وما كدر ،
وما رطب وما يبس ، وما زان وما شان ، وما كان وما يكون ، وما لم يكن
ولا يكون . وإذا عرفت هذه الأشياء عرفته بها من [كل] ناحية دلالتها عليه ،
وعرفت بها من ناحية صفة لها . وبهذه المعرفة تستوضح غوامض حكمته ،
وتستجلي غوالب قدرته . وبهذه المعرفة تشهد منافذ مشيئته في مجاري إرادته .
فإذا اتلفت لك هذه المعارف اثتلاقاً وصارت معرفة واحدة ، علفت به على يقين
وعيان . فحينئذ لا يكون في نوعك من هوأ كرم منك عند الله ، ولا أوجه عنده
إلا من كان له نصيب مثل نصيبك وولاية كولايتك . وهذا شيء ليس باللعب
ولا بالأمر الخفير ، ولا بالحدِيث الخفيف . فتعال حتى نفرض أن هذه المعرفة
حصَلَتْ لواحد من عباد الله الذين قد طبقوا الأرض . أليس ينبغي أن يكون له
الشَّفُّ^(١) والفضل والمزية ، والإبراز والتبريز ، والتقدم على الباقيين الذين يجرون
بالشكل والتخطيط والرسم والتحديد مجراه ، وينطلق عليهم اسمه .
فلم لا تكون — عافاك الله — هذا الرجل ، ولم لا أكونه أنا ؟ ولكن أقول
ذلك . فما أنت أسعد بقبولك مني بقبولي من هدائي لهذا ودلّني .

يا هذا ! أنت ربما فضلت جحاراً على حمار وبغلاً على بغل وفرساً على فرس
وهرة على هرة [٤٤] وكذلك الحيوان^(٢) كله — فلم لا تفضل إنساناً
على إنسان ، وإذا فضلت إنساناً على إنسان ، فلم لا تفضله بالفضائل والأخلاق .

(١) الشف (ويكسر أوله) : الفضل والتفضان ، ضد .

(٢) في هامش الأصل عند هذا الموضع : حامس .

- والعادات والأفعال ، ولكن تفضل بالدراهم والدنانير ، والثياب والضياع ، والغاشية
والحاشية ؟ إنك إذاً لمن الظالمين ، لأنك قد جهلت الفاضل : مَنْ يكون ،
والفضل : ماذا يكون . إن كنت لم تجهل الفاضل ولا الفضل ، فكُن الفاضل
واكتسب الفضل ، فليس بين العلم والعمل سور ، وإن كان سورٌ فليس
من حديد ، وإن كان من حديد ، فالحديد أيضاً يعالج بما يلين به ويستجيب له .
يا هذا ! صارف نفسك في أنفاسها وفي خواطرها ، فإن لم تقدر في نياتها
وعزماتها ، فإن لم تقدر في مقاصدها ومراصدها ، فإن لم تفعل في أفعالها
واختياراتها ، فإن لم تقدر في أبدالها وفيما يقوم مقامها ، فإن لم تقدر فأكبر
نائحة تنوح عليك فإنك ^(١) في الأحياء ميت كما كان غيرك في الأموات حياً .
ما أغرب هذه الإشارة ! وما أخلص هذه العبارة ! ولكن أين الذين يدورون
ويحضرون فيسمعون ، بل أين الذين يسمعون فيعقلون ، بل أين الذين يعقلون
ويحصلون ما يعقلون ! فكم كلمة عقلت ، ولكنها من ذاك شردت ، فطالت
عليها الحسرة والندامة . إن الكلمة تطلب مقررًا لها موافق لها ، فإذا صادفت
سكنت ، وإذا لم تصادف جالت في آفاق النفوس دائبة إلى أن تجد مكانها
اللائق بها . وإذا نطق بها من لا ينتفع بها فذاك أيضاً لتبرؤها عن صدر الناطق
وقلة رضاها به ، وقلتها إلى غيره . وأسرار الإنسان في نفسه ، وأسرار نفسه
فيه غريبة بدية ، لا تستوعب بتحصيل ، ولا يوقف منها على تفضيل .
ولهذا يجب البحث والنظر على طول الزمن ، فإن الفائدة مع الزمان بطول
الإعصار وشدة الاختيار . إلها ! [٤٤ ب] راغت الأبصار حين سرحت نحوك ،
وارتدت خاسئة حين رامتك ، وحارت الألها ب حين فحست عنك ، وانكفأت

على أعقابها فُرْقَةً مِنْكَ : فالأحاساس^(١) تنزّه عنها لأنها أحسن من أن توجد بها ،
والألباب تخبّرها فيك لأنها — على كل حال — خلقتك ، ولست تأذن لخلقك
إلا في لزوم حده وطاعته لك . فقد أضرّ بنا تنزّهك في الأول وتخبّرك
في الثاني ، ولذلك ما قد تَبَرَّأْنَا بهذا الشوق الدائم ، وبهذه الحركة المتصلة ،
وبهذا النزاع القائم ٥١ .

إلّٰهنا ! فإن لم يكن محالاً من أحد هذين الوجهين فجَدُّ علينا بذلك ،
وإنّا لديك شاكرون وله مستحقون . وإن كان محالاً ، فنحن أعلم بك
من أن نسألك المحال ونطلب ما لا يجوز أن يُطلب . فأبرِّدْ أKBادنا من حرّ الشوق
إلى ذلك بالنعاعة والتسليم حين تثبت لك على الصراط المستقيم ، راضين
بما قسمت ، شاكرين لما وهبت ، متقبّلين لما تفضّلت ، مفوضين إليك ،
راغبين فيك ، عالين بأنك المنعم الأول والمحسن الأفضل . اللهم احذف
عن ألسنتنا فضول القول معك ، خاصة في وقت مسئلتك . واجعل هيبتنا لك
بقدر توكلنا عليك ، ولا تجعل بضم أقاويلنا وبالأ ، ولا بعض عقائدنا
ضلالاً ، فإنّا لا نقول إلا ما أنت أهله ، ولا نعتقد إلا ما أنت أولى به ،
ياذا الجلال والإكرام ١٥

رسالة (يد)

إلّٰهنا ! لا حمد إلا لوجهك ، ولا إتيان إلا لفعالك ، ولا نفاذ إلا لحكمك ،
ولا بهجة إلا لعالمك ، ولا نور إلا ماسطع من أدنك ، ولا صواب إلا في قضائك ،
ولا حلالة إلا في كلامك ، ولا قوام إلا بتأييدك ، ولا تمام إلا بترتيبك ،
[١٤٥] ولا صلاح إلا بتهديبك ، ولا مضاء إلا بتسبيبك ، ولا سكون ٢٠

(١) يوجد في هامش الأصل بعد هذه الكلمة : تخبرها .

إلا في فناءك ، ولا هناة إلا في عطاءك ، ولا حكمة إلا في أنبيائك ، ولا أنس
إلا مع أوليائك ، ولا نشر إلا لآلائك ، ولا بصيرة إلا بإلهامك ، ولا سكينه
إلا بإمامك ، ولا حجة إلا في أحكامك ، ولا تدبير إلا بين قضك وإبرامك ،
ولا وصف إلا لك ، ولا وُجد إلا بك ، ولا توكل إلا عليك ، ولا رحمة
إلا منك ، ولا تهالك إلا عليك ، ولا خير إلا عنك ، ولا شرف إلا بتشريفك ،
ولا استبانه إلا بتعريفك ، ولا اعتناء إلا بتوقيفك ، ولا إجابة إلا بتلطيفك ،
ولا رشد إلا في تكليفك . إلهنا ! فبقدرتك التي أتت من وراء خلقك ،
وبحكمك التي اشتملت على جميع بريرتك ، وبمشيئتك التي نفذت في كل عبادك —
إلا آلتنا بعبادتك ، وأمددتنا منها بزيادتك ، وأذقتنا عذوبة القرب منك ،
وخالطتنا بالذين اجتبتهم لخدمتك ، فإنك إذا فعلت ذلك بنا فقد صرفت
عنا غائلة كل غائل ، وأمتتنا كيد كل ما حل .^(١)

١٠
إلهنا ! كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود ؟ أم كيف نجتدك وأنت
بعد الطلب مفقود ؟ لست مفقوداً بالعين ولكنك مفقود عن العين ، ولست
موجوداً بالعقل ولكنك موجود للعقل ، وليس يلتبس أمرك إلا على من
حجبته عنك ، ولم تؤهل لمعرفتك ، ولا رأيته مستحقاً للإشارة إليك . مقتة
١٥
فجيك ، وحجبته فجحدك ، وأنكرته فأنكرك .

إلهنا ! بحرمة هذه السابقة منك إلينا إلا ألحقتنا بعصاة الأتقياء عندك ،
وحشرتنا في زمرة الأولياء قبلك ، وخصصتنا بعد هذا وهذا بما لا نحسن
أن تمناه ، ولا نجسر على أن نتخطاه .

(١) محل به (مثلثة الحاء) ، محالاً ومحالاً : كاده بيساية إلى السلطان .

يا هذا ! إذا سمعت مثل هذه الصفات [٥٥ ب] ، ينثل هذه السمات ،
 على شكل هذه اللغات ، فاستشعر العظمة ، فإنك بهذا الاستشعار تستحق
 التكرمة ؛ وهذه المعارف بهذه النعوت هي سلايلم قلوب العارفين في الترقى
 إلى ساحة الربوبية الفاصّة بأحكام الإلهية ، فهي — عافاك الله — لنفسك
 سُلماً منها ، واحرص على الترقى عليها ، فإذا حصلت هناك فتبَحِّث
 كيف أردت ، وتبَوَّأ حيث شئت ، فقد نجوت من الدنيا وآفاتِها ، وتخلَّصت
 من هذه الدار وعاهاتها ، وقوّت بنعيم لانفادله ، وخلود لا آخر له ، وعِزٍّ
 لا ذل بعده . حبيبى ! أما ترى ضعيتى فى تحفظى ؟ أما ترى رقدتى فى تيقظى ؟
 أما ترى تفرقى فى تجميى ؟ أما ترى عُصّتى فى إسباغتى ؟ أما ترى دعائى لغيرى
 مع قلة إجابتى ؟ أما ترى ضلالى فى اهتدائى ؟ أما ترى رشدى فى غيى ؟ أما ترى
 عيى فى بلاغتى ؟ أما ترى ضعفى فى قوّتى ؟ أما ترى عجزى فى قدرتى ؟ أما ترى
 غيبتى فى حضورى ؟ أما ترى كمنى فى ظهورى ؟ أما ترى ضعفى فى شرفى ؟
 أما ترى سخافتى فى زمامتى ^(١) ؟ أما ترى عُشى فى نصيحتى ؟ أما ترى عنائى
 فى راحتى ؟ أما ترى دائى فى دوائى ؟ أما ترى بلأى من مولائى ؟ أما ترى
 علىّ هذا إلى أن يفنى الورى ، ويتفدّ الثرى ، ويقفدّ الشرى ؟

يا هذا ! لو توحّدت عن كثرتى ، أو تفردت عن صحتى ، أو لزمت حتى
 بدل شبيبتى ، أو رفضت شهوى ^(٢) على شدة شهوى ^(٣) ، لأبصرت الطريق
 واضحاً . وكان دعائى لك بعد سبقى إلى الإجابة ، ونصيحى إليك بعد انتصاحى
 لمن عداك ، ولكنى ممنوٌ مبلوٌ منحوٌ محوٌ : ممنوٌ بنفسى ، ومبلوٌ بجنسى ؛
 منحوٌ بعادتى ، محوٌ بأفنى ؛ فلهذا قد أصبحت مفضوحاً عند كل فاطر إلى

(١) زمت (ككرم) زماتة : وقّر ، والزّيمت الوقور .

(٢) ص : شهوى .

- وواقف على ، وصرت علماً بالخلق بالدعوى العارية من البرهان ، والحجة الملقنة
بلا بيان . إن استمرت ذكرك ، وإن انتشرت [٦٤ ؛ ١] شهرت ، فقد بقيت
مكدوداً مهدوداً ، ليس معي تعلل بالوعد ولا تقلل من الوعيد . أتدري لم هذا كله ؟
أقول لك : « لم » يعني وبينك جارية على سبيل الخبر والاستخبار ، وعلى وجه
التحفظ والاستظهار . هذا كله لأنه أبدأ إلى الحركة والسكون ، وصرف بينهما
كل ما كان ويكون ، ففرقت العميون في العميون ، واختلطت الظنون بالظنون ،
وأشكل أمر الفاني والمغبون ، وحصل الخلق تحت الحال لا يدرون ولا يعمقون .
عمّ التلبيس ، فغمض الفرق بين التعميم والتخصيص . فلا جرم ، إن قال قائل :
هل هو ؟ — أجيب بما يحتره . وإن قال : لم هو ؟ — أجيب بما يخفيه . وإن قال :
كم هو ؟ — أجيب بما يُخْرِسه . فما الحيلة والشتر مُسَبَّل ، وليس له رافع ،
والعجب " واقع وليس له دافع ، والشك معترض وليس له مانع !
يا هذا ! دع سكران الهوى حتى ينهادى في سُكره ، ودع مقلد الحال
حتى ينهادى في نُكره ، ودع مدبر الخلق حتى يوصف بذكره ، ودع المحتاج
حتى يموت على حاجته ، والمريض حتى يقتل في دَنَفه ، والدَّافِئ حتى يفضى
إلى تَلْفه ، — فليس إلى الألفة سبيل ، ولا على دَرَكَ الرضا دليل . للعقل صلف
شديد ، فإذا قُدَّتْه إلى التقايد جمع ، وللحس برق ظاهر إذا أشرت له إلى التسمع
ثاب وعاد ، وثبت واعتاد ، والإنسان بينهما أسير ، إن أراد طاعتها حاداه
وشاقاه ، وإن مال إلى أحدهما اجتماعا عليه ودقاه . فكيف يطيب عيش
مَنْ يفيض صدره بهذه الحفاظ ، ويفعل سره بهذه المغاظ ! ما يطيب
والله لحظة عين . الحديث أطول من هذا ، ولكن في في ماء . على آنى

قد سقت العبارة هكذا وهكذا ، شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً ، وأرضاً وسماً ، فلم أدع للكتابة قوة إلا عصرتها عند العثر عليها ، ولا للتصريح علامة إلا ونصبتها حين وصلت إليها . وإشفاق على من لا يفهم لكدر طباعه ، أو لبلادة فهمه ، أو لغالب جهله ، أو لعصبية تعثره شديدة ، لأنه يفسد وقد قصدت صلاحه ، ويعفوى وقد أردت فلاحه . إنا لله وإنا إليه راجعون .

أضبحت :

... كَأَنِّي ذَبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضَيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ^(١)

لمالك تقول بفضلك وقلة تجربتك وقصور نظرك : فلو سكت في الجملة كان أصح من هذه الاستغاثة المكررة ، ومن هذا العويل الطويل ، ومن هذه البداءات المعترضة ، ومن هذه الطرق المختلفة . فالجواب عن قولك : إنك لو أحسست بالداعي إلى هذا القول ، وبالمهيج على هذا التحويل : لكان عذري عندك مبسوطاً ، وكان اعتراضك عني مقبوضاً . ولكنك لا تحسن ، ولا أظنك تحسن . والله ما تبست من هذه السطور الكثيرة والورقات المتصلة بحرف إلا بعد انخفاق الشديد وعصر الفؤاد بالكره ، وإلا بعد التلويح في المنام ، وإلا بعد الإلقاء والإلزام ، وإلا بعد الاعتراض في المقام والمقام . وكاد روعي يخرج في هذه الحال التي كانت تعرض ، فرأيت الخطر بالبؤس مع هذا الحث المتوالى أهون من هذا الصمت مع هذا البعث المتعالي . فنبست كما ترى . على أنك لو أنصفت ، علمت أني في كل ذلك واسطة مستخدم ، ومُستَعمَر مستفد ، ليس لي في أطرافه أثر إلا ما يتعلق بالنسج والفيحاء^(٢) ، والنفس والإناء . والدليل

(١) من بيت شعر للعباس بن الأحنف . راجع ديوانه ص ١١ س ١٩ .
طبع مطبعة الجوائب . قسطنطينية ، سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) فما بكلامه إلى كذا : ذهب إليه . ويقصد بالإناء : التعبير واللفظ .

على ذلك أتى نظرت فيه كله بعد ارتفاعه ، فما وجدته في موضع منه : لا بالدوق من الباطن ، ولا بالشوق من الظاهر . فإن صدقتني في هذا الخبر ، فقد قضيت حق الزمام الجامع بيني وبينك في الطريقة ؛ وإن كذبتني فما لي بعد هذا حيلة على الحقيقة .

- يا هذا ! دَعْنِي من هذا وهذا ! قلت نعم وقلت ، وأشرت وكُنَيْت ،
وسميت وكنيت ، وحاججت ولا ججت ، وَبَقَيْت [٤٧] واشتريت ،
ومحوت وأثبت ، وجمعت وفرقت ، وَنَصَحْتُ وَغَشَّيْتُ ، وَخَصَّيْتُ وَمَذَقْتُ ^(١) ،
وعسرت وسهلت ، وصدقت وكذبت . كأن ياذا أنت مسيطرٌ على ،
وأنت مطالب في ، « لكم دينكم ولي دين ^(٢) » . ما هذه النفاسة ^(٣) ،
ما هذا الحسد ، ما هذه المفايضة ^(٤) ؟ هل فيكم من برّ له من بين سني قلّبه
هذا كله أو بعضه ؟ ثم لا تفر بالامساك ، لأن الإمساك قد يكون عن قدرة
كما يكون عن عجز . وأقول أيضاً قول الآخر على شكل آخر حتى يكون أقدم ^(٥)
لحسا الحاسد ، وأضرم لنار الكمد ^(٦) ، وأقمت لكبد المنافس . نعم سيدي !
نطقت بالحق ، ونطقت للحق . وما نطقت ولكنه أنطقني ؛ على أنه ما أنطقني
حتى خصني ، وما خصني حتى أذن لي ، ولا أذن لي حتى حلاني تحلية الخطباء

(١) منق الود : لم يخلصه .

(٢) سورة « الكافرين » : آية : ٦ .

(٣) من نفس (من باب علم) عليه كذا ، أي : حسده عليه .

(٤) ص : المفايضة (وانططا من السامع) .

(٥) أفعال تفضيل من قديم : قطع .

(٦) لعل أصله : الكمد ، والكمد هو الحزن الشديد ومرض القلب منه —

كمد : كفرح ، فهو كمد وكمد وكمد .

الذين لا يجوز لهم صعود المنابر إلا بعد أدوات يستعينون بها ، وهيات يتخلون بها . فهكذا جرى أمرى وأعلا وأجهد ، فليجد من شاء ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ^(١) » . إلى متى أداريك وتمازيتي ، وأرايك وتواريتي ، كأني جوزة تدفعني كيف شئت ، وتسميني بما أردت .

يا هذا ! عدّ عن هذا أيضاً . فإنك إن أخذت في اقتصاصه وسياقته طال ولم يدخلك فيه ملل ، لأنه يجري مجرى شفاء الغيظ ، وأمور الدنيا أحقر وأزرى من أن يُوهب لصوابها وقت يمدح به ، أو يفرغ لخطاها زمان تدم فيه .

يا هذا ! عدّ بنا إلى متن التوحيد ، وإلى عمق المعرفة ، وإلى عُقبان ^(٢) الوجد ، وإلى آخر مدى التوكل ، وإلى الملل العارضة في هذه الأحوال ، وإلى الواضحات الواردة بالإشكال ، وإلى المشكلات الصادرة بالداء العُضال .

فإن الخلوّ في هذه الأشياء أنفع من المهارة فيما كنّا فيه ، لأن الكلام مع الخصم من المهارة [٤٧ ب] والمناظرة والمذاكرة . فأما المهارة فباب ينشأ من التنافس وإيثار القلب . وأما المذاكرة فالمقصود بها طلب الفائدة ، كالرأي المعروض على العقول المختلفة إلى أن يقع الاختيار عليه بعد الاتفاق .

وأما المناظرة فتوسطة بين المهارة والمذاكرة ، قد تفضي إلى المنافسة ، وقد توجد بها الفائدة ، وهي كالفكاهة بين العلماء . فإذا سلمت هذه العبارة ، فتعال حتى تقول : متن التوحيد مشاهدة الواحد بالضمير المعتقد على الآخر ، على مهيئة كل ماسواه . وعمق المعرفة سكون النفس إلى المعروف بما لا يس النفس من الأنس . وعُقبان الوجد هو أن كل ما عدا من الوجد ، به بدا .

وآخر مدى التوكل غنية صاحبه برؤية المتوكل عليه عن كل ما اقتضاه التوكل

(١) سور : « الملك » : آية ٥٩ ، « الحديد » : آية ٢١ ، « الجمعة » : ٤

(٢) العُقبان (يضم النين) : العاقبة .

في الأول . وأما العلل الواردة في الأحوال فهي عبادة عن الآفات الناشئة من النفس الأمارة ، وعن الآفات الفاشية في الكون . وأما الواضحات الواردة بالإشكال فكل ما شيع مما اقتضى لم ، فوق الحجاب عنه . وأما المشكلات الصادرة بالداء المضال فهي المقابلات للواضحات الواردة بالإشكال لأنها تصدر عن نيات مشوبة وطويات مريبة .

فهذا ما اعتن^(١) من القول في هذا الوقت . وإذا بسط الزمان كفه وأعرض طرفه ، أتينا على هذا كله بيان أشف من هذا وأشفى ، وضمننا إلى جميعه ما يكون داخلاً في شككه وناهضاً بحمله ، إن شاء الله . فلا يرد عنك لفظ يكون قاصراً عن مرادك في الحال ، فإنك إذا عدت النظر عاد ذلك القاصر بالغاً وذلك المتضائل ضخماً .

يا هذا ! جرّد عن يمتك في نظرية ذهنك ، وتطهير نفسك ، وتقذية^(٢) عينك ، وتنقية قلبك ، ونحلية روحك ، وتوقية بعضك ، وترقية كلك ، فإنك [١٤٨] مطالب بعد قليل بأن تنأجى ربك بلا واسطة بينه وبينك . فانظر كيف تكون في هيأتك وحجتك ، ومعذرتك ومكانتك ، وانبساطك واحتشامك — فإنك إن لم تأخذ عتاد الأمر قبل إطلاله أعجلك إطلاله عن إرساله على حاله . وهذا جرت العادة ومرة الدهر واستتب الأمر ، فلا تجعل التقصير ديدناً لك فليس كل وقت يحتمل ذلك ، واحذر نفسك وحذرهما منك ، فإنك إذا ضمت حذرَكَ إلى تحذيركَ نصحتك وثبتت لك . هذا منتهى قولي لك في هذا الجزء بعد التيات

(١) عَنْ الشَّيْءِ يَبِينُ وَيَعْنُ عَنَا وَعَمَّنَا وَعَمُونَا : إذا ظهر أمامك واعترض — كاعتن .

(٢) قَدَى عَيْنِهِ تَقْذِيَةٌ وَأَقْدَامَا : ألقى فيها القدسي ، أو أخرجه منها ، ضد — والمقصود هنا المعنى الأخير .

وتعاقس اعترضاني بك ومنك . فاسعوا^(١) أبقاك الله بما أمرتك بذلك
وبما نهيتك عنه من أجله ، والسلام .

اللهم إن يحرك إذا عطط^(٢) موجه وهال الواقف منه على الساحل ، فكيف
من هو في وسطه يترنح به الموج وشهاداه الريح ! اللهم فسلمنا كيفاشئت ، واهدنا
التي هي أقوم عندك وأرشدنا لديك . فاحفظنا إذا قلنا ، فإنما تقول لك ولوجهك ؛
وألهمنا إذا سكنتنا ، فإنما نسكت من أجلك ولعظمتك . وإذا كنت
لها^(٣) في حالتي القول والسكوت ، أمنا بعدها بعفوك إن نزل أو نضل^(٤) .
يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (به)

أشرقت الأكوان بالأشباح ، وشرقت الأعيان بالآرواح ، وتجلت أسرار
الحق فيها بين الاقتراح والارتياح ؛ وتناجت النفوس على بُعد الديار
بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار ، وردت على الناظرين خوائف الإبصار ،
والتقت في الغيب سوانح الإقرار والإنكار ، وقيل لصاحب الشوق :
هج وأبأ وغب عليك^(٥) ؛ وقيل لصاحب الوجد : زد تمدا أو مت كهدا ؛

(١) كذا في الأصل فهل أصلا : فاسعد ؟

(٢) لم نجدها في معاجم اللغة ، إنما وجدنا عطط (بالعين) ، والعططة
تتابع الأصوات وحكاية الصوت : عيط عيط . ولهذا يمكن أن تكون هذه
حكاية الصوت : عيط ميظ .

(٣) كذا ! ولعل أصله : لنا .

(٤) نضل كفرح : هزل وأعيأ ؛ والمتصود هنا قل أو لم يأت . أو تقرأ :
نزل أو نضل .

(٥) عليه كفرح : تخير ودهش ، وجاء وذهب فرعا .

وقيل لصاحب العيب : اخساً مهيناً ، واثناً مشيناً ؛ وقيل لصاحب الحب :
 هات بيانا ، وأبرز برهاناً . فمنداها لفظ اللاحظون بعين الصدق ، ولفظ الالافظون
 بلسان الحق شأن الحال ، واضمحلال المقال ، والتواء المنال . فجاجوا
 في السرائر ، وباحوا بالضمائر ، ورفعوا رقوم البواطن والظواهر ، وافترقوا
 عن الآلفة ، وتكثروا بالوحشة ، وخيموا بين سواحل التجنى وبلاغ التمنى ،
 فما مكثوا مطمئنين ولا لبسوا مُرجحين . حتى هاجت دواعي المنى ، وماجت
 سواعي الهوى ، فمن طامح في البحر غريق ، ومن تائه في البر بلا رفيق .
 على أن حفظ الحال مع الشتات والإيهات ^(١) أولى من إهمالها وإرسالها بالعناد
 والإعنت ، ولأن يُكأن ^(٢) في الهوى يحكم التشتيت خير من أن يُكأن
 في السلوة . يحكم الاجتماع . السلوة مخافة ، والهوى مكاتبة ، السلوة سهو الروح ،
 والهوى روض الروح ، والسلوة طرد ، والهوى تحريش ^(٣) ، السلوة إغراض ،
 والهوى استعراض . وهل تعرضت للهوى إلا بعد أن عرضك ، فتعريضه
 قبل تعريضك ، ودعاؤه قبل إجابتك ، ولطفه قبل استعطافك ، وعطفه
 قبل استعطافك . وليس الهوى في هذه القصة حظ النفس أو حظ الحس
 إلى الحس . لا وحق الحق الذي برأ الأشياء ثم برى منها ، وخلأها ثم خلى عنها ،
 وأبانها ثم بان فيها ، وأفاضها ثم فاض عليها . ما المراد بالهوى هناك ، ما يراد
 بغير ذلك ؟ إلا بيضاء ^(٤) مترادفة بالمعادة ، متصادفة بالإفادة . فالأسماء مطروحة
 بالتوقيف ، والمعاني مأخوذة بالتعريف . الأسماء مختلفة بكدر الخلق ، والمعاني

(١) الهت : تمزيق الثياب والأعراض .

(٢) كان يكين : خضع ، وأكأنه الله : خضعه وأدخل عليه الذل .

(٣) التحريش : الإغراء . ومنه : حرّش بين القوم : أغرى بعضهم ببعض .

(٤) كذا : نصا !

مؤتلفة بصغر الحق . الأسماء مسموعة بلسان التفرقة ، والمعاني مسموعة بلسان الجمع . الأسماء متنافية باللغات ، والمعاني متصافية بحكم الصفات . أما تعلم أن الأنس بالمعاني على إشار الحق ، مُقَدَّم [١٤٩] على الاستيعاش في الأسماء لتنافيها على إشار الخلق ؟ الأسماء محدودة بالأفهام ، والمعاني معدودة بالإلهام .

٥ فإياك أن تلحق المعاني بعين الاسم فتعطب ، وإياك أن تعطى الاسم ذات المعنى فتتعب ، وإياك أن تعطى المعنى رسم الاسم فتكتب ؛ وإياك أن تفرق بينهما فتتهم ، وإياك أن تجمع بينهما فتوهم . ههنا زلقت أقدام المتكلمين ، وانتكست أعلام المتحدثين ، لأنهم « سَعَوْا فِي آيَانِهِ مُعَاجِزِينَ » (١) ، ونظروا في الآية مشبهزين ، وركنوا إلى عقولهم مفتخرين متعززين ، فنكسوا على أعقابهم خائبين خاسرين . إن كنت من أهل القصة فتجرع بالتسليم مرارة القصة ، إن أردت أن تلحق بالملأ الأعلى فذب بين البلاء والبلى ، إن كنت من أهل الحنة فلا تنظر إلى الحنة ، ولكن انظر إلى المنة في الحنة .

يا هذا ! الفص عن ودائع الحق فيك ، واتقض خزائنه قبلك ، واشهد آلاءه عندك ، واطلب مزيدة بالشكر على ما تولاك . فإذا أعوزك الشكر فاعترف بالعجز عن القيام بما أمرك . قوض إليه ما زوى عنك علمه ، وطوى دونك حكمه ، وستر عن عقلك حكمته ، وأظهر على جهلك قدرته . إن أوحشك خفاء الحكمة ، فاستأنس بظهور القدرة . إن أدهشك فضاء الإلهية فاستأنس إلى حد العبودية . إن غاظك انفراده بمعلومه منك وإرادته فيك ، فاستكن إلى ما ألبسك من أمره ونهيهِ . واعلم أنه إن اطرَد عليه اعتراضك لم يصلح أن يكون إلهاً لك . وإن سمع فيه قولك ، لم تصلح أن تكون عبداً له .

٢٠

(١) سورة « الحج » : آية : ٥ ، سورة « سبأ » : آية ٥

يا هذا ! انظر إلى زينة الكون مستظرفاً ، وفكر في دواوين ملكوته مستعرفاً ،
وانتبه عن رقدة تلك متخوفاً ، ثم انتبه في انتباهك متوقفاً ، ثم احكم على نفسك
متصرفاً . ولن يُفْتَحَ لك هذا الباب ، ولا يُبَسَّطَ لك هذا البساط
[٤٩ ب] حتى تصحب كونك بفراق كونك ، وتبدي في عينك عن عينك ،
وتنأى عن شاهد زينتك وشيئتك ، وتمحو أثر المكان في أريك ، وحتى يبقى
« أنت » منسلخاً عنك ، ونعتك منفسخاً عليك ، وحتى ترى أن مطاربك بالتمنى
معاطبك بالتمادى ، وما لك بالعيان مثالك بالخير . فإذا بلغت هذا الحد ، لم يبقى
بينك وبينك ^(١) ضد ، ولا ند . فرد ، حينئذ ، بحره الطامى ظامئاً ، ورد
روضة الناضر ^(٢) ناظراً ، فإنك تذوق بغير مذوق ما لم يدقه مخلوق اه .

- يا هذا ! إن عاقل العجز المبدور فيك عن تناول الجوهر المنور عليك ،
فارغ زهرة الأمانى متعللاً ، وتشبث بملاقى التوحد مترسلاً ، ونمخ على نفسك
نوح الشكول ، وكاشفها مكاشفة النصوح العقول ^(٣) ، وافتتح أمرها بأن تخطيها
عن عاداتها وتكظمها عن حركاتها ، وتخدمها مستخدماً لها . فإذا صرخت عليك
فاضحة لك ، فامتنتها صائناً لها ، وذلكها طالباً لغيرها ، وانسبها إلى غيرتها ،
واستر عليها ما في طيها — فإنها إن لم تطعك كل الطاعة ، لم تشنع عليك
كل الشناعة . يا هذا ! ارفق قليلاً ، والحق معنى جليلاً : احتجب عن الجهل
بالعلم ، وغض عن الفهم بالوهم ، واقتر الذكر بالفكر ، واطلب المزيد بالشكر ،

(١) لعل أصلها : بينه ؟ أو المعنى أنه وصل إلى الاثنينية التي تنقلب عما قليل
إلى التوحيد بين الأنا والآنا ؟

(٢) ص : الناظر ناظراً — وقد وضعت الظاء مكان الضاد إما خطأ
من الناسخ ، أو اشتباهاً منه وهو يسمع من ثمل ينطق الضاد كالفرس .

(٣) العقول : المدرك الفاهم للأمور . والنصوح : الناصح . الشكول : التكليل .

وأخف المكر في الأمر ، وامزج الصحو بالسكر ، وألف ما بين العدل ^(١)
والشكر ، وشرف القول بالفعل ، وتوَدَّد بين الفصل والوصل ، ثم أرق على الكل
في الكل ، فإن محقق الكل فوق الكل ، أتدري ما الذي وجدت فيما وجدت
من أوجد كل واحد ما وجد ؟ وجدت الجملة العويصة على الجمهور هي التفصيل
المشكل على الأفراد ، والحال المفروضة بالكمال هي النهاية المنقوضة بالتحقيق
عند الخواص ، فأنا عند العيان قائم مع البهت ^(٢) ، وعند الخبر واقف
مع التهمة ، ومع النصيحة متمسك بالاستقشاش . إن قلت قلت متحسراً [١٥٠]
وإن سكت سكت متحيراً ، وإن نظرت نظرت متنعراً ، وإن أغضيت أغضيت
متذمراً ، وإن سكتت سكتت متبوراً ، وإن تحركت تحركت متشوراً ^(٣) .
فأنا كما قال بعض العارفين :

عرفت الحب ^(٤) لما صار كل	بدا من كله صبا عميدا
أشرت إليه من أمم ^(٥) لاني	أمنت من الهوى فيه ضودا
قهرت به عليه إذ جاني	بمعناه ، وصرت به وحيدا
أنت به لبعدي الخلق مني	فقد أصبحت موجودا فقيدا
معاذ أنت في وهمي وحسني	بأن أصبحت مبدئي المعيدا
وقالوا : قد وصلت . فقلت : قولا	أكون به غويا أو رشيدا
ظننت أنني أدركت معنى	وأنتي يدرك العدم الوجودا

(١) العدل : اللوم .

(٢) البهت والبهتان : الكذب ، الافتراء .

(٣) تشور : فعل فعلا يستحياء منه .

(٤) ناقص ، هو أو ما في معناه ، حتى يستقيم الوزن .

(٥) قريب .

يا هذا ! هذا لسان التصوف ، والتصوف اسم يجمع أنواعاً من الإشارة
وضروباً من العبارة ، وجهلته التذلل للحق بالتعزز على الحق ^(١) . يا هذا ! حواجز
الكون معترضة دون دلي ^(٢) النش بزينة الكون ، لأن مدار الكون على تقلب
وقلّت يصيران بهذا الغير إلى متخل ضيق . وحكم المدفوع إليه حكمه ، لأنه
من نتاجه ونسجه ، وغراسه وسقيه . وإتباعاً يوحد الحق الواحد الواحد ٥
بعد الواحد بما يهب له من الغيب في الغيب ، حتى يُطَيَّرَ ها هنا من الريب
والغيب . وهذا مرام بعينه ، وأمر صعب ، ومحنة عمت وشملت ، وبليّة
أطلّت من فوق وأقلّت من تحت . قل لي : متى تمجلى بنات الصدور على هذه
الشرايط ؟ ومتى تقوى عزائم الصبر على هذه البسائط ؟ — ليس إلا التماثل بخلاوة
النجوى ، والعزوف عن مواطن الشكوى ، والألفة من كشف آثار البلوى ، —
١٠ إلى أن تعطف عواطف ، وتلطّف لواطف ، فيشتقى حرّان ، ويهتدى حيران ،
ويُرَقَّأ دمع ، ويصفو تَمَجُّع ، وينقى من العين [٥٠ ب] ما كدرها ،
ومن النفس ما غيّرَها ، ومن الطّرف ما أقذاه ، ومن القلب ما آذاه ا هـ .
أفدى والله هذه الفنون ، المستخرجة من هذا المعنى المصون . أفدى
والله عيناً باتت تدمع من خشية الله . بل أفدى والله نفساً ظلت خاضعة مهينة
١٥ هيبة لله . بل أفدى والله لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله . بل أفدى والله
قلباً ما يزال خافقاً من حياء الله . بل أفدى والله قدماً رَلَّتْ على الحركة
في سخط الله . بل أفدى والله يداً كَفَّتْ بناهما عن تناول ما لم يُبيحه الله .

(١) كذا في الأصل . والتعزز يأتي بمعنى اللوم والتعظيم ، ضد . ويجوز
أن يكون الأصل هو : التعزز على الخلق .

(٢) كذا ! ولعلها : دون البصيرة على ...

بل أفدى والله روحاً تمالك وتجداً على أولياء الله . بل أفدى والله نعمة أدبت بها حقوق الله . بل أفدى والله عزلاً اشتاق إلى موعود الله . بل أفدى والله كيداً أوتر على الراحة لوجه الله . بل أفدى والله الحديث عن الله والحياة مع الله . بل أفدى والله خاطراً يسع مبعثراً بذكر الله . اللهم هب لنا حال القائل :

ما إن تنفستُ إلا خطرتُ أنت ببالي
ولا رميتُ بطرفي إلا وكنتُ خيالي
وما ذكرتُك إلا وجدتُ وجداً بدا لي

اللهم وثقونا بعزيمة الراجين إلى بابك ، وبيض وجوهنا عند مناجاتك ،
واغمرنا بمواد مواهبك ومنحك ، وآونا إلى كف أمثك بالأمن منك ، وأمطر علينا
سحاب جودك وعطفك ، ووقفنا لأقصر السبيل إليك ، وخفف علينا في كل
الأمور التوكل عليك ، وسهل علينا طلاب ما أعددت لأوليائك لديك ،
واسألنا منك ، وشرّدنا عنا ، وخدّنا لنا . وبقنا علينا ، ولا توالنا بالنعم
استدرأنا ، ولا تهلنا بالنطاول احتجاجاً ، ولا تؤاخذنا بآثامنا^(١) ، وارحنا إذا
صرنا عظاماً ورثاناً ، وجد علينا إذا صدر الناس أشتاناً . إليك وكلنا كلنا ،
وعليك طرحنا كلنا . يامن هو أرحم بنا منك ، وأنظر لنا من أنفسنا ، وألف
بنا من آبائنا وأمهاتنا . امح حنا صفاتنا باستيلائك ، ثم خلنا علينا فيك
بولايتك اهـ .

(١) بيات : اسم من يئس العدو : أوقع به ليلاً من دون أن يعلم .

[١٥١] رسالة : (يو)

اللهم إني أسألك الحمد ، والرضا عنك ، والسكون إليك ، والثقة بك ،
والقرار معك . فإن في الحمد لك زيادة ، وفي الرضا عنك قربة ، وفي السكون
إليك توكلاً ، وفي الثقة بك إخلاصاً ، وفي القرار معك مضافة . فَأَجِرْنَا ^(١)
من عَيْبِ يَمَسُّ النَّفْسَ صباح مساء ، وأَعِزَّنَا من كل ما لا طاقة لنا به في ظلام
وضياء ، واصرِفْنَا عن كل شُبهة وزياء ، واكشِفْنَا عنا كل بلاء وعناء ،
واعمِّمْنَا بكل عطاء ورحمة ، واخْصُصْنَا بكل ولاء وآلاء ، وحُلِّمْنَا وبيننا
حتى نكون لك على الصفاء والنقاء ، بعد الفناء في دار البقاء ، فإن الخيلولة بيننا
تُصَيِّفُ صفاتنا ، وتطهِّرُ حياتنا ، وتكثرُ تحياتنا ، وتدنيننا من فناءك ،
وتوهلنا لوفدك ^(٢) وعطائك ، وتصل بيننا وبينك بلطفك وعلائك ، وترسمنا
في رُحمة أوليائك وأصفيائك .

أيها المسترق السمع ، المتوالى في هذا الجمع ! إذا سمعتني أدعو الله ، فثق بحسن
ظني به ؛ وإذا رأيتني أدعوك إليه ، فثق بخالص نصحي لك ؛ وإذا وجدتني
أذكر الله ، فاعلم أنني أريد التقرب إليه ؛ وإذا صادفتني أصف الشوق ، فتيقن
أنني أريد بك أخذ العتاد والأهبة ؛ وإذا لحقتني أشير إلى المحبة ، فاعلم أنني
أهيجك على المواصلات ؛ وإذا رأيتني أعيب الدنيا ، فاعلم أنني أريد أن أصرف
عنها نظرك ^(٣) . أما سمعت الحكيم كيف يقول : إني رأيت عواقب الدنيا
فترك ما أهرى لما أخشى . ففكرت في الدنيا وجدتها فإذا جميع جديدها يبلى ،

(١) أجاره الله من العذاب : ألقاه منه .

(٢) كذا ! ولعل صوابه : لرفدك .

(٣) بالهامش : نسخة : بصرك .

وإذا جمیع أمورها عَقَبَ ^(١) بین البریة قلما تَبَقَى ؛ وإذا بها حُرِفَ لَعْنَةً لِنَافِ كُلِّ
مَوْضِعٍ زَهْرَةٍ أَفْضَى . وبلوتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا فإذا كُلُّ امرئٍ فی شأنه یَسْعَى . ولقد
نَظَرْتُ فلم أَجد خُلُقًا أَعْلَى بِصَاحِبِهِ مِنَ التَّقْوَى . ولقد طَلَبْتُ فلم أَجد أَحَدًا
بَأَعَزٍّ مِمَّنْ قَنَعَ وَلَا أَغْنَى . ولقد مررت علی القُبُورِ فما مِيزَتْ بَینَ العَبْدِ وَالْمَوْلَى .
[٥١ ب] ما زالت الدنیا منغصّة لم تُعَرِّضْ صَاحِبَهَا مِنَ الْبَلْوَى .

يا هذا ! إذا وجدت طیبًا یجمع لك بَینَ الْخُلُقِ وَالنُّصْحِ فارفع إلیه
دَاكُ ، واعرضْ علیه عِلَّتْكَ ، واصدِّقه عما تقدم من غیبك ، فی مطعمك
ومشربك ، حتى یصدقك عنك ویخبرك منك ، ویتلافك لك ، ویستقیک
ما یغفرك ، ویحمیک ما یضرک . هذا إن كنت تحس بدائك ، وتحنّ إلی شفائك ،
وتعلم أنّك مطبُوب ومحتاج إلی قِیمٍ بك ومُرفِقٍ لك . ^(٢) وما أحسن ما أُلِّمَ
بهذا المعنی بعضُ الْمُشْتَحِینَ ^(٣) ، فقال : أَجِیرونی مِنَ السَّكَمِ الْمَعْنَى .
وإن لم ترققونی فارفقوا بی . يا هذا ! دعنی من دَائِكَ وَعِلَّتِكَ ! أین أنت
من مررتك فی هَنَكْ ، وهل لك فضل فی قُوَّتِكَ ^(٤) . ^(٥) ومن لك بأَمْنِكَ
فی خِفَّتِكَ ؟ أترأى تفرق فی حالتیک بَینَ ذَلَّتِكَ وَعِزَّتِكَ ؟ إن كان عندك
لهذه المنازل علامة فاستبشِرْ ، فقد جعلك الله من أهل الكرامة . وإن كنت
غریبًا منها فالزم باب الندامة ، فلكم تهدي إلی الغنیمة أو إلی السلامة .

يا هذا ! اختلط الإفصاح بالسكنة ، وتلاقى النعم والحنة ، والتبست
الغبوة بالفیطنة ، وانقضت عهود الرغبة والرغبة ، وصار الاستئناس من أحكام
الجهل فی مقادیر الاستیحاء من أحكام السر ؛ والشفاه ذابلة والصدور حامية ،

(١) یتعاقبونها واحد بعد آخر فلا تذوم لواحد .

(٢) ما بین المعقوفین من هامش الأصل .

(٣) أى الذین أصابتهُم بحنة .

والقلوب متلظية ، والعيون غرقى بالدموع ، والحدود ملطومة بالأكف ،
والوجوه مخوشة بالأظفار ، والجيوب مشقوقة بالأيدي ، والفواثت متمناة
بالحرق ، والعيانات مشوبة بالفسرات ، والأكباد مفتقة بالعبرات ،
والأحشاء ملتهبة بالزفرات ، والنظارة متحيرة عن هذه النوازل . والأعداد
شامنة بهذه الدواهي ، والأخبار مرفوعة بهذه الشناعات ، والديوان ناطق بهذه
الفصائح ، والمائم منعقد بهذه النوائح . فاللائم ملوم والحامد ممدوم ، والمعزى
ثاكل والسالى متناول ، والزاهد محاول والراغب متناول . فيالك ^(١)
من هرج ومرج قد وقع فيهما أهل هذه العبارة والإشارة ، بلا أمانة ولا أمانة:
بلا أمانة من حلم يكف طلائع البأساء ، ولا أمانة من علم يزف غرائس السراء .
يا هذا ! إذا دم [١٥٢] مثل هذا الأمر المشكل ، وحار له اللب ، وعزب
عن تصرفه الرأي ، فلم يجد هضبة تفيك إذا تحوَّتها وعلوتها فانخلع
من صفاتك ^(٢) التي قد عادت عليك وبالأ ، وأورثتك حيرة وخبالا . ولقد أجاد
من قسّر هذا المراد بظاهر من القول يزكو في نفس المستمع إذا كان لنفسه
نصيحا ^(٣) وكان في سعيه نجيدا ، حين قال :

وإذا جهلت فلم تجد خبراً فسل الزمان فعنده الخبر
وإذا نظرت تريد مُعتبراً فانظر إليك فتيك مُعتبر
أنت الذي لا شيء منه له وأحق منك بمالك القدر
صوّر خِلَقَن من التراب معاً يبقى التراب وتذهب الصور

(١) كذا ، ولعل أصلها : فياله .

(٢) ص : حفاتك !

(٣) نصيح : ناصح . ونجیح : ناجح .

يا هذا ! ما أجنحك ^(١) عن كل حظ لك في مسرتك ، وما أجنحك
 على كل حال هي عليك في مضرتك ! فيا أيها الحاسي قمه بيده ، ويا أيها الساعي
 على نفسه بحفته ! إلى متى تغتر وأنت تظن أنك غير مغتر ؟ إلى متى تُدبر
 وأنت عندك أنك مقبل ؟ وإلى متى تُصم وأنت في حسابك أنك تسمع ؟
 وإلى متى تعي وفي تقديرك أنك مُبصر ؟ وإلى متى تحسب أنك راجح وأنت
 عين الخاسر ؟ تقول : خذ يومك ^(٢) ، واتهم لذتك ، وبادر ساعتك ، ونل
 إلى إرادتك ، وابلغ آخر ما في نفسك ، فإنك ميت على قليل ، وهالك في أول
 الرعيل . صدقت يا جاهل في وقتك ، فالآن وجب النظر فيما بعد هذا الحديث .
 فليست الغارة إلا في هذه الغارة ، ولا ترك الحزم إلا في تقديم هذا العزم ،
 ولا المقد البوار إلا في هذا البدار ، ولا الدمار إلا على هذا القرار . أرجع
 فأقول : لعل عذرك مقبول ، فإن النفس أماراة بالسوء ، والشياطين مستحوذة
 بالكيد ، وقرين السوء متسلط . [٥٢ ب] فالألف والعادة جارية على سذنها ،
 والإرادة جادة على عنفها ، والمعالجة عارضة بفتنها . فإين نجدك أو أين نجدك ؟
 ذهبت قبل أن جيئت ، وهلكت قبل أن سلمت ، وبطلت قبل أن حققت ،
 وبذت قبل أن كنت ، وفقدت قبل أن وجدت ، واعوججت قبل
 أن استقيمت ، وهبطت قبل أن علوت ، وشكلت قبل أن مُنمت ، وغبت
 قبل أن شهدت ، وعُزلت قبل أن وليت ، وأمست قبل أن أصبحت .
 فيا أيها الجاني على نفسه ، الجارى ^(٣) في يومه على حكم أمسه ! أما تظن
 أنك مبعوث ، وعلى البعث محثوث ؟ هذا إن لم تعلم باليقين أن الطين ربما نفع ،

(١) جنح عن كذا : مال وعدل .

(٢) كأنها ترجمة حرفية للقول اللاتيني المشهور : Carpe diem !

(٣) في الأصل : الجارى .

وربما حمل على الاستظهار وأمتع . فإلى أدعوك وأنت تافر ؟ لعلك عند الله
في حكم كافر . ولم أقطع زمانى بك من غير جدوى تنطق بفلاحك ورجعتك ؟
ها هنا وصية ، فيها لك نصيحة وقيمة ، فتقبلها عاملاً بما فيها بعد أن تتف عليها
عاقلاً بما فيها ، غير مداح لنفسك ، ولا خادع لها عن حظك — كما قال الأول :

استرَّ بصبرٍ خَلَّكَ والبسَ عليه سَمَكَ^(١)
وكلَّ هزيليك على الراحَةِ واشربَ وشاكَّ^(٢)
إذا اعترتك فاقةٌ فارحل برِّقَ حَمَكُ
وارغب إلى الله م ونظاً بما لديه حَمَكُ
وآخر في الله وصلَّ في دينه من وصلك
رزقك بآتيك إلى حين تلاقى أحمك
مالك ما قدَّمته وليس ما يمدك لك
وللزمان أكلة إذا اشتهاها أكلك
وللردى قوسٌ فإن رماك عنها فَمَكُ
يا ربِّ إني راغبٌ أدعو وأرجو فَمَكُ^(٣)
أنت^(٤) حفيٌّ لم تُخبِّ دعوة راج أملك
فأعطني من سعة يا من تعالى فَمَكُ !
سبحانك اللهم ! ما أجلُّ عندى مَمَكُ !

(١) السَّيل : الخلق البالى .

(٢) الوَشَل : الماء القليل .

(٣) التَّغَل : الهبة .

(٤) الحفيٌّ : العارف الشئىء حقَّ معرفته ، وربما كان الأصل هو : الخفى .

أما تراني يا هذا كيف أداريك بالرفق ، وأواريك بالخلق ؟ أَدْعُوكَ بالنُّزْهِ
إلى أن تنقثر عما قد زيفك وأفسدك ، ثم أعطف عليك بالنظم إلى ما قد
شَرَّفَكَ [٥٣ ب] ورفضك . ولا تعجب من فراغي لك فَإِنِّي مُوَكَّلٌ بِكَ
من قَبْلِ مَنْ هُوَ أَمْلَكُ مِنِّي وَبِكَ . فلعلك إذا أُجِبْتَ نَدَائِي ، وفهمت دُعَائِي ،
درجتُ معك ، وسلكتُ منهجك ، وتحليت بحليتك ، فَإِنِّي مِنْ حَيْثُ أَتَاكَ مِنْكَ
مُجَابِبٌ ، وَأَنْتَ مِنْ حَيْثُ تَجِيبُ مُنَادِي . فَإِذَا التَّامَتِ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ بِالْإِعْطَاءِ
وَالْإِجَابَةِ ، صَارَ الدَّاعِي مَجْمِيًا ، وَالْمُجِيبُ دَاعِيًا . وَإِذَا صَحَّتْ هَذِهِ الْإِشَارَةُ كُنْتَ
الْقَائِلُ وَأَنَا السَّامِعُ ، وَكُنْتَ إِيَّاي فِي هَذَا الذِّكْرِ الْجَامِعِ . فَبَادِرْ بِدَارِ الْكَيْسِ
لِتُسْتَيْسِحَ ، وَتَأْتِيَ تَأْتِي الْمُنْتَفِسِ لِتُسْتَرْجِحَ ، فَالْظُّهْرُ كُلُّهُ أَمَامَكَ — وَأَنْتَ تَجِدُ
مَا أَقُولُ حَقًّا إِذَا شَهِدْتَ مَقَامَكَ . اللَّهُمَّ زِدْنَا طُمَأْنِينَةً إِلَى ذِكْرِكَ ، وَزِدْنَا خَوْفًا
مِنْ مَمْرِكَ ، وَانْمِغْسِنَا فِي بَحْرِ نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ ، وَاعْلُنَا بَعْدَ التَّهْلِيلِ ^(١) مِنْ حَبْلِكَ ،
وَلَا تَقْرُنَا بِخَلْقِكَ فِي خَلْقِكَ ، وَصَلْنَا بِتَأْيِيدِكَ فِي مَعْرِفَتِكَ وَوَصْفِكَ ، وَاقْطَعْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَادِلِينَ ^(٢) بِكَ وَالشَّاكِّينَ فِيكَ وَالنَّاكِثِينَ لِعَهْدِكَ وَالْمُكَذِّبِينَ
بِعَهْدِكَ . وَصَالِحُنَا بِيَدِكَ ، وَكَالِفُنَا بِوَجْهِكَ ، وَقَدَّسْنَا بِنُورِكَ ، وَحَلَّنَا بِشَعَارِ
مَرَضَاتِكَ ، وَعَلَّنَا إِلَى مَعَادِنِ كَرَامَتِكَ ، وَهَيَّمْنَا ^(٣) فِي الْوَجْدِ بِكَ ، وَغَلَبَ
عَلَيْنَا التَّوَكُّلُ عَلَيْكَ ، وَأَلْهَمْنَا الْإِتْسَابَ إِلَيْكَ ، وَكُنْ حَافِظُنَا بِقُدْرَتِكَ ،
وَمُحَفِّظُنَا بِتَأْيِيدِكَ . وَقَبْلَ هَذَا كُلِّهِ فَأَنْسِنَا يَا رَبَّنَا خَلْقَكَ ، فَقَدْ أَشْجَوْنَا فِيكَ ،
وَكُذِّبُوا فِي وَصْفِكَ لَكَ ، وَأَجْلَبُوا ^(٤) عَلَيْنَا بِسَبِّكَ ، وَزَمُونَا عَنْ قَوْسِ

(١) عَلَّ ، يَعْصِلُ وَيُعِيلُ : عَلَا وَعَلَّلَا وَتَعَلَّلَ : شَرِبَ ثَانِيَةً أَوْ تَبَاعَا . وَعَلَّه :
سَقَاهُ كَذَلِكَ . وَتَهَلَّلَ يَتَهَلَّلُ تَهْلِيلًا : شَرِبَ أَوَّلَ الشَّرْبِ . وَالتَّهْلِيلُ أَوَّلُ الشَّرْبِ .
(٢) عَدَلَ فَلَانٌ يَرْبِيهِ : أَشْرَكَ .
(٣) هَيَّمَهُ الْوَجْدُ : جَعَلَهُ ذَا هَيْامٍ .
(٤) أَجْلَبَ الْقَوْمُ : تَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِلْحَرْبِ .

واحدة لا عتزازنا بك ، فاكفيناكم كيف شئتم ، وأرخنا منهم كيف أردت .
 فما لنا عيش إلا ملك ، ولا لنا مأوى إلا عندك ، يا إله الخلق أجمعين !
 قد نجست لك — متبرحاً — هذه النصائح ، فتجشمت لنفسك — متسرعاً —
 إلى — القبول ، فإنك بذلك أحطى مني ، ودع عنك الهوى فإنها مدحضة لكل
 قدم ، وممطرة لكل خاطئ ، ومهواة [٥٣ب] لكل جهول ولا يغرك ما يوافيك
 من حظوظك التي يغبطك عليها بنو الدنيا ، فإن ذلك إلى اضمحلال . فاجتهد
 في استبانة أمرك ، وتعرف خاصة ما يعينك ، ورُجَّ يومك بمطفٍّ^(١) وكف ،
 واعمل على أنك غير سبيل وقافي دليل ، فإنك إن لم تفعل ذلك هلكت ،
 وإذا هلكت فقد فُتَّ [به] ، ولوانكسرت لرجونا لك الانحيار ، ولو افتقرت
 لطعننا^(٢) لك في اليسار ، ولو ضللت لتعينا لك في الإرشاد . فأما إذا هلكت
 وفُتَّ ، فمن لنا بك ومن لك بنفسك ! هيهات ! ولك أمر قد خرج عن مستطاع^(٣)
 غير مستطاع البشر ، وزلَّ عن حيلة ذوى الحيل ، واليوم أنت حاضر ولك
 السمع والبصر ، وأنت بحمد الله على خطر ، فلا غرر ، فابذر واحرث وأسق
 وحافظ . فمن قليل إذا حال الخول أذاك أو ان الحصاد ، فحينئذ تسر وتبهج ،
 وتعلم أنك قد أصبت فائدة ما كنت به تلتهج . أما أنى لو عقلت أمري ،
 لما أعرضت عن أسرى^(٤) ، وفروحي إلى الشغل بك ، والإشبال^(٥) عليك .
 وما على منك ، والله لو نجوت ما كان ذلك نافعاً ، ولو نشبت ما كان ذاك

(١) طَفَّ منه الشيء : دنا .

(٢) لعله : طمعنا .

(٣) أى عن غير قدرة بنى الإنسان .

(٤) صر : أسوى .

(٥) الإشبال : أشبل عليه : عطف عليه وأعانه .

ضارتي : كل شاة برجلها تُنَاط ، وكل حَرَم فِعْزَةٌ يحاط . أنا والله في أمر لا يُنَادَى وليده ، ولا يرجى جهيده ، ولا تُنْشَد ضالته ، ولا تؤمن غائلته ، لأنني مع طيِّ مستور بيقين ، وضير محشو بفتون ، وقلب مقلب على فنون ، إن نبتت من خبري بحرف ، سُتِيتُ كأس حُتِف . فلا جَرَمَ كلامي كله كناية ، وإشاراتي كلها مُدْبِجَةٌ ، وبياني من أوله إلى آخره فُهاة ، والشبهة على مشتملة ، والآفة في محبطة ، والبال قلق ، والجو أكْلَف^(١) ، والسر أغلف ، وأنا أَهْرَف بما أعرف وبما لا أعرف . اهـ

اللهم إليك أشكو ما نزل في منك ، وإياك أسأل أن تعطف على برحمتك . فقد وَحَّكَ شِدَّتِ الْوِثَاقِ ، وَضَيَّقَتْ الْخِطَاقِ ، وَأَقَمَّتِ الْحَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . [١٥٤] فبحقك وبعزتك إلا أرخيت وتغمدت ، وأحسنت وتفضلت ! فقد كدنا نحكى عنك ما يبعدنا منك . ولو حكينا ذاك لكان في حلمك ما يسمعك^(٢) ؛ ولكننا نخاف خلقك الجاهلين بك فإنهم يضيئون عما تسع ، ويجهلون ما تعلم ، ويبخلون ما تجود ، وينقصون^(٣) بما تسيغ . اهـ

يا هذا ! طهر نفسك من الخرقه على فائت الدنيا ، وقدس نفسك من الأسف على ما لم ترزق في الأولى ، وتطامن لحكم الحق وإن شقَّ عليك ، فإن ذلك أنهنسُ بك وأشد لاستقلالك وأظلم . بدد همك في سلك نراحتك ، وانثر عن كاهلك كل ما أفتاك في مقصلك ، وكن لنفسك بنفسك تجد أنسك في أنسك .

(١) الأكلف : الذي تعلوه حمرة كدرة — يقصد مكفهرا .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : يسمعه .

(٣) غص ينص ويغص بالطعام والماء : اعترض في حلقته شيء منه فمنعه النفس ، فهو غاص وعصان . وفي الأصل : ينقصون ما .

وإياك و«لو» فإنها مَرْقَعة . وإياك و«لعل» ، فإنها مغلقة . وإياك والتمنى ،
فإنه ^(١) مغلقة . وإياك والهوى فإنه مغلقة . وإياك والهمة ، فإنها مغرقة .
وعليك بالفكر الصحيح ، والرأي الصريح ، والصاحب النصيح ، فإنك بهذا
وأشباهه تنعم سرّاً وجهراً ، وتعلك بطناً وظهراً . ومهما شككت فلا تشك
في رحيلك عن هذا المكان إلى ذلك المكان ^(٢) . فاجتهد أن تكون مقبولاً
لامردوداً ، ومجموعاً لا مفرقاً ، وعيقاً لا نقلاً ، وساطعاً لا كاسفاً ، ومطمئناً
لا حرجاً ، ووثاقاً لا متبهاً ، ومسلماً لا معتزلاً ، وباقياً لا منقرضاً . قرن الله
جهتك بالتوفيق ، وعصمتك بالحيطة ، وهداك بالحق إلى الحق — والسلام .

رسالة (يز)

الحمد لله الفرد الذي عنت له الوجوه ، وحارت في كنهه الأبواب ، وطاعت
لأمره المعاسير ، واستقبت على إرادته المياسر .
يا هذا ! أقسم إلى حضري ^(٣) شخصك ، وآخر عن فهم مقالتي نقصك ،
وقرب أذنك ، وفرغ بالك ، وحصل عقلك ، ومكن قلبك [٥٤ ب] ،
واستوقف حبك ، واحفظ باليقظة نفسك ، واعص طبعك ، وأنس رفعتك
ووضعك ، واعرف الحق فيما أريد إليك ، فقد أرسلت التلم ، وقلت ما سنج
غير متبعض ولا عتشم ، ولا متعمد ولا متعمم . واعلم أن سوابق زفرتي
في الحال من دفين وجدى به ، وبوادى عبرتي عليه من مكن شوقى إليه ،

(١) جن : فإنه .

(٢) المعان : المنزل — ويقصد به هنا : الآخرة .

(٣) الحضر : الحضرة .

وثوابت ككدي معه من ملاهب أسنى على ما يفوتنى منه . فلهذا لانصاف ^(١)
 عندى ولا عدل ، ولا لوم عليه ولا عدل . وقت ^(٢) ينفض ما أودعه الحق
 من أحكام قدرته ، شاهداً بآثار حكمته ، والنقلان تحت الملكة تحسن السياسة
 والإيالة ، وفى نجوة من الهلكة بحصيل الحراسة والإيالة ، لا مبدل لآياته
 ولا معقب لكتباته وهو الحق المبين ، الفعال لما يشاء ، المصروف على ما يريد .
 يُفرق والسر فيه تأليف ، ويجمع والحكم فيه تفريق . محبٌ ينفرد به ،
 ولطيفة لا توجد إلا منه ، وأمر لا يفضيه غيره ، وحكم لا يقضيه سواه .
 هنالك لا مجال للعقل ، ولا مسرى للوهم ، ولا ثمرة للتحصيل ، ولا فائدة
 فى البحث ، ولا غاية للطلب . حارت الأبصار عنه كلالاً ، وزاغت
 البصائر فيه تيباً وجلالاً . المستأنس به على خطر ، والمستدرج عنده
 هالك ، والذاكر له غافل . بلى ! سلّ لطفه ، واطلب عطفه ، فإنه إن رأى
 فترك رحمة ، وإن شهد أودك قومك ، وإن شاهد تضاولك عظمك ،
 وإن رأى حاجتك وافقت سؤمك ^(٣) . وإياك والاعتراض عليه أو التعرض
 له ، فإنه متى شهد ذلك منك سامك خسفاً ، ونسفاً نسفاً ، وقسرك قسراً ،
 ووشرك وشراً ^(٤) . اعتقد محبته ولا تُبديها : لا مصرحاً بها ولا كانياً عنها ،
 لأنك إن أبديتها مزجتها : والمزج كدر ، وإن كتمتها ضنتها والصون

(١) كذا أولعها : لا إنصاف .

(٢) أى أن الزمان يفض أسرار القدرة الإلهية ، بوصفه المعروض الذى
 تنبدى فيه الخلوقات .

(٣) سؤمه : ملكه .

(٤) وشرك (من باب : ضرب) الخشبة بالميشار (غير مهبوز) لغة فى أشرها
 بالمشار : إذا نشرها .

صفو . واشهد آلاءه راعياً لحقه فيها بالشكر ، فإنه لا يستر عليك حقه حتى ترعى حثك . ثم يعينك على المطالب ، ولا يستدعيك إلى ماله حتى يوقر عليك ما لك [١٥٥] ، ثم يفسح لك في المقصير . لطائفه تحل مضافة إلى الخلق ، وعظائم الخلق تقل مردودة إلى موجبات الحق ، لأن الأولى شائعة بالكمال ، ناطقة بالتمام ، شاهدة داعية إلى الإخلاص ، والثانية واقعة على درجات النقص ، مغموزة بأسباب التقصير . وهذا تميز بلفظ مستعار وبجاز مستعمل وقول ضعيف ؛ وإلا فالآية ظاهرة بسلطانها ، عالية ببرهانها ، راجعة إلى رُوح اليقين من العارفين ، وسلامة التسليم من المريدين . وفق الله الجميع وجعلك منهم ولا أفردني عنك ، وأنطقك بلسان آلائه ، وحرمت بين ولائه . وثبتك على مناهج صفائه . فوحدك ما استرسلت هذا الاسترسال ولا خلعت عنان القول على هذا المقال ، إلا لأنى ناجيت بك نفسى ، وجبرت بما وهب الله لك تقصى . ولم أقصد ظلمك ، ولا استرعت علمك ، ولا أدميت كلمك ^(١) ؛ فإنه ليس يخفى عليك من هذه العبارة إلا ما تجده فى باب الإشارة . فلا عليك ولا بأس بك . ثق بالله ، واسكن إليه ، وتوكل فيه ، واعتمد عليه ، واسكن ^(٢) له ، واطلب المزيد لديه : فلأن يُصيبك هو خير من أن ينعمك سواه .

واعلم أنى شاهدك وإن كنت غائبا عنك ، وواجدك وإن كنت طالبا لك ، لأنى لم أقصد منك إلا مراعاة الأحاسيس التى تتصرف بها عين الراس . فأما المعنى الذى به أكتبك منبسطا ، > > هو الذى به أقبض عنك مستجيبا . فاسكت عما تقلبت فيه بعدك من أحوال لا تخص بلفظ ، ولا تحصل بحفظ ،

(١) الكلم : الجرح .

(٢) كذا ، ولعاما : واستكن : حيث تقدم : واسكن .

فالسكوت عنها أحلى ، والإقبال على غيرها أولى . ألسنت سالمًا في نفسك ،
 مغافٍ في بدنك ؟ فقد ترقى إلى ما أشركني معك في الألم ، وشبهني بك
 في السقم . ألسنت جامعاً لأطرافك ، مقبلاً على شأنك ، فقيراً إلى فقير يطعم
 عليك ، مفضلاً على فاضل ينقطع إليك . فإن كنت كذلك ، فأنت بحمد الله
 كذلك [٥٥ ب] . فحمل أبا فلان من ثقل سلامي ما يطوِّحه ، لا بل لقه ^(١)
 من طيب كلامي ما يروِّحه . فقد أفرط على في محبته ، فأنا والله منصرف في أداء
 لوازم حقه . ولا تتمرّض لأبي . فلان ألصق بكبدي وأغرق في كدي
 من أن تكون رسولي إليه ، وأقرب إلى سرّي وأقدر على نفعي وضرّي من أن
 تكون دليلي عليه . بلغة الله سؤاله ومنحه مأموّله . ولست أدري بأى شيء
 أقرد فلاناً ، فقد ورثت منه حسرة ^(٢) لا تقي لي بها نعمة ، وإن شاء الله
 ردّني إليه وزودني من آثار فضله ، وهو القادر إذا أحبّ ذاك . وإياك بعد هذا
 أن تُطيف بفلان ، فلي مع خطوب : تركني ياسيدي مشغول القلب به عاشقاً
 لفضله ، وأعانني على مفارقتها بانقباضه . ولولمّني لأفدته ، ولو جرّمت على
 لخدمته ، فما رأيت مثله زاده الله ولا نقصه . وفلان لا يفوتك السلام عليه ،
 فقد أولاني من جيل ذكره ما الله مكافئُه . وبعد أن تخصّ هؤلاء ، فاعمّم
 بأجل نجيّة سائر ذوى الفضل من الصوفية ، فإنهم ملوك الدنيا وسادة الآخرة .
 ولست أدري كيف الوجه في تسليمة خفيفة على فلان ، والاختبار والاختيار
 في ذلك إليك ، فإنّي فارقه مستوحشاً منه ، متعجباً من أخلاقه ، حزيناً
 على عقله ، لأنّي وجدته تاركاً لأحكام المروءة ، جاهلاً بحقوق الدعوى ،

(١) لقي فلاناً الشيء : طرحه إليه .

(٢) في الأصل كأنه مشطوب على الخاء .

- شديد الشَّجَب بما هو عليه . وله من قلابي مكانة من السنِّ والعقل ^(١) ، والعلم والفضل ، والرياسة والإشارة . وما أدفعه دفع زاهد فيه ، ولا أطلبه طلب من لاغنى [بئة] ^(٢) عنه . ولقد نشرت على فلان أخواله ، وصوّرت له أموره ، فبقى مبهوتاً ، وقال فيما قال : أعيى الله عيناً لا تقرُّ بك ، ولا صان نفساً لا تقرُّ بفضلك . وهذا كلام لو افتدى به ما تحويه يده ويفده يومه وغده ، كان هو الرابع الفاتم . وإذا أُنِيَ فهو الخامس الغارم . وما قصدت بهذا تهجينه ، فهو شيخ له حق وعليه حقوق . ولكن قصدت تنبيهك على الواجب [١٥٦] ، فإن تفصيل الأشياء واجب بحكم الرسم وقضية الشاهد . فأما إذا صحّت الولاية ، ودامت الغلبة ، وسطع نور الحق ، وسطأ سلطان القدرة ، فحينئذ المعنرة مبسوطة ، والخال في ثوبها مضبوطة ، لأنها بأطراف الحقيقة منوطة ، وبين الحق محوطة . دَعُ ذَا ، وأقبل مني كلمة واحدة : لا تسكن إلى الدنيا فإنها وَحْشة ، والتلوب فيها مستوحشة . أستغفر الله إلا من محبتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما صحب ليلٌ نهارة ، أو أرسلت السماء مدرارا .
- يا هذا ! اسمع ووصني لحال ملتحمة . النظام والله محمود . ويعزّ دلي أن أفتح بالوصف دون المشافهة مجتنباً ثمرة الأناكس بك ، مقتبساً غرر الفوائد منك ، ١٥ مجدداً عهد المودة منك . وليست هاهنا معذرة : لي أن أستند إليها ولك أن تعتمد عليها ، إلا مالت القضاء وحاجز القدر وسبباً من الأسباب الإلهية وسراً من الأسرار التي تجري بها المشيئة .

(١) وردت في الأصل مضروباً عليها .

(٢) ص : بئة — بمعنى أبداً ؟ والبئة : الطاقة ، يقال : « ماله به بئة » — أي طاقة .

وبقي بعد هذه الخطبة أن أقرع باب التسليم ، وأفرع في أضعاف ذلك
إلى من له الأمر التوجيه ، فلعل يستهل وييسر ما قد طال الشوق إليه ، وتضاعف
الأسف عليه . ولو ذكرت النزاع وادّعت الخين وُصِّلْتُ بالصباية وتأهبت
بالاشتياق — لعلاني غبارُ التملق وحصر لسانى فرطُ العي ، وكان قصارى
التقصير ، ووقف أمرى على العجز والقصور . ولأنَّ أستمهد ضميرك المرضى
والشاهد الزكي والخبر الصادق والمبلغ المبين ، خير لي وأليق بي وأجدى على
من أن أتعاطى نعطاً أفتضح به ، وأركب طريقاً أعثر فيه ، وأبارى من انقطع
دونه . على أن شوقى إلى محاسن فضلك وغرائب علمك وظواهر خلقك وبدائع
فطنتك وروائع حكمك وبدائه [٥٦ ب] حجبك ، شوقى الفاقد لواحدها .
وإلى الله المرجع ، وإليه المعتمد فى فتح أبواب الأنس وبَلِّ غلغلة النفس .
وما أحوحنى إلى جسارة بانسباط يرخص لى معك فى التصرف ، وينيح البلاغة
على طريق التصوف . فقد اغترفتُ من بحرك ما يسع من ينازعنى فى أمرك ،
ويزاحننى فى ذكرك ، فإنك بحمد الله مشتمل على شأن عظيم ، ومحيط بسر
مكتوم . يلزم من قد هبت عليه ريمك وفاضت عليه رائحتك أن يلزم فناءك ،
ويعتقد ولاءك ، ويجرى على سنن مرضاتك ، مجتهداً فى بلوغ مسامتك .
وهيات أن تنال المعانى بالأمانى والتوانى . بلى ! إن هذا الحق لمواد الصدق ،
وبث المواهب من عين الإفضال يوادى التفضل على غير اقتضاء حقيقة الشكر ،
ولا تصفح لمواقب الصبر . فلمرى إنه ليحلو العشق ويطيب الحديث وتحمده
المقالة ويحسن الذكر ويفسر لسان الصدق فى الآخرين ويحقق الأخذ بهدى
الاولين . فأما والحاجة تلزم ، والفاقة تعم ، والضرورة ترد ، والشهوة تغلب ، والشبهة
تسحك ، — فالقول تمويه ، والرأى معكوس ، والشكر تملق ، والصبر علة ،
والابتداء غرور ، والمعاقبة نور ، والكل أسف ، والجميع كلف . والناس رجال :

مِنْ خَلِيٍّ — مع أحكام ألفه وغوالب عادته — لا يرعى على نفسه ولا يملأ المواعظ من سمعه ؛ ورجل وقف بين الأمور محاسباً فطال حسابه وضاق جناحه ، فخلط ورجى ونهى ؛ ورجل اذكر واعتبر فبكى واستعبر ، وقال وحسّر ، ثم سكت وتحصّر . خفي — أنار الله صدرك — القلم وفني القوطاس وحصر^(١) اللسان ، وما في النفس من طيب محادثتك يتدفق كالدين الفؤارة والسحاب المّوارة .
 عليك سلام الله ما اقترن مساءً بصباح واتصل ضياءٌ بصباح ، وعلى من [١٥٧]
 بليك وبواليك قدّر تهالكه فيك ، ورحمته وبركانه .

يا هذا ! اسمع بأفة أخرى : الهوى مرّ كهي ، والهدى تطلى ، فلا أنا أنزل عن مرّ كهي ، ولا أنا أصل إلى مطلى . ولعل انقطاعي عن مطلي إنما هو لا عتلاقي بمر كهي ، بل هو كذلك وفوق ذلك : علم يصحّ بكل بيان ، وحجة تضحّ في كل أوان ، وأنا بينهما مأخوذ عن حقيقة الخبر بتمويه العبارة .

وإذا سمعت خطابي وفهمت عتابي فتمني بإرشادك لي ، وزودني مما أفاء الله عليك ، لعلّ دواءك يقع على دائي فأخلص قليلاً من نفسي التي قد صادفت الشيطان ، وهوت في غروره عند كل أمر وشأن ؛ وإلا ففتح عليّ باكياً ، فقد جاء من أمر الله ما لا مرّ دّله ، وأظللّ من قدرته ما لا قبل لأحد به .
 ومتى أرشدتني بعد طمعك فيّ ، أو نُحمت عليّ بعد بأسك مني ، فقد قضيت حقّ الأخوة ، وبنت بين معارفك بفضل المزية . يا لله ! أما ترى شجوى في كلامي ؟ أما ترعني لما بي من غرامي ؟ أما تعجب من حيرتي من خلقي وأماي ؟ أما تقودني إلى كرامتي وسلامتي بخطأي وزمامي ؟

أسألك بحقّ الحقّ إلّا جئت عليّ بما استطعت من ذلك ، فما فرغت

(١) حصر كفرح : أصابه عي .

إليك إلا بعد أن صيرت يدي مني ، وإلا بعد أن انقطع رجائي من علي
وظني ، وإلا بعد أن خافني ابتلائي يأتي وأني . ومن فزع إليك خليقي بأن
ينال يغنيته على يدك ، وأنت الجواد بالحق ، المعتاد للصدق .

اللهم لا تجعل خطابي لبعض خلقك حجاً ! فوحاك ما أقول ذلك
إلا منافسة بك ، وإلا استهداء إليك ، وإلا عشقاً لحلاوة ذكرك ، وإلا ظهوراً
يسة من سمات حكمتك ، وإلا تحلياً بما زان عند ملائكتك ، وإلا شوقاً
بجارية المكانة عندك . فرب كلمة لك نافعة عندهم ، ورب صفة لك شريفة
بينهم ، ورب حكمة بالغة لك على ألسنتهم ، [٥٧ ب] ورب فضيلة مستمالة
من أخذهم ^(١) . ولولا هذه المعاني والوجوه : ما الذي كنت أرجو منهم
إذا شافتهم ، وماذا كنت أتوقع عنهم إذا سألتهم ؟ إنما أخطبهم من أجلك ،
وإنما أسألهم بسببك ، وإنما أستمطهم ^(٢) لأقلى عليك ، وإنما أقرب
إلهم لأقرب منك . ولولا أنت ، ما كان لهم في عيني خطر ، ولا لهم في نفسي
وטר . أنت المراد وأنت المطلوب ، وأنت المقصد وأنت المحبوب ،
يا ذا الجلال والإكرام !

يا هذا ! كن ذا كراً لما قد ألفتته إليك في هذا الجزء من وصف العبرة ١٥

(١) ص : أخدم (يسكون الحاء وفتح الهيرة) . ويصح أن يكون الأصل :
أخدم .

(٢) كذا ! فهل معناه : أطلب منهم المشط لنفسي — كناية عن تبادل
الأنس والألفة فيما بينه وبينهم ؟ أو أصلياً : أستمطهم — أي أطلب إليهم
مسطى ، ومسط الشيء (من باب نصر) أخرج ما فيه — كناية عن أنه
يسمح لهم بالانتفاع به ؟

والإشارة ، فإنك تجد به ما يُقَالُكَ إذا نهضت ويُظَالُكَ إذا صاحبت ^(١) . ومهما
 لاح منك أو لاح لك فيك أو لاح لك عليك ، فإنك أن تسهو عن قلبه
 وتقليبه حتى يقين لك ما أنت له مما أنت عليه . واجعل أساسك الأثبت
 ودعائمك الأرسخ ألا تكذب نفسك بالباطل ، ولا تكذبها في الحق ، واجتهد
 أن تخلو من أشغالك . وإذا خلوت من أشغالك ، فاعطيت على نفسك واخل
 بها . وإذا خلوت بها ، فاعلم أن رقيب الحق ناظر إليك ومُرفرف فوقك ،
 وأنتك بعينه التي لا تنام ، وفي قبضته التي لا تُرام ، وحرمة الذي لا يضام .

اللهم إناك جَوَلتنا في آفاق مُلْكِكَ ، وأُنطقتنا بلسان قدورتك ، وأدرجتنا
 بضعفنا في قُوَّتِكَ ، وأسكنتنا عند مشاهدة عظمتك ، ووحلت بيننا وبين أمرك
 ونهيك بمواقي علمك ومشيئتك ، وجهمت بيننا وبين مرادك بقالب قضائك
 ولازم حاجتك . اللهم فكما ملكتنا فارفق بنا ، وإذا رفقت بنا فأعتقنا ،
 وإذا أعتقنا فأقبلنا ، وإذا قبلتنا فكن لنا ، وإذا كنت لنا فكن معنا ،
 وإذا كنت معنا فانت أنت يا ولي الحمد !

اللهم إياك نقصد بأعمالنا ، ونعليك نُثني بصنوف أقوالنا ، ورضوانك
 نبتغي بأعمالنا ، وإليك ترجع في اختلاف أحوالنا ، [١٥٨] وعليك نُلج
 في طلبنا وسؤالنا ، لأنك لكل راجع ملاذ ، ولكل خائف معاذ ، ندعوك
 دعاء المضطرين ، وتعرض لك تعرض المُعْتَرِينَ ^(٢) .

(١) ضحا الرجل يضحوا ضحواً وضحواً وضحياً : برز للشئس .

(٢) اعتري فلاناً : غشيه طالباً معروفه .

رسالة: (يح)

يا هذا ! قف على قليلا واعتبر في طويلا . ثم إن كان في أخلاقك
طهارة ، ولك في إظهار الحسنى بطانة وظهارة ، فتعطف على برقة من قلبك ،
ورحمة من نفسك ، فقد أصبحت مفتوتا ^(١) في كل ركية ^(٢) ، ومفتوتا بكل
ثنية ^(٣) ، ومطروداً عن كل منهل ، ومحدوداً بين كل سهل وجبل .
إن رمقت رشتك ، وإن لطاولت رقمتك ، وإن سكت شذعت ^(٤) ،
وإن نطقت كذبت :

وما مرّ بي بالصبر من ليس وجده

كوجدى ، ولا إعلات حالى كعاله

فإن أفقيد العيش الذى فات بالوى

فقدت الفلّ عند انتقاله ^(٥)

سهو قد غمرنى ، وحال قد حال بينى وبينى ، وغفلة أتت على زمنى ^(٦) وحلى ،
وغائب طالت غيبته عنى ، وحاضر نال مله منى : فلا وعده جالب لى فرحاً ،
ولا وعيده صارف عنى رحاً ^(٧) ، ولا سراره مبد إلى رَوْحاً ، ولا جهاره ممسك

(١) غت الشيء فى الماء وغطه : غمسه وغوصه فيه .

(٢) الركية : البثر ذات الماء ، والجمع ركيا وركى .

(٣) أى مضللاً فى كل واد وثنية وطريق .

(٤) شنع يشنع : قبيح .

(٥) أى : قدماً .

(٦) أى زمر الرحال ؛ والحل : أى الإقامة ؛ أى أتت على فى الظن وفى الإقامة .

(٧) السرار (بكسر السين) ضد الجهار (بكسر الجيم) : أى السكتم ، ضد

الإظهار والإفشاء .

دونى نوحاً ، ولا مداراتى نافعة ، ولا مماراتى دافعة ، ولا ضبرى عائد
بالجدوى ، ولا جَزَعى ناقص من البلوى . حَسْرَة راكدة بين الجوانح ، وفرة
جامدة بين الجوارح ، وعَبْرَة وأَكْفَة على الجيب بالخسرات ، وخبرة واقفة
فى القلب من الجمرات . ومالى ملاذ بالذى أبلى ، ولا أسأل العافية إلا من قد
أطال الضنى . هو مالك الظل إن شاء قلص وإن شاء أَسْبَغ ، وهو العالم بالحال :
وإن شاء قطع ، وإن شاء بلغ . صبراً على النائبات صبراً ، أما صنع الله فهو خير .
يا هذا ! ذرت الشمس بحقائق الوجد الظاهر من غير صد القلب المتيم
فى ساحة الروح ، فضاقت به الأرض بما رَحَّبَتْ ، [٥٨ ب] وأشرأبت
الابصار نحو الغاية المصودة ^(١) ، فنابت خاسئة حَسْرَة لما دَهَمَها من عِزٍّ
مَنْ لَهُ الْعِزُّ حقاً ، وبيده ملكوت كل شىء عدلاً وصدقاً ، وهو مُصَرِّف
العالمين نقضاً وثيقاً ، ومُظْهِرُ الْأَعْجَابِ رتقاً رقيقاً . ربوبية لا تليق إلا به ،
والإلهية لا تنبى إلا له ، وقدرة لا تسلم إلا إليه ، وحكمة لا تصح إلا ممن
له منزلة لديه .

يا هذا ! اختلف اللغات فى تضاريف أحوال أفعاله ، وتشتت المهم
فى غرائب ما بدا من إيضاحه وإشكاله ، حتى قال قائل :
وإني لأرجو قُرْبَكُمْ وِوَصَالَكُمْ وَلِكُنْتِ عِما أُرِيدُ بعيد
إرادة مشوبة ، وحال مختلفة ، وعلامات متهممة ، وطأ نينة قلقة ، ومعرفة
مدخولة ، ولغة عجباء ، وعين طموح ، ولفظ جريش ^(٢) ، وخُلُقٌ عيسر ، وبال

(١) صَمَدٌ يَصْمُدُ صَمْدًا وَصَمَدٌ : فلاناً وإليه وله : قصده . يقصد :

الغاية المقصودة .

(٢) جَرَشَ الشىء : لم يُنعم دَقَّةً ، فهو جَرِيش أى خشن .

خانو، وقول كلما رام استنارة ازداد ظلاماً ، وقلب كلما حاول خوفاً ازداد
احتداماً . فَطَوْبَىٰ لِمَنْ هُوَ مِنْ هَذِهِ الشَّكِيَّةِ ^(١) في نجوة ! وطوبى لمن إذا طلب
وجد ، وإذا لم يجد عُلِّل ! وطوبى لمن إذا فقد سلا ، وإذا عَدِم قلى ^(٢) ! بل
طوبى لمن بوشر فزاده ببرد اليقين ، وحُلِّي بحلية المتقين ، وصين في خاصته عما
عليه جميع العالمين ! بل طوبى لمن نُفِثَ في رُوعه الأمن ، وكُفِيَ في معاملته الفتن ،
وأغضى عما عليه الجفن ! بل طوبى لمن إذا تنفس الصعداء تذكر السعداء ،
وإذا انقبه أبصر الضياء ، وإذا رقد تخيل النجاء ! هتفت الهواتف فخت
الخواف ، وبرقت البوارق فشرقت الشوارق ، وسحت السحائب فنابت
النواب . حفيظة مذودة بالصبر والعزاء ، وهمة سرفوعة عن الصفراء والبيضاء ،
ونفس آفة من كل ما رأته العين وصادفه الحس وحار فيه البصر وآتى عليه
الوحف وانتهى به الحد .

يا هذا ! أَطْلُقْ غِنَانَ هَمِّكَ في ميدان راحتك ، واستعفف في ظاهرك ،
واستشرف في باطنك ، فَإِنَّكَ بِأَحَدِهَا تَكْسِبُ عِزًّا ، وبِالْآخِرِ تَنَالُ مَعْرُوفًا .
وَارْعَ حَيَّ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّهُ بِمَجُودِ الْبَقِيَّةِ الرَّبُّوبِيِّ ، وَتَيَقَّنْ بَأْنَ رَاعِي هَذَا الْحَيِّ
إِذَا سَمِعَ لَمْ يَهْزَلْ [٥٩] ، وَإِذَا رَوَى لَمْ يَعْطَشْ ، وَإِذَا اكْتَسَى لَمْ يَغْرَ ، وَإِذَا
اسْتَظَلَّ لَمْ يَضْحُ ، وَإِذَا أَوْماً لَمْ يَغُورْ ^(٣) . وكيف يكون ذاك ، وبعضه مدرج
في كله ، وكله مدمج في بعضه ! على أن بعضه كلٌّ بين الجميع ، وكله بعض
بين التفرقة . وهذه صحيفة قد طويت منذ زمان . لأن الأذهان غلظت عنه ،

(١) الشكية : الشكوى .

(٢) أى إذا افتقر كره الشيء المفتقر إليه .

(٣) غَوَّرَ فَلَانًا : صَيَّرَهُ أَعْوَرَ .

والمقول خاست^(١) دونه ، ولم يزد الإعراب إلا نُجْمَةً ، ولا إلا نارة إلا ظلمة ،
ولا التشعيب إلا ظلمة ، ولا الكشف إلا تغطية ، ولا التبصير إلا تسمية .
وهذا لأن الحق غار في هذا الوقت أن تكون أسرارہ مبتدلة وأسبابه منتحلة ،
وله في كل وقت تدبير لا يُحاط به ، ولا يُطَّلَع على غيبه ، وإنما نطقنا
لرائحة به ، عَيَّقْنَا فَنَاحَتْ عَنَّا على غيرنا . فأما العليب الذي له هذه الرائحة فهو
في صدور دونها وعور^(٢) :

خَلِيلِي قَدْ فَاتَ الْهَوَى غَيْرَ أَنِّي
إِلَى الْمَيْثِ^(٣) مِنْ أَكْنَافِ رَمَّانٍ^(٤) نَازِعِ
وَإِنِّي مَتَى مَا أَذْكَرَ الْحَيَّ لَا يَزَلُ
بَعْضِي مِنْ أَطْرَافِ كَفِّي وَارِغِ
أَهْمِ إِلَيْهِمْ صَبُوءَ لِيَشَوْفِي
مَالَفَ عَهْدَ الْهَوَى وَوَدَائِعِ

يا هذا ! أَخْلَصْ وَنَادِ تُحِبُّ ، واقصد توفَّق ، وأثر تَعَنُّ ، وجرد عزيمتك
عن شائعات الخلق تلبس به زائغات الحق . ومهما ونيت فيه وفترت عنه
وقصرت دونه ، فإنك والشرك به والإفك عليه . ولست أريد بالشرك
شرك الجاهلين ، ولا بالإفك إفك المخالفين ، فإنك تَمَسُّ بهما جميع أهل الدين .
وإنما أعني بهما ما خفي ولطف ، لا ما ظهر وكُتِف . فإن أردت المثال

(١) خاس الرجل : كذب ، ذل . والمقصود هنا : قصر .

(٢) جمع وَعُر : وهو ضد السهل .

(٣) المَيْث والميثاء : الأرض السهلة ، وموضع بالشام ، والمقصود هنا الأول .

(٤) رَمَّان كشداد : جبل لطيف .

أَلَيْتَ إِلَيْكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ النَّصَّ أَطْلَعْتَهُ عَلَيْكَ : وَهُوَ أَنْ يَنْصَلَ مِنْ أَمْلِكَ فِيهِ مَا يَكُونُ غَيْرُهُ مَأْمُولًا لَكَ بِهِ ، أَوْ يَسْرِى مِنْ رَحَابِكَ إِلَى سِوَاهُ مَا يَكُونُ مَلُومًا عَلَيْهِ .

يا هذا ! إِنَّمَا خَابَ أَمْلُكَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِفْ مِنْ كَدَرِ غَيْرِهِ كَمَا رَدَّ طَاعَتَكَ عَلَيْكَ لِأَنَّهُمَا لَمْ تُنَقِّ مِنَ الرِّبَا . فَاجْتَهِدْ — عَاظَكَ اللَّهُ — أَنْ تُقَلِّ الْعَمَلَ لِأَنَّ تَحَقُّقَ [٥٩] الْإِخْلَاصِ ، فَإِنْ مَنَّ حَقَّقَ الْإِخْلَاصَ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ . وَمَنْ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ ، غَارَ الْحَقُّ عَلَيْهِ مِنَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ .

يا هذا ! مَا أَعْجَبَنِي وَإِيَّاكَ ! أَقْرَبْتُكَ إِلَى مَا أَنَا بَعِيدٌ مِنْهُ ، وَأَكْسَوْتُكَ مَا أَنَا عَارٍ عَنْهُ . فَلَوْ جَعَلْتَ مَكَانَ دَعَائِي لَكَ إِلَى حِفْظِكَ إِجَابَةً مِنِّي إِلَى حِفْظِي ، كَانَ ذَلِكَ أَرْفَقَ بِي وَأَبْرَأَ بِي . وَلَكِنِّي مُمْتَحَنٌ بِالْقَوْلِ ، فَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ أَيْضًا مُتَحَنًّا بِالسَّاعِ ، فَقَدْ خَسَرْنَا جَمِيعًا ، لِأَنَّا قَدْ خَلَوْنَا ، فِي حَالَتِي الْقَوْلِ وَالسَّاعِ ، مِمَّا يَمْلَأُ السَّاعَ ، وَيَسْلُكُ بِنَا الْبَقَاعَ ، وَيُخْلِنَا ثَلَاثُ الرِّبَاعِ ^(١) . وَيُخْلِصُنَا مِنْ هَذَا السَّاعِ ^(٢) ١ هـ .

يا هذا ! رَغِبْتُ مِنْ سَمَاعِ قَوْلِي بِمَسْبُوعِهِ ، فَلَمَلِي أَيْضًا أَغْيَبَ عَنْ قَوْلِي بِحَقِيقَةِ قَوْلِي . فَإِنْ قُلْتُ لِي : لَوْ بَدَأْتُ فِي قَوْلِكَ بِالْحَقِيقِ ، لَحَصَلْتُ فِي سَمَاعِي عَلَى التَّصَدِيقِ ، — كَانَ لَكَ ذَلِكَ . وَلَكِنْ مَاذَا يَضُرُّكَ تَبَيُّهُ فِي قَوْلِي عِنْدَ اهْتِدَائِكَ فِي سَمَاعِكَ ؟ لَا تَجْعَلْ عِثَارَ غَيْرِكَ عَذْرًا لَكَ فِي عِثَارِكَ ، وَلَكِنْ فِي طَرِيقَتِكَ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا عَلَى اسْتِمْرَارِكَ . وَخُذْ بِحَقِّكَ فِي آثَاءِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ . وَأَلِّ ضَمِيرَكَ بَيْنَ سِرَّارِكَ وَجَهَارِكَ ^(٣) ، وَسَمِّ نَفْسَكَ بِمَا لَا تَخْفَى بِهِ عِنْدَ سِرَّارِكَ وَخِيَارِكَ ،

(١) الرِّبَاع : الدَّارُ بَيْنَهُمَا حَيْثُ كَانَتْ ، وَالْجَمْعُ : رِبَاعٌ وَرُبُوعٌ وَأَرْبَعٌ وَأَرْبَاعٌ .

(٢) السَّاعِ : كَكِتَابٍ : الْقَشَاطِمُ .

(٣) أَيْ بَيْنَ سِرِّكَ وَجَهْرِكَ .

واجتهد أن تعرف الحق عند إيرادك وإصدارك^(١). وإياك أن تبين عارك
ونارك ، فإنك بعين من يشهدك في حالتي صحتك وقرارك ، ويرقيك بين إقبالك
وإدبارك . فإن صُمِّتَ صَمْدَه^(٢) قَبْلَكَ وَأَرَادَكَ ، وإن وليت عنه رَدَّكَ وَأَبَادَكَ .
وكيف لا وهو في الأول قد أبدأك وأعادك ، وأمدك وأفادك ، وساقك وقادك !
يا هذا ! أمالك خاطر في هذه البلاد ؟ أمالك رائد في هذا المراد ؟ أمالك
بياض في هذا السواد ؟ أمالك شوق إلى هذا الاتقياد ؟ أمالك حياء من هذا^(٣)
الارتداد ؟ أمالك سكون عن هذا^(٤) الاعتداد ؟ أمالك لين عن هذا الاشتداد ؟
من هذا الذي وفي قَدِيم ؟ من هذا الذي صفا قَدِيم ؟ [١٦٠] من هذا الذي
طلع فغاب ؟ من هذا الذي طمع فخاب ؟ من هذا الذي وصل فانقطع ؟ من هذا
الذي رفع فاتضع ؟ من هذا الذي أشار فخاب^(٥) ؟ من هذا الذي عَرَفَ فغاب ؟
من هذا الذي وجد ففقد ؟ من هذا الذي صالح ففسد ؟ من هذا الذي نَمَقَ فكسد ؟
من هذا الذي حَقَّقَ فهُجِرَ^(٦) ؟ من هذا الذي صَدَّقَ فَخُفِّرَ ؟

(١) ص : إصدارك وإيرادك — ولكن السجع يقتضى الترتيب الذى اختارناه .

(٢) أى قصدت قصده .

(٣) ص : هذه .

(٤) ص : فباب ! وياب لفلان صار ملازماً لبابه ، ولا معنى لهذا هنا .
فأما أن تكون : فخاب — أى رجح بعد أن أشار ، وهو أيضاً لا يعطى معنى
واضحاً . أو : فبار : أى هلك — ويكون المعنى هو : من ذا الذى نصح ودل
على وجه الصواب ، ثم هلك ؟ أو يكون أصله : من هذا الذى أشار (أى جنى
أو استخرج الشيء) فبار ، أى : كسد . وهنا لابد من تغيير قوله بعد :
« فغاب » إلى كلمة تنهى بحرف راء اتباعاً للسجع : مثل : ففار — أى من الذى
عَرَفَ ففار — أى لم يعرف من هو .

(٥) التهجير : التحقير . والمُهَجَّرَات : التبايح .

إلهي ! أنا أقول ما تقول وأنت تعلم ما تقول قبل أن تقول ، ونعمل فتحيط به قبل أن نعمل ، فأنت أوأنا في كل قول وعمل ، وآخرا عند كل رجاء وأمل . فكما كتبت أسماءنا في ديوان المرحومين ، وإن لم نكن من المستحقين : أعمالنا سيئة ، ولكنها تضيع في أوائل عفوئك ، وأقوالنا كبيرة ، ولكنها صغيرة في أوائل استحقاقتك .

إلهنا ! قد صبرنا على مرارة عشرة خلقك ، فلا تحرمنا حلاوة مواصلة ما يصلنا بك . كادونا بسببك ، فحلمنا عنهم من أجلك ، وعادونا فيك ، فاحتسناهم لوجهك .

إلهنا ! ما لنا ذنب إلهي ! إلا ذكرناك ^(١) لهم ، ولا لنا جناية عليهم إلا أننا أعزنا بك بيتهم . حسدونا ، لأننا عرفناك فوصفناك ، وقرفونا ^(٢) ، لأننا قصدناك فصددناك . إلهنا ! كما ابتليتنا بهم لنصفو لك ، فارحمهم لكلا يكفروا بنا . وكما أرينا قدرتك فيهم ، فأرنا عفوئك عنهم ، واجعلنا وإياهم في روضة الواصلين إليك المقبولين لديك .

يا هذا ! عليك بدعاء الله فإن الدعاء من الله يمكن : فإنه يصله عن فاقة العبيد خاطيا ^(٣) عزه الملوك ، فاجعله ديدنا في تمتللك . وإياك وملائته ، فما فتح باب الدعاء على أحد إلا دل ذلك على أن الله يحب أن يسمع كلامه . وربما أخرج الإجابة لتدوم الضراعة ، والويل لمن يأس من روح الله مع سمته ، أو قنط من عفو الله مع اشماله . والدعاء جامع للحال والحقيقة ، والوجد والاستكانة ،

(١) أى : ذكرنا لك أمامهم . — أو صوابها : ذكرنا إياك لهم ؟

(٢) قرفونا اتهمونا .

(٣) أى : متجاوزا .

والعبادة والعبارة . أما الحال فإنها تربت ^(١) الإنسان في [٦٠ ب | محل
السائلين ^(٢) ، وأما الحقيقة فإنها تروح عن قلوب الصادقين ، وأما الوجد
فإنه يستخرج عن اليقين ، وأما الاستكانة فإنها تمون ما يبدو على صاحبه
المسكين ، وأما العبادة فإنها تؤدي حق التكليف على ما ورد به الكتاب المبين ،
وأما العبارة فإنها تقف صاحبها على مئذنة المشغوفين المترفين . وما لمج بالدعاء
أحد إلا رأى في عاقبة أمره ما يشر النفس ، ويحز الألس . وما رفضه أحد
إلا كان قطعاً للصمة بينه وبين رب العالمين . أترى رافض الدعاء بأي شيء
يحتاج ، وبماذا يتعلق ؟ وإلى أي ركن يستند ؟ وبأي شيء يتمثل ؟ ولو لم يكن
في الدعاء إلا التلذذ بالمواجهة ، والتنعيم بالمشافهة ، وإلا خرق الحجب ، ورفع
القنن ، والدنو من الباب ، ومخالطة أولى الآليات ، لكان فيه مقنع . فكيف
وفيهِ مناجاة تقضض الجبارين ^(٣) ، وتبالل يرفرف على اليقين ، وتعرض للسيب
من رب المخلوق أجددين . وما ألم الدعاء أحد إلا كان ذلك عنوان خير عليه ،
ودليل فضيلة به . فإن قلت : أنا أسلم ولا أدعو ، وأتوكل ولا أسأل ، وأكل
ولا أتعرض ، — فإن تسليمك دعاء ، وتوكلك مسألة . ومن وكل إلى كاف
فقد بالغ في الثقة . فهل هذا كله إلا ما أوماً نا عليه ، وعلقنا آنفاً بوصفه ؟ !
لا تتجاف — فديتك — عن بدائع هذه الطريقة ، فتجافها بادٍ « لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ^(٤) .

(١) الترييت : التربية ، وضرب اليد على جنب الصبي قليلاً لئلا ينام .

(٢) من قوله : في محل . . . إلى قوله : . . . يستخرج : مطبوس شيئاً
في المخطوط لوجود تسويد عايت بالحبر عليه .

(٣) ص : الجبارين ، وتبالل : تهليل وتسبيح . والشيب : الغطاء .

(٤) سورة « ق » : آية ٣٦

أما الإشارة بالقلب فإلى صفاء به ، وأما الإشارة بالسمع فإلى حضوره ،
وأما الوصف بالشهيد ، فإنه كناية عن اليقظة : فقد يكون حاضراً من هو
كالغائب ، وقد يكون سامعاً من هو كالأصم . فالشهيد جامع لكل ما في الحال ،
ومشير إلى الغاية المتصودة بالكمال . وهذا لسان يُعَرَّبُ إلا عند المؤيدين
من أهل اليقين الذين عانوا هاهنا فماتوا هناك .

اللهم إنا لو وقينا الحياء منك حقاً لم نواجهك متلوئين بلطائخ الدنيا ،
[١٦١] مُدَلِّين بالقول ، مُقِلِّين من العمل ، عارين من الحقيقة ، بعيدين
ما يوجب الوثيقة . ولكننا على ذلك نُعيد أنفسنا من اليأس من رحمتك ،
لأنك قد حظرت ذلك علينا ، ودعوتنا إلى حُسْنِ الظنِّ بفضلك ، وإلى جميل
عُقبائك في آخر أمرك .

اللهم فكُنْ لنا أكثر منا لأنفسنا ، ودافع عنا غوائلنا علينا ، وإذا تَهَنَّكنا
فاستُرنا ، وإذا تفرقنا فاجمعنا ، وإذا غفلنا فأُنهِمنا ، وإذا أعرضنا فأقبل بنا ،
وإذا فسدنا فأصْلِحنا ، وإذا بعدنا فقرِّبنا . أنت القادر ونحن الضعفاء !
أنت الواجد ونحن العدماء ! أنت النقي ونحن الفقراء ! يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (يطر)

يا قوم ! مالي وما بالي ! وما الذي غيبنى عن حالي ، وشغلني عمالي ،
حتى صرت أقَدَحُ بِرَنْدٍ مُصَلِّدٍ^(١) وأنفخ في غير فم ، وأنادي من ليس بحاضر ،
وأنصح من ليس بقابل ، وأحیی من ليس يعقل ، وأهيم في وادي الظن ،
وأخبط في أشب^(٢) الوهم . وأرى أنني قد أدركت الفائت : وحصلت العزم ،

(١) أصل الرند ، واصل صليداً : صوت ولم يُور (أي لم يخرج شرراً) .

(٢) أي : اختلاط الوهم .

وملكت النفس ، وأحرزت المأمول ، وبلغت الغاية التي إليها سعى الساعون ،
وفي سرّ حارعي الراعون . أما فيكم من يقابلني بوجهه ، ويقاومني بما عنده
من غيبه وشاهده بالحجة والشبهة ، لملي أرى بيئته ما قد غُيبت عنه ، وأدثو
بهدايته إلى ما قد بعدت عنه ! فقد والله توالى كُفسي ، وخرجت بالحسرات
نفسى ، وطال التفانى من كدر يومى إلى صفاء أسمى .

يا قوم ! فإن لم تأخذوا بيدي فإلى من أكِلُ أمرى ، وعلى من أعرض
وفانى وغدرى ، ولئن أفرض احتجاجى وغدرى ! أنتم أهل صبحى وغبوقى ،
وعلى خدمتكم ومودتكم وشجّت عروقى ، وبمساعدتكم ومقاربتكم اتسعت
خروقى ، وفيما بينكم اشتدت رعودى وبروقى ، وعندكم بارت بضاعتى وكسدت
سوقى . فبالحرمة السالفة إلا سمعتم صراخى ، وسددتم فائقى . ورحمتم ضعفى ،
وعظمتكم على عظمى بال وقلب [٦١ ب] خال وبلاء متوال . إلهى ! لا خير
فى خلقك ، فكن لى أنت بما أردت . فالصبر على البؤس معك أمتع من النعمة
بتغرّض ^(١) غيرك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (ك)

أيها الخيران فى سعيه ، والسكران فى رعيه ، والمتغافل عن حفظه ،
والمستجاهل بين لحظه ولغظه ، والمتسكسل عن خدمة ربه ، والمتحامل على حبه
بحبه . تصفح سرك بعقلك ، واحكم على نفسك بعقلك ، وتجمّع عما قد
تفرقت فيه ، وتفرّق عما قد تجمّعت له . واستيقن أنك مرعى لا مهمل ،
ومطلوب لا متروك ، ومحفوظ لا مضاع ، ومقيّد لا مطلق ، ومربوط لا سدى ^(٢) ،

(١) أى النعمة التى تأتى عن طريق غيرك .

(٢) السدى : المجهلة من الإبل .

وملجم لا تخلى . وإذا وضع لك اليتيم بذلك ، فانظر أين أنت منك ، أغنى مالك فيك ، وما عليك بك . فهذه الموافقة الصادقة تلحق تلك المرافقة السامقة ، وهذه الحركة القائمة تنال تلك البركة الدائمة . فمهما ياهذا ! جهده لك لقبول تحايده ، وكن منك على بال لملك تغنى بعطاياه ، وإياك والحران ^(١) والتعذر في أمر جندواه لك ، وتجاوز بك ، وبلواه منك ، وشكواه فيك ، وعدواه عليك . ضاعف خشيتك لتأمن ، ورقق دمعك لتسكن ، وعمر خدك لترحم ، وابسط يدك لشكرهم ، وابذل نفسك لتعز ، وابذل رؤسك لتحرز ^(٢) .

ياهذا ! وُجد بالمعنى الطالع عليك ، الفارب فيك كالبادى منك ، المحيط بك الحاصل لك ، فإنك إذا وجدت وُجد بك ، وإذا وُجد بك جاد عليك ، وإذا جاد عليك أغناك ، وإذا أغناك نلت غاية مُنالك .

ياهذا ! ثق بأنك لا تفوز بقربه إلا ببعده عن كل ما كان غيره قاطعاً عنه وشاغلاً دونه . وتذكر في أضعاف حالاتك معارض أفعالك ومقالاتك .
وقل : سلام [١٦٢] على نسيم كان يصل من الحبيب ، إلى قلب كل عنه كل طيب . نعم ! وسلام على رُوح كان يهدي لعلامة القبول والرضا ، صار كرباً بحسرة على فوت ما مضى . بل سلام على ليل كان يلتقى طرفاه بأُس ، يفتن عليه الجن والإنس . بل سلام على لحظ كان يفتش به العابر ، ويتجدد بنوره الدائر . بل سلام على حرم كان لا يدب فيه واش ولا رقيب ، ولا يحل به ظنين ولا مُريب ، بل سلام على رسائل كانت ترد بمنى يحرق

(١) حرنت الدابة كنصر وكرم حراناً بالسكسر والضم فهي حرون ، وهى التى إذا استبد جريها وقفت .
(٢) أى : لتحصن .

به القلب ، ولطُفَ تحيا به الروح . بل سلامٌ على علامات كلها طرق خيالها
هاجت البلايل ، وتقطعت السلاسل . بل سلام على مصافحة كانت الكبد
بها تذوب ، وعلى معانقة كانت الأمانى بها تثوب . بل سلامٌ على مجلس
كان مثمناً يحدث حلوى جرى مع الحبيب ، ليس لأحد من الخلق في تعريضه
وتصريحه نصيب . بل سلامٌ على يقظة كانت مقصورة على الشوق إليه
والوجد به . بل سلامٌ على رقاد كان الحلم يعرضه ويخلوه بأكثر مما كانت
النفوس تتمناه وتمناه . يا هذا :

ما ليعنى كأنها بعد حُبِّي حُشِي الصَّابَ جفُئها والمآقِ !
عزَّ والله على ذاك عياناً ، وعز أيضاً على خبراً ! نعم ياسيدى ! إن سألتنى
عن هذه الحال ، فإما أن أطويها عنك حياءً ، وإما أن أنشرها رياءً .
وفي الجملة ، تجلّت سماؤها ، وتنقلت أفناؤها ، وعاد محضها سجاجاً^(١) ،
وعذبها أجاجاً ، ولينها تجلجاً^(٢) ، وروحها سموماً وهاجاً ، بعد ما كانت برداً
وسلاماً ، ومغبوطة أعظاماً وإكراماً ، — لاجرم^(٣) أصبحت كمن وصف لحالى
حين قيل فيه :

كأنَّ فؤاده كُرَّةٌ تَنزَى^(٤) حِذَارَ البَيْنِ ، لو نَفَعَ الحِذَارُ !
يا هذا ! أما حان لنا أن نستحي من العكوف على المخالفة ؟ أما وجب
بعد أن نهجر [٦٢ ب] هذه العادة القبيحة فى المقارفة والمماذفة ؟

(١) السجاج : (بفتح السين المشددة ويعدها جيم خفيفة) : اللبن الذى رُقِّق
بالماء . والحض هو اللبن الخالص غير المخلوط بشئ .

(٢) اللج : المكان الخزن من الجبل ؛ فيكون معنى اللجاج هنا : الصلب .

(٣) لا جرم : صار حتماً أن ...

(٤) أى تنزى : تتوثب ، تتسرع .

نُؤْمِلُ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ زَهِيدَةٍ أَصْرَتْ بِأَبْدَانِ لَنَا وَقُلُوبِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ لِإِزَالِ مُفْرَعًا بَقَوْتَ نَعِيمٍ أَوْ بَمَوْتِ حَبِيبٍ ١
أَمَلٌ يُضَرُّ، وَظَاهِرٌ يُعْرَى، وَبَاطِنٌ يُعْرَى^(١)، وَكُلُّ بَرٍّ بِمَا يَسُوءُ وَلَا يَسُرُّ.
دَعِذَا! أَخْلَقَ الدِّينُ، وَعَمَّتِ الْفَحْشَاءُ، وَأُفْسِدَ الْعُلَمَاءُ، وَفَشَا الْجَهْلُ،
وَوَظَرَ الْفِتْنَى، وَتَكَشَّفَ النَّاسُ، وَفُقِدَ الصَّدَقُ، وَغَلَبَ الْجَهْلُ، وَكَثُرَتِ
الْجُرْأَةُ، وَصَارَ ذِكْرُ اللَّهِ لِقَوًّا عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَخَوَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْفَكْرِ بَيْنَ السَّيِّئَةِ
وَالْحَسَنَةِ. فَلَا جَرَمَ عَادَ عِتَابُنَا لَهُمْ بَيْنُونَةُ، وَإِسَّاكُنَا عَنْهُمْ دِينُونَةُ. فَمَا
تَدْرِي مَا نَصْنَعُ، وَلَا نَدْرِي إِلَى مِنْ نَفْزِعُ. وَالْمُؤْمِنُ إِذَا قَصُرَتْ يَدُهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ،
وَأَمْسَكَ لِسَانُهُ عَنِ الزَّجْرِ، وَكَلَّتْ عَيْنُهُ عَنِ النَّظَرِ، وَضَعِفَتْ مُنْتَهَى عَنِ الْإِنْكَارِ—
تَمْنَى الرَّحْلُ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَحْشُوءَةِ بِالنَّارِ وَالْعَارِ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. ١٠
فَقَدْ جَدَّتِ الْعَيُونَ فَمَا تَدْمَعُ، وَتَكَبَّرَتِ الْقُلُوبُ فَمَا تَخْشَعُ، وَكَلَبَتِ^(٢) الْبَطُونُ
فَمَا تَشْبَعُ، وَغَلَبَتِ الشَّقْوَةُ فَمَا تَنْزِعُ، وَعَادَ نَهَارُ الدِّينِ لَيْلًا، وَالتَّلَذُّذُ بِالْعِلْمِ
حَرًّا بَا^(٣)، وَوَيْلًا. وَلِلَّهِ أَمْرٌ هُوَ بِالْعَهْدِ وَلَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ»، «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا»^(٤).

١٥ يا هَذَا! إِنَّمَا تَنْتَفِسُ بِهَذِهِ السَّكَلَاتِ كَمَا يَقْتَفِسُ الْمَخْلُوقُ^(٥)، وَنَهْدَايَ بِهَا

(١) عَرَفَلَانَا يُعْرَى: أَصَابَهُ بِمَكْرُوهِ.

(٢) كَلَبَ: كَفَّرَحَ: أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ وَضِيقٌ.

(٣) حَرَّبَ حَرًّا بَا: كَلَبَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ.

(٤) الْآيَةُ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ «يُونُسَ»، رَقْمُ ٩٩، وَالثَّانِيَةُ هِيَ مِنْ سُورَةِ

«الْبَقَرَةِ» رَقْمُ ٢٥٤.

(٥) إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ مَلَكٍ (مِنْ بَابِ نَصَرٍ) فَلَانًا بِالْعَصَا: أَيْ ضَرْبِهِ، وَيَكُونَ

الْمَعْنَى هُوَ: الْمَضْرُوبُ؛ وَإِمَّا — وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ هُنَا — مِنْ قَوْلِهِمْ قَرَسَ مَخْلُوقٌ
الَّذِي كَرَّ: حَدِيثٌ عِنْدَ النَّزَّاءِ.

كما يهذى بها المألوق^(١) . وإلا فما نحن ممن وصفناهم ببعيد . وكيف وكيف
 نبعد عنهم وهم الجيران في المحلة ، والمجتمعون في المسجد ، والمعاملون في السوق !
 والله إننى لأظن أن هشاشاتنا في وجوههم ، ومساعدتنا على أمورهم ، وسعيينا
 في حوائجهم ، وطمعنا فيما في أيديهم ، ومداراتنا لهم ، ورفقتنا بهم ، من الكبائر
 العظيمة وانحلالنا للثيمة والعواقب الوخيمة . نسأل الله أن يرفع عن ألسنتنا
 ذكرهم ، وينسينا^(٢) أمرهم ، ويميزنا عنهم ، ويخلصنا منهم ، حتى نلجأ إلى الله
 الذى هو الْوَزَّرُ^(٣) والمُلْجَأُ ، وبدونه [١٦٣] ينال الفوز والمنجى . هلك من تاه
 عنه وضل دونه ، واهتدى من عرفه وحبا نحوه ولاذ به وأسلم وجهه له .
 فديت ! — صاحب هذا النعت ما أظرفه وأظرف حديثه ! وما أسعده وأسعد
 من ساعده !

١٠

يا هذا ! أما ترى كيف أدبرك من باب إلى باب ، وكيف أصف لك حالا
 بعد حال ، وكيف ألقى إليك فناً بعد فن ، وكيف أقوى رجاءك حتى تكاد
 تطمئن ، وكيف أغلب بأسك حتى تكاد ترجحن ؟ وكيف أناغيك بالسوة
 عن الدنيا ، وكيف أسارك^(٤) بأعاجيب المولى ، وكيف أجذبك إلى قارة
 ثم أنجذب معك أخرى . وكيف أرددك بين حلاوة لعل ومرارة عسى ؟ !
 فإن كنت قد فهمت شغلى بك ، فاهمهم^(٥) بشغلك بنفسك ، ولا تنتظر من غيرك
 أن يكون لك فوق ما أنت لنفسك . وأعلم واحدة ، فما بعد هذا بغية في التنبيه ،

١٥

(١) المألوق : الجنون . والأولق : الجنون ؛ والمألوق : الجنون .

(٢) ص : ينسينا .

(٣) الوزر (محركة) : الجبل المنيع وكل معقل ، والمُلْجَأُ والمعتصم .

(٤) ساره في أذنه : أفضى إليه بالسر .

(٥) فعل أمر من : همم ، بهم .

ولا دونها حجة في التوبة : ليس من الله بدُّ على حال ، فاجعله منك على بال .
واعلم أنه واسع الرحمة يتغمَّد ^(١) ويعفو ، ولكنه أيضاً شديد العقاب يطرد
ويجفو ، وإذا جفاك فما لك بعده بارئ ، وإذا ساءك فما لك بعده سارئ .

هذا قولي لك فانتصحنى ، فلو قد شغلت عنك بخاصتي لم تسمع هذه النعمة
من غيري . ولم تطرب على هذا اللحن من سائر إخوانك وإخواني . فالوقت كدِّرْ ،
والأمر عيِّرْ ، والحل قُدِّرْ ، والقول مُدَكَّرْ ، والفعل مُمَكَّرْ ، والبناء مُهَوَّرْ ،
والوجه وقع ، والخلق وَجَّح ^(٢) ، والغفلة غالبة ، والأحداث سالبة . وأثبتهم
قدماً أشدهم ألماً ، وأوسعهم علماً أوحشهم كَلِماً ، وأكثرهم دعوى أقلهم
رَعْوَى ^(٣) . قتل لي الآن : هل لك مرجع إلا إليك ، وهل لك بك مستعان إلا عليك !
دع عنك أمْسُك فإن فكرك فيه وَسْوَسة ، ودع عنك أيضاً غَدَك فلست
على بَيِّنَةٍ من ظفرك به . خذ بعينان نفيك في ساعة وقدك إلى حفظك التي تجمل
بك في عاجلتك عند الناظرين إليك ، وتجملك في عاقبتك عند [٦٣ ب]
الطالمين عليك ، واسع لهذا المقام المحمود فلذلك فليتنافس المتنافسون ،
« ولمثل هذا فليعمل العاملون » ^(٤) .

اللهم إنا إليك نفرع ، وفي رياضك نرتع ، وصوت رضاك نتوقع ، وثوب
خدمتك تتدرَّع ^(٥) ، « وبقنون الثناء عليك فتذرع » ^(٦) ، وجلجل

(١) تغمَّده الله برحمته : غمزه بها .

(٢) نافه ، قليل ؛ ومثله الوتيج ؛ والفعل ككَّرُم : وتاحة وتووحة .

(٣) الدَّعْوَى والدَّعْو والدَّعْوَة (ويشلان) والرَّعْوَى (بالضم) والارعواء
والرَّعْيَا : النزوع عن الجبل وحسن الرجوع عنه .

(٤) سورة « الصافات » : آية ٥٩

(٥) أدَّرع الثوب : لبسه .

(٦) موجود بهامش الأصل .

وجهك تنضرع ، وباب جودك وإحسانك تَقَرَّع ، ومرارة ما يفوتنا من فضلك
الواسع بتقصيرنا نتجرع . اللهم اجعل أمانة قبولك لنا ومنا وفيها أن تُخَرِّسنا
إلا من ذكرك ، وتزمننا^(١) إلا في طاعتك ، ونعمينا إلا من النظر إليك ،
وتبمدنا إلا من التزول بِنِائِكَ ، وتفقرنا إلا من الفوز بعطائك ، وتضعفنا
إلا من الظفر بأعدائك . قد وجهنا أمانينا إليك ، ووقفنا آمالنا عليك ،
وَوَحَّدْنَاكَ كما أَعْلَمْتَ ، ومَجَّدْنَاكَ كما أَلْهَمْتَ ، وقصدنا في طلب رضوانك
فيما بين ذلك . فَعُدَّ بفضلك علينا ونحن سائلون ، فقد جُدْتَ بفضلك في الأول
وما كنا سائلين . ومزِيداً بالإحسان نَحْمُ ، ومن كان أهلاً للكرم على عبده
خصص وعظم .

١٠ يا مولانا ! منك تعلمنا ما قلنا ، وبك اهتدينا فيما سألنا ، وإياك أَمَلْنَا
في قصدنا . وهذا لأنك أولنا وآخرنا ، وغائبنا وحاضرنا ، ومالكنا وناصرنا ،
وباطننا وظاهرنا ، وطالعنا وغاربنا ، وأنت كُلُّ كُلِّنا وحامِلُ كُلِّنا والفاتح
باب الجود علينا ، والطالب لنا أن نسألك ما عندك برغبتنا ورهبتنا ، والعالم
بضعفنا واستكانتنا ، والآخذ بأيدينا عند عَثَرَتنا ، والسامع في ضائرتنا على كل
حال تتقلب عليها ، والشاكر لنا على بعض خدمتنا . فيا ولى النعم ، ويا مُحَرِّكَ
١٥ الهمم ، ويا واهب القسَم ، ويا مذكوراً بالكرم ، ويا معروفاً عند جميع الأمم ،
ويا موجوداً على بُعدٍ وموجوداً على أَمَمٍ^(٢) ، ويا مُنَاجِي بصنوف السكَم ،
ويا معبوداً على القِدم ، ويا مُنْشِئاً من العدم ، ويا جاعلاً من شئت كالمَلَم ،
ويا من « عِلْمٍ بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »^(٣) ! جُدْ علينا بنا ، اهدنا إلينا ،

(١) أى تبقيتنا زمناً طويلاً .

(٢) أمم : قريب .

(٣) سورة « العلق » : آية ٤ ، ٥

وأوضحنا لنا . [١٦٤] قد بليتنا فجددنا ، وتكينا فسدنا ^(١) ، ونكينا
فألسينا ، وانجردنا فرمسينا ^(٢) ، وتمسنا فسهلنا ، وتعدنا فخللنا ،
ونكرنا فعرّفنا ، وجعلنا فعلمنا ، وقلقنا فسكتنا ، واستوحشنا فأنسينا ،
وبعدنا فمقرّبنا ، وتبنا فاقبلنا ، وبدنا ^(٣) فكوننا ، وضعفنا فقوّنا ، وزهدنا
فرغبنا ، ورغبنا فرهنا ، وسأونا فشوقنا ، وأصبنا ^(٤) فقرّنا ، وضللنا فاهدنا ،
وعطلنا فخللنا ^(٥) ، وأغفلنا فسمّنا ، وخذلنا فانصرنا ، وهبطنا فرقنا ، ووقعنا
فخلصنا ، وعطينا فارحمنا ، وبذلنا ففصنا ، وزعنا فقومنا ، واعوججنا ^(٦)
فسوّنا ، ورقدنا فأيقظنا ، وسألنا فأعطينا ، وقصّرنا فاحتملنا .

إلهنا ! إليك سافرنا فكن غنيبتنا ، وعليك توكّلنا فكن عصمتنا ،
ولك دلّلنا فعرّزنا ، وبك وجدنا فجد علينا ، وإليك اشتقنا فأوصلنا ،
وإليك عبدنا فشرّفنا ، وعنك حدّنا فصدّقنا ، وإليك دعونا فأعنا ،
وفيك تولّنا فارحمنا ، وعليك تدلّنا ^(٧) فاحصصنا . أيها الصاغى بأذنك
إلى شرح هذه الحرق ^(٨) ، العاجب من اختلاف هذه الأسماء والصفات

(١) سادده : قومه وجعله مستقيماً .

(٢) من أرمش الشجر : أورق ، أي تجردنا من أوراقنا كأننا شجر ، فاجعلنا
تورق من جديد . أو يكون أصلها : ريشنا : بمعنى : أكسنا بالريش .

(٣) بدنا : تبديناً : أسنّ وضعف .

(٤) أي : فجعلنا بفجعية فاجعل لنا عزاء عنها .

(٥) العاطل : المتجرد أو العارى عن الشيء ، والمتعلّى عكسه .

(٦) ص : اعوججنا .

(٧) في « تاج العروس » للزبيدي : « المدلّع كعظم : المتربى في العز
والنعمة ؛ — مولدة ، والاسم الدلالة بالفتح » .

(٨) جمع حرقه وهي الحرارة ، والمقصود : الأمور الصعبة الشديدة .

وَالْعَلَى (١) الزَّمُ حَذَّكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي فُطِرْتَ عَلَيْهَا ، إِلَى أَنْ تَصْطَفِقَ مِنْ أَمْرِ
الْإِلَوهِيَّةِ الَّتِي عَسَاكَ تُرْفَى إِلَيْهَا ، فَإِنَّكَ إِذَا لَزِمْتَ مَا عَلَيْكَ بِالتَّكْلِيفِ ، أَهْدَى
إِلَيْكَ مَا تَسْتَحِقُّهُ بِحَقِّ التَّشْرِيفِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَحِيدَ عَنْ حَذَّكَ صَاعِدًا أَوْ نَازِلًا ،
فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَحَى اسْمَكَ مِنْ دِيْوَانِ الْخَلْقِ ، وَطُرِدْتَ إِلَى هَوَا الْهَوَانِ
مِنْ ذُرْوَةِ الْكِرَمِ ، وَقِيلَ لَكَ : اخْسَأْ عَنْ مَرَايِعِ الْمُتَمَرِّينَ ، وَابْعُدْ عَنْ حَضَرَاتِ
الْمُسْتَخْلَصِينَ ، فَإِنَّكَ لَا تَصْلُحُ أَنْ تَطَأَ بِسَاطِ الْمُلُوكِ مَعَ سُوءِ الْأَدَبِ وَقِلَّةِ الْمَبَالَاةِ
وَالشُّرُودِ مَعَ الْخِلَافِ وَتَرْكِ مَا تَقْدِمُ إِلَيْكَ بِإِزْوَمِهِ وَدُرُكُوبِ مَا زَجَرْتَ عَنْ التَّعَرُّضِ لَهُ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نُلَوِّذُ بِكَ عَائِذِينَ ، وَنَعُوذُ بِكَ لَانَّذِينَ ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَوْشَحَنَا لَارْتُقَاةً
عِنْدَكَ بِحَسَنِ الْقَبُولِ مِنْكَ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ !

٦٠

رسالة (كا)

[٦٤ ب] أَيُّهَا الْمُسْتَأْنَسُ بِالْوَحْشَةِ ، الْغَائِصُ فِي الدَّهْشَةِ ! أَمَا لَكَ
مِنْ صَرَخَتِكَ نَعْشَةً ؟ أَمَا لَكَ إِلَى حَفَاكَ عِنْدَ اللَّهِ عَطْشَةً ؟ لِمَا لَكَ وَائِقٌ بِمَاجِلَتِكَ
الْغَائِلَةُ الزَّائِلَةُ : أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْحَكِيمِ : رَبِّ وَائِقٍ خَجَلٌ لِعَلَّكَ آمِنٌ مِنْ غَائِلَتِكَ :
أَلَمْ يَبْلُغَكَ : رَبِّ آمِنٌ وَجَلِي ؟ يَا هَذَا ! أَسَلِمْتَ نَفْسَكَ فِي يَدِ عَدُوِّكَ ، وَوَلِيَّتَهُ
تَذْيِيرُكَ ، وَسُلْطَتَهُ عَلَى رُوحِكَ ، كَأَنَّكَ مُكَايِدٌ لِمَنْ يُحِبُّ فَلَاحَتَكَ ، وَيَبْغِي
صَلَاحَتَكَ . لَيْسَ هَذَا مِنَ الْحَزْمِ الْمَأْخُودِ بِهِ ، وَلَا مِنَ الْإِحْتِيَاطِ الْمَعْمُولِ عَلَيْهِ .
انْتَبِهْ ! فَقَدْ طَالَ رِقَادُكَ . وَأَنْيَبُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ تَمَادَى عَنْكَ . وَاعْتَبِرْ حَالَكَ
بِغَيْرِكَ فَقَدْ اشْتَدَّ سَهْوُكَ . أَنْظِنْ ، يَا عَاجِزٌ ، أَنَّكَ تُخَلِّقُ هَذَا الْخُلُقَ السَّوِيَّ ،
وَتُمْنَحُ هَذَا الْعَقْلَ الزَّكِيَّ ، وَتُعْطَى هَذَا الْعِلْمَ الرَّضِيَّ ، وَتَرْزُقُ هَذَا الْوَجْهَ الْوَضِيَّ ،

٦٥

(١) جمع عُلقه : علاقة .

ثم تخرج في شهواتك مَرَجاً^(١) خالغ العذار ، جاهلاً بما يجري بالليل والنهار ،
غير مطالب بما لك وعليك ، ولا معاتب بما فيك ولديك ؟ — لقد رأيت خلقاً
كثيراً ، وعرفت صغيراً وكبيراً ، فما رأيت أجنى منك على نفسك ، ولا عرفت
أوهى منك في طلب أَيْسِكَ^(٢) . أما آن لك أن تنقذ عن هذا الإضرار ؟
أما وجب عليك أن تستحي من مخالفة الله في الجهار والسرار ؟ أما تشعر
بغايبتك بين الإراد والإصدار ؟ أما ترى القارة بعد القارة آناء الليل وأطراف
النهار ؟ أما تأنف من مصاحبة الأشرار ؟ أما تشتاق إلى مجالسة الأخيار ؟
أما تحب أن تكون حبيب الملك الجبار ؟ حدثني : بم تنقذ ، وبم تصول ،
وبم تحتج ؟ فأى شئ تقول ؟ الوعد يشوقك وأنت سام ، والوعيد يخوفك
وأنت لاه ، والعتاب يوافيك وأنت ذاهل ، والعلامة تلوح لك وأنت جاهل ؛
والعبرة توقظك وأنت ناعس ، والداعي يرفق بك وأنت متشاكس ؛
والناصح يصدقك وأنت جامع ، والصديق ينصحك وأنت جانح ؛ والحجة
تؤكد^(٣) [١٦٥] عليك وأنت معرض ، والحكم ينفذ فيك وأنت معترض .
فما أبدأك عن حيازة نصيبك في عرك بسعيك ! وما أهواك في مهابط الردي
في حياتك بيدك ورجلك ! وما أحنأك عن سبيل الرشد في مهلك بسوء تحفظك !
وما أغفلك عن حظك في عاقبتك ! إن أنت إلا بلاه^(٤) عن نفسك ، وحجاب
بينك وبين روحك وأنسك ، وغيم كثيف بين قمرك وشمسك ، وبرزخ قوى

(١) مَرَجٌ مَرَجاً (كفرج) : قلق واختلط واضطرب . ومَرَجٌ يَمْرُجُ
(ككتب) : خاض في كذا أو رعى فيه .

(٢) الأيس : القهر . يقصد : ليس أضعف منك في طلب ما تقهر به الناس
وتسمو به عليهم .

(٣) تؤكد : تأكد .

(٤) كذا ! ولعلها : على .

بين طهارتك وقديسك ! قد آن لك أن تتوب من هنواتك التي أصبحت من أجلها نادماً سادماً^(١) ، وأن لك أن تتوب إلى سيرتك الحسنى التي كانت^(٢) عليها قاعداً أو قائماً .

- يا هذا ! بادر واصطبح بِعُدُوك قبل أن يقتبق بك عُدُوك ، إن غدوت إلى الريح مختاراً وإلا راح بك الشقاء إلى الندم مضطراً^(٣) . أما أرى في يدك إلا التفتى ، والتمنى رأس مال المغاليس ؟ أين الحاصل الموثوق به ؟ أين الحجة الثابتة ؟ أين البينة المُرَكَّاة ؟ أين الذخيرة النفيسة ؟ أين الاستظهار النافع ؟ أين الاحتياط المحمود ؟ أين الأخذ بالوثيقة ؟ أين الحكم المسجل ؟ أين الخير المتجمل ؟ أين الإدلال بالكفاية ؟ أين العذرى الجناية ؟ هيهات ! اضمحل كُلكَ ببعضك ، وهلك بعضك بكلك ، فلا كُلَّ لك الآن ولا بعض . تاهت بك التوائه ، واشتبهت عليك الشبائه ، كلما احتجت طلبت ، ولما طلبت فقدت ، لأنك بنت بك ، ثم لنت لك ، ثم احتججت^(٤) عنك ، ثم استعملت منك ، فلما جاءت الحقيقة بادت رسومك وصفاتك ، وانمحت نعوتك وسماتك . ومن كان مثلك لن يبالى^(٥) الله فى أى وادٍ هلك . لا عين تدمع بالاعتذار ، ولا يد ترفع إلى الله بالاستغفار ، ولا قلب يخضع عند تصرف الأقدار ، ولا نفس [٦٥ ب] تخضع لما قلتها من التذكرة والاستبصار . إنما هو قِحة

(١) السَّدَم (محركة) : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن ، سدم (كفرح) فهو سادم وسدَّمان .

(٢) كذا فى الأصل ، ويصح إذا وقفنا عليها . أو لعل أصله : كُنْتُ .

(٣) ض : مضطراً .

(٤) يمكن أن تقرأ هكذا ، ويمكن — وهو الأرجح — أن تقرأ : احتججت .

(٥) ص : يبال .

وجرأة ، وتجليح ^(١) ومكابرة ، ودعوى ومجاهرة ، وعجز واستعالة ، حتى إذا
« التفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » ^(٢) حصلت وقد جف ريقك
عن الكلمات وانسد طريقك في الظلمات ، وحينئذ تقول : « رب أرجموني
لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت » ^(٣) . كلا ! أما كان لك يا هذا ، فيما سلف
من عورك < و > ما يلتفتي ^(٤) ، التفاتة منك إلى نجاتك ؟ ألم تسمع تنزيل الحكيم
العليم ، وقول العزيز الكريم : « أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ ، مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ » ^(٥) .
بلى والله ، لكن ران على قلبك ما كسبت يداك ، وخدعتك ^(٦) عدو الله
وأرداك ^(٧) . فاتبع الآن من مملكته قيادك ، ووهبت لمراده مرادك ،
فإنك من الخاسرين .

اللهم فارحم فاقتنا إلى كفايتك ، وألبسنا جناح رأفتك ، واعطف علينا
برحمتك ، ووكل أبصارنا بمواقع قدرك ، وأطلق ألسنتنا عن بدائع حكمتك ،
واستعمل جوارحننا بطاعتك ، وسرّح أرواحنا في معادن منحتك ، حتى نستريح
من هذا الكرب الجاثم في صدورنا حسرة على ما يفوتنا من رضوانك وتقبلك ،
واصرف أطلعنا عن خلعتك ، واجمعها في عطيتك بكرمك . فما أشقانا
إن جهلناك ! فما أجهلنا إن خالفناك بعد أن عرفناك ! وما أحسن حالنا

(١) التجليح : الإقدام والتصميم .

(٢) سورة : « القيامة » : آية ٢٩ — ٣٠ .

(٣) سورة « المؤمنين » : آية ١٠١ — ١٠٢ .

(٤) التفتي : وجد .

(٥) سورة « الملائكة » : آية ٣٤ .

(٦) ص : خدعت . أو تصح على تقدير « عدو الله » . نعمنا للمخاطب .

(٧) ص : أرداك .

إذا ذكرناك ! وما أقرب بنا منك إذا دعوتك ! وما أسعدنا بنجواك ! وما ألهمنا
بذكراك ! وما أطمعنا في ذراك ! وما أحججنا لسواك ! يا من هو بلا إحاطة
وإدراك . إلهنا ! إن مرضنا كان بك ، فاجعل شفاءنا على يدك ؛ وإن خلافتنا
لك كان بتفضلك ، فاعفر لنا الآن بتفضلك وحياتك ^(١) ؛ وإن رزقنا
كان بعلمك بنا وحلمك عنا ، فاجعل تقويمنا الساعة [١٦٦] بلطفك عندنا ،
وتفضلك علينا . لا نملك إلا ما ملكتنا ، ولا نملك أيضاً ما ملكتنا
إلا إذا أمددتنا وأرفقنا ^(٢) . لك الآلاء الجسيمة ، والنعماء العظيمة ، والآيات
الكريمة ، والخيرات الحديثة والقديمة .

لاطف قلوبنا بالقبضة إليك ! سهل علينا في كل الأمور التوكل عليك .
وعرفها حسن التأني في طلب ما لديك . قدّها صافية من غيرك إلى بابك .
أحسبها باليقين والخشية . أملاًها بالسكون والطمأنينة . عودها الرجاء والخوف .
شبهها بالحبّة والشوق . هي بيدك قلبها كيف شئت . اللهم فشا ما يرضيك عنها ،
وقلبها على ما تريد منها . هي أوانيك فينا وأهداقت عندنا ، فاملأها بخالص
ذكرك ، وأصبها بالأمن من غضبك ، يا واحد ! — إنما أزل في كلامي لك
أيها الإنسان من فن إلى فن ، وأطفر من وطن إلى وطن ، لأن المرامي فيما أحاول
وخصه بعيدة نازحة ، والأحوال فيها سائجة بارحة . فكل ما أحججه مطبوس ،
وكل ما أجدده مطبوس ، وكل ما أقومة ممكوس . وذلك لأن العوزة في القول
بادية ، والرقباء من دونه منادية . فإن أخذت بعد هذا كله في السكوت ،

(١) الحياء : العطاء .

(٢) الإرفاد : الإغاثة والإعطاء .

جاءت ^(١) الفكرة متقدمة بالسواس ، والخطرة ^(٢) مترددة مع الأنفاس . فما حال
من إن قال كان قوله رَدًّا ، وإن سكت كان سكوته هَدًّا ! نعم ، وإن برز
كان بروزه تَعْرُضًا وتَحَكُّكًا ، وإن كَمَنَ كان كونه تَمَرُّضًا وتَمَعُّكًا ^(٣) .
نعم ، وإن كَنَى ^(٤) كان كنياته مغالطة ، وإن صَرَّحَ كان تصرُّحه مُبَاهِةً .
نعم ، وإن أشار كانت إشارته جهالة . نعم ، وإن عَبَّرَ كانت عبارته ضلالة .
فما حال مَنْ ذا حاله ، وما جواب مَنْ ذا سؤاله ! — غالته والله القول ، وبقي حيران
فيما يَكْتُمُ ويقول . جهَدَ والله قليل الجدوى ، وأمرُ والله مقرون بالبلوى .
فإلى الله مَنْ أوَّلَه وآخره الشكوى ، فإنه نعم الناصر [٦٦ ب] والمولى ،
في الآخرة والأولى . وأعود فأقول : اعتبرني فلك في معتبر ، واستخبرني
فلك عندى مستخبر . ثم إذا اعتبرت <و> استخبرت فقس عيانك على عياني ،
وانظر أين إسرائك من إعلاني ! وأين بَوْحُك من كتمانى ! وأين مكانك
من مكانى ! لعلك تطلع على شأنك أو شأنى ! يا من رآنى وكأنه لا يرانى !
أما ترانى كيف برانى ، ثم أرانى ما أرانى ، ورآنى فيما رآنى ، ثم استرأنى
فاسترأنى ، ثم قال : لن ترانى ، أو ترانى بأن لا ترانى .

تَحَدِّ بى الآن ، يا صاحبي ، فيما تسمع ، أو خذ بى لما تعرف إن لم تسمع ،
أو خذ لى ما تسمع إن لم تعرف . هيهات ! ضاق اللفظ ، واتسع ^(٥) المعنى ،

(١) فى الهامش : « نسخة : جاءت الفواحش » .

(٢) ص : الخطاير .

(٣) تَمَعُّك : تَمَرَّغ .

(٤) كَنَى به عن كذا ويكنو كناية : تسكلم بما يستدل به عليه ،
أو أن تسكلم بشئ ، وأنت تريد غيره ، أو بلفظ يجاذ به جانباً حقيقاً ومجازاً .

(٥) فى الهامش : واتسق .

وأنخرق المراد ، وناله الوهم ، وحرار العقل ، وغاب الشاهد في الغائب ، وحضر
 الغائب في الشاهد ، وتنكرت الدين منظوراً بها ومنظوراً إليها ومنظوراً فيها .
 فكيف يمكن البيان عن قصة ، هذا إشكالها ؟ وأين الدواء ، والعلّة هذا عضائها ؟
 اليأس اليأس ، القنوط القنوط ١ الويل الويل ١ اللهم إلا أن يُجلبها لوقتها
 من هو أولها وآخرها ، وواردها وصاردها . دع هذا أيضاً فإنه ألذع
 من حجر^(١) العصى ؛ وخذ فيما يتلافى ما مضى ، ويُحدث في المستقبل بعض
 المراد إن لم يكن كل الرضا . كن رقيبك على نفسك تكن نفسك رقيباً عليك ،
 فإنكما إذا تراقبتما استغنيتما عن كل رقيب عليكما ، وخذ حقيقتك بالصبر فإنه
 ملح الحال ، ولا ظفر لمن لا صبر له ، ولا نجاة لمن لا أناة معه . ثم اجتهد
 بعد ذلك أن تستيقظ بين النيام وتنام بين المستيقظين ، فإن استيقاظك
 بين النيام يفرغك لنفسك ، ونومك بين المستيقظين يريقك^(٢) لحظتك .
 وهذا [ان] رمزٌ إن فطنت له كان لك راحة ، وإن غيّبت عنه كان وتاحة .
 اللهم إنا قد أكثرنا القول فيك ثقة بك ، لا جراءة عليك ، واقتنا
 في الخبر عنك حباً لك ، لا اغتراراً بك . فتقابل ثقتنا بك بالتحقيق ، وحبنا لك
 بالتصديق ، فنعم الرفيق أنت ونعم الشفيق . وإذا قابلت ذلك بما سألتك ،
 [١٦٧] فزدنا من فضلك ما أنت أهله ، وإن لم تكن نحن أهله يا أهل التقوى
 وأهل المغفرة .

(١) الحجر من حرّ القيط أشده ، ونار العصى (والعصى شجر معروف) أجود
 الوقود عند العرب .

(٢) يمكن أن تقرأ : يرنهك ، وهو تحريف لعل أصله : يرهك ، بدليل قوله
 قبل : يفرغك .

يا هذا ! إن فتح عليك باب الربوبية باستيعاب العبودية ، ورُقِّيت
إلى الحرية بعد ذلة الرق في الخدمة ، شاهدت عجائب وعجائب ، ورأيت غرائب
وغرائب . فإن قلت مثل ما قيل لك : وأين مثل ذلك وأين ما قاربه ؟
أدناها أنك ترتعى ^(١) حقائق الأمن ، وتشمّ تواضر الأزهار ، وتشهد العقول
سائرة في هواجس الكرامات نحو الأرواح المقدسة بالطهارة ، وتسمع معاتبة
الأحباب على شجوى يسحر الأبواب ، ويقطع دون الحق كلَّ حجاب ، ويفتح
كل باب . هذا ذَرَوْ ^(٢) من الحديث عن هذا المقام الذى وصل إليه بعض
الكرام ، ثم وراء ذلك أيضاً ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ، لأن العين إنما تألف المحدودات ، والأذن إنما تتحدُّ المرسومات ،
والقلب إنما يخطر عليه ما جرت به العادات ^(٣) . فأمّا ما يعلو عن هذا كله ،
علوًّا لا بمسافات ومجازات ، فلا خبر عنه إلا بالإيماء اللطيف ، أغنى الإيماء
الذى يَلْطُفُ عن الوهم ويأنف من الحس ، ويستغيث من الشكل والضد — فبذلك
الإيماء يمتلئ سرُّ العارف نوراً ، ويتقدُّ بحجّره ناراً ، ويكون الوجد به وجد
السائمين فى أعماق الملكوت ، ويكون الذوق له ذوق الواهين ببوادي الحق .
ولولا أن الرب سبحانه يمسك العقول عن التهافت ، والأرواح عن التهالك ،
والنفوس عن التطاوح ، والقلوب عن التمارج ^(٤) ، لتبدد منها الشمل المكموم
المموم ، وانتثر عنها الأمر المنظوم ، وترايلت الأشياء عن سماتها القائمة عليها ،
وتعاندت عن صفاتها الثابتة بها . فإنما يمسكها لسابق علم له فيها ونافذ تدبير

(١) يرتعى : يرمى .

(٢) ذرو : من ذرا يذرو : أطار وأذهب .

(٣) ص : العبادات .

(٤) أى : الاختلاط .

منه عليها ، له الحكم وإليه المرجع . اللهم إنا نعتسف هذه الطُّرُقَ الوَعْرَةَ ، ونصبر على شاقِّها بالجوع والعري [٦٧ ب] والو^(١) حنة لنخرج منها يوماً إلى نورِكَ الذي أضاءَ عالمك ، وفيه برزغيبك ، وعليك دَلٌّ فِعْلُكَ ، وإليك أشارُ أثرِكَ . فنسألك بهذه القدرة أن تقبلنا ولا تردنا ، وصلِّنا ولا تُصَدِّنا ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (كب)

اللهم اكفينا كلَّ مُكَايِدٍ لنا فيك ، واقمِّع عنا كلَّ عَدُوٍّ لنا من أجهلك ، واشغل عنا كلَّ شاغلٍ عنك ، وألِّف بيننا وبين كل مؤلِّف بيننا وبينك ، وأحسن جزاء كلِّ من صرف وجوهنا إليك ، وأكرم كلَّ من حدثنا عنك . وإذا كنا نحب من يدعونا إليك من أجهلك ، فكيف لا نحبك إذا قبلتنا خدماً لك ، وشملتنا بأيديك وميتك ! كَذَبَ من ادَّعى محبتك ثم التفت إلى سواك سرّاً وجهراً ، اختياراً أو قهراً .

إلهنا ! قدرناك حقَّ قدرك ، لم نطف بذكرك ، ولكننا نذكرك بإذنيك كما ألقيت إلينا على لسان الصدق عنك . فاسمعنا إذا ذكرناك ، وأجبنا إذا دعوتنا ، وأعطينا إذا سألناك ، وزِدْنَا من فضلك ، إنك كذاك وفوق ذاك . أيتها الجوهر الشريف ! أجبك عن شناعة الخطاب في التقرب إليك ، لأنني وحقُّ الحقِّ مخلصٌ في ولائك والاعتماد عليك ، وثقتي بهذا الممنوح العزيز قدره العظيم شأنه تلاطفني ملاطفة المنبسط ، وتشفق عليَّ إشفاق الوالد المحب ، وليس هذا أخصَّ صفاتي فيك ، ولا غاية مالى منك ، ولكن العبارة قد تخون مطلقها في اشتغالها على غير الممتدِّ ، وستوطئها دُورُ الغرض المعتمد . فما الحيلة لمن كلف ذاك ، أعنى كلف ما لا يطاق ، وحرَّم بخدائع الحس قبول ذلك !

ومحقق الحقائق ومسهل الطرائق شاهدٌ على صادق دعوائى فىك كما هو شاهد لك فى خصائص ما وهب لك ، لأمك — بلا كاف التشبيه ولا هاء الكتابة — فردٌ فى فردك ، واحدٌ فى توحيده . هذه خطبة الحق على منبر التفضيل ، وليس لى علم فيها أقتبسه ولا حظٌ ألتصه ، إنما تؤذ به إلباذ الصبِّ الوامق ، ثم أعود به [١٦٨] عياذ الموتور الخائق .

استمع ، أيها الإنسان ، بدءاً من الكلام ، وغريباً من المعانى . فإنى أقول : لاحت بوارق الثنى فسمت نحوها تواظر الافتقار ، وتبيأت صور المعنى تبدو فتقطعت عليها أ كباد الأحرار ، وأذعنت النفس الإيابة ^(١) على مداهشها ، تروم حيلة المشار إليه مستوفة بقضايا الحس ، والحس حاكم مُرَّاثش ، وخابط خبط عشواء فى ليل مُدْهِم . وإنما انخدع به من وزن حقائق مطالبه برأيه المتهم ، وخاطره الكذوب . وقد طالت الشككة ، ودامت البلية ، وتضاعفت الرزية ، فى تسلسل قول لا يبرزُ معناه من خالٍ حجه ^(٢) ، وانتلب الفصيح المَقُولُ عِيّاً ^(٣) فى كشف المراد على الغاية . فالإشارة كأنها نكاد ^(٤) ، والعبارة على الأيام تُرداد ، وثار الوجد على اضطرابها تبيد رسوم العقل بتحصيله ، فتردُّ بُجَل القول بتفصيله ، فلا تُحرق الخلوة تلتقى سكون السلوة ، ولا أسباب الصولة تتصل بمواد الدولة . فهل يحسن أن يكون [بقول ^(٥)] مقطع القول عِيّاً وعجزاً ، ومنتهى الطلب خيبة وإخفاقاً ، وغاية البحث يأساً وتسلماً ، ومردودُ الجواب

(١) الإيابة : الإقامة — يقصد استعرت النفس فى دهشتها .

(٢) أى لا يظهر معناه من خلال أساره والناظر التى هى بمثابة الحجب له .

(٣) عِيّاً بالامر ونهى كرضي ، وتمايا واستحيى : لم يهتد لوجه مراده أو عجز عنه ، عِيّاً وهو عِيَان وعِياء وعِي وعِي ، وجهه أعياء .

(٤) من قولهم : أرضون نكاد : قليلة الخير .

(٥) نرجح أن تكون هذه الكلمة زائدة .

زجراً وانتهاراً ، وثمره التحقيق حسرة ونحيباً ؟ هذه علة هوراء ، وشبهة عمية ،
وحجة طامسة ، ومحجة دارسة . ومحاسن الحال موقوفة على طلب المولى ، وغاية
الفكر مصروقة إلى ابتغاء الأخرى . ومنذ قريب حدثتني الأيام عن كنه
أفهامها ، المضافة بالمجاز إليها ، أن أول الأمر اغترار ، وهذه رتبة السواد ؛
وأوسطه قناعة العلم ، وهذه فضيلة ذوى البحث ؛ وآخره نكرة في تحقيق ،
وهذه مثلة اللئيم والندامة والتلف . فأين من لا أين له ؟ أم كيف
من لا كيف له ؟ هيهات ! زاغت الأبصار ، وبلبت الخواطر ، وافتضحت
السرائر ، وانمكست الأوائل على الأواخر ، [٦٨ ب] وغارت العين في منابها ،
ورددت القول في وجه القائل ، وكسر التحصيل في نحر العامل ، وقيل للسامع : صم !
لعلك تنجو ، والقائل : اخرس ! فصاك تسمو ، وللناظر : غمض ! فلعلك ترنو .
فهذه أعلام الحق قد علت إلى مراتب التطويج ، وصار مصير الفضل إلى رتبة
الظن وحنة الكذب ، وسخافة الحال ، وضعف المنة ، وانتكاث القوة ،
والتيات الهيعة . كل ذلك من عشق الآفة وإيثار الزهرة والتعرض لما لا يصفو
بمحيلة ، « بكل تداوننا فلم يشف ما بنا » ^(١) . على ذلك في سكون القلب بالرضا

(١) نصف بيت شعر . وأصله :

وقد زعموا أن الحب إذا دنا بمل وأن البعد يشفي من الوجع

بكل تداوننا ، فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

وينسب إلى ابن الدمينه (راجع ديوانه ، شرح الهاشمي ، المنار سنة ١٩١٨ ،

ص ٢٨) ؛ وراجع كذلك « الأغاني » ج ١٥ ص ١٤٩ (طبعة الساسي ، القاهرة

سنة ١٣٢٣ هـ) ؛ وراجع « الحماسة » ج ٣ ص ١٤٥ (القاهرة ، سنة ١٣٩٦ هـ) .

ونسبه القائل في « ذيل الأمل » (ج ٣ ص ١٠٤ ، القاهرة سنة ١٩٢٦)

إلى يزيد بن الطثرية . وورد منسوباً إلى مجنون بن عامر في ديوانه (ص ٤٥ ،

القاهرة سنة ١٣٩٤ هـ) .

أجدى من قلق الاعتراف باللسان ، وظنُّ العلم أنفع من يقين الجهل ، والسكوت
مع التسليم أحد من النطق مع التفتيش ، وتمحق ^(١) الوقت بالتهاون أهدي
إلى مراد المعنى من مصارفة الزمان بحسن التوهم . أليس القول في منشأه عن العين
الثابتة ، يزاحم الصمت في مورده على الأشخاص البائدة ؟ بضروب المشاكلة
وصنوف المائلة قد بان أن كل المعنى بعض ، وبعض المغزى كل ، وأن كل ذا
و بعض ذا منقسم ، وأن المنقسم منقوص . فهل كل بعض المعنى إلا كمض كاه ؟
وهل بعض كاه إلا ككل بعضه ؟ وهل كاه في اللفظ إلا على غاية التفريد ،
وبعضه على نهاية التشبيت ؟ هذا نوح القلوب على مذاهب أسرارها ، وماتم
العقول على فوائدها . عندها يعطى البكاء الطويل ، بالويل والعويل ، من منابع
قلب قد جف بالوجد والغليل :

لعلَّ انحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً من الوَجْدِ أو يَشْفِي تَجَبُّى البَلابل ^(٢)
قُتِلَ الخَرَّاصُونَ ، الذين هم في عَمْرٍة ساهون ، وهَلَكَ الخَلْدَاعُونَ الذين هم
في عَرَصَةِ الباطل لاهون . ما فائدة البكاء إلا استراحة ! لا جرم قد ضيق
عليه الذكرُ ساحةَ الإصَابَةِ قَدَمَ قَطَرٍ وَهَمَّ ، وسالَ وَطَرٌ ، ولم يجد مساعداً
لريقه ، ولا فضاء لطريقه . ولقد أحسن ما شاء بعض المُحَنِّكِين في قوله حين قال :

(١) محقه (كمنه) : أبطله ومجاهد ، كحقه فتمحق وامتحق وأتحق .
على أن الأقرب هنا هو أن يكون الأصل (وهذا يمكن أن يقرأ في المخطوطة
أيضاً) : مُحَقٌّ .

(٢) بيت شعر لذي الرِّمَّة من قصيدة له مطلعها :
خَلِيلِي مُوجِبٌ مِنْ صُدُورِ الرِّوَاحِلِ بِجُمُودٍ حَزُونِي فابكيا في المنازل
راجعها في ديوانه ص ٥٩٢ بيت رقم ٢ ، نشرة مكارتني Macartney ،
كبردج سنة ١٩١٩ م — ١٣٣٧ هـ .

[١٦٩] إذا خضت حموية أمر فاصعب له تدل لك صرا كنية ، وخادع الوقت
عن أحداثه .

- سیدی ! ليس بموفق من توسل بغير الافتقار إليه ، ولا بمُعانٍ
من رجع إلى غير الاعتماد عليه . اليأس معه أرواح من الرجاء في سواه ، والصبر
على بلواه أفضل من التعرض لنجواه . أطلت وما أطلت ، وقربت وما أصبت .
٥ فليتني احترقت بنار الوجد ، ولم أستضي بنور العلم . أم ليتني قطعت الوقت
يحسن الفعل ، ولم أفن العزم بزخرف القول . أم ليتني غرقت في بحر التسليم ،
ولم أركب برّ التنفير . أم ليتني سلكت فجاج العمى ، ولم أعل قلل البصيرة .
أم ليتني الطويعت على قصص الفتى ، ولم أبح بسر أثر الحال . أم ليتني خلعت
الوقت يرددني في أرجوحة الحنة ، ولم أهيك بنات صدرى على رؤوس الخلق .
١٠ أم ليتني لم أكلف أسباب التعريض ، إذ مُنعت لذادة الرواية والتصریح .
أم ليتني أصبت قائلًا يفهم ، إذ حُجبت عن سامع يفهم . أم ليتني كُنيت
مؤونة الطلب ، إذ حرمت فضيلة الدرك . أم ليتني عززت عن باب الهديان ،
كما قد ضربت بلوافح الحرمان . هيهات ! قول يرق ، ومعنى يلطف ، وكلام
يَدِق ، وحققة تُشرق . وأخلق في خوضهم يلعبون ، وفي طغيانهم يعمهون ،
١٥ والمحترسون مما يضرهم قليلون ، وطالّب الشفاء مما ضرهم كثيرون .
وإِنما تفضلت الأشياء بهياتها ونعوتها ، وأسمائها وصفاتها . فأما الخاصة
التي فيها فواحدة ، لظهورها من حال القدرة متصرفة على أدلالها ^(١) ، متشكلة
في إقبالها وإدبارها . هذا لسان التصوف ، والتصوف معناه أكبر من اسمه ،
وحيقته أشرف من رسمه . ولذلك المنطوق المقدم عند أهله إذا أضى إلى علمه ،
٢٠ (١) ذل الطريق : محجته ، أي ما وُطئ ، منه وسهل ، والجمع : أدلال ،
ومنه : « أمور الله جارية على أدلالها » ، أي : على مجاريها .

واحتال في تحصيله ، رجع إلى نفسه خاسئاً وهو حسير ، يرى حروفاً تشيع بحلاوتها في نفسه ، وأغراضاً [٦٩ ب] ترتفع بلطفاتها عن تصور إدراك عقله ، وأرباب القلوب وذوور العقول وأهل المحبة يملكونهم اللأثم ، ويقهرهم اللامع ، ويأتى عليهم الجزء الذي لا يتجزأ ، ويستوفيهم الوهم الذي لا يترأى .

هذا خبرهم على ما يقتضيه الخبر عنه . فأما قواعدى ^(١) التي بنيت عليها أمرى ، وأركانى التي ^(٢) أسندت إليها شأنى ، فأشياء لا يحويها شرح كتاب ، ولا يستغرقها بيان خطاب ، لأنها مشتهية المناظر ، متلونة البواطن والظواهر ، ولكن جملة تَنَمُّ على التفصيل . إني حشوت وقى بالظلف ^(٣) والتزهر اللذين يعمران حال النفس بالرياضة والتهديب ، ثم رفعت التهمة من الاعتقاد والضمير التي تربى الآفة وتذيب انطاظر وتُضِلُّ الرأى ؛ ثم حلت ساحة الرسوم مترجماً على توفية العمل بقدر الوسع وبذل الجهد ؛ ثم أشعرت قلبى خوفاً لا لبث معه على شىء ، ومطالبتها بالصبر على المهانة والذل ، وخاطبتها بعد ذلك بأشياء : وعدتني في بعضها صلاحاً ، وذهبت في بعضها جحاحاً . ثم أنبئت ^(٤) مرئعاً إلى من سبَّح السبيل بالآلاء والنعم ، وأوضح الدليل بالأنباء والحكم ، قفلى : مولاي ! أنت أنت لا شىء غيرك ! الإشارة إليك باللسان قص وعجز ، والتوجه نحوك بالقلب فضل وعز ، والإعراض عنك خذلان وبوار ، والإقبال عليك مساراً ومبارك . تباركت وتعاليت ، وتعلظمت وتناهيت ، أسألك بغاية افتقارى إلى ما عندك أن تحكمنى بغاية افتخارى معك .

(١) ص : قواعد الذى .

(٢) ص : الذى .

(٣) ظلف نفسه عن الشىء يظلفها (من باب ضرب) : منعها من أن تفعله أو تأتية ، أو كفتها عنه .

(٤) ص : اثنت .

سيدي ! قد صرّفتُ القول في هذه المخاطبة بين أشاؤي^(١) لها عمقٌ
بالأعشار ، وبين عبادة لها مُتَمَلِّقٌ في غوامض الأسرار . وإذا قرأتها فارغ
حقي فيها ، وحسن ظنك بي في عرضها ، وتداركني بما أحببت منها ، فإني غنيٌ
عن كل أحدٍ إلا عنك . وإقرارى عليك بهذا ، يوجب عليك التفضل عليّ ،
والإحسان إليّ .

وبعد ، فإني أوصيك — متبرعاً — بما أرجو أن أكون به قاضياً لحق الصفاء
في المودة بيني وبينك ، ومستلهما به شوقك [١٧٠] على الأيام التي تجمعني
وإليك ، أو تحدثُ فُرقة على العادة التي لها مع غيري وغيرك : لا تَدْبِدْنِ
في عزمائك التي يابح رشك فيها ، فإن ذلك يثبطك ، ويُثقل همك ،
ويَجْرُ خيل^(٢) الندم في التأني عليك بك . بل إذا هممت فغانق ، وإذا عانقت
فازم ، وإذا لزممت فاستسلم . فإن همك في الأول محرّك نحو المقصد ، ومعاقتك
وجدان للمراد ، ولزومك استنابات للحال ، واستسلامك تفويض إلى من يحفظك
في الحل . ومهما عجزت عن شيء فلا تعجزن من تطهير القول وشؤفه^(٣) ،
وتنقيته وغسله وتبصيله ، فإنه آنية الحق يضع فيه ذخائره ، ويلقي عليه أنواره
ويطهره ، وهو إصلاح الفكر ونفي الهم والبراءة من المقاذر^(٤) ، والتنحي
عما يؤسّخ النفس ويُبعد الأنس . فإنما كُلُّك قلب ، والباقي منك تابع له ،
وبسوانحه تتصرف ، وبصورفه تتهاك ، ويدواعيه تتهاك . فإذا كان تقيّاً
جليّاً تقيّاً ذكياً كانت حركاتك موزونة بالناموس الإلهي ، وسكناتك معتلة

(١) ص : أشاؤ — وأشاؤي : جمع شيء .

(٢) أو : جبل ؟

(٣) شَفَّتْهُ شَوْفاً : جَلَّوَتْهُ ، ودينارٌ مشوفٌ : مجلوفٌ . والتبصيل : الترشيع .

(٤) القاذورات .

بالغيب الحكيم . وأقل ما لك في هذا المصباح إذا وقد لك أن تقدم الشك في الأشياء لامثالئك باليقين ، وفيضك بالسكون ، ونظرك إلى ما كان ويكون ، بغير فاصلة من زمان ، ولا حيلة من مكان . هيهات ! بلغت هذا المكان بقلبي ، وقد خنقتني العبرة تذكراً لهذه الأحوال من قوم شاهدتهم منذ أربعين سنة ، كانت صفحات وجوههم مبشرة بالخير المطلوب ، ومقادير حركاتهم ناطقة بالحق الذي هو آخر ما يكذبه ويسمى إليه ، وشواهد ألسنتهم ناصحة لكل سامع له من نفسه يقظة ، وعليه من عقله حفظة ، وله إلى الله عز وجل التفاتة ، وقد قيل : — وأخبر ما يبقى من الذاهب الذَّكْرُ — . وقد قيل أيضاً :

تذكرتُ شيئاً قد مضى لسبيله ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
[٧٠ ب] اللهم اشغلنا بذكرك عن ذكر غيرك ، وإذا حركتنا لذكرك
فحركنا أيضاً لنشهد ذكرك لنا ، فلو لا ذكرك لنا ما ذكرناك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (ح)

اللهم اصنع لنا ، والطف بنا ، وافككنا من أسرنا ، واجبرنا من كسرنا ،
وحولنا من عسرنا إلى يسرنا . فجودك فائض ، وخزائنك ملاءى ، وحكمك
نافذ ، وملوكك عظيم ، ورحمتك واسعة ، والطريق إليك رحب . يا هذا !
تضرع إلى رب له خضعت الرقاب ، وعنت الوجوه ، وحارت العقول ، وجالت
البصائر ، وله بان كل شيء ، ^١ ، وإليه انتهى كل شيء ، وعليه وقف الأمل ،
وفي فوائده أناخ الراعي ، — فإنك إذا تضرعت إليه سحَّت سماؤه عليك ، وامتد
ظله السَّجَّج لك ، وأثمر لك كل شيء ، واستفاد منك كل شيء . إنك إن ذقت
حلاوة وصاله ، وآويت إلى عريش كرمه لم تصبر ساعة واحدة عن ذلك النعيم

(١) في الهامش : « أصبح : وبه وجد كل شيء » .

الحضل ، والفناء الخضر ، واليسار الدائم ، والامر القائم ، والبر المتصل ، والمراد الحاصل .

يا هذا ! إلى متى تنافس أهل الدنيا في الدعوى ، لم لا تنظر إلى حالك في العقبى ! لم لا تسلك الطريقة المثلى ؟ لم لا تلبس ما أريك بالحسنى ؟ ماذا يجي من هذا التهاوت وهذا ^(١) الدّلة وهذا الجهل ؟ كأنك ما رأيت بعينك عبرة ، ولا حصّلت لك بشىء خبرة ؟ أما تستحيي تستخدم عقلك ، الذى هو أشرف منّح الله عندك ، لشهوتك التى هى أفصح الأشياء لك ؟ وما فى قضاء وطر ساعة ، وما فى نيل لذة منقطعة ، يبق عارها ويرتبهك وزرّها ؟ يا عدوّ نفسه ! يا جانيّاً على روحه ! يا جالباً لحتفه بيده ! يا شارباً للسمّ بكأسه على علم منه ! ما أراداك ^(٢) لنفسك ! وما أطرحك لبدنك فى عذابك ! ما أهلك ^{١٠} عن شأنك ، وما أمسى قلبك على مهجتك ، وما أذهلك عن رشذك ! وما أركبك لمطية غيّك ، وما أصفق وجهك فى خلافتك ! وما أصلب حدّقتك [١٧١] لإصدارك ، وما أضيق عذرك عند احتجاجك واعتذارك !

يا هذا ! الحديث أكنّى عن الغاية مما يقرع أذنك ، أعنى أنه شىء يدا فى الأول من سابق العلم ، وسرى فى الثانى على رادف الحال . فاتفق ^{١٥} الأول والثانى ، لأن الأول أوجب ، والثانى وجب . فلهذا غمض البيان فى ديوان التكليف ، واختلف القول عليه من الوضع والشريف . فقال هذا : إنما أتيت من اختيارك الردى . وقال ذاك : إنما أتيت من اختيار القوى العزيز . فلما لج ^(٣) اللحنين هذين القائلين ، جنحوا إلى الصخر ، وقالوا : فما نصنع ؟

(١) كذا ، ولعل صوابه : هذه .

(٢) ص : ما أراك ذك .

(٣) لاحتية ملاحاة ولحاء (بكسر اللام) : نازعته .

فقال العارف : سألنا ما نجعل ، وقبلنا ما نعلم ، ولا نجتمع بين الإساءة والاحتجاج ،
ولا نضل المخالفة بالآجاج . الخلق له والأمر له ، والخلق عبارة عن كل ما تراه
موجوداً بحس وعقل وظن ووهم وشك ويقين وعلم . وما أشبه ذلك والأمر
تصريفه بالدواعي الباغية ، والبواعث الداعية ، وبالصوارف المائلة وبالموانع
الصارفة ! فهل بعد الخلق له في الذي هو له والأمر الذي هو أيضاً له « قال لك »
أو « قيل لي » ؟ ! بلى عجزى عني هو الذي قدّم في ، وأخذ بكظي ، وأجاني
إلى ندمي وسدّمي ، وشوقني إلى بطلاني وعدمي ، بعد إحساسي بما سبق
من ثبات قدمي على ما استتبّ في قدّمي . ولولا هذا العجز لسكان لي مجال في القول
ومجاز إلى الدرك ، ولكن جلّ من لا يطاول ، ولا يقاوم ولا يُقاوَل^(١) ،
ولا يجادل ، ولا يعادل ولا يزاوَل . له اليد الطولى ساء أم سر ، والحجة الوضحي
١٠ حلا أم أمر .

يا هذا ! ليس للعباد إلا ما هو به عبد ، فإن جُنّ قليلاً وظن أنه رب ،
فإنك هلاكه وإطوله وهبوطه وسفوله . عدّ أيضاً من هذا ، وخذ حديثي :
إما جملة لا تشفيك شرحاً ، وإما تفصيلاً لا يني عنك برحاً ، ولا يدمل^(٢)
منك قرحاً ، ولا يحمي لك سرحاً [٧١ ب] ، ولا يجلب إليك فتحاً ، ولا يخفف
١٥ عليك متحاً . وذلك أني جئت حول الورد فما وردت ، وتعرضت لنيل المكاة
فما أهلت ، واستغنيت فما أغثت ، ودعوت فما أجيبت ، وسألت فما أعطيت
واعتذرت فما قبلت ، واحتجبت فما مكنت ، وطلبت الجادة فما هديت ،
وأصبت فما عزيت . فبقيت هكذا بالعراء مبروز الصبر ، معزوز الدّحر^(٣) ،

(١) المفاولة : المبادرة .

(٢) دمل (كسمع) : برئ كأن دمل ؛ ودملّه يدملّه الدواء : شفاه .

(٣) الدّحر : الطرد والإبعاد ، والمعزوز : الشديد .

قد نُقِبَ حَقِّي وَدَّيِي إِطْلِي^(١) ، وَذَهَبَ أَكْثَرِي وَبَقِيَ أَقْلِي . فَلَوْ قَبِلَ لِي يَوْمًا :
نَمَّ كَانَ مِنْكَ كَذَا أَوْ كَذَا فَلِهَذَا أَنْتَ عَلَى ذَا وَذَا ، لَكُنْ ذَلِكَ مِثَالًا لِمَعْنَى
الْفِعَالِ بِهِ ، وَكَلِمَةً لِنَفْسِي أَتَمَثَّلُ لَهُ . لَكِنْ جَرَى ذَلِكَ كُلُّهُ بِعِزَّةِ سُلْطَانٍ ، وَقُدْرَةِ
سَاطِ^(٢) ، وَعُلُوِّ يَدٍ ، وَاسْتِبْدَادِ قَدِيمٍ . عَلَى أُنَى إِذَا أَنْصَفْتَ اعْتَرَفْتُ بِالنِّعْمَةِ
فِي أَعْصَافِ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، لِأَنَّهَا أَخَاصَتْ وَأَبْقَتْ ، وَفَالَتْ وَأَسَارَتْ ، وَتَطَرَفَتْ
وَتَعَدَّتْ ، وَخَزَتْ وَجَارَتْ ، وَجَرَحَتْ وَأَسَتْ ، وَقَرَحَتْ وَدَمَلَتْ ، وَرَعَدَتْ
وَبَرَقَتْ . وَلَوْ أَنْتَ عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَصْلِ ، وَذَهَبْتَ بِالذَّنِّي وَالْجَلِّي ، مِنْ كَانَ يَتَدَارَكُ
وَمِنْ كَانَ يَعْتَرِضُ ، وَمِنْ كَانَ يَقُولُ : لَمْ ، وَلَمْ مَحْذُوفَةٌ فِي مَخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ ،
وَمِنْ كَانَ يَقُولُ : كَيْفَ ، وَكَيْفَ مَرْفُوعَةٌ عَنْ مُوَاجَهَةِ الْأَرْبَابِ ؟ ! إِنَّمَا لَمْ وَكَيْفَ
لِلْعَزِيزِ إِذَا أُدْبِيَ بِهِ الدَّلِيلُ ، وَلِلسَّيِّدِ إِذَا قُومَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ ، وَلِلرَفِيعِ عَلَى الْوَضِيعِ
إِذَا أُثْبِتَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ . فَأَمَّا مَنْ عَلَا عَنْ هَذَا كُلِّهِ ، فَكَيْفَ يُقَابَلُ بِمَا لَا يَجُوزُ مَعَهُ ،
وَلَا يُؤْذَنُ لَهُ ! هَيْهَاتَ ! قَصَرَ الْفَهْمُ ، وَطَالَ الْوَهْمُ ، وَاضْطَرَبَ الْحَسُّ ، وَثَبِتَ^(٣)
الْعَقْلُ ، وَسَبَّحَ الْعِلْمُ ، وَاعْتَلَى الْيَقِينُ ، وَتَزَحَّجَ الظَّنُّ ، وَاقْتَحَمَ الشُّكُّ ،
وَعَرَضَ الْإِبْجَاسُ^(٤) ، وَاعْتَرِضَ الْإِلْبَاسُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا الْيَأْسُ .
فَأَمَّا قُصُورُ الْفَهْمِ فَلأنَّهُ رَكَنٌ إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَأَمَّا طَوْلُ الْوَهْمِ فَلأنَّهُ نَدَّةٌ عَنْ قَرَارِ
الْقَلْبِ . [١٧٢] وَأَمَّا اضْطِرَابُ الْحَسِّ فَلأنَّ مُنْشَأَهُ مِنَ الْأَعْرَاضِ . وَأَمَّا ثَبَاتُ
الْعَقْلِ فَلأنَّهُ يَسْتَمَلِي مِنَ الْحَقِّ . وَأَمَّا سَبْحُ الْعِلْمِ فَلأنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ .
وَأَمَّا اعْتِلَاءُ النَّفْسِ فَلأنَّهُ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ . وَأَمَّا تَزَحُّجُ الظَّنِّ فَلأنَّ مُصَدَّرَهُ

(١) الْإِطْلَالُ (بِالْكَسْرِ وَبِكَسْرِ تَيْنِ) : الْخَاطِرَةُ ، وَالْجَمْعُ أَطَالٌ .

(٢) مِنْ سَطَا يَسْطُو : اعْتَدَى بِشِدَّةٍ .

(٣) أَيْ رَسَخَ إِدْرَاكَهُ .

(٤) أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ : أَحْسَنَ وَأَضْمَرَ — وَالْمَقْصُودُ : أَحْسَنَ الشُّكَّ وَالْخُوفَ .

من اعتنان^(١) القلق . وأما اقتحام الشك ، فلائه صنعة الإنسان .
 وأما عَرْض^(٢) الإيجاس فلائه من روادف الحال . وأما اعتراض الإلباس
 فلائه من تمام جميع ما سلفه . ولما كان الإنسان دَئِسَ الجيب ، مُتَمِّمُ الغيب ،
 مَعْدِنُ الرَّيْب ، ومَقَرُّ العيب ، توالى عليه ومنه وفيه هذه الأمور الشائنة ،
 وهذه الأحوال المتشاحنة . وَإِنَّمَا يُنَقَّى وَيُظَهَّرُ في الثاني بالقيام على وظائف
 التكليف ، وحدود الأمر والنهي ، وقبول ما يسير به مُتَرَقِّباً به . واجعلها
 كلها إماماً لك : تطلب سعادتك فيها ، وتستبين مقامك منها ، وتعرف قيمتك
 بها ، لأنها صياقل الأنفس الصدئة ، وبحال الأخلق الكدرة ، وهوادى
 الآراء الضالة ، ومُرِيح^(٣) الالباب الغادية ، وساقى النصول السكيلة ، وشافى
 الأرواح العلية ، ونصائح القلوب الذاهلة .

٥

١٠

فاطلب لنفسك النائية منك ، أو اطلب في نفسك المهلكة لك في هذه
 الفِقرَ المفروضة من أفواه العارفين ، المقطوفة من أشجار الواجدين ، المسقاة
 من الماء الممين ، في المقام الأمين . واجعل ديدنك معاتبة النفس في الليل
 وخاصة في السَّحَرِ الأعلى ، فَإِنَّ شَمْلَ الفكر لا يكون قد تصدَّع ، وبال النفس
 لا يكون قد تبلبل ، والأحاساس تكون خائرة ، وفي خشورة الأحساس زُكُو^(٤)
 الرأى ، [٧٣ ب] واشتعال الصواب ، وورود الحق ، ونفور الباطل ، وتبيان
 المشكل ، ووضوح الغامض ، واستبانة للصحيح ، ويزوُّ السقيم ، وإذا غلبت عليك

١٥

(١) اعتن : اعترض .

(٢) ظهور . وأوجس : أضمر ، ومصدره الإيجاس . يقصد : أما ظهور
 المضمر فهو من لوازم الحال وتوابعها .

(٣) ليست واضحة تماماً .

(٤) ض : زكوا . وزكا يزكو زكاة وزكوا : نما .

هذه الحال بهذه الصفة رأيت أيضاً في منامك ما يزيدك بصيرة في يقظتك ، كما كانت يقظتك على هذا النعمت سبباً قوياً في صدق رؤياك .

إن^(١) الحق يُناغي العارف في رؤياه ، للصفاء الذي يكون عليه في تلك الحال ، فيترود منها ما تصير به اليقظة مضاعفة . فهناك يرى العارف الغيب شهادة ، والمستور مكشوفاً ، والمظنون مستيقناً . هذه حال مذكورة بين أبواب القلوب وأصحاب الخرق السائحين في هذه العرصات ترجية للوقت ، وتقطيعاً للزمان ، وتعليلاً للنفس ، واعتداءً بالاعتبار ، واتجاءً^(٢) بالسرار ، وانتجاءً بالجوار ، وقلناً إلى الصدار إلى دار القرار . فلا تفكر نعتي لها ، وبعتي عليها ، فقد لاحت لي منها أشياء طريفة ، وأمور بدیعة ، لولا أن هذه الورقات أرفع قدرها عن رسمها فيها ، لو تَمَّمتُها معجباً منها كما عهدتها عاجباً بها ، وغيب الله عز وجل ليس بمحدود ، وباديه غير مردود ، ومتواريه غير ممدود : وأول هذه القصة في تهذيب الأخلاق ، ووسطها في أخذ العبر من جميع الآفاق ، وآخرها الوصول إلى الله العزيز الخلاق . والإنسان نصفان : نصفه خُلِقَ ونصفه خُلِقَ ، فإذا صلح نصفاه < فقد >^(٣) كل ما هو به إنسان . فأما نصفه الأول الذي هو به خلق فهو أيضاً على نصفين ، أعنى أنه بالنصفة الأولى على وثيرة لا يزال له عنها ، وبالكلفة الأخرى فله رفع ووضع . وكذلك هو بالنصف الثاني الذي هو به ذو خلق ، فعلى نصفين : فالنصف الأول هو التشبه بالنصفة الأولى حين كان بها خلقاً ، [١٧٣] وبالنصف الثاني هو الذي به يصير أحسن الناس خلقاً ، وأقبح الناس خلقاً . وهذا كلام ، وإن لم يكن في حومة التوحيد ، فإنه لا يُستغنى عنه عند قصد تلك الغاية ، لأن العارف بالله الواجد لله والقاصد إلى الله والمتهاك في الله

(١) ليست واضحة تماماً .

(٢) انتجاء : تحفه بمناجاته .

(٣) بالهناش : « صح : فقد » أي : فقد كل ما هو ...

والمنتسب إلى الله والذاكر إلى الله والواصل إلى الله والمتصل بالله لا يخلون من معالي الأخلاق وعوالمهم وشرائط العادات وضرائب الأفعال وبدائع الأحوال . وهذا ، قال قائل منهم ، — وقد أكثروا عنده ذكر الدنيا — أما أنا فإن نُقِيل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البَطِرِ ، وإن نُشِير عني ، لا أبكي عليها بكاء الخريف المَهْتَر^(١) . وقلت لأبي حنيفة الصوفي ببغداد : كيف أنت ؟ قال :

كَلَّمَا قُلْتُ : غَدًا : فَوَعَدْنَا ؟ ضَحَكَتْ هِنْدٌ ، وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدٍ^(٢) !
يا هذا ! إنما احتجت إلى تهذيب الأخلاق لأنك معجون من عقاقير كثيرة ، ومركب من أضداد متعادية ، وأشكال متوافية . وكانت قبل كأنها أنت ، وكنت بها لاثما فيك ، فلماذا احتجت إلى ضم نشرها ولم تشعها وتَأَلَّفَ شاردها ، وإصلاح فاسدها ، وتقويم أعوجها ، وإرشاد أهوجها . فإذا صلحت أخلاقك ، حسنت آدابك ، وإذا حسنت آدابك ، شرفت همك . وإذا شرفت همك ، طابت مآربك . فعندها تصلح لخدمة الملوكة والحضور خلواتهم ، وسماع لغاتهم ، وحفظ كتاباتهم ، وعندها ينزل عليك الوحي الخاص فيا تصير سعيداً به . ولا تبال^(٣) ، عند حصول هذا الشعار ، أن تجوع وتعرى ،

(١) المهتر يفتح التاء : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن .

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في قصيدته التي مطلعها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعدد وشمت أنفسنا مما تجدد
والرواية المشهورة لهذا البيت هي :

كَلَّمَا قُلْتُ : مَتَى مَيِّعَادُنَا ضَحَكَتْ هِنْدٌ ، وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدٍ !

راجع ديوانه ص ١١٦ البيت رقم ٢ نشرة پول اشفرتس Schwarz ،

ليبتسج سنة ١٩٠١ م / ١٣١٨ هـ

(٣) ص : قبل .

وتظلماً وتضحى ، وتطرد وتختفي ، وتهان وتنفي ، وتغاب وتُفنى ^(١) ، فإن ذلك كله صنع من الله لك ، لأن فيه تجليةً لرشدك وإلقاءً لحبلك على غاربك ، وتركاً لك وحالك ، وإسقاطاً للعوارض عنك ، وتوفيراً على المهمات [٧٣ ب] لك . فإن انطلق شغل في شغل على شغل ، وما شغل أحد بالخلق فوصل إلى الحق ، لأنهم لا يدعون أديماً إلا قرؤه ^(٢) ، ولا صحيحاً إلا قرؤه ^(٣) ، ولا ناهياً إلا شرؤه ^(٤) ، ولا هارباً إلا قرؤه ^(٥) ، ولا خليطاً إلا مرؤه ^(٦) ، ولا جنداً إلا كرؤه ^(٧) . والبلوى عظيمة . وحسبك أنهم يشغلون صاحب الدنيا عن الدنيا ، فكيف يتكون صاحب الدين مع الدين ! هذا ما لم تجر به منهم عادة ، ولا لاهم فيه حفاوة . فلماذا وارت في هذا الجزء الكلام في الأخلاق وتهذيبها ، فإنك بذلك تصفو بعد التهنّب . ثم ليس بعد الصفو إلا ما إذا بدا من الحق بادية ١٠ وانك ^(٨) ، وجّلك وأطلعتك على الغيب وأشهدك ، وأصدرك وأوردك ، وصرت

(١) قفاد يتفوه قفواً وقفواً : قذفه بالفجور صريحاً ورماه بأمرٍ قبيح .
والاسم القِفْوَةُ والقَفْيُ .

(٢) قرأه يفريه : شغاه .

(٣) قرأه : أصابه بمكروه وساء .

(٤) شره شراً (بالضم) : عابه .

(٥) أي جعلوه يقرّ : يسكن ويتقف .

(٦) جعلوه مرّاً .

(٧) الجسد : الأرض الغليظة ، وما استرق من الرمل ووجه الأرض . وكرا

الأرض يكروها : حفرها .

(٨) الوانك : الواكن : وآنك في قومه : تمكّن فيهم . ووكن الطائر بيضه

وعليه ، يَكْنُهُ : حضنه .

من الذين أنعم الله عليهم على طريق الإخلاص من ناحية الاختصاص — فبينما
لك إن وجدت هذه الحال بجهلك إن وقتت له بتوفيقه ، وأن تجتهد فيه ،
والله محقق كل أمل ، ومزكى كل عمل ، بمنه وجوده .

رسالة (كد)

اللهم ارفق بنا رفقاً يحفظنا لنا ، واطلع علينا اطلاقاً يأخذنا عنا . واهدنا
إلينا ، وأرحنا منا ، وخبرنا غن دائنا ، وجدد علمنا بدوائنا . وامح عنا آثار
الخلق الفاني ، وأودعنا أسرار الحق الباقي ، وسلمنا من كل عائق عنك ،
وقنا كل باقية^(١) منك ، ولاطف ضمائرنا بروح لطفتك ، ودير ما بدا لنا بتوالي
عطفتك ، وأحمر حرمنا من هبوب نسيم غيرك ، واملا أسرارنا بفرائب برلك
وخبرك . إنك خير المتجسين ، وأجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين .
يا هذا ! إذا تمت نفسك بقاء الأبد ، فلا تسكن إلى أحد ، ولا تتخضع بسبب
ولا لبس^(٢) . إذا هفا بك الشوق إلى غاية مجهولة ، فارق في معارج الوجد
إلى نهاية مسلمة . إذا سؤلتك نفسك نسبة إلى [١٧٤] فمل بشاهد الكسب^(٣) ،
فانسبه بالتفويض إلى جارى القدر . إذا استعرت عبارة الغائب في الشاهد

(١) الباقية : الداهية .

(٢) السبد (بالتحريك) : القليل . واللبد : الكثير . ويقال : ماله سبد
ولا لبس (محركتان) أى : لاقيل ولا كثير .

(٣) « الكسب : هو الفعل المفضى إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر . ولا يوصف
فعل الله بأنه كسب ، لكونه مترهاً عن جلب نفع أو دفع ضرر » (« التعريفات »
للشريف الجرجاني) . والكلمات الواردة هنا : الكسب ، التفويض ، العادة ،
الخ ، كلها اصطلاحات كلامية .

- بالعادة ، فلا تطردها^{١١} على وجهيها في الغائب . إذا استغرقتك رؤية الاختيار ،
فالتفت إلى وارد أحكام الاضطراب . وإذا خشيت بنالب الاضطراب ، فلا تنكر
محبوب ما ساقه إليك الاختيار . وإذا عرفت منادى الكل ، فلا تميز الاختيار
من الاضطراب . وإذا بدت لك العين بالوحدة ، فلا تنسب مقداراً إلى مقدار
على طريق الاستكثار . وإذا طاب لك المقام في وطن ، فاعلم أنك بعدت عن آثار
المعدن . وإذا ملكك النزاع إلى مكان من غير سكنى ذلك المكان ، فاعلم أنك
قد رشحت لشأن من الشأن . يا هذا ! إذا أمكنتك المشاهدة فلا تقبل منه
المتوسط ، وإذا توسط لك بنفسه فقد أغناك عن سواه . إذا سارك بنبيه ،
فقد صانك عن علانية غيره . إذا قربك المشوق ، فاحتجب عن تقريب المعشوق .
إذا غشيك المذكور ببادي ذكره إليك ، فزل عن ذكرك إذكر المذكر لك .
إذا استكتمك الملك سر الملكة ، فلا تشافه في طيه من يعرضك للهلكة .
إذا فاجأك الحبيب بمحاسنه ، فآله عن الرقيب مستمعاً بالاحظ . وإذا ناجاك
الحق بما يدق عن الفهم ، فلا تحاكمه إلى نقص العقل . إذا عدا عليك الحس
بالاستحالة ، فاعد عليه بسلطان الحق . إذا فتتك العقل بدقائق البحث ،
فاستقبله بحقائق التسليم . إذا أعجبتك النفس في الطاعة ، فعرفها استحقاق المطاع .
إذا خدعك الشكر بروية النعم عن طلب المزيد ، فانتف بذلك عن رؤية المنعم .
إذا حدتتك نفسك بالوصول ، فكن على حذر من مكر الموصل . إذا سما بك
الرجاء إلى الطمانينة ، فاهبط إلى ساحة [٧٤ ب] الخوف بالقلق . إذا رصدك
الهوى بتسويله ، فاجبة سائله بالرد ، وعامل غريمه بالتسويق . إذا لاح لك شاهد
الحق منك ، فواصله بشاهده فيك . إذا استعججت عليك مراسيم الظاهر ، فأيدها

(١) أى لا تجعلها مطردة .

بحجج الباطن . إذا ساعدك الوقت بخوادع اللذات ، فحَفَّ تَوابع التبعات .
 وإذا سِرَفَكَ ^(١) منظرٌ من مناظر الكون ، فتكَبَّرَ عليه بزينة الصون .
 إذا زخرقت لك العينُ شاهدَ الوجدان ، فاستندِ أنت إلى رُكنِ العِرفان .
 إذا نَفَمَ لك بألحان التوحيد : فاطرب عليه بأصناف التمجيد . إذا عكسك
 حاضر الأمانى فى مدارج التوائى ، فاطرِّدْ أنت بثابت المعانى . إذا ادعى عليك
 المحال بشواهد التوہى ، فابرِّزْ أنت بحقائق التعريف والتنزيہ . إذا أضلوك
 بأوائل الأحساس ، فاهتدِ أنت بشوائى العقول . إذا كدوك بمطالب التعريض ،
 فاسترح أنت بحقائق التفويض . إذا أراحوك من لوازم الظاهر ، فاكدِّدْ نفسك
 أنت ببوادى الباطن . إذا حرموك على وجه الاختيار ، فتناقَّ ذلك بشدائد
 الاضطرار .

لعمري لقد وصفت شأننا يعز عن الوصف ، ويعزبُ على الواصف تَمَلُّياً
 عن دَنَسِ اللسان بحدود اللفظ . ولكن ما يصنع من إن بدَّلَ رُدَّ عليه ،
 وإن بَحَلَ طَلَبَ منه ، وإن تَقَرَّبَ نسب إلى الملقى ، وإن أَمْسَكَ أَحْصَى
 فى زمرة الأبعاد . رَقَدَتْهُ ^(٢) غرار ، ودموعه غرار ، وقوله وبَّال ، وسكوته
 إِنْقال ، ووحدته وحشة ، وفكرته دهشة ، وصحوه سكر ، ونصحه مكر ،
 ولسانه ذكر ، وربحه وكس ^(٣) ، وزيادته نقص ، وطيبه عَرُض ، وإبرامه تقص .
 يا هذا ! تَجَمَّعَ عن تفرقك ، وتفرق فى تجميعك ! أتدرى ما تفسر
 هذا اللغز ؟ أى : احضر عن غيبتك ، وتغيب عن حضورك . هذا أيضاً

(١) سرفه : جعله يخطئ ويجهل .

(٢) أى : نومه يكون غراراً ، والفرار : القليل من النوم .

(٣) الوكس (كالوعد) : النقصان والتنقيص (لازم ومتعد) ؛ ووُكس
 الرجل فى تجارته وأوكس (مجهولين) كوكس (كوعد) وأوكس ماله : ذهب .

لغز آخر أنا أكشفه لك بما هو أبين ، فتحل منه بما هو أزين . معنى ذلك :
انف عن سترك المموم كلها حتى تنقي من كل [١٧٥] دَس يكون
في الإنس . ثم اخطب مجلسك من حضرة الحق بقول ما يجوز به لك .
ثم أفرغ كلك في شكر هذه المنائح التي كلها جلوتها كانت أحسن وأجسى ،
وكما عرضتها كانت أحلى وأشهى .

- يا هذا ! أما ترى فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة ، بصنوف العبارة
عن الأركان الوثيقة ، دالة على الآيات الأنيفة ، جامعة للآثار الرشيدة ؟ جُل في
أطرافها طالباً نفسك فيها ، وعُص في أعماقها مُحصلاً لحقيقتك منها . واجعل
تباشير بوادي هذه الأحوال مادةً لصبرك إن كنت مُبْتلى ، أو عُدّة لشكرك إن
كنت مُخْتَلًى ، وترنج في هذا الفضاء — « الذي » قد انخرق لك من هذه الورقات
التي هي ألف ورقة ، متزهاً ، واقطف من ثمارها ما تدلّ لك ودنا منك ، وترشّف
من عينيها ما ساع لك وعُثب في هاتك . فإياك والشك فإنه للقلب مرض ،
وللدين عَرَض ، وللخلق حَرَض ^(١) . وإياك وأن تريد إلا وأنت تريد . فأما
إذا كنت مُراداً ، فتجنب كل إرادة لك ، فإنها إبادة فيك منك . واجتهد
أن تكون سابقاً متمهلاً ، وإياك أن تكون مسبوقاً متعجلاً ، فإن ذلك عُنوان
الفوت وآية الحسرة وعلامة الأسف . وامح عن سترك الفكر في كل ما كان
أمس ، قصّو له بمحو لك ما يكون لك غداً . فإن ذلك أحضر لبالك في يومك ،
وأدعى إلى إحراز نصيبك من قوّتك . فالوقت حادّ ، فكُن من جدته على حذر .
والحذر هنا أن يكون همك بالعلويات الأبدية الدائمات الباقيات الصالحات
الناعمة ، فإن اعتلاق الهم بها [٧٥ ب] استغراق لحاسنها . وفي هذا الاستغراق

(١) الحَرَض (محرّكة) : الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل .

تَشْبَهُ كَثِيرٌ بِمَعَانِيهَا . وفي هذا التشبُّه بروز لحقائقها . وفي هذا البروز لحقائقها
 الفوز بنعوتها . ومن نعوتها خاودها . فأى الإشارة أخلص من هذه ؟
 وأى عبارة أخلص من هذه ؟ قد صنع لك فيما نعم به عندك ، ولطف فيما عرض
 عليك ، فكن لآلائه من الشاكرين ، وليعنه من المستحقين ، ولفضله
 من الذاكرين . وزِنْ رجاءك بالخوف وزناً عدلاً . ثم رَجِّح الرجاء فإنه أدلُّ
 على كَرَمِ المرجو . وقابل التوكل بالتعرض مقابلةً صحيحة . ثم اجعل الرُّجحان
 في جانب التوكل ، فإنه أشبه بحال العبد . وابحث عن مبدأ الوجود ، فإن كان
 من آثار السكون البائد البائر الزائل الحائل فلا تَعَجُّ عليه ؛ وإن كان من آثار
 الغد الدائم الخالد فارتدِّ به واعتزِّر ، والتحف به واعتطف عليه ، وثق بأنك
 إذا أَهَلَّتْ للتبختر في هذه الساحة ، فقد نلت كل لذة وأصبحت كل راحة ؛
 وما أقرب هذا البعيد ! وما أسهل هذا العسير ! وما أشدَّ استجابة هذا الآتي !
 وما أسرع إيجاش هذا النائي ! إنما هو رقدة كاللحم ، وحُلْمٌ كالدمع . ثم الاطلاع
 على نعيم كُنَّا نبالك هاهنا بشبائمه ، لاجتماعه ، ونحن على أسمائه لا على معانيه ،
 ونظنُّ أننا قد وجدنا عزيزاً وملكنا نفيساً . وأى عزٍّ لما يبتذله الليل والنهار !
 وأى عزٍّ لما يتخونه ^(١) القياس والمقدار ! وأى شرفٍ لما لا يثبت في لحظة
 على حال ! له في كل آن اسمٌ ، وفي كل أوان رَسْمٌ : أعنى أنه يقال له :
 غريض ^(٢) وذابل ، وجديد وخلقٌ ، وشاب وهَرَمٌ ، ومُقبِلٌ ومُؤَلٌّ .
 فإن الأمثال بمثله مضروبة ، والأدلة على نظائره منصوبة ، ولكن الثاوب

(١) تَخَوَّنَهُ : تعهده ، ونقصه ، ونسبه إلى الخيانة — والمقصود هنا :
 أى ما ينطبق عليه المقياس والمقدار ، أى : ما هو محدود .

(٢) غريض : نضر .

عن التحقيق بمعرفتها [١٧٦] محجوبة ، والنفوس مع طلب ذلك منها وفيها مكروبة .

يا هذا ! عَصَّ على نأجذك عند مرارة الكدر العارض ، فإنه كَلَفَتَتْ لافِتٍ
أو عَطَفَتْ عاطف . فإن ذلك يَهْوَنُ عليك الصبر ، وَيُنْسَحُ منك الصدر ، ويزيدك
ثقة بالِعَوَض ، وزهادة في هذا الغرض . يا هذا ! إن كنت تحب نفسك
فلا تحفر لها مَعَوَّاتِها ^(١) بيدها ، ولا تنكسبها عارها بجهلك . واستيقن
أن محبة النفس في معرفة النفس ، وأن < في > معرفة النفس استكشافاً
لحيلة القدس ، أعنى أنك إذا ألهمت بذلك عرفت الله الذي به قوام النفس ،
وإليه مصير الجن والإنس . وفي هذه المسألة دقائق من البحث وغوامض
من النظر وغرائب من الجواب . ولكن لا قوة لي على نشرها ، ولا ثبات
لك على استماعها . فقد اتفقنا على الفسولة ^(٢) بسوء الاختيار ، أوجرينا على المكر
بحكم الاقتسار . فقل لي الآن : ما الحيلة لي حتى أبدى ما عندي ، وما الحيلة لك
حتى تحصل غنى مسامعي بجهلك وجهدي ؟ والله لو لم تظفر من هذه الأجزاء
إلا بجزء واحد ، بل بورقة واحدة ، بل بسطر واحد ، لكان الغنى معك والريح
في يدك ، وكُنْتَ في مناط الثريا اتصالاً بالسعادة ، وعند العَيَوق ^(٣) اطلاعاً
على الحقيقة . فكيف وقد استكثرت منها وظفرت بها كلها ، وهو ما ارتفع
إلى هذا الوقت قدر ألف ورقة . فجدد لنفسك نشاطاً لقراءتها ، والتبحر لمعانها ،
والاغتراب فيها ، والتصرف في أوائها وثوائها ، والإلمام بأطرافها وحواشيها .
فإنك بتجديد هذا النشاط تمشي على ذلك البساط ، وتوَهِّل لمجائب الانبساط ،

(١) المَعَوَّاة (مشددة) المَصْلَة : كالمَعَوَّاة كَمَهْوَاة ، واجمع مَعَوَّيات .

(٢) الفسولة : الرذالة والحقارة . والفعل : فسل ، ككفرم وعلم وُثِنِي .

(٣) العَيَوق : نعيم أحمر مضى في طَرْفِ الحجر الأيمن يتلو الثريا ، لا يتقدمها .

حتى يقال لك كن خليفة لنا [٧٦ ب] في مملكتنا ، ومُصَرَّفَ الكون بأمرنا وإذنا . يا هذا ! إذا اعتراكَ الرِّيبُ في هذا المسموع ، فاحتط لنفسك بالرجوع إلى قلب سليم من الهوى ، مُقَمَّعٍ بالنهي . ثم استشره فإنه يهديك إلى صراط مستقيم ، بلا تلم ولا تعليم ، ولا تكلم ولا تكليم . وإن كنت قد كفيت الريب ، — وإتما نرحك لعائقات عادتك ، وباقيات قربائك الذين سحبوك على الصَّراء بالفرور ، وقربوك بالأمانى على الدهور ، — فإن ذلك يَحْصِي عنك بعزلة أواه أو حمة مُنِيبٍ ووَنِيَّةٌ ^(١) صارم وكد يسير . قهياً ذلك ، فإن المراد مَطْلَبُ والمراد مَكْشَبٌ ^(٢) . ودع قولك ورأى أم وأخت ، وأب وابن ، وخال وخالة ، وعم وعمّة ، فإن هذا من غيب الشياطين ^(٣) ووسواسه ، ومن دقيق حيله وإغوائه ^(٤) وإلباسه هـ .

وقد قال عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وهو رُوح الله ، للحواريين : « إنكم لن تُدْرِكُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتْرَكُوا نِسَاءَكُمْ أَيَّامِي ^(٥) وأولادكم يتامى » ^(٦) . وهذا رمز وراءه رمز ، وإشارة فوقها إشارة ، وعبرة حولها عبارة . ولكن التقي مَلْجَمٌ ، ولا بد من بعض السكوت ، كما أنه لا بد من بعض القول ، ومن قال كل ما عنده فقد باء بغضب من الله ، ومن سكت عن كل ما عنده فقد تعرض لضرر الله . إن لكل شئ حداً ، ولكل أمر

(١) الوَنِيَّةُ : الفترة والتعب (ضد) ، والفعل : ونى بنى ونياً ووَنِيّاً ووَناء ووَنِيّة ووَنِيّة ووَنِيّ .

(٢) كَشَبٌ عليه : حمل وكرّ .

(٣) كَذَا ، ولعلها : الشيطان .

(٤) في الكلمة تشابك واضطراب في الأصل ، كذا : والوعواه .

(٥) الأيَمُ والجمع أيامى : من لازوج لها ، بكرّاً أو ثانياً .

(٦) إنجيل « لوقا » ، أصحاح ١٤ : ٢٦ ، أصحاح ١٨ : ٢٩ ، ٣٠ .

قدراً ، أعنى : لكل قول آخر ينتهى إليه ، ولا يجوز أن يزداد عليه ؛ ولكل
 سكوت حدٌ يُبْلَغُ إليه ، ويوقف عنده . أما سمعت بعض العارفين يقول :
 قِيلَ مَنْ قِيلَ بغيرِ عِلَّةٍ فأدناه ، وَرَدَّ مَنْ رَدَّ بغيرِ عِلَّةٍ فأقصاه . فلا التأمُّ عنده
 بقبول ، ولا الناقص عنه [١٧٧] بمرود ، ولكن له الخلق وإليه
 الأمر^(١) . هذا باب — عافاك الله — كلما قرع زاد رتاجاً ، ومُشْرَبٌ كلما خاض
 صار أجاجاً . والاحتياط فيه ترك الأمر على صنعه . فإن بقي على فنونه ، فذاك ؛
 وإن نضاً عنها^(٢) . فذاك . اللهم إنا إليك نفرع [إليك] خارعين ، ولك نضرع
 محتاجين ، وإليك نخاطب منبسطين ، وعنك نُمسك هائبين ، وعلى بابك
 نلبيخ^(٣) طالبين ، وبنارك نصلى مقرورين^(٤) ، وشريعتك نردُّ لاهتين ،
 وبك نعتصم متحيرين^(٥) ، وإليك نلتسب مفتخرين . وهذه حرمان أنت
 أولى من رعاها ، وأحق من حفظها لنا وأتمناها ، يا ذا الجلال والإكرام !
 شعر : كلما انقضى سببٌ عاد لى به سببٌ
 تضحكين لاهيةً والمحبُّ يفتحبُ
 تمجبين من سقى صحفى هى العجيب^(٦)

(١) فى سورة «الأعراف» آية ٥٤ : «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين» .

(٢) نضاً عنه : تجرد .

(٣) لبس : تنج . فيجوز أن تكون : نلبيخ أو نلبيح .

(٤) كذا ولعل أصلها : مقرورين ، أى مصابين بالقر وهو البرد .

(٥) كذا ، ولعل أصلها : متحيرين .

(٦) هذه من أبيات لآبى نواس (راجع ديوانه ص ٣٦٦ طبع مصر

سنة ١٨٩٨) فى قصيدته الرقيقة التى قالها فى أوائل صباه ، ومطلعها :

حاملُ الهوى تعبٌ يستحقُّه الطَّربُ

رسالة (كه)

اللهم إن معرفتنا بك بُعدنا ^(١) عنك ، وخالفتنا لك تؤنسنا منك ،
وإنّا ختنا بفنائك يطعمنا ^(٢) في رَوْحِ رضوانك ، وإصرارنا على الشرود عنك
يحول بين رجائنا وتفضلك . فارحم ^(٣) تذبذبنا بين اليأس والقنوط ، واكفنا
خطر الترجيح بين الصعود والهبوط .

أيها الهائم الملتاح ! كم تتلذذ ، ورُبَّك بين يديك ؟ أيها العامل المكدود ،
كم تغتر وقد أحبط رؤياك عملك عليك ؟ أيها القارئ المطمن ، كم تنعم ، والمزعج
قد أطلَّ على رُبِّك ؟ أيها الواعظ المُدِلُّ ، كم تهدي وأنت في وادٍ من حقيقة
وعظك ؟ أيها الساكت بالغي ، كم تظن أنك سالم من العتب ؟ أيها الناطق
باللسان ، أين شعارك [٧٧ ب] الذي يشهد لك بالصدق ؟ أيها المفكر في الملوكوت ،
أين مرمالك منك فيما للحق عليك ؟ أيها الجائب للبلاد يزاد وبغير زاد ،
أين غنيمتك من السفر ؟ أما والله لو صحبتك في قولك لزايك الرياء في فعلك ،
ولو ذقت حلاوة من تناجيه بسرك لو شئت بالثقة في عبارتك . لأنما ^(٤) تملُّ
العبادة لأنك محجوب عن الزيادة . ليست معاملتك مع من لا يطلع على غيبك ،

(١) كذا ، ولعل أصلها : « تبعدنا » في مقابل قوله : تؤنسنا . والمعنى هو
أننا كلما ازددنا بك معرفة شعرنا ببعدنا عنك ، أي ببعد الفارق بين المخلوق
والخالق ، أو ببعد ما تفعله مما يجب علينا فعله بإزاءك .

(٢) ص : يطعمنا . وهو تحريف ظاهر .

(٣) كذا في الأصل بالجيم ، والرجم هو القتل والقذف واللعن والشتن
والطرد . أو لعل أصلها : فارحم (بالحاء) ، وهو الأرجح هنا .

(٤) كذا ولعلها : إنما .

ولا يتصفح منافذ شرك ، ولا يعلم ما أنت عليه وما أنت إليه وما أنت فيه وما أنت به هيهات ! أنت آفيتها ، وفيك وديعته ، وعندك آيته ، وعليك طليعته . أنت رقيبته على نفسه ^(١) وأنت لاتشعر ، والشاهد عليك وأنت لاتذكر . فانظر كيف أخفاك فيك ثم أظهر لك ، وطواك عنك ثم نشرك عليك — حتى ترم ^(٢) جوارحك إذا أردت ، وتضم سوانحك إذا قصدت فجواه لتعلم أنك مرشح لامرك . إن صبرت على زلزاله في أوائله صرت من الأبرار الذين « لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » ^(٣) . وإن جرعت فلن تفوت إلا نفسك ، وما يهلك على الله إلا هالك . تصبح طافيا ونمسي راسيا ، وتقدم نشيطا وتتأخر ناصبا ، وتظن أنك على الرج : ألا في الخسران أنت راجع ، وإلى غير ما شوقت إليه نازع ، فإن كان < انظر منك مبهما ، فادل بلسانك على عيبك ، وأدل بحجتك على نفسك ، فكفى بك حسيبا عليك .

يا هذا ! أنتدعي أنك محب لمولاك ، وأنت متلطح ببلواك ؟ أنزع من بينك وبين الحق وصلة ، وأنت عاكف على بساط اختلاف والمعصية ؟ يادر ، يا هذا ، وكذب نفسك من نفسك ، من قبل أن يكذبك من لا قبل لك بتكذيبه ، فإن مناظرتك به في ضميرك أخف عليك [١٧٨] من مناظرة من « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » ^(٤) . يا هذا ! لا تغر من لبوس الإيمان فقد زينته به ، ولا تغور عين اليقين وقد شربته منه ، ولا تشرد على متالفك وقد ربيت في بره ، ولا تغتر في طلب نجاحك وقد مكنت منه . وكيف لم يكن

(١) كذا ولعل ضوابه : نفسك .

(٢) رم الشيء : يرمه ويرمته : أصلحه .

(٣) سورة « يونس » : آية ٦٣

(٤) سورة « المؤمن » : آية ٢٠

من هذا ومن غيره وقد دُعيت وتوديت ، وكوشفت وبودئت ، وحُظفت
ورعيت ، وسوررت وتوجيت ، ووصلت وتوغيت ؟ فأما الدعاء فبالرسول ،
وأما النداء فبالكتاب ، وأما المكاشفة فبالعبر ، وأما المبادأة فبالالطاف ،
وأما الحفظ فبالرقباء ، وأما الرعاية فبالمدافعة ، وأما السرار فبالإخلاص ،
وأما المذاجاة فبالشكرمة ^(١) ، وأما المواصلة فبالقشريف ، وأما المناغاة فبالتعريف .
فحصل الآن — عافاك الله — قيمة هذه الحال التي ردّدت فيها ، وطوّرت بها ، وأظهرت
عليها ، وحصّك بالمقام المعلوم منها ^(٢) ، واحظ في أضعاف هذه الأحوال مترك ،
فقد رفع ذكرك ، وقوّم أمرك ، وأسبّل سترك ، وأوضح عذرك . فإنك
إن حصّلت هذه الأوائل حصّلت على ما وراءها بين الشواهد والدلائل ،
وتخلّصت من جميع الأهوال والبلايل ، وقرّرت في مغائى أهل الفضائل ،
وسمعت ترنماً ينبئك ^(٣) كل ما تقدم ، وطربت طرباً يذهلك عن كل ما تعلم ،
ثم سقيته ^(٤) بكأس لا تظأ بعدها أبداً ، وأويت إلى بقعة لا ترعج أبداً
عنها ، واختلطت بأرواح لا كثافة لها ، ونطقت بلغة لا عهد لك بها ، وحلّمت
بكرامة لا هبوب منها ، وحلّيت بحيلة ^(٥) لا تكشف بعدها . فما ذاك يمنعك
عن الشوق بعد هذا الوصف الذي تسمع ؟ وماذا يصدك عن الوجد بعد هذا
النعت الذي ترى ؟ وماذا حجبك في [٧٨ ب] إغراضك عن هذا عطاؤه لك ،
وهذا نباه عنك ، وهذا تلطفه بك ، وهذا عرضه عليك ؟

(١) عند هذا الموضع بالهامش : معروف .

(٢) كذا ، ولعل صوابه : وإن حظ .

(٣) كذا ، ولعلها : ينسيك .

(٤) كذا ، ولعلها : سقيت .

(٥) كذا ، ولعلها : بحيلة .

يا هذا ! دَعْ ما كان خبراً عنك ، ومدارة لك . وَخُذْ مِنْهُمَا ما أنا ممنون
 به ، ومدفوع إليه . فَإِنْ دَقَّ عَلَيْكَ فِيهِ لَفْظٌ ، أَوْ تَبَّأَ عَنْهُ تَحْصِيلٌ ، فسامح ،
 فالقليل أحرُّ من ذلك ، والضرُّ أظهر مما هناك . نعم ! حبيبي دعاني فلما أجبته
 طردني ، وقرَّبني فلما دعوت أبعدي ، ومَنَّاني فلما توقعت حرمني ، وحكمتي
 فلما اقترحت خيبي ، واستنطقني فلما نسبت أخرسني ، ودلني فلما استدلت
 ٥ توهني ، وقال : كن لي ثكني ، وجُدني تَجِدني ، وأراني فلما تأملت أعاني ،
 وأمرضني فلما استشفيتني أضاني . فلما دفعت إلى هذه الخارج ^(١) ، وضلت
 عن طرق الخارج ، قلت محذراً لنفسي : أترى هذه لِمَ وفيه وعَلَامَةُ ؟ فَأَجَّجْ
 على مني تاراً لا يُطْفَأُ لها ولا يُخمد جهرها ولا ينقطع شررها ، وقيل لي : اقتحم
 باختيارك مُثَلَّةً أيها ^(٢) ، وإلا أصليناك مُكْرَهاً عليها . قلت : نعم ! اقتحم
 طاعة وانجاءاً ، ولكن طمبوا قلبي بسرٍّ أمرى ، وعرفوني ما بي من حُلوى
 ومرى . فتيل لي : لو أهْلُناك لهذا لما أحرقتك بهذا . مَنْ أَذِنَ لك في البحث
 عما طويناه ؟ مَنْ أباحك المسئلة عما رويناها ؟ مَنْ جرَّأك على قرع بابٍ مُدٍّ أغلقناه
 ما فتحناه ؟ مَنْ أَطْعَمَكَ في مرعى مُدٍّ حميناها ما أبجناها ؟ وَمَنْ هَوَّنَ عَلَيْكَ رَفَعَ
 ١٥ سِتْرَ مَنْدٍ أسبلناه ما رقعناه ؟ أَتَظُنُّ أَنَّكَ شريكنا في الملك ، أو رقيب علينا
 في التدبير ، أو قادح في إرادتنا بالاعتراض ؟ خَلَقْنَاكَ عبداً فتبرَّيت ^(٣) لتكون
 رباً ، ولو لا أنا لنعلم من أين أتيت فيما كان منك لا بدَّناك ، وجعلناك ربما
 في مقلناك . لكننا نعوذ عليك بالمنة عليك ، كما بدأنا ما طيئه لديك . فاحترس

(١) جمع مخرج ، يقصد الأمور المخرجة .

(٢) كذا ! ويمكن أن يفسر بمعنى : مثله : ما هو قديم ، وما نتج عنك

من المال ؛ يقصد : اقتحم أي شيء يكون لك ومن نتاجك .

(٣) كذا ! ولعل صحته : فانبريت .

الآن منا لحرسك بأنفسنا ، وثق بأنك نجوت من مقام دَحْضٍ لولا عَطْفُنَا
وتوفيقنا لك لكنت من [١٧٩] الهالكين . فانظر : هل لك منا محيص
إذا أردناك بما لا يوافقك ، وهل لك منا مانع إذا خصصناك بحلية الربوبية ؟
فيا ساهياً عن نفسه ، وبلا هياً عنا بفرط أنسه ، كيف ترى قدرتنا عليك ،
وتصريفنا لك ، وإحاطتنا بك ، واستباحتنا إليك ، وتمكينا منك ، وتملكنا
لناصيتك ، وإشرافنا على دانيتك وفاصيتك ؟ إن لك في بعض هذا مستبراً
فسيحاً ، وتوبة نصوحاً .

اللهم إنا نفتتح كلامنا بذكرك ودعائك استعطافاً لك ، ليكون نصيبنا
منك بحسب تفضلك لا بحسب استحقاقنا ، ونختم أيضاً كلامنا بما بدأنا به .
رغبة في رحمتك لنا وتجاوزك عنا ورققت بنا وإهدائك ما لا ندره ولا نتمناه
إلينا . ونسألك ، إلهنا ! أن تجعلنا في كَفِّ من ضمانك ، فقد رمانا خَلْقُكَ
عن قوس واحدة ، وقد فونا بالسنة جداد ، وقصدونا بسواعد شداد ، لأننا
ذكرناك لهم ، ودعوناهم إليك ، وعبرنا عنك أن يكونوا جاهلين بك ومخالفين ،
وقد غرقوا في نعمك ، واعتزوا بكرمك ، وتكبروا من أن يكونوا من خدمك .
اللهم استصلحهم لعبادتك ، وخذ بأزمتهم ^(١) إلى بابك ، وإلا فاستأصلهم
بقدرتك ، فقد احترقنا بنارهم من أجلك ، وفقدنا كلنا بينهم بسببك . فأنت
مُحَرِّكُنَا إليهم ، وأنت مُقَرِّبُهُمْ عِنا ، وأنت معاتبنا فيهم ، وأنت طاردهم
دوننا . وهذا السر ^(٢) لك فينا وفيهم ، ولغيب لك عندنا وعندهم . إلا أننا
قبل أن نتعرض للسر بالظن ، وقبل أن نلم بالغيب بالعن ^(٣) ، نفرع إليك

(١) جمع زمام .

(٢) ص : ليس . وصوابه ما أثبتناه بدليل ما يرد بعد : نتعرض للسر بالظن .

(٣) العن : ما يعن ، أى يظهر .

قالين لهم ، هاجرين لبقاعهم ، متباعدين من رباعهم^(١) ، متعيقين^(٢) لطباعهم ،
متنزهين عن باعهم وذراعهم ، عالين بأن العيش معك أرق ، وأنت بتأميلنا
أولى وأحق ، وإن كان معنى هذا الموصوف بالمقايفة أشد علينا وأشق ،
إلهنا ! قد وقعت البيئونة بيننا وبين خلقتك فلا تصلها بالبيئونة بيننا وبينك ،
فإن ذلك شديد . وإذا أردت بنا عقاباً فأجعله [٧٩ ب] مادون هجرنا لنا ،
فإن الهجر تجلبة للمقت ، والمقت مدعاة للهوان ، فالهوان عذاب شديد
وعقاب أليم .

يا هذا ! نزه طرفك عن النظر إلى غير الله ! شرف فكرك بالفكر
في عظمة الله ! بيض وجهك بالصبر على عبادة الله ! أخلص عملك من الشرك بالله !
أطرب نفسك بأغاني ملكوت الله ! أفرغ صباح مساء باب جود الله ! تعرض
لويل المواهب الماطلة من الله ! اذن حتى تصغي . أصغر حتى تسمع . اسمع
حتى تفهم . افهم حتى تعقل ، واعقل حتى تشرف ، واشرف حتى تنبى . وابق
حتى تنعم . وانعم حتى تسعد . واسعد حتى تنقى . واتق حتى ترقى . وارثق
حتى لا تشقى .

يا هذا ! أما ترى نعم الله عليك نازلة ، وخيراته إليك واصلة ومباركة^(٣) ؟
لديك متكاملة ، تارة في اليقظة وتارة في المنام : [فإنه] أما في اليقظة فإنه يجلو
عليك هذا الملك البسيط حتى تشهد الكواكب المتألثة بالليل ، الجارية بحقائق
المشيئة ، الدانية على سنن الإرادة مع عجائب غيرها . وأما في المنام فإنه يعرض

(١) جمع ربع : مسكن .

(٢) أى : كارهين .

(٣) جمع مبرة .

عليك الأمور لعبارتها^(١) ، فاجتهد أن تعرف المغزى في جميعها . على أن ما يشكل
من جنس ما لا يشكل ، وَمَنْ آَلَ إِلَى فُطْنَةٍ وَذَكَاءٍ نَفْسٍ عِلْمٌ أَنَّ مُشْكِلَةً
مَا أَشْكَلُ لَا لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ غَرِيبَةٌ ، وَالْبَشَرِيَّةَ مَشْهُورَةٌ ،
وَالْغَرِيبَ مُتَجَنِّبٌ ، وَالْمَشْهُورَ مُسْتَصْحَبٌ . عَزَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَغَرَّتِ الْأَهْوَاءُ ،
وَتَبَدَّدَتِ الْأَرَاءُ ، وَغَصَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَكَلَّ فَلَكَ عِنْدَ الْحَقِّ سِوَاءٌ .
لِأَنَّ الْأَنْبَاءَ بِهِ عَزَّتْ ، وَالْأَهْوَاءَ بِقُوَّتِهِ غَرَّتْ ، وَالْأَرَاءَ لَهَيْبَتِهِ تَبَدَّدَتْ ،
وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بِنُورِهِ غَصَّتْ ، — فَلَاخْبِرْ عَنْهُ ، وَلَاخْبِرْ إِلَّا هُوَ ، وَلَا مُسْتَخْبِرَ
سِوَاهُ . الْعَجِبُ الْعَجِيبُ ! أَيْنَ نَحْنُ ! وَيْلَكَ ! وَمَا هَذَا الَّذِي قَدْ تُوسَّسُ بِهِ ؟
وَمَا هَذَا الَّذِي تَهَالِكُ عَلَيْهِ ؟ إِنْ كَانَ إِيَّاكَ فَلَمْ نَغْفَلْ^(٢) عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَنَا
فَلَمْ نَغْفَلْ بِالنَّارِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا وَذَا ، فَمَا هَذَا الْوَيْلُ^(٣) الَّذِي عَلَيْنَا مِنْهُ .
[١٨٠] يَا هَذَا ! هُوَ هُوَ لَا بِانْقِسَامِ الْإِشَارَةِ النَّفْسِيَّةِ^(٤) ، وَلَكِنْ هُوَ هُوَ بِالنِّتْمَامِ
الْإِشَارَةِ الْعَقْلِيَّةِ . وَلَيْسَ أَيْضًا كَذَلِكَ وَلَكِنْ إِلَى هُنَا انْتَهَتْ الْمَسَالِكُ ،
أَغْنَى مَسَالِكِ النَّفْسِ النَّازِعَةِ^(٥) نَحْوِ الْأُمُورِ الْبَارِزَةِ^(٦) ، وَمَسَالِكِ الْعَقْلِ الذَّيْرَةِ
نَحْوِ الْغَايَةِ ، وَمَسَالِكِ الْوَهْمِ السَّامِحِ نَحْوِ الْمَرَامِ الْأَبْعَدِ ، وَمَسَالِكِ اللَّفْظِ الْمُرْخَرَفِ
نَحْوِ الْمَطْلُوبِ الْأَشْرَفِ ، وَمَسَالِكِ الْإِرَادَةِ الْمُتَاخِطِيَةِ^(٧) نَحْوِ الْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ ،
وَمَسَالِكِ الْمُتَنِيَةِ الْمُحْلُومِ بِهَا نَحْوِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ .

(١) أَى : تفسيرها .

(٢) ص : نَعْقَلُ .

(٣) غَيْرِ مَنْقُوطَةٍ .

(٤) كَذَا ، وَلَعَلَّ صَوَابُهُ : النَّفْسِيَّةُ .

(٥) ص : الْبَارِعَةِ .

(٦) تَلْظِي : تَلَهَبُ .

يا هذا ! إن ثبتَّ عقلك في المداحض^(١) ، ولاح لك في أثناء هذه
الممارض ، فأنت المراد بأمر ليس دونه عارض ، ولا وراءه فارض ، وإن تحلَّج^(٢)
يوزن حبة خردل فأعلم أنك بعيد من مواصلة الأول ، بل بعيد من معرفة
مادون الأول .

- يا هذا ! عليك بطلب^(٣) الجنة حتى تعانق فيها الحور العين ، وتُسقى
بكأس من معين^(٤) ، وتستخدم الولدان المُخلَّدِين ، وعليك بالهرب من النار
الموقدة التي لا طاقة بك عليها ، ولا نعمة لك معها . ودعنا حتى نرعى في وادي
الحبة ، ونجتني ثمار المعرفة ، ونقبل بصوب الاتصال ، ونستريح من ضروب
القييل والقال ، ونشهد مَنْ به أنارت الشمس ، ولعزته خضع الجن والإنس ،
ونناجي من به غنينا عن خلقه ، وإليه بلأنا بعد أداء حقه ، وإياه عبدنا
يقين لاشوب فيه ، ونحوه قصدنا بإخلاص لا ريب فيه ، وعليه شققنا جيوبنا
يوجد لا غبار عليه ، وفيه توكلنا ولها لا شبهة له . فإن كنت منا ، وفهمت
لفتنا ، وتصرفت في ديواننا ، ونطقت بلساننا ، وكتبت بأقلامنا ، فلك ما لنا
وعليك ما علينا . وإن تكن الأخرى ، فأكفنا مؤونتك ، فقد وهبنا لك كلك
وبعضك ، ووفرنا عليك أحرَّك وأصفرَّك . فتمتع — كيف شئت — بأهلك
وولدك ، وظنَّ [٨٠ ب] ما شئت بمن خالفك وبأينك ، فلست منا ولسنا منك .

(١) المداحض : المزالات .

(٢) تحلَّج : زال عن موضعه .

(٣) ص : بطلب .

(٤) ماء معين ومعين : ظاهر جارٍ على وجه الأرض .

اللهم إن القلم قد تعرَّم^(١) في نعت قصتنا معك ، واللسان قد طُفئ^(٢) في تشقيق اللفظ بذلك ، وفيض الوهم قد طُفح على أصبار^(٣) القلب ، وأنت أول ذلك وآخره ، وخافيه ولائحه ، فاستُر ذلك علينا حتى لا نُفتَضَحَ على رؤوس الأَشْهاد الذين لا يعرفون نسبنا منك ، ولا يقفون على سببنا معك . وَصْنَا عندك في محل المصافاة ، وقَفْنَا بِأَرَائِكَ موقف المفاجأة ، وآثَرْنَا وقدمنا ، وأَدَبْنَا وقرَّبْنَا وإلا فالطُفْ بنا وارحمنا . وقَبِلْ ذلك كله وبعده ، أَجْجِ خواطرنا بنار الذكر لك ، وعَجِّجْ أَلْسِنَتَنَا بنغمات تمجيدك ، ولا تُفَثِّرْنَا عن الانتصاب بين يديك ، ولا تُبْذِرْنَا مِرَاةَ البعد عن فنائك ، ولا تَمْلِكْنَا بالاستحسار عن عبادتك ، وقيدنا بقيد محبتك ، وأَطلَقْنَا في رياض الوجد بك . وإذا عَثَرْنَا فقابلنا بالنعشة ، وإذا سَهَوْنَا فاردُدْنَا إلى التَّذَكُّرَةِ ، وإذا بَقِيْنَاك فامدُدْنَا بالتسديد ، وإذا قَصِدْنَاكَ فاعصِمْنَا بالتأْييد .

يا هذا ! لو لم يَحْرَمْ^(١) لك في جميع هذه الأجزاء إلا ما في هذا لكفاك وأوفى على مرادك . فطالعه بقلب رقيق ، وشرحه بلسان فتيق^(٢) ، وارفع منه في روض أنيق . والسلام .

(١) تعرَّم المظلمة : نزع ما عليه من اللحم . يقصد أنه قد استنفد ونحل في وصف قصته مع الله .

(٢) الصَّبْرُ (بالكسر والضم) ناحية الشيء وحرفه ، والجمع : أصبار .

(٣) يقال : رجلٌ فتيق اللسان : أي : حديثه . وقد وردت في الأصل بالياء ، وهو تحريف .

رسالة (كو)

اللهم حققنا فيما نصحتي بخبرين عنه ، وحقه فينا إذا حاولنا أن نستفيد منه ، وبيدنا لنا حتى نستعد لخدمتك ، وأبقنا منا حتى نصلح لمحبتك ، وأرنا منك ما يستوفيك في غوامض معرفتك . ومهما سبق من تقصير في ذكرك ومضير إلى أمرك ، وتشاكيس في الصبر على بوادي قدرتك ، فتنعمده بسترِكَ ، وأُحْمِه ٥ بتجاوزك .

يا هذا ! إذا دعوته بلسانك ، فجرّد دعائك بخالصة قلبك فظهره من شيركك . وإذا وصفته بعلبك ، فأنزّهه عن جهالك . وإذا أخبرت عنه ببيانك ، فخفّ مقته لك على بهتانك . وإذا توجهت إليه برجائك ، فاستصحب مادة قوية من تسليمتك . واعلم قبل كل شيء ، وبعده أن أحكام هذه القصة عجيبية ، وأعراضها غريبة ، وشرائطها وثيقة ، وملاحظها أنيقة ، ومراعيها مُحَلُولِيَّة ، وآفاتها مستولية ، وعلى قدر الصبر على الشدائد والمساكره يكون الظفر بالمطالب والمنازة . ومن أحكامها العجيبة أن إحسانك ربما استحال إساءة ، وتقرّبك ربما عاد تباعداً . وتحت هذه الحال ضروب من المحنة ، وفنون من الفتنة ، أدناها: تظن أنك مقبول وأنت مردود ، وتحسب أنك موصول وأنت مطرود . ١٥ ومن أعراضها الغريبة أنه: يراد منك السكون بالتعويض فتتحرك بالتعريض ، وتراد منك الطمأنينة والدّعة فتسهمك نفسك بالاجتهاد والمشقة . ومن شرائطها الوثيقة أنك لا تنفك عن العبودية التي بها تصحّ نسبك إلى الربوبية ، ولا تستطيع أن تنفس مرة واحدة على شيء من المملوكة إلا بإذن مَنْ أظهرَكَ في المملوكة ، ومن ملاحظها الأنيقة أنك لا تُسرّح طرفك فيما علا وسفل ، ٢٠ وفيما وضع وأشكل ، إلا أصبت منه منظراً يستبيك بالحيرة ، وعجباً ينتهبك

بالغيظ والحسرة . ومن مراعيها المحلولة : أنك لا تذوق شيئاً من هذه الخسرة ، ولا تسمع ولا تُبصر ، ولا تشم ولا تلمس ، إلا حال بينك وبينه حتى تنكر عينك : أى نفسك ، وأينك : أى مكانك ، وأصلك : أى ما أنت منه ، وفصلك : أى ما أنت إليه ، وحالك : أى ما أنت به ، وحاصلك : أى ما أنت عليه . ومن آفاتنا المستولية أنك إن بحثت لم يزدك البحث إلا عسى ، وإن شربت لم يزدك الشرب إلا ظمأ — وهذه أمثالها وأمثل أمثالها إلى أن تنقطع نفسك لفظاً ، ويتقد فؤادك غيظاً : يُدريك ويدور بك ، ويسلط الوسواس عليك ، ويبددك فيك ، ويشتك بك . ومن أجل هذه الصفات [٨١ ب] اختلط العرفان بالإنكار ، وتشابه الإراد والإصدار ، وارتدت الأنفاس في الصدور ، بجمرة كجمرة النار ، وتجاخت الحقائق بالإبطال والإظهار ، وصار للعجب النهار كالليل والليل كالنهار .

يا هذا ! إن صعبت عليك الوصف فهو صعب ، وإن سهلت فهو سهل . فأما صعوبة فلائك غدور كفور ، وأما سهوله فلا أن ربك غفور شكور . وإذا كانت القصة على هذه الشاكلة المشككة ، فكيف يكون حالك في حالك ؟ وكيف تكون فيما أنت به كأن ؟ وكيف تبين عما أنت به بأن ؟ اللهم فغراً ! كاد الرجل لكرمه يُغري بمخالفته ، وكاد الخوف من غضبه يقنط من رحمته . وهذا مقام ما وقف عليه أحد إلا زلت قدماء ، وجُهل منه مأواه ، واعتاص^{١١} دونه منتهاه ، وذبلت دون الرى به شفتاه .

يا هذا ! السعيد من استطب لسقمه ، وسعى في طلب عاقبته ، وقام بالحق للحق على خطرات باله وهو اجس نفسه ، وتلذذ بالفقر ، وتنعّم بالاستكانة ،

ووجد بالعدم ، وأدرك بالفوت ، وصح بالمرض ، وحى بالموت ، وروى بالعطش ،
وانتبه في الدهش ، وجاد بالموجود ، واستقل بالفقود ، وأنس بالوحشة ، واستوحش
من الأنس ، وقال وهو ساكت ، وسكت وهو قائل ، وإثما كان السعيد
من هذا بعض حديثه ، لأنه لبس الأعيان بحقائقها ، وغرى من الأكران وعلاقاتها ،
وتناول إلى النجد الذي لا وصول لأحد إليه إلا إذا جذب الحلق بضبعه ^(١) ،
وكان هو الدافع عنه ، والرافع له ، والغائر عليه ، والناظر إليه . ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ، ما على المحسنين من سبيل . وما أحسن ما هتف به بعض أصحابك
حين سمت همته إلى هذه الذرى ، تاركاً لجميع ما عليه الورى : حيث يقول :
إلهنا ! إن ذكرناك أنسىتنا ، وإن أشرنا إليك أبعدتنا ، وإن اعترفنا
بك حيرتنا ، [٨٢] وإن جحدناك أحرقتنا ، وإن توجهنا إليك أتعبتنا ،
وإن ولينا عنك دعوتنا ، وإن تركناك أرجمتنا ، وإن توكلنا عليك أكلفتنا ،
وإن فركنا فيك أضللتنا ، وإن اتسبنا إليك نفيتنا ، وإن أطعناك ابتليتنا ،
وإن عصيناك عذبتنا ، وإن انقبضنا عنك بسطتنا ، وإن انبسطنا معك
طردتنا . فالسوايح فيك لا تملك ، والغايات منك لا تدرك ، والحنين إليك
لا يسكن ، والسؤل عنك لا يمسكن . فارحمنا في بلواتنا بك ، واعطف علينا
في صبرنا معك ، والعطف بنا لا نقطاعنا إليك ، وعاملنا بالكرم الذي أمرتنا
باستعماله بين خلقك ، واصرِفْ عنا كل صارف عن بابك ، وأجل نواظرنا
فيما برز بقدرتك ، وخواطرنا فيما بطن من حكمتك ، وإذا دعوناك فأجبننا ،
وإذا دعونا إليك فأعنتنا ، وإذا استجرتناك فأجرتنا ، وإذا أطمعنا فبهنتنا ،
وإذا حرمتنا فصبرتنا ، وإذا أذنت لنا فأوصلنا ، وإذا أطمعنا فوصلنا ،
وإذا كدَدتنا فأرحمنا .

(١) الضَّيْعُ (مثلة) : الكنف والناحية ، وهو في ضيغ فلان : أي في كنفه .

يا هذا ! إذا كان من يفقد غيره يبكي فيعذرو يسمى ثاكلاً ، فها هذا
السهو في اللهو ، وما هذه الغفلة والعطلة ! أما سمعت القائل يقول :

الدهر يضرع أهله سُوقاً^(١) ويصرعهم ملوكا
والموت شيء قد نفت عنه حقائقه الشكوكا
والبقي شرُّ رواحل الدنيا وأكثرها يروكا

والله لو لم يكن ههنا واعظ ولا موقظ إلا الموت ، لكان الخزم في أخذ
العتاد له . فكيف ومن دونه أهوال ، ومن ورائه أهوال ! وقد قال من قال :

نعم لك ظلّ الشباب المشيب

وناداك باسم سواك الخطوب
فكنْ مُستَعِداً لداعي النون

فكلّ الذي < هو > آت قريب
[٨٢ ب] وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضَ الطَّيِّبُ

فماش المريضُ ومات الطبيبُ
يخافُ على نفسه من يتوبُ

فكيف ترى حال من لا يتوبُ ؟ !

أما تراني يا هذا كيف أرددك بين هذه الخمايل^(٢) مدارياً لك ، ورافقاً بك ،
وأخذاً بأطراف الشقة معك ، لتقي ، إلى حقلك ، وتنقاد لرشدك ، ونحن إلى نعيم

(١) السُّوقَة (بالضم) : الرعية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، أو قد
يجمع (كما هنا) : على سُوْق (كصُرْد) .

(٢) الخمايلة والخيلة والاحتيايل والتحصيل : الخلق والقدرة على التصرف .
والجمع للأول خمايل . اللهم إلا أن يكون أصلاً : خمايل (بالخاء المعجمة) ،
جمع مخيلة ، أي : مَقْلَنَة .

لا انقطاع له ، وروح لا روح له فوقه ، ورب لا رب سواه ، وجنة عرضها
السموات والأرض ، إن حُرِّمَتْها حقت عليك كلمة العذاب . تارة أَرْهَبُكَ
في هذه الزينة الخادعة التي ما حمدها مُؤَثِّرُها ، ولا نعيم الواصل إليها ، ولا نجا
مِنْ كَرْبِها مَنْ لَاحَ بظلمها ودخل تحت كُلِّها . وتارة أَرْغَبُكَ فيما عند الله من النعيم
المقيم ، والرضوان العظيم . وتارة أُحِبُّبُ إِلَيْكَ رَبَّكَ لِتُسَارِعَ إلى طاعته وتأوى
إلى حظيرة أمنه . وتارة أُنْفِضُكَ ^(١) عليك فيكون نظرك عائداً إليها ^(٢) بشرة
إذا أكلتها حَلَّتْ لك ، وإذا أسفَّتها نَعِمَ بِأَلْكِ .

وتارة أَعْرِفُكَ آفَاتِ أَعْمَالِكَ وَعَلَمِكَ وَصَرَرَ أَحْوَالِكَ وَفَسَادَ أَهْلِ زَمَانِكَ
لِتَسْتَيْقِظَ فتدري أين قَدَمُكَ ، وكيف صَمْتُكَ ، وفيما ذا صَمْتُكَ ، وعلى ماذا
قَصُّكَ ، وهل لك منه هِمَّةٌ مُشَايعة ، ونَفْسٌ طَائِعَةٌ ، وإرادة تابعة . وتارة أبسط
رجاءك ، وأنشر أَمَلَكَ ، وأفنِقُ طَمَعَكَ ، وأَقْرِبُ مَطْلَبَكَ حتى تتناول رغبةً
ولا تنقع هارباً ، ويكون ذاك سبباً قوياً إلى انتعاشك من سَقَطِكَ ،
وباباً مفتوحاً إلى مُنْتَهَيْكَ .

وتارة أُسَلِّطُ الخوفَ عليك ، وأجلب عساكره إليك ، لأصرفك بذلك
عن كثير مما أنت به ملتبس ، وفيه منغمس : فإن في الخوف قبضاً من الخوف ،
كما أن في الرجاء بسطاً في المأْمُون . وتارة أَجْجَمُ لك بالخطرات ، التي تفكرك
بأسرار المحبة ، وتموِّج عليك بِحَرِّ المعركة ، وتُبْذِي لك مَخِيلَةَ ^(٣) التوحيد ،
وتريك الحق موجوداً ، ونجدت بينك وبينه عهداً مَعهوداً .

(١) ص : انصك عليك .

(٢) الضمير يعود إلى : « حظيرة أمنه » .

(٣) مخيلة : مَخِيلَةٌ ، والجمع مخايل .

ونارة أجرد لك اللفظ من عقال التعويض ، لترتقي من حضيض التعميم إلى قُلَّة^(١) التخصيص .

ونارة أمرجه عليك لتفرق بين ظلمتك وزيك ، وتقر على فرق ما بين بيانك [٨٣] وعيك ، وتطلب فائتك بما عندك من كيمتك وأينك وأيتك .
ونارة أستوفيك حتى لا تبقى ، ونارة أوفيك حتى لا تستق^(٢) . فانظر إلى نظري لك ، وإلى رفيق بك ، وإلى فراخي لمصلحتك وقيامي بمنفعتك .
واسمع ما قال الآخر :

عيبُ ابن آدم ما علمت كثيرٌ ومجيؤه وذهابه تغريرُ
ياساكن الدنيا ! ألم تر زهرة الدنيا على الأيام كيف تصير ؟
بل ، ما بدالك أن تنال من الغنى ؟ إن أنت لم تنقع ، فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره إن الصغير من العيوب كبير
اللهم لا تستدرجنا بالقول عن العمل ، ولا تفتننا باليأس بعد الأمل .
اللهم إن إلهيتك بحرٌ لا ساحل له ، وطوؤُ لا قُلَّة^(١) له ، وأفقٌ لا غاية له .
وعصمنا قاصرة عن نعمها إلا إذا واصلتنا بالإلهام ، وعجزنا أظهر علينا
من أن نطمع إلا بالإلهام أو شبيهه بالإلهام . اللهم إنا وصفنا إلهيتك ، وطوينا
في الوصف عبوديتنا لك . قنهایة حفظنا من إلهيتك ، مع عجزنا الظاهر ، أن نلهمنا
ذكرك ، وغاية نصيينا من عبوديتنا لك أن تستخلصنا لنفسك .

(١) القُلَّة : أعلى الجبل والرأس والسنام أو أعلى كل شيء .
(٢) أستوفيك : أطلب منك أن تبقى حتى لا تبقى على شيء . وأوفيك ... : أعطيك ما فيه الكفاية حتى لا تستق من الغير .

اللهم فافعل كلا الأمرين بنا ، فإنك فوق ذلك عندنا ، وضمن أسرارنا
 معك عن أعدائنا فيك ، الخاتين ^(١) لورقنا من أجلك ، الهاتكين لأستارنا
 بسببك ، الحاسدين لنا على ما أنطقنا به من آثار نعمتك وغرائب حكمتك ،
 المتنكرين علينا من أجل خبرنا عنك وإشارتنا إليك . اللهم فاشغلهم عنا
 لنفرغ لك ، وقرعنا لك لنشتغل عنهم بك . اللهم ازممنا ^(٢) عن مخالفتك ،
 واعممنا ^(٣) بموافقتك ، وانظمنا على ابتغاء رضوانك ، والمم شعشنا بضروب
 إحسانك ، واختم أعمالنا برحمتك وغفرانك ، وخوضنا في بحار العلم بك ،
 واكشف لنا عن سُبُحات ^(٤) وجهك ، واستخلصنا لخدمتك ، وأهلنا
 لمؤاساتك ، واستعمل جوارحنا في طاعتك ، واملاً جوارحنا من محبتك ، واجعل
 طريق معرفتنا بك [ب ٨٣] على السكون إليك ، وذوقنا حلاوة الثقة بكرمك ،
 وهبي مؤقتنا على توحيدك ، واقبله لنا حياة عندك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (كز)

أطال الله أيها الشيخ بقاءك ولا غبطة في البقاء ، وأدام صفاءك وكل
 العيش في الصفا ^(٥) ، وأيدك في تناول الحق من معادنه ، وقدّم قدّمك إلى ديار

- (١) حَتَمَ : فَرَكَ وقشره فانجحت وتحات .
- (٢) زَمَمَ يَزُمُّهُ : شَدَّه ، وزم البعير : خَطَمَهُ .
- (٣) عَمَّ بالعطية : شَمَلَهُ بِهَا .
- (٤) سُبُحات (بضمين) وجه الله : أنواره .
- (٥) إما أن تكون ممدودة ، « حينئذ يكون : « كل العيش » منصوبة بالفعل :
 « أدام » ، أو تكون مقصورة ، جمع صفة أي الحاجر الصلاد الضخم ، « حينئذ تكون :
 « كل العيش » مرفوعة على الاستئناف لأنها مبتدأ ، ويكون المعنى هو :
 كل العيش في خشونة وقسوة وصلابة وشقاء .

الصدق ومساكنه ، وَفَضَّلَكَ بِأَفْضَلِ الْفَضْلِ ، وَأَشْرَفَكَ عَلَى أَشْرَفِ الشَّرَفِ ،
وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ بِأَحْسَنِ الْإِحْسَانِ ، وَأَكْرَمَكَ بِأَكْرَمِ الْإِكْرَامِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ
بِأَنْعَمِ الْإِنْعَامِ ، وَلَصَّبَكَ قُدْرَةً بَيْنَ الْأَنْعَامِ ، عَلَى تَطَاوُلِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ .
وَلَا طِفْلَكَ فِي السَّرِّ مَلَاظِفَةُ الْمُشْنِقِ الرَّؤُوفِ ، وَعَاطِفَكَ فِي الْحَدِّ ^(١) مَعَاطِفَةُ الْمَرْفُوقِ
الْمَطْلُوفِ . وَغَمْرَ صَدْرِكَ بِمَغْنَى الْقَرَبِ وَالْإِنْسِ ، وَرَفَعَ قَدْرَكَ عَنْ لَوَاطِخِ ^(٢)
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَعَادَ عَلَيْكَ بِأَقْسَامِ التَّنْزِيهِ ، وَأَغَارَ عَلَيْكَ بِأَحْكَامِ التَّنْبِيهِ ،
وَكَفَاكَ مَوْزُونَةَ الْمُؤَزِّنَةِ بِمَوْزُونََةِ الْمَوْزُونَةِ ، وَلَا جَلْبَ إِلَيْكَ مَحْنَتَهُ وَلَا قَدْرَ عَلَيْهِ
فَتَقْتَهُ ، وَفَعَلَ بِكَ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ بِنَفْسِكَ . نَعَمْ ، وَحَرَسَ خَصَائِصَ مَوَاهِبِهِ
عِنْدَكَ ، وَلَطَائِفَ مَنَائِحِهِ قَبْلَكَ ؛ وَفَكَكْتَ مِنْ قَيْدِ نَفْسِكَ ، وَسَلَّيْتَ مَدَانِسَ ^(٣)
بَنِي جَنْسِكَ ؛ وَرَفَّكَ عَنْ مَوَاطِنِ التَّنْبِيهِ إِلَى مَشَاهِدِ الْحُجَّةِ ، وَطَوَّقَكَ بِطَوَاقِ
الْبِهَاءِ ، وَتَوَجَّجْتَ بِتَاجِ الْعِلَاءِ ، وَأَعطَاكَ عَنكَ ، وَأَفْنَاكَ مِنْكَ ؛ وَأَقْبَلَ بِكَ إِلَيْهِ ،
وَهَمَّ بِكَالِكَ عَلَيْهِ ؛ وَأَشْهَدُكَ أَسْرَارَ الْخَلْقِ ، وَأَنْتَ لِكَ عِمَادِ الْحَقِّ ؛ وَحَظَّ عِنْدَكَ
ثَقْلُ الْوَسْوَاسِ فِيهِ ، وَجَنَّبَ دُونَكَ مِبَادِي الْهَوَاجِسِ عَلَيْهِ . وَجَعَلَكَ تَسَكَّتَ
مُعْتَبَرًا ، وَتَقُولُ صَادِقًا ، وَتَفْعَلُ مُصِيبًا ، وَتَعْتَقِدُ وَاجِبًا ، وَتَهْتَدِي طَوْعًا ،
وَتَحْتَوِي نَفْسًا ، وَتَسَامُ مَطَاقًا ، وَتُكَلِّفُ مُسْتَطَاعًا ، وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا ، وَتَتَخَوَّفُ ^(٤)
أَمْنًا ، وَتُرْعِبُ زَاهِدًا ، وَتُرْهِدُ رَاغِبًا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِكَ ، فَلَا مَتَمَّكَ اللَّهُ
بِفَيْدِهِ ، وَلَا أُلْبَاكَ إِلَى سِوَاهِ ؛ وَلَا أَحْسَنَ إِلَيْهِ إِلَّا لَكَ ، وَلَا سَلَّطَ عَلَيْكَ
بُعْدَهُ ، وَلَا أَذَاقَكَ صَدَّه . وَلَا أَزَلَّ بِكَ الْقَدَمَ ، وَلَا اسْتَقْبَّ ^(٥) لَكَ الْهَمَّ .

(١) كَذَا ، وَلَعَلَّهَا : فِي الْجَهْرِ .

(٢) مَعْرَات .

(٣) مَدْعَاةُ الدَّنَسِ .

(٤) كَذَا ! وَمَعْنَاهَا هُنَا : جَعَلَهَا تَضَعُفَ ، وَالْمَوْجُودَ فِي الْمَعَاجِمِ
الَّتِي رَاجِعُهَا : أَتَى اللَّهُ قُوَّتَهُ : أَضْعَفَهَا .

فإذا فعل ذلك بك ، فأخرس [١٨٤] الله لسانى وأنقذ أسر خاطرى منه ،
وكفانى هموم طلبه برجائه ، وخوف فراقه بطنياته ، وجعلنى ناطقاً بالسكوت
عنه ، وساكناً بالخيرة فيه ، ومتحيراً بالتسليم ، ومسلماً بالالتجاء إليه ، وملتجئاً
بالاعتماد عليه . وبلغنى القرار الذى لا يشوبه اضطراب ، والغاية التى لا يحدها
بعد ولا اقتراب ، والنهاية التى لا يتحكم فيها خطأ ولا صواب . **حرسك الله !**
ولولا رقيب من رقباء هيبتك ، ونقيب من نقباء سطوتك يحرسان نفسى
ويحسبان نفسى لأطلقت فى الدعاء لك والثناء عليك عنانا وعنانا ، وأبديت
فى النزاع نحوك شاناً وشاناً . ولكن التصاقى الذى انتسج بيننا ، والتوافقى الذى
انتهج عندنا ، يقضى عليه ولا يقتضيه ، وينحو شطره ولا يستدعيه .
فالحمد لله الذى أولى فى منك مالا ينال إلا بتوفيقه ، ولا يصاب إلا بتيسيره —
حمد من علاه عجزه عن شكره بالانقياد لأمره والاستبسال فى يده والنقطة
بوعده . وصلى الله الواحد الحق على العارف المحض .

وسأخذ فى حديثى وما يختص بشائى وينتمى إليه أمرى . وأعلمك
أنى فى حساب لا ينتهى ، وعقاب لا ينقضى ، لأنى ألوح كالبرق المنتشر
فلا أضئ ولا أستضى . أتوارى فى الظلام كالمستر فلا أغنى ، ولا أغنى .
وقد عرفت آفتى ووقفت على عللى ، وفطنت لحنتى ، وهى أشياء : فأعلاها
وأعدها الكون لأنه محط البلاء ، ومقار^(١) الحدثن ، ومحبب الصروف ،
وفرضة^(٢) الغير ، وعمق الكد ، وأول الغيظ وثانى الانكار وثالث الحو .
فأما ما أدناها وأوبأها فطالبي للمحال ، وتعالى بالفانى ، واتخذاعى بالعارض ،
وإعراضى عن النفس ، وندائى على نفسى باسم التمام وأنا عين النقصان ، وجرأى
(١) المغار والمغار والمغارة والمغارة (بالفتح والضم فيها جميعاً) : الكهف .
والجمع : مغاور ومغارات (بفتح الميم) .
(٢) الفرضة : الثغر .

على الدعوى بفتح البرهان ، وتشرّدى فى القول مع ضعف وتقصيرى فى الفعل ،
 وإطالنى الهذيان على غير وزن ولا تحذير . فإذا أنصفت فأنا الضائع المضيع ،
 والخامل المجهول ، والصّلف ^(١) الذليل ، والطالب المبلى ، والوارد الخلى ،
 والعاجز المتناوى ، والمتردّى المتعالى ، والألسن المهذار ، والمتوهم المعنى ،
 والحاوى بلا بعير ، والمثالك بلا فتيل [٨٤ ب] ولا تثير . كبرّ قد ستهّ طرقي ،
 ٥
 وحجّب أنى على جُلّ أمرى ، وعلمّ قد صار وبالأعلى ، وحرّمان كأنه حليمي
 أو حريفي ^(٢) ، ومراد قد جدّ فى التولى عنى ورسخ مثاله فى صدرى ، وحقيقة
 ضمنت وما فعلت ، ولاحت وما ثبتت ، وأبرقت وما سكبت . وحقّ لا يُبقى
 علىّ ولا يذر ، وخلّق لا يشاكلنى ولا يقرب منى . ومجموع ذاك كله فى حروف
 أقولها : قد تعلق كلّى بواقع لارجوع لغايته ، ومُتَوَقَّع لا يقين فى لحاقه ، وحاجز
 ١٠
 قد اتكأ علىّ بأواقه ^(٣) ، وأخذ بالحقق منى فى وناقه ، وحظر على العقل تفتيشه ،
 وعلى اللسان تكشيفه . والبلاء أجمع من باب أنا أفنحه ، وإن كان مقفلاً ،
 وألجه وإن كان شديداً معضلاً ، وأفسر ^(٤) وأروح به ، وأشجّع نفسى بسببه .
 أعلمك — منحك الله السؤل ودرك المأمول — أن الجملة المأخوذة علينا المشوّقة
 ١٥
 بالعقل والشرع إلينا : الوقوف على المقاصد بمقتضاها من غير ريب يندح ، ولا شبهة
 تسنح . وقد سلّمت هذه الجملة فى البديهة واستمرت ، لكنّها قلقت
 فى الروية ^(٥) واقشعرت ، لأن البديهة تشبّثت لحكم القول والتسليم للفترة

(١) المتكبر ، المتدعى .

(٢) حريفك : معاملك فى حرفتك colleague .

(٣) الأوقى : الثقل والشؤم ، والجمع : آواق .

(٤) الفسر : الإبانة وكشف المغطى ، كالتفسير ، والفعل كضرب ونصر .

(٥) ضن : الروية .

الحانية إليه ، والعادة التامة إليه ، والكمال المرجو منه ، والاحتياط الحاكم به .
وأما الروية فإنها وقفت على محل البحث وطريق الفحص وباب التحكم ،
ونقصت سواحل التقليد ، ولم تقتنع في الفضة إلا بأشد التوكيد ، لأن مادتها
عقل موثوق برأيه ، ومحكوم بشرفه ، وجميل الأولى والعقبى منتظر من جهته .
ولكن وقع التدافع والتصانع لعلل أخرى ، وهي اختلاف القوى وشتات
المهم ، وتباين الأحوال ، وترويح المقاصد ، والتياث المراد ، ونفي الرسم
والاعتبار . هيهات ! هيهات ! لن يصفو العمل حتى يصح العلم ، ولن يصدق
الخبر حتى يتحقق العيان ، ولن تنفيض الحكمة حتى تطول التجربة ، ولن يحمده
الذكاء حتى يسلم الطمع ، ولن يُجندى القول حتى يتصل الفعل ، ولن يمتد^(١)
الحرق حتى يزال عنه الضرر ، ولن يُملك الإنسان حتى يُفمر بالإحسان ، ولن يتحلى
بالخير حتى يتعزى من الشر . ولن توجد القناعة حتى يُعدم الحرص ، ولن يُؤلف
الكمال [١٨٥] حتى يُرفض النقص . ولن يُعرف حلو السعادة حتى يذاق مُر
النحس ، ولن يُهتدى إلى المعروف حتى يُضل عن المنكر ، ولن يُعرف الحق
حتى يُتبرأ من جميع الخلق ، ولن تُسكن حرق الحرمان حتى يتمكن من برء
الوجدان . ولن تنقطع سلسلة الهدمان ، حتى يُدرك الثأر من الزمان .
وهذا حديث لا يكون ولا كان ٥١ .

أطلت — أطال < الله طوأك^(٢) — من غير طائل ، لأنى لم أصف
من حالى مراسمتها ، ولا من قصتى مقاسمتها ، وسجبت القول على مساحب الثقة
ومناكب المقة^(٣) ، من غير مضالاة بسره ولا مبالاة بشره . وفي الجملة

(١) الاعتبار : الاستبعاد .

(٢) يقال : طال طوأك وطيلك وطوأك وطوأك : أى مكثك وعمرك .

(٣) المقة : الحبة .

قد استندت إلى الحسنى منتظراً لمحمد العقبى ، دائراً مع الأخف الأسهل ، ثابتاً
 في كنف النزاهة وضمان الحيولة ^(١) ، مستشعراً من طوارق الحُدُثان راحة
 وأمنَةً ، نائباً عن مواقف الخزي والاذلال ، قائماً بالمستيسر من الحال ، عالماً
 بما قال الحكيم بعد الحكيم . أفن يقبل هذا معرفة ، ويشتمل عليه يقيناً :
 كيف يمر على الخشاء ^(٢) نفسه ؟ أم كيف يملك الثام عرضه ؟ أم كيف يسوق
 إليهم رجاءه ، ويصوغ لهم مدحه وثناءه ؟ هذا خلف من العمل ، وعكس
 من الرأي ، وإشارة للجمل ، ورجوع إلى الأخص ، لا يختاره عاقل ، ولا يرضى به
 فاضل . وأتأني التفاضل عن ذكر شوقي إليك وحنيني نحوك لعلني بأن ذلك
 لا يملية خاطري ، ولا فجرة ^(٣) لساني ، ولا رسمه قلبي ، ولا قله كتابي .
 ولا عجب ! فإنه ميراث أنس ، ووليدة مودة ، أنشأها فضل قد وَّحدك الله به ،
 وجعل قد جعلك من أخص أهله ، ولا زالت المحاسن تحبو إليك ، والفضائل
 تزدهم عليك ، والقلوب تحن نحوك ، والآمال تنعقد بك ، ولا زلت لحقتك
 مراعيًا جهتي وطاقتي ، وإلى مُرادك مسارعاً قوتي واستطاعتي ؛ ولا حرمت
 منك مادة تحفظ مهجتي ، وتحوط بعيتي ، لأفوز مستمتعاً بذكرك ، مسرعاً
 إلى أمرك ، متشرفاً بصنوف ^(٤) ما يرد من جهتك ، متشوقاً إلى ما يصدر عن
 وجهتك ، عليك طيبُ سلام الله وروح نحيته ، ما اعتلج خاطر ، واختلج
 [خاطر] ناظر .

(١) المناعة .

(٢) الخشا : الزرع الأسود من البرد ؛ والخشاء (وهو الأقرب هنا) :
 الجهاد من الأرض ؛ والجهاد (كسحاب) الأرض الصلبة لا نبات بها .

(٣) ص : محره .

(٤) ص : بالصنوف .

رسالة (سح)

اللهم قُدْنَا بِعَزِيمَةِ الرَّاحِمِينَ إِلَى بَابِكَ ، وَبَيِّضْ وَجْوهَنَا عِنْدَ مَنَاجَاتِكَ ،
وَاعْزِزْنَا بِعَوَادِ مَوَاهِبِكَ وَمِنْحِكَ ، وَأَوِّنَا إِلَى كَتَبِ أَمْنِكَ بِالْأَمْنِ مِنْكَ ، وَأَمْطِرْ
عَلَيْنَا سَحَابَ جُودِكَ وَعَطْفِكَ ، وَوَقِّفْنَا لِأَقْصَادِ السَّبِيلِ إِلَيْكَ ، وَخَفِّفْ عَلَيْنَا
فِي كُلِّ الْأُمُورِ التَّوَكُّلَ عَلَيْكَ ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا طِلَابَ مَا أَعَدَّتَهُ لَأَوْلِيَائِكَ لَدَيْكَ ،
وَاسْلُبْنَا مِنْهُ ، وَشَرِّدْنَا عَنْهُ ، وَخُذْ لَنَا ، وَبَقِّدْنَا عَلَيْنَا . وَلَا تَوَلَّنَا بِالنِّعَمِ اسْتِدْرَاجًا ،
وَلَا تُهْمَلْنَا بِالتَّطَاوُلِ احْتِجَاجًا . وَلَا تَوَاضِعْنَا بَيَاتًا ^(١) ، وَارْحَمْنَا إِذَا صَرْنَا
عِظَامًا وَرُفَاتًا ، وَجِدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ إِذَا صَدَرَ النَّاسُ أَشْتَاتًا إِلَيْكَ ، وَكَلَّنَا
كُلَّنَا وَعَلَيْكَ طَرَحَنَا كُلَّنَا ، يَا مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِنَا مِنْهُ ، وَأَنْظَرُ ^(٢) لَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ،
وَأَلْطَفَ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا . امْنَحْ عَنَا صِفَاتِنَا بِاسْتِيلَائِكَ ، ثُمَّ خَلَّنَا عَلَيْنَا
فِيكَ بِلَوَائِكَ .

يا هذا ! اسمع لغة أخرى على وجه التعويض ، مترجمة ببيان منسوب
إلى التلخيص ، وتَصَرَّفْ فِيهَا بَيْنَ مُبْتَدِئِهَا لَيْكَ مِنْهُ حَتَّى تَبْقَى مَدْهُوشًا ،
وَبَيْنَ وَاضِحٍ يُعِزُّ نَفْسَكَ حَتَّى تَرَقِيَ مِنْهُوْشًا .

يا هذا ! إِذَا ذَكَرْتَهُ فَادْكُرْهُ وَاحِدًا بِهِ . إِذَا وَجِدْتَهُ ^(٣) فَجِدْ ذِكْرًا لَهُ .
عَلَى أَنْ الذِّكْرَ وَجِدْهُ أَيْضًا ، وَلَكِنْ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِبَادَةِ . وَالْوَجْدَ ذِكْرٌ أَيْضًا ،

(١) بَيَاتًا : لَيْلًا . يَقْصِدُ : عَلَى غُرَّة .

(٢) أَنْظَرَهُ وَتَنْظَرُهُ : تَأْتَى عَلَيْهِ .

(٣) مِنَ الْوَجْدِ : فَعَلَهُ : وَجَدَ ، يَجِدُ .

ولكن من ناحية الاستفادة . والوجد مُسْتَعْرِقٌ للصفات كلها بالحو ، والذكر مُسْتَعْرِشٌ^(١) للسمات كلها بالزهو . فإذا اضطرع الذكر والوجد كانت الغلبة للوجد ، لأن الذاكر قد يذكر وهو غير واجد ، والواجد لا يجد إلا وهو ذاكر . على أن هذا الذكر ليس من مراسم اللسان ، ولا من مناسم الفكر ، ولكنه أول من المذكور ، وثاني من الذاكر . فأما الوجد فيرتفع عن تجديده بنظم لفظ ، وترتيب حرف ، لأنه صوت من حضرة الحق بفشيان^(٢) روحاني ، ومباشرة ربانية ، وإذا وافى توفي^(٣) ليستوفى ، وإذا استوفى فقد علا على المراد وأوفى^(٤) ٥ .

يا هذا وما وصفي لك الذكر بفرائبه ، والوجد بقوالبه ، وما يدور عليهما بحوالبه^(٥) وجوادبه ، وأنت إلى أن تذوق حلاوة ركوعك وسجودك بصدق النية وطهارة العلوية أحوج ، وبمعاذ [١٨٦] عليك من ذلك أبهى وأبهج ! ولكن ما أصنع ! لعل وصفي استراق لي ، واعتياق مني عما هو أخص بي وأجدي علي . وإذا كان تدبيرى إلى غيرى ، فسيئتي وحسنتي تشتركان في الحدوث ، وتعتريان إلى المشيئة ، وإن كانتا تفترقان في الاسم ، وتباينان بالنعمة . فيا عجبا من فكّ هو أسر ، ومن أسر هو فكّ ، ومن تخلية هي حصر ، ومن حصر هو تخلية ! ١٥

(١) أى : يستعرضها ويبسطها .

(٢) أى : وارد ، من : غشى الأمر يغشاها : إذا جاءه ؛ أو من : غشى الأمر : باشره .

(٣) أوفى فلانا حقه : أعطاه وافيّا ، ووافاه فاستوفاه ، وتوفاه : أى أعطاه وافيّا .

(٤) أوفى : زاد وأشرف .

(٥) الخالب : ما يُدِرُّ ويعطى ، والجادب : الماحل .

فَإِنْ تَبَسَّتَ بِكَافٍ أَوْ مِيمٍ ، أَوْ بِحَاءٍ أَوْ بِجِيمٍ ، قَدْ مِمَّ ^(١) فَوْكَ بِكَ قُضَّ ، وَرَدَمَ
كَلَّكَ بَلْ رُضَّ ^(٢) . فَلَا جَرَمَ لَا إِشَارَةَ وَلَا عِبَارَةَ ، إِلَّا عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ
وَالِإِعَارَةِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

رسالة (ك ط)

- ٥ اللهم إِنَّا لَا نَصْلِحُ بِوَجْهِ حَتَّى تَصْلِحَنَا ، وَلَا نُنَجُو حَتَّى تَنْجِيَنَا ، وَلَا نَتَالَ
مَا نَتَمَنَّا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُقَرِّبَهُ إِلَيْنَا ، وَتَبَيِّنَهُ لَنَا وَتَوْهِّلَنَا . فَافْعَلْ ذَلِكَ ، اللَّهُمَّ !
فَإِنَّهُ لَا يَكْبُرُ عَلَيْكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَضِلُّ عَنْكَ شَيْءٌ . وَمِمَّا كَانَ مِنْكَ فَلَا يَكُونُ
الْمَقْتُ وَالِإِعْرَاضُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَقَاءُ الْآبِدِ وَثَمَاتُهُ الْأَعْدَاءُ .
- اللهُمَّ إِنَّا قَدْ عَادَيْنَا الْجَاهِلِينَ بِكَ فَوَالِإِنَّا لَمُعَادَاتِنَا لَمْ فَيْكَ ، وَصَدَّقْنَا
١٠ الْخَبْرِينَ عَنْكَ فَأَخْبَرْنَا عَلَى ذَلِكَ بِفَضْلِكَ ، وَبَيَّضَ وَجُوهُنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ،
وَحَيَّنَا بِرِضْوَانِكَ إِنْكَ أَهْلُ ذَلِكَ .
- اللَّهُمَّ هَذِهِ أَشْعَارُنَا وَأَبْشَارُنَا ^(٣) تَبَيَّنَتْ مَعْرِفَةٌ بِأَنَّكَ إِلَهُنَا وَخَالِقُنَا ، وَكَافِلُنَا
وَرَازِقُنَا ، وَوَالِيُنَا وَهَادِيُنَا ، وَنَاصِرُنَا وَكَافِيُنَا . لَيْسَ لَنَا رَبٌّ سِوَاكَ ،
وَلَا إِلَهٌ غَيْرُكَ . فِيهِذِهِ الْمَعْرِفَةُ الثَّانِيَّةُ وَبِهِذِهِ الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ إِلَّا رَوْفَتْ بِنَا وَعَطَفَتْ
عَلَيْنَا ، وَحُلَّتْ بِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَنَا ، حَتَّى نَكُونَ لَكَ بِلَا أَنْفُسٍ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ
١٥ وَلَا مُسَوَّلَةٌ بِالْهَوَى وَلَا خَوَّانَةٌ فِي الطَّاعَةِ .

(١) قَدْ مِمَّ فَاهُ وَعَلَيْهِ بِالْإِنْدَامِ يَفْنِمُ وَقَسَمَ : وَضَعَهُ عَلَيْهِ . وَالْفَدَامُ (ك ك تَاب)
وَسَحَابٌ وَشَدَادٌ وَتَنْوِيرٌ : شَيْءٌ تَشْدُهُ الْعَجْمُ وَالْجُحُوسُ عَلَى أَفْوَاهِهَا عِنْدَ السَّقَى .
(٢) الرُّضُّ : الدَّقُّ وَالْجَرَشُ . وَرَدَمَ الثُّلَّةُ : سَدَّهَا كُلُّهَا . وَتَرَدَّمَ
ثَوْبُهُ : رَفَعَهُ .

(٣) جَمَعَ شَعْرٌ وَبَشِيرَةٌ .

يا هذا اعتصمت والله الغاية على الغاية ، وانتهت النهاية إلى النهاية ،
وأدرجت الآية في الآية . فلهذا ما صار الدواء داء ، والأسو جراحاً ، والعطاء
سكباً ، والبلاغة عيماً ، والرشاد غيماً ، والنشر طياً ، والقبول رداً ، والوصال صداً ،
والتمام نقصاناً ، والرجحان وكساً ^(١) ، والتوجه استدباراً ، والتبسيم استعباراً ،
والريح خسراً ، والزيادة نقصاناً ، والرضا سُخْطاً ، والأمر قُرْطاً ^(٢) ، والمستقيم
محالاً ، والثابت مزالاً ، والطاعة ذنباً ، والإجابة قلباً . وعلى هذا إلى أن ينفذ
القول ، ويصحح [٨٦ ب] الاسم ، ويبين الفعل ، وينحرف الحرف ، وينسى
التأليف ، ويطوى الضم ، وينشر النشر ، وتنفى العبارة ، وتزول الإشارة ،
وإلى أن يقال للقائل : قل فلا يقول ، ويقال للسامع : اسمع فلا يسمع : ويقال
للمتحرك : اسكن فلا يترجم ^(٣) ، ويقال للساكن : تحرك فلا يتهمهم ^(٤) .

يا هذا ! دع أيضاً هذا ، وتعال حتى تتعلل كيفما ما خيلت . فكل حتى
مُعَلَّل ، وكل كثير مُعَلَّل ، وكل عزيز مُدَلَّل . طيب بيتك الذي أنت ساكنه
حتى تنعم بالحق مُدَلَّلاً ، ولا يجاورك فيه من لا تأمن غيخته ^(٥) حتى تسلم
على الخلق مجللاً ، ومهما سموت عن شيء ، فلا تسأ عنك ، فإنك إنما تعرفك
بأن تسأل عنك وأنت المسؤول والسائل . هكذا رتبك الملك ، وبهذا أرادك

(١) الوكس : النقص .

(٢) قُرْط في الأمر يقرط : قصر فيه وضعه .

(٣) يقال : ترجموا : أي تحركوا للكلام ولم يتكلموا .

(٤) المهمة : الكلام الخفي ، وتنويم المرأة الطفل بصوتها ، وتردد الزئير

في الصدر من الحمى ، وكل صوت معه بحج . والمقصود هنا : التحرك .

(٥) الغيلة (بكسر الغين) : الخديعة والاعتتيال ، وقتله غيلة : خدعه فذهب

به إلى موضع فقُتِلَ .

المريد ، وإلى هذا دعاك الداعي . إلا أنك في أحد طرفي السؤال والإجابة
عبد ذليل ، وفي الآخر ربٌ جليل . فافطن لما فيك بما بك ، واحرّسْ بابك
بمالك ، وغرّ على مالك بما معك ، واصفُ بما معك لما عندك ، وأضفُ
ما عندك إلى ما عند من هو عندك ، واطلع على الفضاء الذي بين ما ومن ،
ثم اخلص إلى الغاية القصوى منهما بشيراً ونذيراً ، شاكراً وعذيراً ^(١) . على أني
بعيد الطمع من رشادك لانهما كلٌّ في غيّك وفسادك ، وشدة غلوائك في أخذ
عُدَّتِكَ وعتادك ، وإصلاح زادك في يومك لمعادك . وإنما بعدت طمعي لأنني
أجرك مستهماً بظاهر الحياة الدنيا ، مستهيناً بباطن ما أنت صائر إليه بعد
هذا الذي ترى . وكيف لا أكون بعيد الطمع ، سيئ الرجاء ، قليل الأمل ،
وليس على وجهك سحناً ^(٢) الزاهدين ، وعلى شمائلك سكون الخجبتين ^(٣) ،
وعلى أطرافك نخوع العابدين ، ولا في حرركاتك هدى الصادقين ،
ولا في كلماته صدق المهتدين ، ولا في لحظاتك حلاوة المشاهدين ، ولا في أوقاتك
ما يدلُّ على أنك من المستيقظين ، ولا في معاملتك ما يشهد بسلامة المعلمين !
ظاهرُك أعبت من باطنك ، وباطنُك أخبت من ظاهرُك ، وإشارتك أنكك
من عبارتك ، وعبارتك أفسد من إشارتك ، وكُلُّك مستغيث من [١٨٧]
بعضك ، وبعضك هاربٌ من كُلِّك ، وكُلُّك يضجُّ من نهارك ، ونهارك يبرأ
إلى الله من ليلك .

(١) العذير : العاذر ، والحال التي تحاولها لتعذر عليها ، والتبصير .

(٢) السَّحْنَةُ والسَّحْنَاء (ويحرَّكان) : لين البَشَرَةِ ، والنعمة ، والهيئة ، واللون .

(٣) اخبت : خشع وتواضع .

ثم إنك بعد هذا كله بصفاقة وجهك وبذاءة لسانك ، وقبحتك ^(١)
 في سخف عبادتك ، تدعى منازل الصادقين ، وتبحث عن ضائر النبيين ، وتسال
 عن أسرار الملائكة المقربين ، وتبجج مراتب المختصين ، وتعرض على أفعال
 رب العالمين ، كأنك شريك له في خلق الخلائق أجمعين ! سوأة لك ، وبراءة
 منك ، والويل لمن أجره رسنك ^(٢) من قرأتك .

أما تستحي ممن خلقك فسواك ، وأرشدك فهداك ، وتملك وقواك ، وأعطاك
 وهنالك ، ثم وعدك ومناك ، ثم خصك واجتباك ، ثم خلأك وخلأك ، ثم رقاك
 وحيأك ، ثم ملكك وولأك ، ثم أحضرك وآواك ، ثم استخلصك وتولأك ؟ !
 فأى أياديه قد شكرت ، وأى آلائه قد نشرت ، أم أى إحسانه ذكرت ؟
 هيات ! هيات ! إنك لفي ضلالك القديم ، وخبالك العظيم . بالله أيها السامع
 لا يروعنك ما أصفك به مهجناً لك ، وخافضاً من قدرك ، وقادحاً في عرضك ،
 وغامراً في قبائك ؟ فوحي الحق الذى به حق كل حق ، وبه استحق
 ما استحق كل محق : إن مكرمك لشر منك كثيراً ، وأقدم منك
 فى الضلال بعيداً ، وما ينطق بما تسمع إلا ليكون ذاك حجة عليه وبالا
 بين يديه . ولولا أن ذاك كذلك ، لكان له فى استماعه من نفسه شغل
 عن استماعه لغيره ، وهى محنة كما ترى وبلاء كما تسمع . فهل فأنذبه ، وإن كان حياً
 فى الظاهر ، فإنه ميت فى الباطن . وعدد مخازيه فإنها باذية ، وقل فيه ، فإن فيه
 متسعاً للمقال . واجعل إشرافك على تقصيره وإصراره وجهه بمقداره ، سلماً
 لنفسك ، وباباً إلى طلب السلامة من جميع بنى جنسك . فإن واعظك إذا كان

(١) كذا ، ففعل أصلها : قبحك ، أو : قحتك .

(٢) أجره رسنك : تركه يصنع ما يشاء .

بهذه الحالة المحزنة ، وعلى هذه المرتبة الهابطة ، فكيف حال من هو متبادر في غروره ، متبالك [٨٧ب] في شروره ؟ عنده أن الحزم كله في معاطاة الكأس بعد الكأس ، وشرب الخمر بعد الخمر ، ونيل الشهوة بعد الشهوة ، وبلوغ اللذة بعد اللذة ، ولو بخرق الدين ، ولو بفارقة المسلمين ، ولو بترك الحياء بين جميع المبصرين والسامعين ، ولو على رؤوس الأشهاد من الصالحين والطالحين .
هذا والله الضلال البعيد ، والخسران المبين .

أيها السامع ! قد قلت ما تسمع واعظاً لك بالنصيحة ، وناصحاً لك بالموعظة ، وعاطفاً على نفسى بفضل القول لك ، وفيك . فإن كنت وجدت برد ذلك في صدرك ، وتلجاً^(١) ببعض اليقين من نفسك ، فاتخذنى صاحباً لك ، لعلى أجد بذلك شيئاً مما وجدته ، ولعلى أنال به ذرواً مما نلته ، فإن أياذى الله مختلفة المصادر والموارد ، ومتباينة المبادئ والعوائد^(٢) ، وليس بضائر أن يسعدنى الله بك لقبولك منى كما أسعدك بقبول ما نصح^(٣) فيك من قولى . ولعلى قلت ما قلت مزخرفاً ، وقبلت ما قبلت مخلصاً . فرحك الله بى أخذاً بيدك ، ثم رحمنى محسناً إلى . إنما يجب أن يرفع الله درجتك على واعظك ، لحسن تقبلك ، ثم يجعلك مشفعاً فى واعظك . إن ذلك لشرف بين ، وكرامة عالية ، ومثلة ما مثلها منزلة . اهـ .
فالبدار أكرمك الله البدار ، إلى منازل الطاهرين الأبرار ، المحصوصين بالحق فى السرار والجهار ، الصابرين للحق عند اختلاف الأحوال فى الاضطرار والاختيار ، والحجاب والمسار .

- (١) تلجت نفسى (كنصر وفرح) تلجاً (محركة) : اطمانت ؛ وتلج (كخجل) : فرح .
(٢) جمع عائدة : فائدة .
(٣) ص : نصح .

أيها الصاحب المدل بالملح والموانسة ، الباعث على المباداة والمنافسة ،
 الفائق بشروط الوفاء ، المتجلى بمقتضى الصفاء ، الناظر إلى الدنيا بعين اللقاء
 والعفاء ، في زمان قد أقل فيه نجم الحق ، واجتث أصل الخير ، وغار ماء الإيمان ،
 وانمحى رسم الدين ، وتناسى فيه أهله العرف^(١) ، وتلاقوا بينهم بالنكر ،
 وسقط التعبير على التقصير ، [١٨٨] وبطل التشهير بالتعذير . اسمع هينمة^(٢)
 نفس قد طال راعها^(٣) إلى وطن عنه صدرت آمنة مطمئنة ، ثم انقطعت
 دونه خائفة مرجحة بألوان العجائب التي تقلبت فيها ، وبلبت بها ،
 وارتكضت عليها ، وتذكرت لها ، حتى ضلت عن عيها ، وغرقت في ربيها ،
 وباءت بسخط الله .

شرفها بالأمر والنهي خالفت ، وعرضها للنجم المقيم فأبت ، وأنفت .
 لا جرم الآن قد انتهت لحظها الذي حرمت ، ووقفت على جنايتها التي تقدمت .
 فهاهي ، دهرها ، تسكب الدموع على فائت ليس له رجوع ، وتتقطع حشرات
 على هنات كانت منها واهنات^(٤) . فهجيرها^(٥) في ليلها ونهارها قولها :
 إلهي ! بك أعتمد مني ، وإليك أقر عني ، وإياك ألحظ بكلي وبمضي ،
 وإليك أدين بتطوعي وقرضي ، وعليك أقبل بوجهي ، وعندك أهدأ بحقيقتي ،
 وأنت أحق بي منك^(٦) ، وأملك لي ، لآنك أولى وأحرى بالخلق .

(١) العرف : المعروف .

(٢) الهينمة : الصوت الخفي .

(٣) الراع : الشوق .

(٤) ص : وهتان . ولم تهتد لوجهها فضححنها كما ترى .

(٥) يقال : هذا هجيراه وهجيراه وهجيراه : أي : دأبه وشأنه .

(٦) كذا ، والأوضح أن يكون أصله : مني .

وباطني وظاهري بالتصريف والتهيئة ، وحلي وانتباهي بالمقيدة والطوية ،
 وفكري وذكري بالمعرفة والتصفية ، ووجدى في وجدى بالحقيقة في الحقيقة ،
 وروحي في روحي عند الغاية المصدوقة ، ومرامي في مرامي على الجرح والتركبة ،
 وعمرادى بخالص القصد والنية ، ومنهني عنادى ^(١) وإيثاري بصادق البديهة
 والروية . فلا تصریح لی فیک إلا هو تعريض انبساطاً منك ، ولا تعريض لی
 إلا وهو تصریح غيرة عليك ، ولا إطناب لی فی نعمت إلیتک إلا لتشیع عنی
 ما وجدته بك ، ولا إيجاب لی فی وصف شأنک إلا لتغلب صبابتی فی کل ما یکون
 خبراً عنک ، أو نبأً بالإیحاء إلیک ، وهماً فی الظن بک . أنت عز الـكون ،
 ومالك الدهر ، ومصرف الكل ، ومقلب الكل ، ومبدی الذق والجبل . بل أنت
 الموجود فی کل شیء لا كما یوجد ما دام بک واقتصر إلیک ، ولكن كما توجد أنت
 وليس واجدک سواک واجد بک ^(٢) وواجد منك . فأما واجد بک ،
 فلا أنه وجد عينه بک . وأما واجد لك ، فلا أنه وجد وجده من أجلك . وأما واجد
 منك ، فلا أنه وجد ما به وجد ما وجد من جهتك ؛ فأنت المحيط وأنت المشتمل ،
 [٨٨ ب] إلا أن أحاطتک بالقدرة واشتباك بالنعونة ؛ وكل ما خلقتك بالحجاز ،
 فلك بالحقيقة ؛ وكل ما لسواک بالآثر ، فلك بالعين . والإشارة التي هي
 إلیک ، هي منك . والذاکر الذي هو لك ، هو بک . والوجد الذي هو منك ،
 هو بک . والوجد الذي هو بک ، هو منك . ولم تختلف هذه الحروف إلا لحاجة
 الخلق إليها فی النکور ، وإلا فالعنى واحد مؤتلف متفق لا یرتق ^(٣) علیه لبس ،

(١) ص : عبادى .

(٢) يابوح أن هاهنا تنقص الجملة : « وواجد لك » ، لأنها ترد بعد .

(٣) رتق عليه : رفرق ؛ رتق النوم فى عينيه : خالطهما .

ولا يمر به حن ولا أنس ، ولا يبتذله طرف ، ولا يؤثر فيه صرف ، ولا يوضحه لهم ^(١) ولا فعل ولا حرف .

أيها السامع هذه الغرائب ! جهّد الجاهد في معرفته نكرة ، وبلوغ الغاية في وصفه حيرة ، وفي الإعراض عنه ^(٢) بوار وتلف ، وفي التعرض له عناء ، وكلف ، وفي التذبذب بين الإعراض والتعرض أذى وأسف ، وهلاك وتلف . قوا عجباً مني !

صرتُ كَأَنِّي ذبالةٌ نُصِيتُ تضيُّ للناسِ وهي تحترق ^(٣) يا هذا ! لو غفل الرقيب قليلاً لاستمع ^(٤) الطرف بالاحظ ، ولو برّد

القليل قليلاً لاتنفع القلب بالوعظ ، ولو ممكن لهيب الشوق لسلك الطريق إلى الحبيب ، لأن الشوق إذا استوعب المشتاق حصره عن قصد من إليه طال

الاشتياق . على أن السلو معترض ، واليأس متحكم ، والصدر خافق ، والعجز حاصر ، والمنى خطر ^(٥) ، والقول فصل ، والنصيب عدل ، والبال كاسف ،

والحلّ خرج ، والمادة مُسلّطة ، والقرين خاذل ، والطريق وعر ، والزاد ترر ، والعهد منكوث ، والسير محنوث ، والمنايع مبثوث ، والرائد كذوب ^(٦) ،

والحرك خلوب ^(٧) ؛ والأنف راغم ، والهوى مسؤل ، والظاهر معلل ،

(١) كذا في الأصل ! ولعل صوابه : اسم .

(٢) البوار : الهلاك .

(٣) بيت شعر للعباس بن الأحنف ، وقد مرّ من قبل .

(٤) كذا ، ولعلها : استمع .

(٥) ص : خطر .

(٦) إشارة إلى الحديث النبوي : الرائد لا يكذب أهله .

(٧) خلّ (كنصر) خلّياً وخلابة وخلاباً : خدعه كاختلبه وخلابه .

فالخلوب هو الخادع . والحرك يتصد به : من يحثك على فعل شيء .

والباطن مُحَبِّل ، والقائل متأوِّل ، والسامع متحوِّل ، ووراء هذا كله مُتَقَوِّل
وَمُتَقَوِّل . أيها الراغب في العاجلة ، الزاهد في الآجلة ، المغتر بِآل^(١) الضحى ،
الغافل عن دَوْر هذه الرِّحَى ! ما هذا التغير الذي أنت آلفه ، وما هذا السهو
الذي أنت مُخالفه ، وما هذا [١٨٩] الإصرار الذي يُحْبِط الأصل والفرع ،
وما هذا التسويف الذي يخالف العقل والشرع ، وما هذا الرأي الذي
عاقبته الويل والخرب^(٢) ، وما هذا السعى الذي قد بار^(٣) باللهو واللعب ؟
انتبه يا غافل !

(١) الآل : السراب .

(٢) الحرب : مصدر حَرِبَ (من باب علم) : الويل .

(٣) كذا ، ومعنى يار : بَطَل وفسد . ولعل أصله : ياء .

استعلام الفطنة من الإشارات الإلهية

أيها الصاحب المجاور، والصديق المجاور! كيف أتكلم، والفؤاد هام بكل واد، والخاطر خال من كل حاد وهاد؟ أم كيف أشكو، والسر ظاهر باد؟ أم بأي شيء أتعلم وكل ما أجده مُرَدَّد ومُعَاد؟ أم على مَنْ اعتمد وكلُّ أحد أراه فهو لي ضِدٌّ ومُعَاد؟ أنفاسي متحرقة بالحسرات، ودموعي متفرقة بين النَّعرات^(١) والزفرات، وكبدى مشتتة على المناظر والهيئات، ويقفنى جارية على الرسوم والعادات، وأحلامي عارية من كل ماله حاصل وثبات، ونفسي رهينة بالسيئات، مفتونة بالسوانح والخطرات، مغبونة عن الحسنات والصلحات.

الجهات دوت منسدة، والوجوه أمامي مُسَوَّدة. إن قلت، قيل: هذا زور وبهتان؛ وإن أشرت، قيل: هذا^(٢) يَوْرٌ وعدوان؛ وإن سكت، قيل: هذا سهو ونسيان. فليت من ابتلاي بما لا طاقة لي به، رحمني بما لا غنى لي عنه؛ أو ليّت من طردني عن بابه، أهلني لعتابه؛ أو ليت من جرّ عني مُرّاً فراقه، أخطر على بلى حلاوة لقائه. أوليت من غمسي في بحر البلوى، طرحني إلى ساحل المنى. أو ليت من حطّني عن درجات المخدمين، رقاني إلى مقامات الخدم. أو ليت من حظر على البسط عنده، لم يحظر عليّ التبصص^(٣) له. أو ليت من قطع عني عاديّ منه، لم يُملِكْ مقادّتي غيره. أو ليت من منعني برّة الرضا

(١) النعرة: صوت في الخيشوم. أما النعرة (كهزة) فمنها: الخيلاء والكبر والأمر بهم به.
(٢) البور: الهلاك.

(٣) تبصص الكلب: حرك ذنبه. وهنا يقصد: الاحتفال والتعلق.

لم يشوئ بجمر النضا . أو ليت من تركنى هكذا سدى [٨٩ ب] ، لم يفضحنى
في مجالس العدى ^(١) ١٥

آه من أنفاس تتحقق بأسرار الحق في عَرَصات الغيب على بسط التملل ،
حيث ليس للعبارة فيه نصيب ، ولا ^(٢) للإشارة فيه تقريب !

آه من قول مردوم ، وقائل محسود ، وقاصد مطرود ، وباذل مجهود ،
وسائل محدود ! آه من زمان متكرر ، وصديق متغير ، وعدو متغير ، وجار
متغير ، ومعامل مستنفر !

آه في الجملة من مكان ناب بالمستوطنين ، ومن مسؤول آب للسائلين
المستظنين ! إلى من يفرع طريق المحبوبين ؟ وبماذا يحتج من زجر عن محل
الحاضرين ؟ وإلى ماذا يلجأ من نُحِر بالظلام ، ومنع من الاستراحة إلى الأمانى
والأحلام ، وجعل آية بين هذا الأنام ؟ إذا ظهر بصفاته التي أُعيرها قعوه ،
وإذا تفرق في زخارف الملك جمعه . فإذا سأل رَوْح ساعة في العمر منعه ،
وإذا غاب بأشجانه وأحزانه شيعوه ، وإذا حضر برفقه ولفقه شمتوه

وأسمعوه . فكله من بعضه في بلاء ، وبعضه من كله في عناء ، وآخره مع هذا وغيره
إلى شقاء . إن وصل نُحِر ، وإن سأل زجر ، وإن ادعى طولب ، وإن استرسل
عوتب ، وإن قال : لا أدري ! قيل هذا نحايز ، وإن قال : أدري ، قيل هذا
تعزز ، وإن وثى استقبلوه ، وإن أقبل ولَّوا عنه . غناد ولكنّه عجب ، وكناد ^(٤)
ولكنّه ذو طرب ، وعنوة ^(٥) ولكنّها ألد من الصلح ، وغربة ولكنّها

(١) الأعداء .

(٢) ص : وإلا .

(٣) شمتت فلاناً : خيّبه .

(٤) كنَاد : كنود : كافر بالنعمة .

(٥) العنوة : الاغتصاب والقهر .

أطيب من الوطن ، وغَضَبَ ولكنه أحلى من الرضا ، وحرمان ولكنه أروح
من العطاء ، وجفاء ولكنه ألطف من البر ، وردُّ ولكنه أشرف من القبول .

يا هذا ! إن الحقَّ ما نبهك على هذه الغوامض إلا وقد قدسك عن سائر
العوارض ، وما هتك دونك هذه السواتر إلا وقد أطلعك على تلك السرائر ،
ولا أوحشك من رق العبودية إلا وقد هَيَّا لك خِلمة الحرية ، ولا كدرك

بما يصحَّ منه في هذا الشاهد إلا وهو يريد تصفيتك في ذلك الغائب .

أمالك في هذه الأحوال العجيبة فطانة ! أمالك من لبك وتجربتك ظهارة

أو بطانة ؟ أمالك مما ترى فيما لا ترى عبثة [١٩٠] ؟ أمالك مما تشهد

بما لا تشهد خبرة ؟ أمالك بما تجد بما لا تجد حجة أو عذرة ^(١) ؟

يا هذا ! إنك لمрад بأمر عظيم ، ومُرَّشح لسر مكتوم . فاجِدْ الجُد ! فكأنك

وقد بلغت الحد إنما هي حياة ذات أنفاس ، وحال دائرة بين طمانينة

ووسواس . فإن أغضيت عنها أنفاسها ، ولم تحلم بها عائقاً لها ، ولم تكد عليها

مستغيثاً بما فوقها ، دفعوك إلى حظيرة القدس وتوجك ^(٢) بتاج الروح والانس ،

ورددوك ^(٣) رداء الخصوصين ، وأنسوك جميع ما قاسيته بين العالمين ، وخاطبك

بلفظ التشريف ، وأعقوك من كل توقيف وتعنيف ، وقيل لك : تحكم باقتراحك

فلا حائل بينك وبين أمنيته ، وابلغ غاية ما تجد بوعيك فلا خيبة لك

بعد ما سلف منك . في أيامك ما غنى ^(٤) بأسرار صدرك ، فطالما تكسرت

في حجب الكتمان عندك ، وكل ذلك كان بعيننا وتحرُّكنا . أولك وآخرك

(١) العذرة (بالكسر) : المَعذرة (مثلثة الذال) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل صوابه : توجوك .

(٣) ردَّيته الثوب تردية : ألبسته إياه .

(٤) ص : ما غنا .

فيها ولو شئنا لكفيناك ، ولكننا رقيناك بما صفيناك ، لتكون عندنا^(١)
على ما أردناك . وإن أنت لم تُغض عن هذه الزهرة الحائلة ، ووكلت بها طرفك
وقصرت عليها سعيك ، وجعلتها همك وبالك ، ووهبت لها شرك وجهك ،
جعلوك حطب جهنم . وحينئذ لا أبعد الله عنك^(٢) .

- اللهم إنا نرتاح لذكرك على تلوّنا في مخالفتك^(٣) لك ، ورتاح من مكرك
على علمنا بمجودك وكرمك . فب ارتياحنا من مكرك لارتياحنا لذكرك ، وزدنا
من عندك ما هو لائق بمجدك ، ولا إذن لنا في طلبه منك . جودك أسبق إلينا
بقنون العطاء من تضرّعنا إليك بأصناف الدعاء . مننت علينا في الأول فكان
ذاك كرما منك ، وستمن علينا في الآخر بمثله لأن آخرك شبيه بالأول ،
وأولك شبيه بالآخر ، بل أولك آخر وأخيرك أول . فمن كُله واحد ،
وهو على ذلك شاهد ، كيف يخاف عليه ، أم كيف يرتاب بما عليه ، أم كيف
يقنط من رحمته ؟ « وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ، إِلَّا الضَّالُّونَ ! »^(٤) .
إلهنا نحن عبيدك ، متصرفون على إرادتك ، متعلّقون بين مشيئتك
وحكمك ، مترددون بين قدرتك وحكمتك ، آملون روادف عطفك [٩٠ ب]
ورحمتك ، معترفون بسوانع نعمتك وإحسانك ، خائفون من عواقب سطوتك
ونقماتك . قلب ، يا إلهنا ! رجاءنا على يأسنا ، وغيب خوفنا في إيتاء أمّنا ،

(١) أو : عبدنا به .

(٢) الغبر (محرّكة) : التراب ، ولعل هذا كناية عن الشخص نفسه أو أثره .
يعنى : لا أبعد الله شخصك .

(٣) كذا ، ولعل أصله : مخالفتنا لك .

(٤) سورة « الحجر » : آية ٥٦

واهتِف بنا إذا سهونا ، وأيقِظنا إذا رقدنا ، وادعنا إذا أفرنا^(١) ، وارؤف بنا إذا ضعفنا ، وشرفنا إذا اتضعنا ، وأوردنا إذا ظمنا ، وأوقدنا إذا طمقنا ، وأطيينا^(٢) إذا خبئنا ، وثالَّفنا إذا شردنا ، وتكرَّم علينا إذا لؤمنا ، وذكَّرنَّا إذا نسينا ، ولطفنا إذا كثفنا ، وفي الجملة ، قربنا منك إذا بعدنا عنك ، وصلنا بك إذا انقطعنا عنك ، فإنك ما لك نواصينا في الشهادة والغيب ، ومدبر أدايننا وأقاصينا في الروح والكرب .

إلهي ! كلُّ ما أقوله فأنت فوقه ، وكلُّ ما أضمره فأنت أعلى منه ، فالقول لا يأتي على حتك في نعمتك ، والضمير لا يحيط بكنهك . وكيف تقدر على شيء من ذلك ، وقد ملكتنا في الأول حين خلقتنا ، وقدرت علينا حين صرفتنا ؟ فالقول وإن كان فيك فهو منك ، والخطاير وإن كان من أجلك فهو لك . من الجهل أن أصف بغير ما وصفت به نفسك ، ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتني به حقيقتك ، ومن الجراءة أن أعترض على حكمك وإن ساءني ، ومن اللذلان أن أظن أن تدبيري لنفسى أصلح من تدبيرك . كيف يكون هذا الظن صوابا والمعجز مني ظاهراً ، والقدرة منك شائعة ؟ هيهات ! أسلمت لك وجهي سائلاً رفدك ، وأضرعت^(٣) لك خدي طالباً فضلك ما عندك ، وهجرت كل من ثقي^(٤) بي إلى غيرك ، وكذبت كل من أياستني

(١) أفر يافر (من باب ضرب) أفرأ وأفورأ : عدا ووثب .

(٢) أطويه : جعله طيباً .

(٣) أضرع له مالاً : بذله له ؛ أضرع فلاناً : أذله ؛ فالمعنى هنا : بذلت وأصغرت لك خدي . وفي الأصل : أضرعت (بالصاد المهملة) ، فإن كان ذلك هو الأصح ، فعناه جعلته لك صريعاً ، أي مطروحاً خاضعاً .

(٤) ثقي به : انحرف ومال وجنح .

من خيرك ، وعاديت فيك كل من أشار إلى سواك . أنا ألتصق ما جئت به
على في القدم ، حيث أنا ليس ^(١) وفي المصم ، ثم ربيتني بين القسم والنعم ،
ثم ألبستني قميص معرفتك ، وفقرت ^(٢) في يذكرك ، ثم أكلتني ^(٣) بمناجاتك ،
ثم أذنت لي في الدعاء لك ، ثم أمرتني بالدعاء إليك ، ثم رشحتني لحفظ أسرارك ،
وأطلعتني على نبودك وأغوارك بغرائب أخبارك وآثارك . إني إن نسيت
هذه اللطائف ، [١٩١] وسهوت عن هذه الطرائف ، لمتن لا خير له في حياته ،
ولا زاد له بعد مماته .

اللهم إنا إن ذكرناك فبتوفيقك ، فإن ^(٤) وصفناك فبتأييدك ، وإن هُئنا
عن بعض ذلك فلننفذ حكمك فينا وأمرك . أيها الأخ الراغب في الخير ،
والصاحب الجانِبُ للشر ! إن تكفلت لك وصني ووصف زمانى وزمانك ،
وما قد دُفِعنا إليه في شأنى وشأنك ، كان ذلك شاغلاً للوقت عما هو أولى به ،
وأعودُ إلينا بالجدوى منه . فتعال حتى لا نشتكى ولا نتألم ، ونهب أنفسنا لبلايا
< غير > هذه ، فمن قليل تنتقل إلى ما تعلم وأعلم . فليس من المروءة أن نشكو
صديقاً إذا قصر ، ولا من عزّة النفس أن تخرج من عدو وإن بالغ . وما فقر
أيام ، وبؤس ساعات ، وتفكير إخوان ثقات وغير ثقات ، حتى يصح هذا الصحيح
ونفى زماننا بالأسى على الفاتت ! ما أخرجنا — عافاك الله — إلى الإعراض
عن هذه الأعراض والأمراض ، بالإقبال على ما فيه إعداد الزاد للمعاد !
فمن قليل تقف هذه المطية بالكلال فننزّل عنها إماماً إلى الرشد والغبطة ،

(١) ليس : معدوم .

(٢) فقره (من باى قطع ونصر) يفقره : فتحه .

(٣) ص : أملتني ؟

(٤) كذا ، ولعل أصلها : وإن .

وإمّا إلى البلاء والوَرْطَة . فليَمَّ أيها الإنسان حتى لا تنطق إلا بما فيه فائدة ، ولا تفعل إلا ما له ثمرة وعائدة ؛ وندع الدنيا حتى تجميع بأبنائها وعَشَقَتِهَا ، وتكون نحن من عُقَّتَانِهَا وطلقاتِهَا .

أيها الإنسان ! تلبّيه فقد طالَّت الرّقدة ، وانتعش فقد استمرت في السَّعة ، واستأنس فقد أفرطت في الوَحشة ، وخذ حذرَكَ فقد أحاطت بك الشَّقوة ، واسلك ^(١) نفسك من نفسك تنج نفسك من نفسك لنفسك . فما بعد الفضيحة التي أنت عليها فضيحة ، ولا بعد النصيحة التي تسمعها نصيحة !

اللهم اغننا بتوبيخك عن تنبيه خَلْقِكَ ، وعَيِّبْنَا في مَشْهَدِ رِضْوَانِكَ عن عبادك ، وأشْهَدْنَا في غيب ملكوتك كلَّ ما غاب عنا باحتجابنا عنك ، واغضضْ أبصارنا إلا عن النظر إلى وجهك ، وازممْ خواطرنا [٩١ ب] إلا من السُّنوح في مُرادك ^(٢) لِأَلْهِمَّتِكَ ، واجعل أول قولنا عندك : « الحمد لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » ^(٣) .

اللهم إنا ربّما تركنا دُعَاكَ وقد علمنا أنّا إذا كنّا في وصفك فقد استغرقنا ذاك وتجاوزنا مما هناك ، لأن وصفك بما أنت أهلُه فوق دعائنا بما نحن نطلبه ، وإمّا دعاؤنا حظ لنا منك ، ووصفنا لك نصيبك منا . وإذا واقفناك فيما تستحقّه واصفين ، قابلتنا عليه بما نأمله وبما لا نأمله غير داعين . ونحن إذا وصفناك فإمّا نستشوق لنسألك ربوبيتك من أوطان

(١) كذا ، ولعل الأصح : اسأل ، ومنه قول امرئ القيس في معلقته :

فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَسَلِّ

(٢) المراد (بالضم) والمستراد : الموضع الذي ترسل فيه الإبل للرعى مقبلةً ومديرة .

(٣) سورة « فاطر » : ٣٤

معرفتكَ بوسائط هدايتِكَ . وإذا دعوتُكَ فإنما نشكو إليك دويْنَا ^(١) الجماعة على قلوبنا من خوف فراقك ، ومع هذا وذلك فإننا نسألك .

اللهم ^(٢) أَنْ تَقْبِلَنَا عَلَى عِلَاتِنَا ، وَأَنْ تُسَدَّ مَنَا خَلَاتِنَا ، وَأَنْ تُقِيلَنَا ^(٣) عَثْرَاتِنَا ، وَإِنْ كَسَّرَ عَلَيْنَا عَوْرَاتِنَا ، وَأَنْ تُبَلِّلَ سِيَّئَاتِنَا حَسَنَاتٍ ، وَأَنْ تُغْفِيَ عَنْ هَفَوَاتِنَا ، وَأَنْ تُهَبِّبَ لَنَا رِضَاكَ مِنَّا فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا ! فحاجتنا إليك فوق حاجة النبات إلى القطر ، وفوق حاجة الموتي إلى الروح ، وفوق حاجة الطالب إلى الوجدان ^(٤) .

اللهم فاجعل قولنا لك مسموعاً ، وفكرنا فيك مرفوعاً ، ودعاءنا لك مجاباً ، وعلمنا بك صواباً ، وعيبتنا فيك صادقة ، وشواهدنا بآلائك ناطقة ، وآثارك عندنا باقية ، وأياديك لدينا صافية ، وألسنتنا بذكرك [بذكرك ^(٥)] مأخوذة ، وبصائرنا في اليقين مشحونة . يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (ال)

اللهم حطنا حياطة لا يَهْتَدِي من أجلها عدوُّها إلينا ، وأحط بنا إحاطة تسهل بها مماء جودك علينا ، وآتانا منك مالا نتوقعه ولا نحتسبه ، وصلنا من فضلك بما لا نستحقه ولا نكتسبه ، وكن دليلنا ، وأنْهَج ^(٦) سبيلنا ،

(١) ص : دوننا . والدوي يظهر أنه جمع داء : مرض . أو لعل الأصل : ذنوبنا .

(٢) هنا أضمر قوله : إنا نسألك ، أي : اللهم إنا نسألك أن . . .

(٣) من : أقال الله عثرته : أنقذه منها .

(٤) مصدر من : وجد الشيء يجده .

(٥) كذا مكررة في الأصل .

(٦) أَنْهَجَ : أَوْضَحَ .

واحفظ كثيرنا ، وكثر قليلنا ، واشفِ علينا ، وارحم أئمتنا وأئمتنا ^(١) ، وامتدِّ
 حويلنا ^(٢) ، وواصل تحويلنا وتنويلنا . إنك أهل كل جود ، [٩٢] وراعى
 كل موجود . وإذا أردت بنا ما لا طاقة لنا به ، فاصرفه عنا بنظرك الرحيم ،
 ورفقك القديم ، وعزك العظيم ، فإننا إليك ذوو فقر ، وأنت عنا غنى كريم .
 يا هذا ! لئذ بالله مجتمعا عن تفرُّقك ، واضرعْ إليه منظوماً عن أشتاتك ^(٣) ،
 واعرضْ عليه ذلك الذى خُفَّت منه فناءك ، ونَمَّضْ عن كل زهرة راقتك
 فى هذه العرصة ، لعلك تُوهَّل لما هو أرفع منها وآنف — فما تناهت القدرة
 ولن تنهاه . إن عرفت خوى هذا الخطاب فقد نجوت من عُقى هذا الخطاب ؛
 وإلا فأنت العطبُ المشموت به ، والطالم المذهول عنه . قال :

١٠ فإن تنج منها تنج من ذى عظمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيا
 رجل ضعيف ، وهاجرة محسرة ، وبرٌّ قفر ، وعطش قديم ، ورشاً ^(١)
 قصير ، وعمق بعيد . كيف الوصول إلى الرئى والحال هذه ! آه ! الآن توافيك
 معونةً ممن أنت أمينه : فيبرق الجو ، ويبعث النسيم ، ويندبى الهواء فيصل
 إلى كبدك ما تنعم به ؛ ولعلك تستقل بوجدانه ، وتستغنى عن فقد ما أنت مُبتلى
 بطلابه . فيألفها راحة وسكوناً وقرّة عين وطيب نفس وبلوغ مراد ، إن جعلت ١٥

(١) أل المريض والحزين يتلألأ وألألأ : أن ، وحن ، ورفع صوته
 بالدعاء ، وصرخ عند المصيبة .

(٢) الحويل والمحالة والحيلة والتحيل : الخندق وجودة النظر والقدرة
 على التصرف .

(٣) ص : أسبابك . لكننا رأينا أن الأصح هو ما أثبتناه ، بدليل قوله
 قبل : تفرقك .

(٤) الرشأ : جبل الدلو ، وقصر الرشأ : كناية عن قصر الباع .

لهذا الذي سمعته أهلاً . ولست تكون هذا المذكور بهذا الوصف إلا بعد
 أن تُطَلِّق الدنيا ثلاثاً ، وتُعْرِضَ عنها طلقاً ، ثم تقبل على طليق نفسك
 من شهواتها الذميمة وعاداتها الفاسدة وقرنائها المُضَلِّلَةِ ، ووسواسها ^(١) الباطلة ،
 ثم تأخذ بعينها نحو الذكر والتهنئ به ، والطُوف عليه ، والاشتمال عليه ،
 والصدق والإغراق فيه ، ثم تجعل عمرك نوماً ، ونومك حُلماً ، فلا يقظة لك
 بعد ذلك إلا عند الله الذي إليه طال شوقك ، وبه هام فؤادك ، ومن أجله
 هجر أكربوك ، وبسببه عاداك تُحِبُّوك . ذاك الذي لا تخسر تجارتك معه ،
 ولا تبور بضاعتك ^(٢) عنده ، ولا تخشى نقاد ما يعطيك ، ولا ترى خُلُفاً فيما سبق
 إليك به وعده . وهناك تعلم أنك به وصلت [٩٢ ب] إليه ، وبتوفيقه نلت
 مَرْضَاتِهِ ، وبنعيمته نهأت بنعيمته ، وبقدرته اطلّمت على قدرته ، وبحكيمته
 وصلت إلى حكمته . وهناك تعلم أنك كنت منصوحاً بداعيك إلى يابه ،
 ومكتوفاً بأياديه عند استجابتك لأمره ، ومشهوداً بما شهدت في الثاني
 بإشهاداه ، ومرفوداً بما انتهيت إليه من إرفاده .

أفما تحب بعد هذا البشير والنذير ، أن يكون لك من نفسك ناصح وعذير ؟
 ١٥ أفما ينبغي بعد هذه العثرة بعد العثر أن يكون لك انتعاش واستقلال ؟
 أفما تحب بعد هذا التلطف والترفق إلى قرارك الذي لا فرار لك دونه ؟ بلى !
 والله ، قد آن وقته ، وانكشف غطاؤه ، وانضح سبيله ، وأبلغ داعيه ، ومدَّ
 الصوت مناديه ، ولم يبق إلا : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، فإن الخير كله بيدك ولديك .
 يا هذا ! إن كنت غريباً في هذه اللغة فاصحب أهلها ، واستنم سمعها ،
 واشغل زمانك باستقراءها واستبرائها . فإنك بذلك تنف على هذه الأغراض

(١) كذا ، ولعله : وسواسها .

(٢) في الأصل : قضاعتك .

البعيدة المرامي ، السحيقة المعاني ^(١) ، لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية ، إلا أن العبادات ^(٢) الإنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجارى ، وأنت محتاج إلى أن تألف فى الأول بطول السماع ، ثم تتصمّد من ذلك إلى الإشارات الإلهية بيسط المذراع وزحج الباع ولطف الطباع . وما أحرّك بنيل هذا كله إن خلّصت نيتك من شوائبها ، ونقمت طويّتك من روائبها ^(٣) ! فأما شوائبها التى وقعت الصريحة ^(٤) بها ففى ترّجّجها وتجميعها بخطرات الدنيا وبلايا هذه الحساسات التى ترى تارة بالعين ، وتذاق تارة بالفم ، وتلمس تارة باليد ، وتتمقّ تارة بالقلب ، ويُهجر من أجلها القريب ، ويُقطع الرّحم ، ويحجب البلد النازح ، ويتوخّى بالسائح والبارح ؛ وهذه كلها متعرّفات النّيّات . — وأما روائبها ^(٥) التى سلفت الكفائية عنها ففى نظائر الشوائب ، إلا أن مداخلها ربما اختلفت ، ومآتبيها ربما تشابهت . فلحازم من أخذ زمام فكره فكبحه عن سبيل غيه ، وجذبه إلى طريق رُشده ، [١٩٣] فإن الخطر عظيمٌ شديدٌ ، متضاعفٌ صعب . وإنما هان النظر فى هذه العقبي لنواثر الغفلة التى هى من سُوس ^(٦) الفطرة ومن تُوس ^(٧) البنية ، ومن كدر الطينة ، ومن تشاكس الخليفة .

(١) المُعَمِّيات .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل الأصح : العبارات (بالراء) .

(٣) أى : مما يرببها ويجمعها منبهة .

(٤) كذا فى الأصل وهى غير واضحة تماماً .

(٥) ض : روائبها .

(٦) السوس (بالضم) : الطبيعة والأصل .

(٧) التوس (بالضم) : الطبيعة والخيم (الأصل) ؛ ويقال : هو من تُوس

صدق ، أى : أصل صدق . وتُوساً له وجوساً : دعاه عليه .

وكيف لا يكون الخطر على ما وصفت ، والمُنال منه فوزُ الأبد ونعم الدهر ورضا
 الرب واتصال البقاء وطيب العيش وروُح الحياة ، والفائت منه خسرُ الأبد
 وشفاء الدهر وسخط الرب واتصال الثَّمة وخُبثُ العيش وكَرْبُ الحياة ،
 ثم لا واسطة بين هذين وجهي ، < و > كما لا واسطة كذلك أيضاً لأطرف ،
 لامن هذا الوجه ولا من ذلك الوجه . فما أولى الألباب المتبصر في أمره ،
 المعنى بشأنه ، المفكر في ماله وترَّده وعاقبته ، أن ينقِ عينه من فذاها ،
 ويتحمل في هذه النصبة بعضَ بلواها ، فإنه إذا فعل ذلك فقد أخذ بالحزم :
 حزم أهل العقل ، وفاز بالمزم : حزم أولى الفضل .

ما أشوقني والله إلى أن أرى مُريداً له من القراءة ورَّده ، ومن الركوع
 والسجود وظيفة ، ومن الصمت والفكر قِطْطاً ، ومن التسبيح والتبجيل
 ساعة ، ومن التفكير في الملكوت مَهْمٌ ، ومن الرغبة في الموعود حِرْصٌ ،
 ومن الإشتاق من الوعيد كَرْق ! هذا ، والله ، أضعف شوق وأقله ^(١) ،
 وأثَرُ حنين وأقله ^(٢) . فأما الشوق الأعظم ، والحنين الأعم ، فإنما هما إلى عارف
 قد ترفع إلى سرير الرضا ، واطمأن إلى ركن الثقة بالمولى ، وشهد الغيب
 من وراء سُرِّ الضنا . فإن قال فعنه ، وإن سكَّت فتيه ، وإن تحرك فله :
 وإن سكن فبه ، وإن اشتاق فإليه ، وإن تهالك فعليه . له مع نفسه شأن ،
 ومع الحق شأن ، ومع الناس شأن : فأما شأنه مع نفسه ففي تصفيتها من كدر
 حجاب من الله ، وأما شأنه مع الحق فاستملاؤه منه كلِّ ما سهَّل الطريق إلى الله
 عز وجل ؛ وأما شأنه مع الناس فكلُّ ما عاد بالجدوى عليهم من الرقة والرحمة

(١) كذا : أقله ، في كلتا الحالتين .

والرأفة واللطفاء عند الدعاء إذا تكرر منه ، وعند الإباء إذا تردد منهم ^(١) .
فهذا أيضاً هذا .

يا هذا ! ما قِيضَنِي اللهُ بنطقي [٩٣ ب] لك على هذا التهذيب والتقريب ،
وعلى التصعيد والتصويب ، إلا لنكون حجة عليك إن لم تقبل ، ومحجة لك
إن قبلت . فإن قلت لي أيضاً دلي وجه العذر ^(٢) فهو أيضاً حجة عليك
ومحجة لك ، فقد صدقت وما أحلت ^(٣) . ولكن أين أنت مني ، ومن أين تقف
على خبرك عني ؟ أنا نطقت بهذه الألفاظ بعد سبعين سنة وقد تحطمت قناتي
وتكشفت شوائبي ^(٤) ، وتكشفت صفاتي ^(٥) ، واضمحلت صفاتي ، وبليت لحني
وسداتي ، وقدمت شهواتي ولذاتي ، وميتت يموت أحبي ولذاتي ، فنطقت
وغالب الهوى مغلوب ، وشارد الحزم مألوف ، وغراب العزة واقع ، وجناح
الكبر مكسور ، وربيع الله طامس ، وماء الشببية ناضب ، وهدير العادل

(١) ورد هذا الموضع هكذا في الأصل : إذا تردد منهم . فهذا أيضاً .
يا هذا ! ما قِيضَنِي اللهُ بنطقي لك على هذا الإباء إذا تردد منهم . فهذا أيضاً هذا .
يا هذا ما قِيضَنِي اللهُ بنطقي لك على هذا التهذيب والتقريب . . .
(٢) ص : العنه .

(٣) أي لم تقل محالاً .

(٤) الشواة : جلد الرأس .

(٥) الصفاة : صخرة ملساء ، يقال في المثل : ما تندى صفاته ؛ وفي حديث
معاوية : يضرب صفاتها بمعوله ، هو تمثيل ، أي : اجتهد عليه وبالغ في امتحانه
واختياره ؛ ومنه الحديث : لا تُفَرِّخْ لهم صفاة ، أي لا ينالهم أحدٌ بسوء .
والمقصود هنا : تشقق وأنجل كياني .

ساكن ، وعود الهوى علي^(١) ، وروض المني خوي ، وبصر النى مكفوف ،
وريش الغرامة منتوف ، وعازب العقل رانح ، ورائح الجمل سارح . وأين أنا
منك ، وأين أنت مني ! فهذا جوابك التي^(٢) أجابني إليه بفيتك .

فأما ما وراء هذه مما هو عند الله ، من القبول والرد ، والذم والحمد ، فذلك
سر لا تثر بجهنماته ، ولا تتعرض لهوائه ، لأنه من الأمور التي له فيها إضناء
وتوقيف ، وإتهاء وتعريف ، وإرعاء وتصريف . وإنما الذي هو علينا بحكم
المبودية ، وبمعجز البشرية أن تقف عند الأمر إذا صدر ، وعند النهي
إذا ورد ، فتجرب فيها بالامتثال والالتواء ، لتكون بهما طائمين ، وإلى غاية
طلبه منا جارين ، وفيما يعرض لنا من التصبير مستغفرين ، وفيما يصفو
من الشاكرين ، وفيما يكدر من الخائفين .

يا هذا ! قد سمعت فنونا من التول في المعرفة والتوحيد ، والتوكل والزهد ،
والعبادة والوجد ، والشكر والصبر ، والوسوسة والخطرة ، والدعاء والمناجاة ،
والنفويض والتبويض ، والرضا والسخط ، والوزع والتقى ، والحجاء والنهي ،
والرقدة والهبّة ، والمراد والمريد ، والصالح والفساد ، [١٩٤] والسر والظهر ،
والقرب والبعد ، والانبطاط والانتفاض ، والإقدام والإحجام ، والبلاغة
والبس ، والرياء والإخلاص ، والتحقيق والتلبيس ، والتخنيق والتنفيس ،
والتكدير والتخليص ، وما هو فوق هذا بدرجات ، وما هو دون هذا بمسافات^(٣) .

(١) عسا الشيخ يعسو عسوا وعسوا وعسوا ، وعسي عسي : كبير .
وعسا النبات عساء وعسوا : غلظ ويس .

(٢) كذا في الأصل !

(٣) ض : بسافات .

فهل وجدت نفسك في شيء منها تاماً أو ناقصاً ، رائداً أو قالصاً ^(١) ؟ وهل مرت بك في عرضها صفتك فهششت لها ، أو كَلِمَت ^(٢) بها ؟ فإن كنت قد وجدت ذلك وحدته ، وكان كما أملتَه وتمنيتَه ، فهتاك الله ذلك ، وبارك لك فيه ، وصانك من عوارض الفساد ، وأكرمك بأسباب الرشاد . وإن كنت وجدتَه ، ولكن لا على ما حدثه بل على ما ذمته ، فبادر بالإقلاع ، فإن الزمان شديد الفتور بالقرص ، كثير الغشي بالمقصص .

يا هذا ! توقف قليلاً ، وتفكر طويلاً ، فإن توقفتك يُخَصِّرُك بالاك ، ويَصْغِلُ فهمك ، وَيَشْحَدُ بصيرتك ، وَيَحْدُث ^(٣) ما كَلَّ منك . وفكرتك يبيحُ عنك ويَعْرِضُك عليك ، ويريك من أنت ، وما أنت ، وكيف أنت ، ومن أين أنت ، وعماذا أنت ، ودلى ماذا أنت . فإن فِكْرًا نتائجه هذه الأمور الشريفة ، وهذه الأحاديث الطريفة ، وهذه الإشارات اللطيفة ، لفِكْرُ قد صالحه الله بيد التوفيق ، ونظر إليه بهين التأييد ، وليس أحدٌ بهما ^(٤) الفكر إلا فاز قَدَحُه ، ووجب مدحه . فإن هذا عنوان نجاته ، ومن دلائل نيّله لمرضاة .

اللهم ارحم روعاتنا في أطراف هذه الإشارات ، من اختلاف هذه العبارات . فوَحَقَّتْ ما ندرى كيف نندوك ، وبأى شيء نتقرب إليك ،

(١) قَلَصَ : انكش ، — القُلُّ عني : انقبض . والفعل من باب ضرب : قلص ، يقايص قلوصاً . أو يجوز أن تكون العبارة : رائداً (بالراء) أو قالصاً . وحينئذ فإن قلص تكون بمعنى شئاً وانقبض ، يقال قلصت نفسه : أي : شئت .
(٢) كَلِمَ (كنع) كُلوهاً وكُلاهاً (بضمهما) : تسكث في عبوس ، كسكث .
(٣) أي : يجعله حادثاً .
(٤) ص : هذه .

وعلى أي وجه نطلب رِضاك ، وأى باب تَقَرَّع حتى يُؤذَن لنا بالوصول إلى حضرتك . فارفع عنا هذا الرُّوْغَانُ ^(١) وتَمِّبْ ^(٢) هذا الطُّوفان ، واهدنا إلى سواء السبيل ، إنك على ذلك قادر وجوادٌ به . قد طال بنا النصب ، واشتمل علينا الوَصَب ، وأنت المرجوُّ لِفك هذا التِّيد ، والمأمول لتعديل هذا المِيد ^(٣) .

يا هذا ! أما يعطيك على من فضلك عاطف ؟ أما يبعثك على الرحمة لي من فدوتك باعث ؟ [٩٤ ب] فتقول : والله لا اسمعُ قول القائل ، ولا أُسِرَنَّ ^(٤) عقلَ هذا الماقل ، حظيت بقبوله وسبقتُ إلى الزُّلْمَةِ عند الله به : فإن كان رُشْداً ، يخرج من أذن ، وإن كان غياً ، فما ضاق مخرج كلام دخل من أذن . ولو فعلت — عافاك الله — هذا به ، وقلت لنفسك في خلوتك ، أُرحتني من تعب كثير ، ورتَّيتُ معي إلى محل كبير ، لأننا كنا نتعاون على رفض هذه الخسيسة التي قد جمَّعت على أبصارنا عشاوة ، وضربت على أرواحنا إناوة ، فمن حالكون بها لأننا منها لكون فيها . وليتها مع هذه الحمازي والعيوب ، وهذه المعابر والذنوب ، دامت إن لم تخلص ، أو خلصت إن لم تدم . وأين ذلك وهي بحيلولها دالة على زوالها ، ولزوالها جارية على حيلولها ! فما أعمى بصرَ مَنْ يرى هذه العيوب عياناً ، ثم يعطيها بيده عناناً وذماماً وخطاماً ، ثم ينقاد

(١) راغ الرجل رُوْغاً ورُوْغاً : مال وحاد عن الشيء ، والاسم كسحاب .

(٢) كذا : تمب ! فعل صوابه : تَمَّب — والنصب جمع نغبة (بالفتح

والضم في أوله) وهي الجرعة — بدليل قوله : الطوفان ؟

(٣) ماد يميد يميداً وميكداناً : تحرك وزاغ .

(٤) السير : امتحان غور الجرح وغيره .

إلى محل العَطَبِ وشفاء الأبد غير عائم على فكر ، ولا ناظر إلى خلف ،
كأنه بهيمة أو كالبيمة . وإن إنساناً يرضى أن يكون ببيعة أو كالبيمة
قد رضى بسخط الله عليه ومقتته ، لأنه قد كفر النعمة وجحد المنّة . والسلام !

رسالة (لب)

اللهم كن عند ظننا بك ، وامحُ عنا قُرُطانا ^(١) معك ، وإذا أنطقتنا
فألهنا النجوى ، وإذا أسكتتنا فاملائنا بالنوى . وإذا استعملتنا فأرزقنا البقيا
والرعوى ، يا ذا الجلال والجمال والإكرام ، وإذا التوال والإفضال !
ناجر أسرارنا يجبروتك ، وأشرح قلوبنا في ملكك . أهلنا لمؤانستك .
أخصصنا بمخالصتك . اجعل علمنا كله بك ، ونفلسنا كله لك . وثماءنا
كله عليك ، وإشارتنا كلها إليك ، وصبرنا كله معك ، وقرارنا كله عندك .
لا تفرق شملنا من حضرتك ، بعد ما جمعت شملنا على معرفتك . لا تبذلنا بمفوتك .
بعد ما [١٩٥] أذقتنا من حلاوة برك وكرامتك . لا ترمنا بهجرتك ،
بعد ما عرّضتنا لوصلك . لا تنك سترنا بفضبك ، بعد ما أنطقتنا بتوحيده ،
وأشربت قلوبنا من محبتك ، وملكت آمالنا بقدرتك ، وأطمعتنا في نعمتك .
يا ولي الخير ومتيحه ، وواهب المأمول ومُنِيحُه ^(٢) اصل على صميمك الخصوص
بفضلك ، المبعوث إلى خَلْقك ، المنعوت بملامتك ، المتقلب في كرامتك —
صلاة يزيد بهار روحاً وريحانة ، وتعرفنا بركة ذلك سرّاً وإعلاناً ، إيماناً وإيقاناً ،
بمنك وفضلك .

(١) جمع قُرُط (بضمين) : وهو الاعتداء ، والأمرُ الجاوز فيه عن الحد .

(٢) أى : معطيه ، يقال : ما نبيحه الله بخير ، أى : ما أعطاه .

أَيُّهَا السَّامِعُ بِالْأُذُنِ ، هَلْ لَكَ شَرِبٌ مِنْ هَذَا الْمَسْمُوعِ بِالْقَلْبِ ؟ أَيُّهَا الْحَاضِرُ
 بِالشَّخْصِ ، هَلْ لَكَ حَاصِلٌ مِنَ الْأَنْسِ ؟ أَيُّهَا الْوَاجِدُ بِالشَّوْقِ ، هَلْ لَكَ حَنِينٌ
 بِالذَّوْقِ ؟ أَيُّهَا الْمَعْجَبُ بِاللَّفْظِ ، هَلْ لَكَ نَصِيبٌ مِنَ الْمَعْنَى ؟ أَيُّهَا الْمُدِلُّ بِالْعِبَارَةِ ،
 هَلْ لَكَ حَقِيقَةٌ فِي الْإِشَارَةِ ؟ أَيُّهَا الْمَسْحُورُ بِالْبَلَاغَةِ ، هَلْ لَكَ بَلَاغٌ إِلَى الْغَايَةِ ؟
 أَيُّهَا الْمَتَنُّ فِي الدِّلْمِ ، هَلْ لَكَ عَلَامَةٌ مِنَ الْمَعْلُومِ ؟ أَيُّهَا الْمَوْلَعُ بِالْبَحْثِ عَنِ الْعَجَائِبِ ،
 هَلْ وَقَفْتَ عَلَى عَجَبِيَّةِ الْعَجَائِبِ ؟ أَيُّهَا الْعَاشِقُ لِلْفَرَائِبِ ، هَلْ وَصَلْتَ إِلَى غَرِيبَةٍ
 الْفَرَائِبِ ؟ مَا أَخَوْفَنِي أَنَّكَ مُنَافِقٌ عَلِيمٌ اللِّسَانِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ دِيْوَانُ النُّبُوَّةِ
 فِي وَصْفِ إِنْسَانٍ بَعْدَ إِنْسَانٍ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاكَ فِي الْمَاضِي فَلَا تَكُنْهُ أَيْضًا
 فِي الْآتِي ، وَالزَّمَّ حَدَّثَكَ فِي أَمْرِ رَشِيدِكَ ، وَانْتَهَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ يُغْوِيكَ وَاسْتَوْضَحَ
 بِنَفْسِكَ خَيْرًا ، فَإِلَيْكَ انْتَهَى الظُّهْرُ وَعَلَيْكَ وَقِفِ الْآثِرَ . فَكُنْ وَلِيَّ نَفْسِكَ
 فِي حَيَاتِكَ ، وَوَصِيَّهَا بَعْدَ وَفَاتِكَ . وَلَا تَرِكْ كُلَّ مَصْلَحَتِكَ إِلَى غَيْرِكَ ، فَإِنْ عَنَابَتْهُ
 تَقْصُرَ عَنْكَ ، وَرَعَايَتُهُ تَعْجِزُ دُونَكَ . فَحِينَئِذٍ تَتَدَمَّرُ فَلَا تَنْتَفِعُ ، وَتَأْسَى فَلَا تَرْجِعُ .
 هَذَا لِسَانُ النَّاصِحِ لَكَ ، إِنْ أَمْرٌ مَسْمُوعُهُ الْيَوْمَ ، حَلَا مَقْبُولُهُ غَدًا . وَإِنْ تَقَلَّ
 مَقُولُهُ السَّاعَةِ ، خَفَّ مَعْمُولُهُ بَعْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ .

١٥ يَا هَذَا ! إِنْ شَكُوتُ إِلَيْكَ خَاصَةً أَمْرِي ، وَنَشَرْتُ [٩٥ ب] عَلَيْكَ حَقِيقَةَ
 بَرِّي ، رَحْمَتِي أَوْ مَقَتَّتِي . مَا تَقُولُ فِيمَنْ نَشَرُهُ طَلَى ، وَبَلَاغَتُهُ عَيٌّ ، وَرَشْدُهُ
 غَيٌّ ، وَكُلُّهُ فِي كُلِّ لَيْلٍ وَزَيٍّ ^(١) . إِنْ وَرَدَ وَرَدَ لَاهِنًا ، وَإِنْ صَدَرَ صَدَرَ
 لَاهِنًا . إِنْ عَهْدَ عَهْدَ نَا كُنَّا ، وَإِنْ حَلَفَ حَلَفَ حَانَنًا . إِنْ انْتَبَهَ انْتَبَهَ عَائِنًا ،

(١) مصدر زواه يزويه ، زَيًّا وزَوِيًّا : نَحَاهُ فَازَوِيًّا ، وَزَوِيٌّ سِرُّهُ حَتَّى :
 طَوَاه . وَلِيٌّ : مُصَدَّرٌ : لَوَاهُ يَلَوِيهِ ، لَيًّا (يَفْتَحُ اللَّامَ وَكَسْرَهَا) وَلَيَانًا (يَفْتَحُ
 اللَّامَ وَكَسْرَهَا) .

وإن جمع جمع عابثاً ، إن قرع الباب حُجِبَ وردُّ ، وإن تعرَّض [أعرَض] ^(١)
للوصل جُنِبَ وصُتَّ . فحدَّثني ما حيلتك منه وما حيلته فيك ! أخذ الله بأيدينا
إلى حظيرة رِضْوَانِهِ ، وأسبَل علينا سَجَّتَ ^(٢) ذُفْرَانِهِ ، في جوار أوليائه
وأصفيائه ، حيث نسمع مناجاة الملائكة الأعلى في الجنة التي هي المأوى ، عند
بِذْرَةِ المنتهى ، حيث لا أذى ولا قَذَى ولا شذى .

يا هذا ! عجبى من سَمِّ مخفوف بكل فن ، ومن عَوْبٍ مرجوم بكل ظن ،
ومن ظاهر على بكل طُنْ ^(٣) ، ومن باطن مجوَّف في كل كين . بل عجبى
من مُشَاهِدَةٍ ^(٤) الفَرَجِ بها مع رؤيتها مضمحل ، وَقَوَاتِبُ ^(٥) الألسن بصحبها
مشمول ^(٦) ، ومعنى الحق في أقطارها مستقل ، ودليل انطلق على أدبارها
مستدل . بل عجبى من راضٍ قد باء بأحكام السخط ، وعادل قد ناء بأسباب
الشَطَطِ ، وقائل قد ملكه سلطان الفلأط ، وسأكت قد أفضى به الاعتبار
إلى الفُرْطِ . بل عجبى من حركة جانببت السكون ، ومن سكون صَحِيبَ كَوْنٍ
كل ما يكون ، ومن فن استدرج سائر الفنون ، ومن عين استوعبت أعيان

(١) كذا في الأصل مكررة .

(٢) السَّجَّتْ (يفتح السين وكسر ها) والسجاف (ككتاب) : السَّتر ،
والجمع سُجُوفٌ وأسجاف . وأسبل : أرخى .

(٣) الطُنْ (بضم الطاء) : بدن الإنسان وغيره ، والجمع أطنان وطنان .

(٤) ص : شاهد .

(٥) أى : ثابت ، من : وتب يتب وتباً : ثبت في المكان فلم يزل .

(٦) اشتمل : أشرف ، والقوم في الطلب : يادروا فيه وتفرقوا ، والإيل :
مضت وتفرقت مرحاً ، وشمعل : تفرق . يقصد : أن مستقر الألس قد تفرق
ولشتت .

العيون . بل عجيبي من اختلاف نُظْمٍ به كلُّ مؤتلف ، ومن اختلاف شتت كلِّ مختلف ، ومن منكر غيره كلِّ مترف ، ومن معصم نازعه كلِّ متترف . بل عجيبي من لسان مفتون بالعبارة ، وقلب ثاّء في أوائل الإشارة ، وحال استحالت بين الإمارة والأمانة ^(١) . بل عجيبي من شبح اخترع موجوداً ، واصطنع كرمًا وجوداً ، وزين بالتكليف ركوعاً وسجوداً ، [١٩٦] وطرح في بحر البلوى فناء ويودا ^(٢) . بل عجيبي من لفظ محملي بالزين ، ومعنى جلّ عن كيف وأين ، وعين أشكلت على كل عين ، وزخرف فنها الخبر بكل كذب ومين .

يا هذا ! الترتجان حاذق ، والرائد صادق ، وكلُّ الكل عن الكل ناطق ، وجميع الجميع بالجميع فائق ورائق . ولكن شاهد السمع غائب ، وحاضر القلب هائب ، وآمل المنى خائب ، والوقت بضروب أحداثه ثابت آئب .

يا هذا ! أندري من الذي علق عن الكون : وجل عن الصّون ، وأنى من وراء كل بحث دقيق ، واستخفى إشارات الألسنة بأنواع التكذيب والتصديق ؟ هو الذي علل الفائق بالفائق ، وأزعج هذه المعاني ؛ هو الذي إن ريم بالإثبات انتفى ، وإن حوّل بالبقاء صفا ، وإن لوطف بالطاعة شرف ، وإن كوشف بالسر أتلّف ، وإن وقف مع ياديه جرّ وعرّ ،

(١) الإمارة والامار (بفتحهما) : الموعد والوقت والعلم والعلامة .
والإمارة (بكسر الهمزة وقد تفتح) : الملك والسلطان .
(٢) مصدر من : باء يبيد ، يباداً ويبيداً ويباداً ويبيدودة :
ذهب وانقطع . وبادت الشمس بيوداً : غربت .

وإن تُعرض خلافه ضرراً ومراً ؛ هو الذى يريك حقائق الأشياء دون الحق
تخيلاً ، وبمزجك بحقائق الأشياء فيما فوق العقل تخويلاً .

يا هذا ! إن لحظات أمره أتعبك ؛ وإن شهادته إرادته عذبك ؛
وإن هتكت حجاب حكته خيرك ، وإن كابدت رقيب قدرته طورك ؛
وإن شهدت معانيه فيك أفرقك ، وإن أعرت نفسك من نفسك نفياً
أحزنك ، وإن أنكرته أبادك ؛ وإن أقررت به أعادك ، وإن توكلت عليه
أرادك ، وإن اقتبست منه أفادك .

يا هذا ! انظر إلى سحائب الحق كيف سكبت عجائب الودق ! وكيف
استوفى بصّادق الجبروت صفات انطلق ، حتى لم يبق في مذموم الكذب
ما ينافي تنزهاً عنه ، ولا في محمود الصديق ما يضاف تشبهاً به . بلى ! بقيت
عين مغرورة بمسالك النموع ، مع نفس قد احترقت بملاهب الضلوع ،
بين خيال إن لاح أضى ، وإن ثبت أفتى ، وإن خاب أغنى وأقنى .

يا هذا ! ارجع إلى لغات المطالبة بالشكر على إبراز جملة محشوة بالحياة ،
ثم انظر إلى حيرة العقل في رسم هذه الحياة . [٩٦ ب] ثم اعجب مما أصب
الكون من مادة الحياة ، فإنها لغات مختلفة مؤلفة على لسان قد قام خطيباً
بنشر أصحاب النعم ، وذكر فنون أصحاب النسيب . فإذا فرغت من ذلك —
وأثنى لك بالفراغ ! — ، وبلغت ههناك — ومن لك بالبلاغ ! — ، فالتفت إلى هاتف
الحقائق بالعجز عن مقدار الواجب في تصارييف ما بدا به ^(١) من عجائب
الإلهية ، فبهذا ونظائره تشرف على عيوب العبودية نعم ؛ — ومما يسرق ^(٢)

(١) ص : يدايه .

(٢) يقال : هو يسارق النظر إليه ، أى : يطلب غفلة لينظر إليه .

عينك ، وبتلك عليك أينك . فأما ما صرفه بالاختيار مقصوداً على الأخطار
والأقدار ، مردداً بين الجزع والاصطبار ، فذاك ما ليس للخلق فيه نظام
ولا نثار^(١) . نعم وأما ما سطا بمحافته مبادئ العقول ، وملك بالآية مطابقاً
للعقول ، فكشبه^(٢) يعز عن مشارب وهم الواهين ، وإن كان لأخ ما وقع
انطرب عنه موجوداً في مشارب إلهام الملهمين .

يا هذا ! لقد قصصت^(٣) أنرى منى ، فضلت خبرى عنى ، وطلت بها صحنى
على ، فما ازددت إلا نفوراً إلى . طلبته فوجدتنى ، فلما وجدتني وجدته لى ،
فلما وجدته عديمتنى . وسكت عنه فخيرنى عنه ، وخبرت عنه فسكتنى ،
وأعزته فأذلنى ، فلما أذلنى أعزنى . فلما شهدت البر برتى ، وعشقتة فوسمنى ،
فلما شكوت عنه تيممتنى . طواني فنشرنى ، وظهر لى فبهرتنى . وكونتى فحقتنى ،
ثم كاتنى^(٤) فحقتنى ، فلما حقتنى ، حق لى ، فلما حق لى ، حق حقه بعدم حق .
أبها القائل البائع ، والسامع^(٥) النائح ! كيف أنفك من وحدى بمن أوجدنى
وحدى^(٦) بوحدى ؟ أم كيف أعزب عن قصدى ، وقد وشحنى بقصدى
فى قصدى ؟ أم كيف أذل بجهدى ، وقد أمدنى فى جهدى بجهدى ؟ أم كيف
أنتجز^(٧) وعدى فى وعدى ، وقد وعدنى بخلفى وعدى ؟ أم كيف أهدأ

(١) النثار : ضد النظام . وهو مصدر : نثر الشيء ، ينثره (بضم الناء وكسر ها) .

(٢) ص : فكشبه . ويصح أيضاً .

(٣) قص الأثر ، قصاً وقصيصاً (من باب كتب) : تتبعه .

(٤) كان التزل : عزله . والمتصود أنه كونه .

(٥) والسامع : مكررة فى الأصل .

(٦) كذا !

(٧) تنجز الوعد : طلب إنجازَه .

في هَدْرِي وقد أفاني لما أفني وَرَدِي ؟ أم كيف أنهنأ [١٩٧] بوردِي^(١)
 وقد شغلني وفدي عما كان به رَفْدِي ؟ أم كيف أَرَوِي عَنْ فلت روايتي ؟
 أم كيف أَرَأِي لَن قد طاحت معه رَوِيَّتِي ؟ أم كيف أَرَوِي قيه ، وقد حَقَّ
 رَوِيَّتِي ؟ أم كيف أَرَوِي به ، وهو سبب ظمأى بَقْدَرِي ؟ أم كيف أَرَكُن
 إلى قولي ، وقد استهلك قيه معنأ ؟ أم كيف أفرمه ، وقد أبلاني بن هوسواي ؟
 بل كيف أصحَّبُ الذات ، وقد جهلت الصفات ؟ أم كيف أدعى جهل الصفات
 وقد ناولني السمات ؟ أم كيف أقف على السَّات ، وقد اشتبهت على السَّامات ،
 وضربت في تخليصها وتلخيصها بأحكام الشنات ، وحسرات النيات^(٢) ؟
 هيهات ! هيهات ! التبيست الخنات بالهنات ، وأمرجت اللغات باللغات ،
 وحصل انخلق في انخلق من الخلق على الفوات . نعم يا سيدي ! حدثني إن الحديث
 من الفَرَى^(٣) . كان من ذلك أني تعرّضت لأسرار الملوك ، وأمعنت في إدمان
 السلوك ، فأشرفت على أمواج بحار الشكوك . فإن قلت لي : ما الذي انتسب
 إليك من هذه الأهوال ، ولصق بك من تلك الأحوال ؟ — واجهتُك بوجه
 صفيق ، وناجيتك بلسان ذليق ، وقلت : بدا حتى تجلي للبصر ، ثم غاب حتى
 < لا > عين ولا أثر . فإن جحدت ما شهنتُ كابرَتُ العقل والعقل
 حُجَّة ، وإن حقت ما حكيتُ استحققت القتل ، والقتل يحنة ، وإن ملتُ
 إلى موقف ثالث طال بي المظل ، والمطل كربه . أتدري ما السر ؟
 السرُّ أن يحتاج كلُّك في كلك بتعزيق بعضك على بعضك ، ليكون قنأوك
 في قنأك طريقاً إلى بقائك في بقائك . وهذه وحق الحق لُفَّة مشكلة ،

(١) ص : : يوردني .

(٢) ص : : النيات .

(٣) الفَرَى كغنى ، يقال : هو يفرى الفرى : أى : يأتي بالمعجب في عمله .

وحال معضلة ، والقول بينهما مهمل - متى كان البقاء ثمرة الفناء ؟ متى كان البقاء سبيل الفناء ؟ أين المشرق من المغرب ؟ أين المنعم من المعذب ؟ أين الوجدان من العدم ؟ أين الحديث من القديم ؟ أين الثريا من النرى ؟ أين اليقظة من الكرى ؟ أين السماء من الأرض ؟ أين الطول من العرض ؟ أين العرض من القرض ؟ أين ما ليس له أين ، من عين أشرقت به كل عين ؟

يا هذا ! مَنْ طمسَ أعلامَ الحسّ وركبَ رواحل الأُنس ، لحقَ رقائقُ^(١) [٩٧ ب] الحمس ، وشهدَ ولأُمّ العرس - من استباحَ الجَزَع عن حِمَى قلبه ، فليلتحى إلى من هو صُوْبُه بعينه في غيبه^(٢) . من انسلخت نفسه من نفسه ، فقد ظفرَ بغاية أنسه . من انتفى عنه عِلْمُ الغيب بقوادح الرّيب ، فليستأنف أوائل التوحيد ؛ من شهدَ مُعَاجِزَةً في مطالبه ، فليزِم حدود العبيد .

يا هذا ! ذهبَ اللَّفْظُ المَسْقُ ، فباتَ الآنَ المعنى المُحَقَّق . طالَ القولُ المُزِين ، فحصلَ المرادُ المُعَيَّن^(٣) . كَثُرَتِ العبارة ، فحَقَّتِ الإشارة تَرَدُّدَ الِهْدْيَانِ ، قَرَّبَ أنتَ البيان .

يا هذا ! اغتربَ عن وطنك المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق ، وإن كان قد اتصل به التلويح ؛ وثِقْ بأنَّ مَرُوءَى ذلك المكانَ أَشْرَفُ من مَرُوءَى هذا المكان . والسلام !

(١) رفض الإيل : تركها تتبدد في مراعاها ، فهي رافضة ورقص (ويحرك) ، وجمعه أرفاض . وهنا جمعه على رقائق .

(٢) أى من هو قُبَالته هو بعينه ، في غيبه ، أى في عالم الغيب ، و « هو » تعود على الله .

(٣) عَنَ السَّكَّابِ وَعَمَّنُونَهُ : كتبَ عَتَوَانَهُ . وعَدَهُ : جعلَ له عَتَاثًا . أى المراد المحدود المقيد المعين ، لا الممتد الواسع .

رسالة (بلج)

أفاح الله لك من غيبه ما لا يعلم به أملك ، وصرف عنك كل ما يحول بينه وبينك ، ولذلك بخطابه إذا ناجاك . وتتمك بنعمته إذا خصك . وجعل ظاهرك ^(١) ينطق عنه تحقيقاً ، وباطنك يوقن به تصديقاً . ورقاك إلى ذروة خاتيات ^(٢) الحق ، فيها تصنيك ، وأحكامه تتصرف فيك ، وأنت في خافي ذلك وبأديه تشهد آلاءه شاكراً ، وتتقلب في أشملها شاكراً ، مسلماً وصابراً .

كتبتُ إليك في أواخر شهر رمضان ومُستقبل العيد عن حال ذات ألوان ، ما أرضاها مكتومةً عندي لما أعرف من غوائلها وُيرحائها ، فكيف أرضاها مكشوفةً عندك بغلوائها وعُدوائها ^(٣) ؟ وإذا لم يكن إلى كتابها في خواج الصدر سبيل ، ولا على الإفضاع على علائها دليل ، فلا أقل من ذكر بعض فنونها بالكناية التي ، إن لم تشف غلة ولم تُرَد فزاداً ولم تمتع روحاً ، فإنها تؤنس نفساً قد أشقت على العطب ، وتُجبر أركاناً قد تصلحت ^(٤) بالتعب والنصب . فمن أوائل تلك الكناية أني قد قابلت العيد بصباية لا ينادى وليدها ، وترحة ^(٥) لا أطلع فيها يبلى جديدها ، وغرام كلما خمدت ناره ، [١٩٨] وسكن أواره ، ردّفه ^(٦) ما ينسى الأول ويُذهل عن المستقبل . وما أحسن ما قال الأول :

(١) ص : ظاهرتك .

(٢) العلية (بضم الهمزة وكسر ها) : العرفة ، والجمع : العلال .

(٣) العداء : المركب لا يطمئن من قعد عليه ، الشغل يصرفك عن الشيء .

(٤) حلحلة : إزالة عن موضعه .

(٥) وتقرأ أيضاً : ورحة .

(٦) أي : تبعه .

«وَكَمْ تَجَرَّعْتُ مِنْ غَيْظٍ»^(١) وَمِنْ أَسَفٍ

إِذَا تَجَدَّدَ حُزْنٌ هَوَّنَ الْمَاضِي

وَكَمْ غَضِبْتُ ، فَمَا بِالْيَمِّ غَضَبِي

حَتَّى رَجَعْتُ بِقَلْبٍ سَاخِلٍ رَاضٍ

- والمعجب من رُوحٍ تصر على هذا العذاب الآليم بلا تنفيسٍ يعتقب ، ولا تأنيسٍ يرتقب . وكيف لا يكون حالى هكذا وحيدى هاجرى ، ومن أهم بهواه سال عني ، وقد بقيت مرجوماً من أعزتي ، كما صرت مرجوماً من أحبتي !
فها أنا أقول :

لِبَيْتِي الْعَبْدُ : مَنْ لَهُ وَطَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَمَنْ لَهُ سَكَنٌ

وَمَنْ لَهُ الْآهْلُ وَالْبَنُونَ وَمَنْ بِلَادُهُ مِنْهُ مَثَرٌ قَيْنٌ^(٢)

لَا الْمُفْرِدِينَ الْمُطَرِّدِينَ وَمَنْ يَعْتَادُهُ الْهَمُّ فِيهِ وَالْحَزَنُ

وَقَدْ قَطَعْتُ جَدَادًا لَا أَلْبِسُهُ^(٣) فِي هَذَا الْعَبْدِ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَيَّ بِالْحَدِّ^(٤)

وَالْحَدِيدِ ، وَبِالْعَذَابِ الْآلِيمِ الشَّدِيدِ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَمْشِي إِلَى الْمُصَلَّى شَاخِبَ

الْوَجْهِ ، غُرَابِي الشُّعَارَ ، رَاغِمَ الْأَنْفِ ، نَاكِسَ الرَّأْسِ ، كَالِيلَ الْإِنْسَانِ ، خَافِضَ

الصَّوْتِ ، ظَاهِرَ الْاِسْتِكَانَةِ ، — لَرَأَيْتَ مَنَظَرًا يُبْسِكِي الْعَيْنَ الْجَامِدَةَ ، وَيُجْرِّكُ

الطَّبَاعَ النَّاسِيَةَ ، وَيَبْعَثُ الرَّحْمَةَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ : أَمَا مِنَ الصَّدِيقِ فَبِحَقِّ الصَّدَاقَةِ

(١) ص : غَيْظٍ .

(٢) قَيْن : قَرِيبٌ .

(٣) كَذَا : وَلَعَلَّهَا : لَا أَلْبِسُهُ .

(٤) الْحَدُّ : مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ الْغَضَبِ وَالتَّرَقُّقِ . الْحَدِيدُ : بِمَعْنَى الشَّدَةِ .

والملاح ، وأما من العدو فيفرط ألم السقام والفرح . ولو سمعتمني وأنا أنشد
قول الأول :

قالوا : سررت بيوم العيد ؟ قلت لهم :

ولا علمت به ، والواحد الصمد

لما تيقنت أنني لا أعينكم

غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد

— لعنيت . فكيف يكون حال من هو في عيده محزون ، ومما تقدم

من جرائره ^(١) خامل مدفون ، وفي جميع حالاته مقتون مضنون . قد تضاعف

في عيده بلاؤه ، وزاد عناؤه وشقاؤه ، وأدهى مما به وأمر أنه لا سامع

لشكواه ، ولا ناصر لبلاؤه ، ولا مقبل عليه في نجواه . قد خذله [٩٨ ب]

أنصاره ، وأسلمه أحيابه ، قد ترك غريباً ، فريداً وحيداً حزيناً مبهوتاً

سليماً ^(٢) . فهو بين هذا الجمع الكثير مُشكراً ^(٣) على عرفانه ، وساكناً

على بيانه . إن نظرَ نظرَ من طرف خفي ، وإن نطقَ نطقَ بلسانٍ عربي ، وإن همَّ همَّ

بقلبٍ مَسِيٍّ ، وإن همضَ همضَ بكاهلٍ مَأْوَى ، وإن حَسَرَ حَسَرَ ^(٤) بطباع

غَوَى ، وإن أَوَى أَوَى إلى رُكنٍ وَهِيٍّ ^(٥) . فهذا حديثي ومثالي ، في عيدي

(١) جمع جريرة : ذنب .

(٢) السليب : المستلب العقل .

(٣) ص : مشكر . وشكر : حُسْن . فالمعنى أنه محبوبوس على ما يعرفه ،

لا ينطلق به بين هذا الجمع الكثير .

(٤) حَسَرَ (من باب قعد) : أعيا وكلّ وتعب .

(٥) وَهِيٌّ : واهٍ ، ضعيف .

وجالى ، لا جرم قد جعلت الشجوى سريالى ، والكآبة عصابتى ، والوهم
— لوم النفس — درونى ، والاستعانة بالتضرع حالى :

ليس عيد الحب طوق المصلى ووقفاً بالجمع والوجدان

بل عيده أن يتوارى بحاله ، ويسحر بما دفع إليه من زياته ^(١) ، ويعتر
إذا خطا بأذيله ، ويمسح عينه بطرف كفه ، ويتخلى بهمة ^(٢) وسمته ^(٣) ، ويرفع
إلى حنينه كبدته المحترقة بحبه ، ويمرض عليه ما أضر فيه من عتبه ، ويسأله
الإقالة بما استمر به من خطبه . فاعلم إن رُحِمَ في أمره انكشف الغطاء
عن قلبه ، وانحلت عنه عُقْدَةُ كَرِّهه . ثم ينشد :

الناس عيدٌ ، ولّى عيدان قد بُجعا :

١٥ وجه الحبيب ويومُ الفطر إذ حضرا

فالحمد لله — شكراً — لا شريك له

إن المزيّد كعرجو لمن شكرا

فطوبى لهذا البائس المسكين ، ولهذا الغريب المستدين ، إن فاز بمعية
نفسه ، ووجد ضالته في أسفه ، وذهل عما مرّ على رأسه في أمسه ! والله في غيب
سره وسر غيبه فنون الخلق فيها يضلون ، وعن كَلِّ حَرْفٍ منها يعجزون ،
١٥ ويسألون ذلك كله ويستسلمون . وإلى مع ما وصفتُ به شأنى بأول قلبي
لقوى الرجاء ، سمينُ الأمل ، بعيد الهمة . وما ذاك بي إلا من قبل من أنا إليه

(١) زايلة مزايلة وزايلا : فارقة . وسحر كنع : تباعد . وزايلا اسم بلد ،
ذكره التوحيدى نفسه في رسالته « في الصداقة والصديق » (ص ٤١ س ١٦ ،
س ١٨ ، نشرة الجوائب ، قسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ) ، لكن لا نحسبه
يقصده هنا .

(٢) أى : يخلو إليهما ، والهم : الحزن . « السهم » كناية عن المصيبة وما في معناها .

مُشَوِّقٌ ، وعنه مُعَوِّقٌ ، ويحبّه مُطَوِّقٌ . فإذا حَرَكَ رجائي ، فقد أراد خلاصى
من بلائى ، وإذا بعث أُملى ، فقد عرضنى لزلزال على . وقد أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ
حَقِيقَتى ، ونشرت عليك طَوِيقَتى ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا [١٩٩] بَرَقَةُ الصديق
للتصديق ، وأجبنى عنهما بما يدل على الخالصة والتحقيق ، وتجنب معى استقالة
الأغنياء واستقالة الفُكراء ^(١) ، واسلُكْنِ طريقَ الأخلاء الأوداء ، وخاطبْنِ
بلسان البُلغاء والحكماء حتى أفهم عنك إرادتك ، وأخذ منك بالشكر زيادتك ،
لأَهَبَ ^(٢) نفسى غاية العمرالك ، وأريك من حاضرى وغائبنى مساعدة نفسى
معها ذوى الأرحام المتأصرة ، وتعجب منها مع هذه الأحوال القاصرة عن الغايات
التي إليها بَكَرَ المُبَكِّرون ، وبسببها هَجَرَ المُهَجِّرون ^(٣) ، وعنهما أخبر الغُفَّرون ،
وعليها نُظِمَتِ الحدود وتُرِفَتِ العيون .

وامرُج عتابك بالرضا لاسلم على جهر النضا . وإذا أمرتنى بأمر ، فاستعمل
الرفق حتى يَخْفُ عَلَى امتناله ، وإذا نهيتنى عن شئ ، فلاطنى حتى ليسارع
استعماله . وصِفْ لى أيضاً مَنْ حَالَكَ مَا أكون بمعرفته شريكك ، وأحمد الله
على ما وهب لى من شفقتك ، واذكر لى كيف خرجت أنت إلى هذا العيد ،
وَمَنْ صَحَّيْكَ مِنْ خَلٍّ ووديد ، وهل خطر ببالك ما أنشأت هذه الرسائل
له من بعيد ، أم غير ذلك مما يجوز أن يقف عليه منلى من العبيد . فبالله
إلّا صدقتنى إذا خاطبت ، وشفيتنى إذا كانت ، وأبقيت على إذا عاقبت ،
وقصدت نصحى إذا قاربت ، وآثرت نجاتى إذا باعدت ، وطلبت فى الجملة

(١) كذا : وحينئذ لعل المقصود أن تكون جمع : فكثير كسكيت . أو لعلها
محرفة وأصلها : فقراء ، بدليل قوله : الأغنياء .

(٢) ص : لواهب .

(٣) هَجَرَ القوم : ساروا فى الهابرة .

إنشأ^(١) ، فقد اكتنفتني الوحشة ، وبليت كبدى بندى قولك فقد
 ذبحتني العطشة ، ومهما أتيت في أمري شيئاً فلا تدعني من يدك ، ولا تخلفني
 من وعدك ورفدك ، ولا تقصم ظهري بإعراضك ، ولا تضيق صدري بانقباضك .
 وثق بأن قد سرحت لحظاني إلى ما يرد من جهتك ، ولا قرار لي دون ذلك ،
 ولا صبر عندي إلا بعد أن تعيد وتبدي علي من فضلك وإفهامك ، فقد
 علمت أنك كهن في إذا أوتيت ، وشمسي إذا أصبحت ، وقرى إذا أمسيت ،
 ونجوى الذي أهتدى به إذا ضلت ، ومسرّة نفسي إذا اغتممت ، وقرة
 [٩٩ ب] عيني إذا اهتممت ، ونفاسي إذا انتثرت ، وناصرى إذا انتصرت ،
 وحاضرى إذا غبت ، وظاهرى إذا بطنت ، وما رزقتك إلا بدعاء البحر ،
 وإلا^(٢) بلحج والنسك ، وإلا بالتضرع عند العظيم^(٣) وزمزم . أفاغفل
 عن نعمة الله على بك ، وأسألو عن شكر الله على ما منحنى منك ، وأذهل
 عن حظي الناصر إلى بعرفتك ، وأكفر بسالف إحسانك وفضلك ، وأحرم
 نفسي ما أنتظره من غيد من تأييدك ونصرك ؟ هذا ما لا يكون ، ولا تطيف
 به الظنون ، ولا يجهله المعتوه المجنون . إني بك لنني ، وفيك هائم ، وعليك
 متوكل ، وإياك أطلب جدتي واجتهادي ، وإليك أبادر مع كل هادٍ وحاد ،
 ١٥

(١) ص : السالى . ولم تهتد إلى وجهه الدقيق ، فأصلحناه كما ترى بمعنى :
 انشأ ، أى إقأذى .

(٢) ص : ولا .

(٣) العظيم : حجر الكعبة ، أو جواره ، أو ما بين الركن وزمزم والمقام ،
 وزاد بعضهم الحجر ، أو من المقام إلى الباب ، أو ما بين الركن الأسود
 إلى الباب إلى المقام حيث يتعظم الناس للدعاء . وكانت الجاهلية تتحالف
 هناك .

وبفضلك أتحدث في كل مقام وناد . وهذا قليل فيما تستحقه علي ، وتستوجبه
لدي ، لأنك تخبرني عن البناء العظيم ، وتدُلُّني على الصراط المستقيم ،
ثم لا ترضى لي حتى تداويني عند كل داء بما يحسبه ، وتقابلني عند كل أود
بما يقوِّمه .

٥ إذا وجدتني متبالكا في الوعد عدلتني بالوعيد ، وإذا وجدتني سادرا
في الموائق جذبتني إلى الدواهي . وإذا وجدتني أغيب عن حظي بالعادة
أشهدتني فائتي بالحضور . وإذا وجدتني أهذر في القول قرنتني بالعمل .
وإذا وجدتني أجهل قدرى في أمرى ، عرفتني بجهولي في السر والجهر :
في سر لا يطوئ عني فيه النصيح ، وجهر لا بأس لي فيه من التثجج . فمن
لي بمنك ؟ ومن لي بمن يقاربك ؟ أنا أهلك من بدى ، وأسلو عليك وعلى
معي ؟ هيهات ! هذا ما لا يكون ، ولو كان ما كان له كون به يدوم .
أنا - أكرمك الله - إلى نظائرهذه المشافهة^(١) [فهو] مرتاح ، ولستكني من التنكيل
عليك مرتاع ، وبقدر ارتياحي وارتياحي أقدم بين يديك في مخاطبتك
محتاجا ، وأتأخر عنها محتاجا . وإذا حدثت لي في معروف ذلك ومُنكره حيا ،
استظهرت لنفسى فيه بما يدنيق منك ، ويُخَلِّقني [١٠٠] بعينك ، ويجري
لي بالخير لسانك ، ويعرضني عليك ، ويُفيدني منك . وهذه حال اصطفاك
الله بها ، وأحوج غيرك إلى طاعتك في اقتباسها . والله الشكر على ما أفردك به ،
واستفدك له ، وعلى ما جعل لك إليك من تقويم كل رايغ^(٢) ، وتعديل كل
رائغ ، وتهذيب كل قائل ، وإغناء كل سائل . وهذه درجة الأنبياء الذين هم
بين الله وبين الخلق ، فهناك الله هذه النعمة بالنعم فيها ، وخفف عليك

(١) كذا في الأصل بهذه الزيادة !

(٢) رايغ الرجل : كان فالجراً ماجناً ، فهو رايغ (ككشف) .

إمدادنا ومعونتنا بها . فإننا إلى ما نصل به من جهتك محتاجون ، ولما يصل إلينا من برك وتفضلك شاكرين ، والله فيها خولنا من هذه المودة والمساهمة حامدون . فإن رأيت أن تتصدق علينا بزمانك الذي فيه يمكنك جوابنا متفضلاً بما يريك الله في أمرنا في التوجع لنا إذا أصبنا ، وفي التنبه لنا إذا غفلنا ، وفي شحذ بصائرنا إذا أكلت فينا ، وفي الأخذ بأيدينا عند عثرتنا ، وفي الاهتمام بنا إذا رفقنا ظلاماتنا — فقلت إن شاء الله .

أيها الطالع علينا من بلك النارح ، والمستحث على ضعفنا بالبارح والسابع ! أما تعجب من رقة هذا اللسان المشكل الواضح ؟ أما ترغب أن يكون لك منه نصيب راجح ؟ فإن حركتك همتك إلى هذا حشقت^(١) إليه ، ونزعت بك النية إلى هذا الذي أقبلت بك عليه ، فخذ أهبة ذلك .

أتدري ما الأهبة ؟ هي أن تُجِدَّ العزيمة في نفسك من قاذورات هذه الدنيا ، ثم تصل العزيمة بالصريمة^(٢) في الصبر على واردات البلوى ، ثم تُطَهِّرَ بباطلك نفسك ، ثم تَسْرِبَ بباطنك لظاهرك ، ثم تعتمد إلى الحق معتمداً ، وتناثر على العمل معتمداً ، وتُظْلِفَ^(٣) نفسك عن شهوات المرأى والمسمع مجتهداً ، وتجعل الهم كله هماً واحداً ، فإن صاحب الهوم الكثيرة مُسْتَنَت البال ، ضعيف التحيزة^(٤) ، مغلوب بأول رايق^(٥) من الدنيا ، مخدوع عند أول سائح من الهوى . وصاحب الهم الواحد ، عاضد على التاجد صبور عليه صبر

(١) حش الصيد : ضيقه من جانيبه .

(٢) الصريمة : العزيمة .

(٣) ظلف نفسه عن الشيء (يظلفها ، من باب ضرب) ظلفنا : كف عنه .

(٤) التحيزة : الطبيعة .

(٥) رايقه في الأمر : أوقعه فيه .

المساجد ، ومتلذذ به [١٠٠ ب] تلذذ الواحد . وهذا واضح عند من له خبرة
يسيرة ، وتجربة قصيرة . أغنى أن الإنسان يعلم بأدنى تماسك يرجع إليه ،
وأقل سبب من التمييز يتعلق به ، أن الهم إذا كان واحداً تلاحت به القوى ،
وساعد على رفقته الله ، وقدر صاحبه أن ينجو من كرب إذا كرب .
ومن وائب إذا وثب ، لأن الشكيمة تشتد في الدفع ، والروية تمتد في الامتناع .
فأما إذا تشتت الشئ في أودية الأمانى ، وضل الرأي في اجتناب الشهوات ،
وكل الحدة عن مقاومة المخادعات ، فإن الإنسان يؤق عند ذلك من مأمنه ،
ويؤخس في مأمنه ، ويفقر أغنى ما يكون في حسابه .

اللهم إنا لا مقصر لنا عنك ، ولا مطلب لنا دونك ، ولا مذهب
لنا وراءك . فبحرمة ذلنا في حاجتنا إليك إلا أعزتنا بالوصول إلى حضرتك ،
وفككتنا من أيدي خلقك ، وكنت لنا بفضلك ، وعنت علينا برحمتك ،
يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (لد)

اللهم إني أشكو إليك شاهداً جَدوعاً ، وضائباً مقطوعاً ، وحالاً بين هذين
لَسْنَا نَفَكُ مِنْهَا نُزُوعاً ، ولا نستسهل عنها رجوعاً ، ولا نجد لأنفسنا فيها
خشوعاً ولا خضوعاً .

اللهم فاجمع هذا الشَّلَّ المُبَدَّد ، واكفنا مؤونة هذا اللفظ المُرَدَّد ،
بلمعنى المقوم المستد ، وإعنا نعيد السؤال ونكرره لعلنا بأنتك القادر الممجد .
اللهم إنا كما نعجز عن وصفك بما أنت أهله ، نستحي أن نسألك
ما نستحقه . ولولا أنك نمحرك منا الساكنات عند التوجه إليك ، وتُسكن منا
كل متحرك عند تعظيمك وإجلالك ، لما كنا نتذبذب هذا التذبذب

في هذه الأحوال المختلفة بالميان ، ولا كما تسبب^(١) هذا التسبب
في هذه الأمور الملتبسة بالي والبيان . وكُنَّا بِكَ ، لَأَنَا لَكَ ، ومَعَكَ ،
لَأَنَا مِنْكَ ، وعلى كل وجه فاليك المفعول ، وإلى بابك المرجع . [١١٠١]
فانف عن رجائنا حوائم^(٢) اليأس ، واصرف عن حاضرتنا وظائنا خوالب
الوسواس .

يا هذا ! قد طال تشري عليك مطوي هذه النصبة بضروب من العبارة ،
وصنوف من الإشارة ، رغبة في شغل تبتدئ منك ، وطعماً في نجاسة
تنطق عنك ، ونظراً إلى إثارة الحق في ستر يطالع عليك ، وأنت على طينتك
جامد لا تذوب ، وخامد لا تتهب ، وراكد لا تهب ، وميت لا تتحرك ،
وباهت لا تبصر ، ونشوان لا تنيق ، وكثير لا تتوحد ، وكبير لا تصفو ،
ومقبض لا تنبسط ، ومدعور لا تحضر ، ومسؤول لا نجيب ، ومنصوح
لا تقبل ، وغاد لا تروح ، وثاقل لا تنوح ، وكاتم لا تبوح .

يا هذا ! لا تُرْع^(٣) ، فإقربني منك ، وما أشبهني بك ، وما أشد انخراطي
في سلكك ، وما أسفرني عن نقابك ، وما أسكنني في كهفك ، وما أظيرني
بجناحك ، وما أفوهني بلسانك ، وما أرثاني^(٤) بطرفك ، وما أحلني لقتل مثل
ثقلك ! نسكني ممتحن من باب آخر فقد كفيته وغنيت عنه ، وهو أني
مستنطق بما إن خالفت فيه كان دماري ، وإن استحققت به كان وبلي منه .
هذا بعض حديثي على تقطعه وانبتاره ، وباب من شأني على تشعبه وانتشاره .

(١) تسبب الماء : سال .

(٢) ما يحوم .

(٣) فعل أمر من : أزعج : خوّف .

(٤) أقل تفضيل من رثا برثو بطرفه : أدام النظر بسكون الطرف .

فما بقى في ديوان قصتي أن قيل : يا هذا ترحزح عن هذا المكان خليلاً حتى تتناجى بلغة أخرى ، وتنهذى النصح بها على طريقة هي أولى بنا وأحرى .

من استأذن على الله أذن له . مَنْ قَرَعَ باب الله دخل ^(١) . كيف تنتفع بالنصيحة ، وأنت مقيم على الفضيحة ! خَوْفُ اللَّهِ جُنَّةٌ من كل كارث . معرفة الله روضة من رياض العقل . ما أنطق الليل والنهار [و] لو استمع إليهما وفهم عنهما ! كم من عقل أسير عند هوى أمير ! الجدل في الدين مَطَرْدَةٌ لليقين ! الاتباع خير من الابتداع ! الابتداع أخطر من الاتباع ! النية عِرْقٌ ، وأخضر شجره ، والعمل به ثمرته . الشريعة مأدبة الله [١٠١ ب] للمباد . السُّنَّةُ حلية الديانين . التوحيد حياة النفس . المعرفة الفوز بالقدس . من تبع هواه فقد عبد غير الله . أَكْرِمَ نفسك ما أعانتك على طاعة الله . أَهِنْ نفسك ما عافتك عن خدمة الله . الويل لمن ضاقت رحمة الله — مع سميتها — عنه . لك من الله نسبٌ أصحُّ من نسبك إلى أبيك ، فاحفظه فإنه ينفعك . إذا ضللت عن حكمة الله قف عند قدرة الله ، فإنه إن فالتك من حكمته ما يشفيك ، فلن يفوتك من قدرته ما يكفيك . سَقُ عقلك إلى ملكوت الله ، ولا تُفحصه في جيروت الله . إذا استأثر الله بشئ ، فالله عنه . إذا تَلَطَّختَ بمار فارخصه ^(٢) عنك بالإثابة . أنت بين هادٍ يقودك وحادٍ يسوقك ، فقيمَ تثبطك وتبَطِّؤُك ؟ ليس للغواية غاية تقف دونها جهنمك . لا تحكم عن نفسك إذا غبتك ، ولا بغضها إذا أرشدتك . اجعل الجَدَّ كله في إعداد الجواب . يوم المسألة تُعْرَضُكَ لبقاء الأبد . رَبُّكَ يحسن اختياره لك ، فلا تتعرض أنت لفناء الأبد

(١) فيه التفات إلى ما ورد في إنجيل لوقا ١١ : ٩ .

(٢) رَحَضَ الثوب يرحضه (من باب فتح) رَحَضاً ، وأرحضه : غنله .

بسوء اختيارك لنفسك . من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه . من صلح مع الله لم يفسد مع غيره . من حارب الله حُرِبَ ^(١) ، ومن سالم الله سَلِمَ . أَصْدَقُ الكلام كلامُ الله . كيف ينجو من الله طالِبُهُ ! كيف يضيع مع الله كَافِلُهُ ! ما أقرب العبد من الله إن فطن لما فيه ! الله عندك ودِيعَةٌ ، فأحفظها وتوسل إليه بها ^{٥١} .

المعرفة مصباح القلب . التوحيد نورُ الله في قلب العبد . التوكل حصن المؤمن . الوجد حقيقة الحال . العقل رسول الحق . الظلف ^(٢) غُرَّةُ النفس . الظرف عنوان الظهارة . الصمت روضة الفكر . اللفظ ثمرة الإرادة . الإرادة تصوّر القلب . الأريحية هبة الكرامة . الكناية همس الفؤاد . التصريح بروز المراد . العمل شعار البدن . العلم شعور الروح . الوصف تبيان الموصوف . الموصوف ^{٦٠} غاية الوصف . [١٠٢] الخطر التنزيه عن الدنس . الإباحة علم التصرف في الملك . الطمع رق ، لكنه خداع ؛ واليأس عتق ، لكنه قطع . العقل صمود ، ولكن إلى أعلى عِلَين . والهوى حدود ^(٣) ، ولكن إلى أسفل السافلين . يا هذا ! مرّ أيضاً هذا الفن فلا والله أن أدري كيف انتشاك به ، وكيف ارتشاك له ! وكيف انتعاشك عليه ، وكيف انتعاشك منه ! فإن كانت الغلبة لروحك اللطيف ، فلا شك أن حظك من كل ما يمرّ هو الحظ الشريف . وإن كان الحظ لبدنك الكثيف ، فلا شك أن حظك من جميع هذا الحظ اللطيف . فاسترسل الآن في نفسك باحثاً عن أمرك وخبرك ، فمساك تظفر بمرادك ونظرك وعبرك ، فإنك ملك في ملك ، فانفض الملك ناشراً ، وانشره

(١) حرب (بالبناء للمفعول) الرجل ماله : سلبه .

(٢) الظلف : الزهادة .

(٣) حدّر يحدّر (بكسر الدال وضحا) حدّراً وحدوراً : نزل وهبط .

نافضاً ، وقابله مديراً ، ودأبه مقابلاً ، وبأسره معاسراً ، وعاسره مياسراً .
وتتلب طالباً ، وتطلب متنبلاً . فإنك تصمد باختلاف هذه الحالات في سلاليم
هذا ^(١) العالم المنضود بالحكمة ، المنظوم بالقدره ، المتقوش بالزينة ، المزين بكل
حلية مخزونة .

يا هذا ! مداراتي لك مداراة لنفسى ، دعائى لك استكانة منى ، واستكائى
استجابة إلى حظى . فاستجابى إلى حظى بلوغ إلى غايى ، وبلوغى إلى غايى
فوزى بمن أنا به وهو لى . — إذا بلغ اللفظ هذا الجذ ^(٢) ، فالرأى البرى من العاهة
السليم من الآفة ، أن تداول ^(٣) بالسكوت الذى هو أعطى للكشوف ،
وأكنى عن المألوف ، وأعنى بالمعروف . تأمل مخزون قول بعض العارفين ،
فإنه قد هتف بشأن عظيم عن محل فى أعلى عليين . قال : إذا رأيت الله عز
وجل يؤنسك بذكره ، ويوحشك من خلقه ، فقد أراذك . وإذا رأيت يؤنسك
بخلقه ، ويوحشك من ذكره ، فقد طردك . وقال آخر : يا تخبأ بالآخرة !
أبشروا بالآرباح الفاخرة ! لا تتمر الدنيا دينك فإن من مهر ^(٤) الدنيا دينه زفت
إليه بالندم والسقم والآلم . وقال آخر : تحية ^(٥) العارفين [١٠٢ ب] تحية
المرضى ، وتومهم نوم الغرقى ، وندمهم ندم الهلكى . وقال آخر : من دواعى
المقت ذم الدنيا فى العلانية ، واغتنامها فى السر . يا هذا ! انظر فى كم مرة

(١) ص : هذه .

(٢) كذا بالجيم ، ولعل صوابه بالخاء .

(٣) أى تتداول .

(٤) مهر المرأة بمهرها (بفتح الميم وضها) مهراً ، وأمهرها : أعطها ،

أو جعل لها مهراً .

(٥) أو : تحية .

قد علمتكم ، وفي كم بساط قد خطيتكم ! وكم ثمرة عرضها لك ، وبكم جهده
لاطنتكم ! وبكم عبارة شافيتكم ! وبكم ضرب علمتكم ! ومن كم وجه أردت
انظروا بك ! وفي كم طريق سلكتكم ! وعلى كم ثنية أطلعتكم ! وفي كم بحر
غسلك ! وأى شمس أطلعت عليكم ! وأى كثر أحضرت بين يديك !
فبادر إلى حفظك ولا تلو على غيره فإن النفس وإن كان ممتداً فإنه مرتد ،
و الزمان وإن كان متصلاً فإنه منفصل ، والوقت وإن كان مساعداً فإنه خاذل ،
والكتوم وإن كان جلداً ^(١) فإنه باذل .

يا هذا ! الحركة في نوع السكون ، والسكون في هيئة الحركة ، وأنت
بينهما مطحون على رفق ولين ، وليس لك عنهما مفرج ، ولا إلى غيرها
مفرج . فخذ بحطام نفسك إلى غايتك ، فلا شقيق لك ولا رفيق ، وكن كما قالت
البدوية لما وضعت ذات بطنها ، ولم يكن لها من يعينها على شاتها : « تخرسي ^(٢)
يا نفس لا تخرس لك » أي ^(٣) : اصنى الخرسة بنفسك لنفسك ، فليس لك
من يتولى ذلك على المادة القديمة .

يا هذا ! ارفع طرفك . أجل فكرك . أطل اعتبارك . اصلق نفسك .
اعبد ربك . انجر غاشك . أطلع نصيحتك . طهر سرّك . ارقب رسولك .
أصلح فاسدك . ألم شعك . جدد خلقك . جرد نيتك . هاجر إلى مولاك .

(١) الجلد (بسكون اللام) : الشديد القوى .
(٢) الخرسة والتخرسة : طعام النفساء نفسها . وتخرست النفساء :
انخفضت الخرسة لنفسها . وقوله : « تخرسي يا نفس لا تخرس » (وفي الرواية
الشائعة : تخرسة لك) ، هو مثل يضرب في قيام المرء بحاجة نفسه إذا لم يكن
من يقوم له بها .
(٣) ص : آتى .

باين شهوتك . عاد شيطانك . أجب داعيك . إرّع راعيك . قدم زادك .
كثر عتادك . ثبت أياديك . وثّر وطائك . كثف غطاءك . افهم وقهم .
واعلم وتعلم . وبين وتبين .

اللهم صل التوفيق بقولنا ، والتصديق بعملنا ، والتحقيق بقلوبنا ،
ولا تكلنا إلى حولنا وقوتنا ، ولا تحمل بيننا وبين ما يقرّبنا منك ، ويدنينا
من بابك ، ويحيرنا من عذابك ، [١١٠٣] ويهدي إلينا رضوانك ، ويُفيض
علينا غفرانك .

يا هذا ! أرو^(١)د فالأمر غريب ، وارفق^(٢) فالكأن عجيب ، واتخذ الصبر
جنة فانطلق عظيم ، وقل الحق فالسرّ كريم ، واسبح في بحر الأحوال فالساحل
بعيد ، وتشبّث بالمهادي فإنك منعيد .

يا هذا ! إذا ترنّموالك بضمير التوحيد على ألحان المعرفة فاشخص
عن مكانك ، واشتق^(٣) إلى معانك ، وانقطع عن أقرانك ، واسلخ عن شأنك
في شأنك . وليس يكمل لك هذا الرأي ، ولا ينصح في نفسك هذا النصح ،
حتى تفسر جملتك قشرا ، وتفسر تفصيلك نشرا ، ثم تطوى معنالك طيا ،
وترتد عن غميك شيئا فشيئا . وما أهون هذا التدبير بالوصف ، وما أسهل
هذا الإرشاد باللسان ، وما أغزر هذا العذر بالقرض ، وما أغز هذا المراد
بالعرض ! هاجت الأسرار ، وماجت الأحوال بين الإراد والإصدار ، ووزن
كل شئ بالاختيار والاضطرار . سقى الله ليلاً كان يلتقي طرفاه على زف^(٤)

(١) تحتها في الأصل : أورد . والأول هو الصحيح ، فقوله : أرو^(١)د إرواداً
ومرو^(٢)داً ومرو^(٣)داً ورويدا^(٤) ورويداء — في السير : رفق وأثاد وتمهل .
(٢) الممان : المنزل .

(٣) الزف : الصغير من الريش . أولعل أصلها : الرّف ؟

بنات الصدور من معادن الغيث بوسائط العلم على بساط الحقيقة . بلا قَدَى
من قاذٍ^(١) ، ولا شوب من شائب ، ولا هم من هام ، ولا نَبْر من نابز ،
ولا هَنوة من هاف ، ولا ضجرة^(٢) من جاف ، ولا وَهم من واهم ، ولا ضربة
من ساهم . ما كان أحلى تلك الشوائل عند اختلاف الحركات ! وما كان أحلى
تلك التوائل عند ائتلاف السكنات ! وما كان أحلى تلك القُلل عند تناول
الثمرات ! وما كان أشقى لتلك الغُلال مع تواتر الوَصَبات ! وما كان أضوأ تلك
الوجوه عند المباسم المُنوسات ! وما كان أسعد تلك القلوب عند اتصال
المُبَشِّرات !

يا هذا ! الزم سمتك في سيرك ، وزد في تشمير ذيلك ، وواصل نهارك
بليلك ، واقفه عن مجاورك ، وأبه^(٣) لمجاورك ، وتحصن من نفسك في نفسك ،
وتبرأ من جنسك في بني جنسك ، واشهد الغيب وغيب عن الشهادة ، واحفظها
عند بروز الحق الذي إذا بدا لك أباد ، وإذا أحب أعاد [١٠٣ ب] وأفاد .

(١) القذى : جمع قذاة ، وهو ما يقع في المين والماء والشراب من تراب
أو تبن أو وسخ أو غير ذلك . قال صاحب « لسان العرب » : « وفي الحديث :
يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ ، وَيَمْنَعُ عَنِ الْجُنْدِ فِي عَيْنِهِ » ضربه مثلاً
لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويُعَيِّرُهُمْ بِهِ ، وفيه من العيوب ما نسبته
إليه كنسبة الجندع إلى القذاة . وهذا الحديث هو الآية المشهورة الواردة
في أنجيل لوقا (أصحاح ٦ : آية ٤١) .

أما قَدَى ، يقذى — متعدياً — فنادر ، أورد صاحب « اللسان » عليه
شاهداً واحداً هو قول الأصمعي : لا يصيبك مني ما يقذى عينيكَ (بفتح ياء
يقذى ونصب عينيكَ) .

(٢) ص : صخره من حاف .

(٣) من أبه يأبه (كفتح يفتح) أَيْبَاهُ لَهُ : فطن له .

وإياك وملابسك الكون فاتها تؤدبك إلى الفرقة والبهن . وعليك بالتجريد
والنفريد ، وعليك بهجران كل شيطان مريد .

يا هذا ! أتدري من شيطانك ؟ أنت شيطانك ، وأنت الذى مهبوت عنك
بعد ما بآوت ، وغربت بعد ما طلعت ، وبعثت بعد ما قرنت ، واستوحشت
بعد ما أنست ، واستبددت بعد ما استعنت ، قال أمرك إلى الخسر والضياح ،
ووقف حالك على الذبن والخذاع ، وليس هذا من علامات عمارات الرباع^(١) ،
ولا من آمارات خصب البقاع ، وليس فيه أيضاً ما يدل على بياض وجهك
عند من به ثبانك ، وإليه صراطك ، وعليه عرّضك ، وعنده مثواك ،
وهو مالك ومصرفك ، وهاديك وكافك ، وفي عالمه يسطرك ويقبضك ،
وتحت مشيئته جزيانك وسريانك ، وإليه مصيرك ومآبك . ١٠

يا هذا ! إن كنت مصاباً ، فأين الحزن والجزع ؟ وإن كنت مستفيداً ،
فأين الفرج والتمتع^(٢) ؟ وإن كنت حائراً ، فأين الدليل والهادى ؟ وإن كنت
جائراً ، فأين التأبى والتفادى ؟

إذا سما بك العز إلى علياء التوحيد ، فتفتس قبل ذلك عن كل ما له رسم
فى الكون ، وأثر فى الحس ، وبيان فى العيان . فبالقدس يمكنك أن تعانق
البادى من ذلك الحل بكلك وبعضك . ليس الأمر باللعب ، وليس الحقيقة
بالتنى ولا المطلوب حيث تظن ، الظن هناك يدهدك^(٣) ، والوهم يستهلك ،
والخبر يمصك ، والاستخبار يؤوئك ، والتسليم يؤمّنك ، والاستسلام

(١) جمع رباع : مسكن .

(٢) ص : التمتع .

(٣) دهنه الشئ : قلب بعضه على بعض .

يَحْفَظُكَ ، وَالْوَصْفُ يُفْلِتُكَ ، وَالسَّكْشَفُ يَشْطُطُكَ ^(١) ؛ وَالِاسْتِمْرَارُ يُنْذِرُكَ ،
وَالِاسْتِهْتَارُ يُضِلُّكَ ، هَذَاكَ قَنُونُ أَنْتَ مِنْهَا فِي عَرَاءٍ لَا مَوْئِسَ لَكَ فِيهِ :

غَرَّ أَمْرُؤُهُ مَمَّتَهُ فَخَسَّ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ

اقتص من نفسك قَدْرَ قَتْلِكَ ، ثُمَّ أَقْصِهَا مِنْكَ بَعْدَ قَتْلِهَا . قَتَلْتُكَ بِالتَّسْوِيلِ ^(٢) ،

وَقَتَلْتَهَا بِالتَّعْوِيلِ ^(٣) ، [١١٠٤] فَكَانَ قَصْرُكَ ^(٤) التَّضْيِيلَ وَالتَّخْيِيلَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْجِي إِلَى خَلْقِكَ بِمَا تُلْقِيهِ فِي رُوعِنَا مِنْ هَذِهِ الزَّجَرَاتِ
الْمُنْبِهَاتِ ، وَالْمَغْطَاتِ النَّافِعَاتِ . قَصَدْنَا مِنْهَا لَانْتِفَاعِهِمْ بِنَا ، وَإِرَاغَةً ^(٥) مِنَّا
لِاجْتِلَابِ حَقْلِهِمْ إِلَيْهِمْ بِاجْتِهَادِنَا ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ كَلَامًا لِبَصَائِرِنَا ، وَشَحْذًا
لِمَا سَكَلْنَا مِنْهُ ، وَتَشْطِيطًا لِمَا فَرَّغْنَا ، وَلِنَقْلًا لِمَا تَنَازَرْنَا دُونَنَا . وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ
أَنْ تُسَاعِدَنَا فِي مَقَالِنَا ، وَتُعِينِنَا فِي فِعَالِنَا ، وَتُوَجِّهَ إِلَيْنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي لَا يُضِلُّ
مَنْ سَلَكَ نَحْوَكَ ، وَلَا يُبْشِي مِنْ قَالِ عَيْنِكَ ، وَلَا يَخْطِئُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْكَ ، وَلَا يُجِيبُ
مَنْ سَأَلَكَ ، وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ .

إِلَهِنَا ! لَوْلَا أَنَا نَجِدُ مِنْ رَوْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَبْسُتُنَا عَلَى مَنَاقَاةِ عِبَادِكَ
مَا انْبَعَثْنَا لَذَلِكَ ؛ وَلَوْلَا أَنَا نَرْجُو بِهِ وَبِأَمثَالِهِ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ وَمَكَانَةً لَدَيْكَ ،

(١) شَطَّ فَلَانًا ، شَطًّا وَشَطُوطًا : شَقَّ عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ . أَمَا شَطَطُ تَشْطِيطًا :
فَعْنَاهُ : بِالْغِ فِي الشَّطَطِ ، وَهُوَ لَا زَمَّ كَمَا تَرَى . فَهَلْ هُنَا تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ،
وَكَانَ الْأَصْلُ : يَشْطُطُكَ ؟

(٢) بَأَنْ تَسْوَلَ لَكَ نَفْسُكَ أُمُورًا خَبِيئَةً .

(٣) التَّعْوِيلُ : الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْغَيْرِ .

(٤) يُقَالُ : قَصَّرْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَقَصَّارُكَ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَضَمِّهَا) ،
وَقَصِيرَاكَ وَقَصَارَاكَ (بِضَمِّ الْقَافِ فِيهِمَا) أَيْ : جُهْدُكَ وَغَايَتُكَ .

(٥) أَرَاغَ الشَّيْءُ : طَلَبَهُ وَأَرَادَهُ ، كَأَرَاغِهِ .

ما تقرَّباً^(١) عن شرك المخزون ، ولا نطقنا عن غيبك المكنون . وكان إعراض
مَنْ أَعْرَضَ عَنْكَ هَيْئاً علينا ، وهلاك مَنْ هَلَكَ عَنْ حِفْظِهِ سهلاً عندنا .
ولكننا نرى في ذلك ما تريناه ، فبرى غيرنا منه ما يكون زيادتنا في مقامتنا ،
وسبباً للرفق في سعادتنا ، وباباً مفتوحاً إلى الفوز الذي طال في طلبه سعينا ،
وأُنْفِدَ في تحصيله وسعنا . يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (له)

اللهم إنا قد بذلنا دون طاعتنا في طلب ما عندك ، فهب لنا تأييداً منك
حتى نستنفدها في حياة رضاك . فإنك إن وكَلْتَنَا إِلَيْنَا عِجْزَنَا ، وإن تركتنا
علينا نجْزِئنا ، وإن كنتَ لنا فيما بينك وبيننا قُرْناً . وكيف لا نطلب فائدتنا
منك وأنت^(٢) المفيت ؟ وكيف لا نحاول فائدتنا عندك وأنت المفيد ؟ وكيف
لا نشهدك في كلنا وبعضنا وأنت المحيط ؟ جل شأنك عند كل شأن ، ودق
سرك عن الأسرار والإعلان ، وغنيت عن أن تُعرَفَ بدليل وبرهان ، لأنك
قبل كل أثر^(٣) وعيان ، وبعد كل إيضاح وبيان . فمن ذا ينمكت وأنت تقوت
النعمة ، ومن ذا يجهلك وأنت مالك الوقت !

[١٠٤ ب] أيها الصديق المشفق ، والصاحب الموالى ، والمشتكى المساعد !
[و] < اسمع > ما غشي من عياني وخبري فلمل حسن الاستماع منك ينفي عني
وحشة قد كدنتي وآذنتني ، وردتني عن مقاصدي وأردتني . فلو انكشف عنك

(١) كذا في الأصل ، ويمكن أن يكون صوابه : تقرَّبنا من . أي اقترَبنا
أو اقترَبنا لسرك . أي أطلعناه .

(٢) أفت فلان الأمر فلاناً : أذهب عنه .

(٣) الأثر (بضم الهيرة) : نقل الحديث وروايته .

غطاء أمرى ، وبدأ لتصفحك وجه عذرى ، أشرفت على حقيقة عرفى
ونكرى ، وتجلت عندك خالصة سرى وجهى . وكنت أكنى مؤونة
الاعتذار ، كما قد كُفيت غائلة الاغترار ، وعلاه^(١) الاختيار والاضطرار .

قد أصبحت مرضوض البال ، مخفوض الحال ، بمن معنى قد ولنى
على خيال ما مضى ، وأذهلنى عن الكأس الذى غرا^(٢) ، واستعانى بالفكر
فى المستقبل الذى لعل لا يحس ولا يرى ، لا جرم أسقى مزوجاً وأسقى صرقاً ،
وأهّب حياءً ، وأكافح حقاً ، وأعد ما أعد حناً ، ولا أجد ما أوجد إلا خلفاً^(٣) .

على أنى إن < تحركت > تحركت مستقيلاً ، [وإن أمسكت أمسكت مسرعاً
الآن^(٤)] ، وإن سكت سكت مسلياً ، وإن قلت قلت متادباً ، وإن سكنت

سكنت متبياً ، وإن طلبت طلبت متضرعاً ، وإن أمسكت أمسكت متضرعاً .

فإن الآن مالى فيما^(٥) دلى ، أو أين ما بنى بما فى ؟ فيما بشرى إن كان المراد
مستجيباً ، والسعى تبيحاً ، والتمنى حقاً ، والمطلوب مدركا ! ومرحباً بالخبية
إن كانت مريحة ، وبالحرمان إن كان غاية ، وباليأس إن كان آخرى ، —

فقد قيل : القتل أعنى من الأسر . عجباً من سر أناف على العلانية بالحقيقة ،
وعلانية تمزقت بالبحث عن الجلية والدقيقة . بل عجباً من خبر استعلى

(١) كذا ! ولعل صوابه : علانة : من التعلت ، وهو التجل والتعلق وترك
الاحكام .

(٢) فى الأصل : غرا ، (بالعين) ولم نر له هنا معنى مناسباً ، فأرنا أن يكون
صوابه : غرا (بالذين المعجمة) ، وغرا : أى برد ماؤها .

(٣) اختلف (بفتح الخاء وضمها) : الباطل .

(٤) هذه الجملة لا شك زائدة ، لأنها وردت بعد قليل .

(٥) ص : فما .

على البيان ، وعيان توارى بالخبر بلا بيان ! وأعجب من ذا وذا أنى أراد بعين
الرضا في الغضب ، فيا ويلي منى أو ممن أنا به في كنى وأنى ! ماذا أريدنى ؟
وماذا أريد^(١) نحوى ؟ وأنى قضاء غصص بعنى وشجوى ؟ أثبتنى^(٢) لى
ثم أبطلنى ، وعطفنى على ثم خطبى منى . فلو أنه حين أثبتنى أمدنى ،
لكنت بالرضا محسوداً ؛ أو حين عطفتنى على بقائى ، لكنت بالملى مقصوداً .
ولكن ، وهب لى ما وهب من غير حاجة منى إليه ، ثم أخذ منى ذلك بعد
إلنى له وولى عليه ؟ قدرة لا تحاط ، وحكمة لا ينال منهاها ومشييه منهاها ،
ومشيئة لا يدرك مداها . وحيرة مَسْلَمَةٌ فى أولاهها وأخرها . ولولا شدة
النفس السكذوب ، وجراح الطمع الوثوب ، لكان اليقين تلو الإيمان ،
والتسليم قبل البرهان ، والثقة فى الخبر قبل الشهادة بالعيان ، لأن المنعم بدأ
بالنعمة قبل الاستحقاق ، فأسلف العتق قبل الاسترقاق ، فسبق الجود بما أوفى
على التحكم ، وأتت الجملة بما زاد على التفصيل . فويل من جهلى بجهلى ، بل ويلي
من علمى بجهلى ، بل ويلي من كلى وبعضى ، بل ويلي من طلى^(٣) وغرضى !
بل ويلي من قالى وقبلى ، بل ويلي من طلبي وسؤلى ، بل ويلي من قولى وعولى
من عولى . عمت زمن بالحقائق ، وشاهد صرّح بالمواقف ، ومحصّل الرمز
والصراح حيران حزان بين الروائق والبوائق^(٤) .

يا هذا ! إن فهمت هذه اللنة من هذا الديوان على هذه الكناية فقد فزت
ما^(٥) تريد لأنك لا تصغى إلا إلى ناطق ، ولا تقع إلا على شاهد ، ولا تقترن

(١) أريد : طلب .

(٢) ص : أثبتى .

(٣) الطن : الجسم . أولعل صوابها : طولى ؟

(٤) الروائق : ما يروق ويمجّب ، والبوائق : جمع بائقة : داهية .

(٥) كذا ! والمألوف وفى المعاجم : فاز بكذا .

إلا بمُنْصَح ، ولا تستنم إلا إلى مرشد . وعند ذلك تحُول وحشتك أنساً ،
وتزول دهشتك رأساً ، وتبرأ من كل ليت ولو ، وكيف وأين وعسى .

يا هذا ! أخص أركان نعمته عندك ، وأصناف أيديه قبلك ، ثم اعترف
بأنه أولها بالجود وثانيها بالمزيد وآخرها بالدوام . فإني إن سهوت عن
الإحساس بنعمته لم تصلح أن تكون في الخصوصيين بخدته ، ومن لم يصلح
لخدمة الملوك لم يؤهل لأسرار القلوب ، ولم يوثق به في عوارض الأمور
في جملة مانبهتك عنه ^(١) وحركتك إليه .

إنه وهب لك حياة بها تحب وتلد ، وبها تعيش وتنعم ، وبها تتحول
وتسكن . ثم وهب لك قلباً جعله معدن توفيقه ، ومأوى الطمأنينة به ، وكف
الإيمان بربوبيته ، وحرّم الأئس بمناجاته ، ومنع الخواطر في مناجاته .
ثم وهب لك عقلاً به وصلك بنفسه ، وبه أطلعك على غيبه ، وبه عرض عليك
بدائع ملكه وعجائب كونه ، وبه استخلصك لمخاطبته ، وبه حاشك ^(٢)
إلى حفظك في معانيقته ، وبه منعك من نكرته ، وبه عمك في معرفته ،
وبه وعدك لثباتك ، وبه وعدك لثباتك ، وبه ربك وغذاك ، [١٠٥ ب]
وذراك ورواك ، وبه كلنك وشرفك ، ولطفك وطرّفك ، وما لا تحصىه فكراً ،
ولا تلم به ذكراً . ثم وهب لك لساناً تذكره وتذكر أسماءه ، وتصفه وتصف
آلاءه ، وبه تنشر عجائب قدرته ، وتستخرج دقائق حكمته ، وتستبسط جسام
نعمته ، وتستدعي عواطف رحمته ، وتعرض للطائف رافته . فانظر كيف

(١) ص : ايه . ويمكن أن تقرأ : ايه ! لكن آثرنا أن نرى فيها تحريفاً
صحته ما أثبتناه .

(٢) حاش الصيد : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ، كأحاشه ،
وأحوشه ، والإيل : ساقها .

رَبِّكَ وَقَسَمَكَ ، وَكَيْفَ جَعَلَكَ وَنَظَّمَكَ ، حَتَّى تَحْصِيَ بِرُوحِكَ وَتَتَعَمَّقَ ، وَتَهْتَدِيَ
بِعَمَلِكَ وَتَعْلَمَ ، وَيُظْمِنَ قَلْبَكَ وَيَسْلَمَ . فَهَلْ مَنَعَهُ لَهُ هَذِهِ الْأَوَائِلُ وَالتَّوَانِي ،
وَهَلْ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَالْمَعَانِي ، وَهَلْ أَحَدٌ يَرِقُّ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي .
وَيَشْهَدُ هَذِهِ الْعَيْنُونَ الرُّوَانِيَّةُ هَيْهَاتَ أَنْتَ تَغْرُورُ بِالْأَمَالِ وَالْأَمَانِي ، مُخْدُوعٌ
بِالْإِشْغَالِ وَالتَّوَانِي . فَلَيْتَكَ إِذَا عَرَفْتَ < عَرَفْتَ > مَحَلَّكَ مِنْذُ جَنَعْتَ
إِلَى مَا يَجْلِبُ الرَّحْمَةَ إِلَيْكَ وَلَا يُوَكِّلُ الْغَيْظَ بِكَ .

يَا هَذَا ! تَوَكَّلْ وَخَفْ ، وَارْجُ وَسَلِّمْ ، وَارْضَ وَاصْبِرْ ، وَاشْكُرْ وَاطْمَعِ ،
وَأَخْلَصْ وَتَبَيَّنْ ، وَأَحْبِبْ وَتَوَقَّ ، وَاعْرِفْ وَاسْتَرْح . فَإِنَّكَ إِذَا تَوَكَّلْتَ
خَائِفًا أَمْنَكَ كَافِيًا ، وَإِذَا رَجَوْتَ مَسَلًا قَبْلَكَ مَصَافِيًا ، وَإِذَا رَضِيتَ صَابِرًا
فَرِيكَ مُتَقَبِّلًا ، وَإِذَا شَكَرْتَ طَامِعًا زَادَكَ مَكَافَاتًا ، وَإِذَا أَخْلَصْتَ مُتَقَبِّلًا ،
انْخَفَكَ مُنَاجِيًا ، وَإِذَا أَحْبَبْتَ وَائْتَفًا ، أَبْرَزَكَ عَيْنًا ، وَإِذَا عَرَفْتَ مُسْتَرْحًا
اسْتَخْلَفَكَ وَاحِدًا . وَإِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الذَّرْوَةَ الْعَالِيَا ، فَقَدْ اعْتَصَمْتَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهَا لَكَ مَا يَكُونُ اقْتِرَاحًا مِنْكَ ، وَتَحْكِيمًا لَكَ ، بَلْ يَصِلُ
ذَلِكَ بِنَظَائِرِهِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . فَهَلُمَّ
— عَاثَاكَ اللَّهُ — إِلَى حَضْرَةِ الْعِزِّ ، وَبَاطِلِ الْكَرَامَةِ ، وَجِجَاسِ الْأُنْسِ ،
وَسُدَّةِ الْغَنِيمَةِ ، وَفَضَاءِ الرُّوحِ ، وَسُرَرِ الْأَمَانِ ، وَسَاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَبُحْبُوحَةِ
الرَّبُّوبِيَّةِ ، حَيْثُ الْكَوْنُ بِمَا فِيهِ عَدَمٌ ، وَكُلُّهُ بِمَا عَلَيْهِ حُلْمٌ .

يَا هَذَا ! اِرْحَمِ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، وَاطْلُبْ حَظَّكَ لِحَظِّكَ ، وَحَصِّلْ غَدَّكَ
مِنْ يَوْمِكَ ، وَتَفَرَّدْ بِخَوَائِصِهِ " أَمْرُكَ ، وَدَعِ عَنْكَ مَا خَيَالُهُ عَاجِلٌ عِيَانًا ، وَوَبَالَهُ
أَجَلٌ إِيْمَانًا . أَمَا تَمْتَعُضُ مِنْ وَقُوعِكَ فِي فِتْنِ الْهَوَى وَجِبَالَةِ الشَّهْوَةِ وَشَرِّكَ

الشیطان بسبب ظاهر لا ثبات له، وزیرج^(١) لاصنعة فيه، وعارض [١٠٦] غيث
لا لبث معه، وظل لا مُعرج عليه. وهبك اغتررت وفؤداك^(٢) يحكيان
الغراب، فما عذرك الآن وقد نبا عنك الخصاب؟ لا عذر إلا سوء العافية،
وقلة النظر وفساد النية. وإلا فالننادى بعيد الصوت. رخي^(٣) الجرُم، لطيف
النصح، حسن الهداية، شديد الشفقة. لكنك في سكرتك عامه^(٤)،
وفي مخوتك من تخارك والله. فلي هذا، متى تستقل والفرص تمر من السحاب،
والندامة والخسرة تجتمعان في العواقب؟ أتدري ما قال الواغظ النصيح،
وهو أبو الدرداء؟ قال: البر لا يلي، والوزر لا يُنسى، والديان لا ينلم، فكأن
كيف شئت، فكما تدين تدان.

- ١٠ اللهم إنا نسألك عصمةً بها نصل إليك، وتوفيقاً به نثق بك، ولطفاً
إذا جئت به استرحنا بنا ملك. فقد أتينا من حيث إن احتجبنا به كسرتنا
علينا، وإن سكتنا عنه رجونا أن تُحسن بفضلك إلينا. على أنه لا يليق بنا
إلا ما يليق بالعبد، ولا نتوقع من جهتك إلا ما نتوقع من جهة السادة. والعبد،
وإن أساء أدبه جهلاً وعبطه^(٥)، فإن المولى لا يؤاخذنه أخذاً محتاجه^(٦).

(١) الزرج: (بكسر الزاي والراء): الزينة من وثني أو جواهر، والذهب،
والسحاب الرقيق فيه حمرة.

(٢) القود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن، وناحية الرأس، والناحية.

(٣) الرخي: السهل المنطق، اللين.

(٤) العمه (محرّكة): التردد في الضلال، والتعير في منازعة أو طريق،
أو أن لا يعرف الحق. والفعل: عمه (كنع وفرج) عمها وعموها وعموها
وعمهاً، ولعمامه، فهو عمه وعمامه، والجمع: عمهون وعمه (كركم).

(٥) كذا! ويمكن أن يكون: عبطه، أي تمسكاً واعتباطاً، أو غبطة.

(٦) كذا! ولم تهتد لوجهه إلا تأويلاً.

اللهم إنا لا نخاف حقدك ، ولا نخشى جُورك ، ولكننا نخاف عدوك
ونرجو فضلك . ونحن وإن كنا أهلاً لعدوك الذى يأتى علينا ، فإنك أهل
لفضلك الذى يتم به إحسانك إلينا . أيها السامع ! أما ترى تناثرى فى كلامى ،
ونرجئى فى مقامى ، وقصورى لتلوى عن مرامى ؟ هكذا أجدنى فيما أقول ،
وعلى ذا أرانى مما أصول . فحدثنى عنك وعن حالك ، واصدقنى عن غايتك
ومالك ، لعلى أجذبك ما لا أجذبى ، وأحصل عنك ما ليس يحصل منى .
فقد طال كفى واردة ، وتضاعف لهنى صادراً ، وعظم شففى شاهداً ، وامتد
نفسى بالحسرة غائباً ، وتردد قولى مملولاً ، وعاد حدى مفلولاً . كأتى وبأل
على ، أو كأتى آفة فى ، أو كأتى بلاء عندى . ليس يخلص لى رأى فى وجدان
ما أطلب متلطفاً ، ولا يصفو لى مُرادٍ فيما أقضيه عنى متكلفاً . قد اكتشفتنى
المصائب فى قوت المطالب وعزة المطلوب ، واستولت على الوسواس فى نفى
ما لا سبيل إلى نفيه ، فبيل التالد والمكسوب ، فأنا البارك المتجمع^(١) ،
والتارك المتشمع^(٢) ، والقائل المُمَدَّد [١٠٦ ب] والساكت المتلدِّد^(٣) .
إن ظهرت بالرسم لزمى حدُّ التفائق والشقاق ، وإن بطلتْ بالحققة مُحِلَّتْ
على تسكليف ما لا يطاق . وإن تظلمت قيل لى : جنيت على نفسك بالجهل
فاستحققت العقاب ، وإن كشفت بالواسطة قيل لى : قد آن أن تنقطع بك
الأسباب ، وتشتت بك الأعداء ، ويرجعك الأجباب .

(١) تجميع : ضرب بنفسه الأرض ، من وجع .

(٢) يقال : تشمع الشهر : أى بقى منه قليل . — يقصد هنا أنه هو

التارك مع أنه لم يبق منه إلا القليل .

(٣) تلدد : تلفت يميناً وشمالاً وتحرر متبلاً .

أما تعلم أن المستغاث إليه في سُقْل عنك ، ولكل في حقيقته حتى يعنيه ،
وأول يديه ، وآخر يُبْلِيه ، ووسط يفتيه ويفنيه .

أما تعلم أن كل شيء مما تكلفه لميرك موصول بالكفاية ، ولكن
ليست الكفاية موصولة بالنهاية ؟

أما تعلم أن المراد منك لا يدين لك به ، والعلم بك على خلاف ما تظنه
منه ؟ وفروضك لك مردود عليك ، ومفروضك منك ممدود إليك ؟
أما تعلم أنك عند دُخ بالسراب عن الشراب ، ومحجوب عن الرصال بالعتاب ،
ومطالب بما لا تحمّه وهماً > و < لا تظفر به قُبماً ولا تنال منه شَبماً ؟

أما تعلم أنك أُخْرِيت جنبك لكل راحٍ بدعواك التي قد فضحتك

بين الأنام بهذا الكلام الذي ليس دونه ولا فوقه إلا كلام . فإن كان ذوق
أو وجد ، أو شهود أو انكشاف ، أو لحظ أو إدراك ، أو أثر أو خبر ،
أو حاصل أو راحة ، فإن علامة استقلالك به ، ودلالة كالك فيه ؟ وأين
ما يوشر به فؤادك صفاً^(١) ، وبشر به روحك كفاً ؟ وأين ما يؤخذ منك
فيما يوجد بك ؟ وأين [على] ما يوجد لك مما يوجد فيك ؟ وأين النطق الإلهي ،

والبيان الرباني ، والنظر الذي إذا امتد شعاعه من العين أحرق الكون بجميع
ما في الكون ؟ وأين القدرة التي بها تقلب الأعيان ، وفيها تفرق الدهود
والأزمان ؟ وأين الحكمة التي بها تستأنم العقول الخاصة ، وبها تستولى
على فضائل الخاصة والعامة ؟ وأين الفهم الذي به تملك الوجوه والنواحي ،
وبه تُضرب الدواني والنواصي . وتأمر الكون فيقف ، وتشير إلى كل فيجف^(٢) ،
ثم ينبعث فتضف ، وينتهي فتعرف ؟ إن كنت لم تبلغ هذا المدى فلا تعرض

(١) صفاً : مصافحة .

(٢) من وجف (من باب ضرب) وَجَنًا ووجيئًا ووجوفاً : اضطرب .

بجولك للردى ، والزَّم حدك فيما أنت مرفوق بك فيه ، ومرحوم عليه به .
فإنه إن اشتعلت عليك ناره لم تطفأ ببُحرِكَ ، وإن حى عليك أواره لم يسكن
بقوتك وحولك . والله المستعان ، وعليه التكلان .^(١)

رسالة (لو) [١١٠٧]

يا هذا ! أما ترى كيف أنصبَّ كلُّ شيءٍ نُجَاه عينك لتبصر ، وقبالة
قلبك لتفكر ، ورُدُّد على مشاعرك وإحساسك لتعتبر ، وأُطْفِء بك في الأول
والثاني لثيق وتنتظر ؟ فأبيت إلا اللجاج الذى به هلك مَنْ تقدمك وأنت
تراه ، وعاندت نفسك حتى كأنك عدوك . إن أنت إلا بلاءٌ عليك ،
وإن أنت إلا ميؤوس منك . الويل لك منك ، والحسرة لازمة لك بك !
أما لك من شراب الدنيا صحو ؟ أما لك من أقدارها أنفة ؟ أما بك حاجة
إليك ؟ أما لك ذرة من الشفقة عليك ؟ أما تشهد هذه الآثار التى يجلوها عليك
الليل والنهار ؟ أما تباين هذا الاختلاف الدائم بين الإراد والإصدار ؟
أما تسبين الفرق بين مدارج الإعلان ومناهج الأسرار ؟ أما تبحث عنك ؟
أما تعرف إليك ؟ أما تنحنُّ إلى مأواك ؟ أما تستاق إليك ؟ أما تفرِّقُ^(٢)
من فاجئات الغيب ؟ أما تستحي من الاشتغال على الغيب ؟ إلى متى هذا الأُنس
بالوحشة ، وهذا الاعتراف بالنكرة ، وهذا الذهاب فى المضلة ، وهذا الزهد
فى الحظ ، وهذا التجليح^(٣) بالبعث ، وهذا الاعتقاد للباطل ، وهذا الاستشهاد

(١) التكلان (بضم التاء) : الاتكال ، الاعتماد والتفويض .

(٢) تخاف .

(٣) جَلَّح على الشيء : أقدم إقداماً شديداً . وجَلَّح فى الأمر : صمم
ودكب رأسه .

بالزور ؟ أين التوقع الموت ؟ أين الإعداد لما بعده ؟ أين الفكر فيما له طائل ،
 إذا جاء الحق وزهق الباطل ؟ أين لأئمة النفس على التفريط ؟ أين قبول الهدى
 من الناصح ؟ أين الرضا بالمقدور ؟ أين الاستسلام للحكم ؟ أين إمساك اللسان
 عن الفضول ؟ أين سلامة الصدر في الأمور ؟ أين الشفقة على زمان الحياة المنصرم ؟
 أين الشوق إلى البقاء الدائم ؟ أين الاعتبار بهذا العالم ، القديم بقدره النافذ ؟
 أين التزود لهذا الطريق التاسع ؟ أين الاحتياط في أمر لا محالة واقع ؟
 لم تكذب نفسك ، وأنت تغضب إن كذبتك غيرك ؟ لم تغسها في البلاء
 وأنت تطالب بها في جميع معاملاتك ؟ لم تؤقد نار الغضب عليك ^(١)
 وأنت لا ترضى بمثله من مثلك ؟ لم تحول بينك وبينك ، وأنت المتهالك في ذلك ؟
 لم تخالف العقل في نفسك ، وأنت تحتج به على سواك ؟ لم تنقض العادة
 في خاصتك ، [١٠٧] وأنت تطالب بها في جميع معاملاتك ؟ لم تؤقد نار الغضب
 عليك حتى تحترق بها ؟ لم تشاق ^(٢) الحق حتى يفارقك عند حاجتك إليه ؟
 يا هذا ! « أَرْبَابٌ مُتَمَرِّقُونَ خَيْرٌ ، أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » ^(٣)
 فلم تعبد هواك ، وتبدل لشهوتك ، وتتحمل الأذى في البلوى في حظ ساعة تبقى
 عليك تبعاته ، وتنتأى عنك لذاته ، وتدع السعي ^(٤) ؟ فعاله مَرَدُّهُ عليك ،
 وثمره ^(٥) لك على الدوام والسرمد والخلود والأبد .

(١) فوقها : معتاد أو : معاد .

(٢) فوقها : دهاها ؟

(٣) من المشاقة : أي : المفارقة .

(٤) سورة « يوسف » ، آية : ٣٩ .

(٥) غير واضحة تماماً في الأصل .

(٦) ص : ثمره .

أما سمعت بعض الدعاة إلى الله كيف قال في أمثاله وهو اعطاه : لو كانت الدنيا من ذهب فإن ، والآخرة من خزفٍ باقٍ ، لكان ينبغي أن يرغب عن الأولى ويُرهب فيها ، وتطلب الآخرة ويرغب في الآخرة ؛ فكيف والأمر على العكس ، بغير شك ولا لبس : إن الدنيا من خزفٍ فانٍ ، والآخرة من ذهبٍ باقٍ . ٥
أشهد أن أمراً يعوق عتولنا عن هذه الغاية التي قد جلّت عن الخبر وبادت على العيان لعجيبٌ ، وأن سبباً أوتركتنا هذا الجهل لغريب ؛ وأشهد أن حكم الله نافذ ، وقضاه ماض ، وإرادته سابقة ، ومشيئته معينة ، وعلمه خافٍ ، وأن الخلق على تلك المناهج يصعدون ويتحدّرون ، وإلى تلك المعارج يمرّجون وينقلبون . فطوبى لمن سبقته له من الحسن ، فسلك الطريقة المثلى في هذه الحياة الدنيا ، ثم ارتفع إلى الدرجة العليا ، واختلط بالملأ الأعلى ، ١٠
غير مُرجّح على ما ترك ههنا وخلف ، بسروره بما وجد هناك مما قدم وأسلف . فقد نظرت — عافاك الله — ونظرنا ، وعرفت وعرفنا ، وبأن لك كما بان لنا : أن مدار الأمر منا والآخر بالآحوط عندنا إنما هو في الياز (١) بالله والفرع إلى الله ، والاستسلام لله ، والتصرف بين يدي الله ، بخلع الخول والقوة إلا بالله ، ١٥
والهرب من أوطان عدو الله ، والتعلق بيدي أولياء الله ، لعلنا نحوز مرضاة الله في جوار الله .

اللهم إنك شاهدنا ، وشاهد فينا ، وشاهد بنا ، وشاهد علينا . فيجربة شهادةك التي قد اكتشفنا منك ، وبقدرتك التي أبرزتنا [١٠٨] لك ، وبجلائك التي حققت فاقتنا إليك ، وبورك الذي سطع علينا منك ، وبنعمتك

(١) الالتجاء إليه ، أو الاستتار والاحتضان به ، كاللواذ (مثلثة : اللام) .
والملاوذة : الإحاطة . والملاذ : الحصن .

التي غمرتنا بك ، وبرحمتك التي جعمتنا على بابك ، وبسلطانك الذي قهرنا ^(١)
لعزك ، وبالحير الذي توالى عندنا من جهتك ، وبكلمتك التي سمعناها على لسان
المبلغ عنك ، وبسرك الذي حجبنا عنه بحكمتك — إلا بشئتنا برضاك عنا ،
ومحوت بكرمك صحائف ذنوبنا ، وبدلت سيئاتنا حسنات ، ورفعتنا إليك
درجات بعد درجات ، وأقررت عيوننا بالنظر إلى وجهك ذي الشُّبُحات ^(٢) ،
وعممتنا بالكرامات ، وخصصتنا بما لا نصل إليه بالصوم والصلاة والحج
والزَّوَّاة ^(٣) ، فلا ^(٤) بشئ من الأعمال والقُرْبَات ، بل بفضلِكَ وجودِكَ اللّٰهَيْنِ
أتيا على الطلبات والرغبات ، وزادا ^(٥) عليها مقامات وبسطات بلا غايات
ولا نهايات .

١٠ إلهنا هذه آمالنا فأعطيناها ، وهذه أمانتنا فبأخناها ، وهذه عطايك فمئتناها .
اللهم إنا إن دعوتنا دعوتنا في الظاهر بلسان تسكينك ، وغمرتنا
بصروب حججك ، وأسمعتنا بحكم آياتك ، وشعلتنا بأنواع خيراتك ، وملكنا
نواصينا بقدرتك ، وظاهرت ^(٦) عندنا المحبرين عنك المرشدين إليك . لكنك ،
ياربنا ! طويت عنا إرادتك بنا ، وأخفيت حكمك لنا وعلمنا ، فبقينا حيارى
متسكمين ، وسُكَّارى مُتَدَلِّين . وهذه ربوبيتك المُسَلِّمةُ لك ، وسلطانك
١٥ المردودُ إليك ، لا مُعَارِضَ لك ، ولا مُتَحَكِّمَ عليك . لكننا ، ياربنا ! لا نستطيع

(١) ض : قهرتنا .

(٢) سُبُحات وجه الله : أنواره .

(٣) أى الجهاد في سبيل الله .

(٤) كذا ! ولملها : ولا .

(٥) ض : زاد .

(٦) ظاهر فلاناً : سنده وأيده وأعانته .

حَفِظْ أَنْفُسَنَا عَلَى طَرَائِقِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ إِلَّا بِيَوَادِي صُنْعِكَ وَلُطْفِكَ . فَاصْنَعْ ،
يَا إِلَهْنَا ! بِالْعِصْمَةِ ، وَاحْفَظْنَا ، يَا رَبَّنَا ! بِالنِّعْمَةِ ، وَاعْظِفْ عَلَيْنَا ، يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا !
بِالرَّحْمَةِ ، حَتَّى نَحْوزَ رِضَاكَ ، وَنَنَالَ الْفَوْزَ الْكَبِيرَ فِي ذُرَاكَ .

أَيُّهَا الرَفِيقُ الْمُؤَانِسُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَلَابِسِ ! إِلَى مَتَى تَطَالِبُنِي بِالْحِكَاامِ
فِي هَذَا النِّقْطِ وَأَنَا عَلَى مَا تَعْرِفُ مِنْ ضَيْقِ صَدْرٍ ، وَتَقَسُّمِ فِكْرٍ ، وَغُرُوبِ لُبٍّ ،
وَدُخُولِ بَالٍ ، وَتَشْتُّتِ رَأْيٍ ، وَخَاطِرٍ عَقِيمٍ ، وَفِرَاقٍ سَقِيمٍ ، وَمَصَائِبٍ فِي الدِّينِ
وَالدُّنْيَا مَتَوَالِيَةٍ ، وَأَفَاقٍ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ مَتَوَاتِرَةٍ ؟ لَا جَرَمَ إِنْ وَعِظْتُ
اسْتَحْبَبْتُ مِنْ اللَّهِ مِنْ قَلَّةٍ [١٠٨ ب] اِنْعَاضِي ، وَإِنْ هَدَيْتُ خَجَلْتُ مِنْ شِدَّةِ
ضَلَالِي ، فَإِنْ بَيَّنْتُ قَطَعْتُ عَنِ الْبَيَانِ سِوَةَ اسْتِغْنَائِي . فَإِذَا كَانَ كُلِّي وَبَالًا
عَلَيَّ ، كَيْفَ يَكُونُ بَعْضِي ظَنَّةً لغيري ؟ إِلَى اللَّهِ نَشْكُو مَا حَلَّ بَنَا مِنْهُ .
فَقَدْ وَاللَّهِ طَالَتْ الْبَلَاوِي ، وَاشْتَدَّتِ النَّجْوَى ، وَقَلَّتِ الدَّعْوَى ، فَإِنَّهُ أَوْلَى
مَنْ شُكِيَ إِلَيْهِ ، وَأَحَقُّ مَنْ تُوكَّلُ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا غِنَى إِلَّا مِنْ أَعْنِيَّتِهِ ، وَلَا مَكْنَى إِلَّا مِنْ كَفَيْتِهِ ، وَلَا مَحْفُوظَ
إِلَّا مِنْ حِفْظَتِهِ — فَاعْنِنَا وَاعْنِنَا وَاحْفَظْنَا . وَإِذَا أُرِدْتَ بِقَوْمٍ سُوءًا فَمِنْزِلْنَا
عَنْهُمْ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

إِلَهْنَا ! الرِّغْبَاتُ بِكَ مَوْصُولَةٌ ، وَالْأَمَالُ عَلَيْكَ مَقْصُورَةٌ ، وَالْخُلُودُ لِقُدْرَتِكَ
ضَارِعَةٌ ، وَالرُّجُوهُ لَوَجْهِكَ غَانِيَةٌ ^(١) ، وَالْأَرْوَاحُ إِلَيْكَ مَشُوقَةٌ ، وَالنُّفُوسُ
إِلَى كَهْفِ غَيْبِكَ مَسْوُوقَةٌ ، وَالْأَمَانِيُّ بِكَ مَنُوطَةٌ ، وَالْأَيْدِي لِحُودِكَ مَبْسُوطَةٌ ،
وَالْهَمَمُ إِلَى مَلَبِ مَرْضَاتِكَ مَرْفُوعَةٌ ، وَالْأَوَاكُ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مَشْهُودَةٌ
وَمَسْمُوعَةٌ . فَآتِنَا اللَّهُمَّ مِنْ لَدُنْكَ مَا لَاقَ بِكَرَمِكَ ، وَانْفَعْ عَنَّا مَا قَدْ نَفَعْنَا

(١) عَنَّا ، يَعْنُو : خَضَعَ .

عن بابك ، وشرح صدورنا للثقة^(١) بك ، ووقفنا لما يبيض وجوهنا عندك ،
ويطيل ألسنتنا في تمجيدك وتمجيدك ، يا نعم المولى ونعم النصير !
اللهم أفرغ علينا من رحمتك ذنوبنا^(٢) ، واجعل لنا في مسالك مرضاتك
طوعاً^(٣) وغروهاً ، وألنا من لدنك هدى وبشرى ونصيهاً ، واحققنا برضوانك
بعد أن نعمتنا برحمتك وغفرانك . إنك ذو الجلال والإكرامة ، في هذه الدار
ودار المقامة^(٤) .

أيها الإنسان الذي قد شقي في هذا الحز الواعد ، والهواء الراكد ،
بالجوع والبطش ، صائماً ، هل لك خبر عنك فيما أريد بك ؟ وهل لك إحساس
بما سيق إليك ؟ أم أنت من الجاهلين ، بل الغافلين عنك ؟ ما أخوفني عليك !
وأشدَّ يأسى من فلاحك ! طال جوعك وعطشك في صومك ، ولا تدري
ما حاصلك في غدك من يومك ، وما الذي عاد إليك بقصدك ورومك^(٥) ؟
أظن أنك مغرور ، وعلى ما أصبت به غير مأجور ، وبما ظلمته ووجدته
غير مسرور . وهذا لأنك مسلوب الإخلاص في العبادة ، قليل النشاط
في الاقتداء بالسادة والقادة . [١١٠٩] تلتفت في أمور الحياة الدنيا ، وتحلم
بأحوال الدار الآخرة . وليس هذا من رأى أولى الشئى والمجى ، ولا من عادة
قوى الورع والنقي . بل اصحب عاجلتك بالحلم حتى تستيقظ في آجلك بالعلم ،

(١) ص : لثقة . ويجوز أيضاً .

(٢) الذنوب (بفتح الذال) : الدلو المملأى ، والخط والنصيب . والجمع :
أذنية وذنائب وذناب .

(٣) ص : طوعاً . وهو تحريف ظاهر .

(٤) دار المقامة : دار البقاء ، أى : الآخرة .

(٥) مصدر : رام ، يروم : رغب .

أعنى العلم الذى لا شوب فيه من الشكوك ، ولا غشاء على صاحبه من الذنب ،
ولا أثر فيه من الظنون ، بل هو يقين حق وحق يقين ، لئله جهد الجاهد
رائحاً وغادياً ، ومن أجله زهد الزاهد ذهياً ودانياً . فاطلب نفسك أيها الصائم
فى هذه المواطن : فإن كنت بها ثاوياً ، وفى عَرَصاتها متبختراً ، ومن أغصانها
جانياً ، — زانتك العبادة : وشملتك العصمة ، ودرّ عليك خُلف^(١) التوفيق .
وإن كنت عنها بعيداً وعن أسبابها ساهياً ، شمت بك عدو الله ، وتجنبت عباد
الله ، ومقتك ملائكة الله ، ورفضك كل خلق الله . لا تُفُتِك سماء إلا بالصاعقة ،
ولا تُفُتِك أرض إلا بالفارقة^(٢) ، ولا ترمك دين إلا بالزراية ، ولا يذكرك
لسان إلا بالقواية ، ولا تصالحك يد إلا بالكراهة . فاحترس — هداك الله — خُتارة
لا يوارها ، وانح غاية لا لبث دونها ، واستشعر الرغب فيما أنت عليه تنل
الدعة فيما تنتقل إليه . واحصر فلتات لسانك فى صومك ، وحركات قلبك
فى نيتك ، وخواطر شرك فى ضميرك . واعلم أن الله دلى قدر ذلك يُجزل
مواهبك ، ويفتح مذاهبك ، ويربك فى نفسك ما يتضاعف به الشك ،
ثم يطويك عن الدنيا وآفتها ، وينشرك للآخرة ويركانها ، ويحبب إليك
خيراتها ويهجاتها . قد أقبلت^(٣) العبد ، ولبست الجديد ، فهل أنت واثق
بما عرج منك إلى الله الحميد المجيد ؟ إن كنت واثقاً غير منور ، وآمناً غير
خائف ، ومطمئناً غير مستوفز^(٤) ، فما أسعدك بما كان منك ! وما أغبطك
بما أفضيت إليه ! — وإن كان الأمر على غير هذا التهج ، فما أولاك بالنوح

(١) حَلْمَة ضَرَع الناقَة .

(٢) الفارقة : الداهية الشديدة ، كأنها تكسر فقر الظهر . والجمع : فوارق .

(٣) جعلته قِبَالَكَ ، أى : استقبلته وجعلته مقبولا لديك .

(٤) استوفز استيفازاً فى قَعْدته : قد غير مطمئن ، وكأنه يتهبأ للوثوب .

على نفسك ! وما أحوجك إلى استئناف أمرك ! وأغلب ظنى أنك فى الحالة الثانية راسخ ، وللحال الأولى ناسخ . وقد قيل لبعض السلف : متى يكون العيد ؟ فقال : كل يوم [١٠٩ ب] لا تعصى الله فهو عيد . ٥

حبىي ! للناس عيد بالعادة فى الخروج من الصوم ، ومراجعة الأكل والشرب والتنعم . فإن كنت منهم ، فما أخس حظك فيما كنت متقرباً به إلى ربك ! وإن باينهم ، فما أفوز قدحك فيما أنت مخصوص به عند ربك ! غفات علامتك التى هى علامة القبول ، وإلا فأبك على ما فاتك بكاء المعولة الشكول . ٥

أتدري ما العلامة ؟ العلامة أن ترى نفسك يوم العيد ذليلاً بالشكر ، ملجأً بالذكر ، مستبسل بالصبر ، خاضعاً بالتوجه ، متواضعاً بالثبته ، متبذلاً بالتوبة ، مقلعة عن الحوبة ^(١) ، راغبة فى ذخائر الحق و ^(٢) الصادقين من الخلق .

فإذا اشتملت على هذه الصفات ، وعلى ما كان من جفسيها من سائر الجبهات ، غشيتك الملائكة بالتحية ، ومسحت ناصيتك بالبركة ، وكانت شفعاءك عند الله . فعند ذلك يُلَبِّسُك ^(٣) الله شعار الهدى ، ويهيئك للصواب فى القول والعمل والتقى ، ويثبت محبتك فى صدور أهل الحجا ، ويبلغك القابة القصوى ، متمسكاً بالعروة الوثقى .

يا قوم ! إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار . تأمل هذا الكلام بعقلك كله ، فإنه يجمع كل نصيحة ، ونظام كل موعظة ،

(١) الإثم .

(٢) ص : بلبسه .

وباب كل نجاح ، وطريق كل فلاح ، ومَنْبَج كل صلاح . فإذا تبصرت
ما في ضمنه ، فُتِبْ إلى المسكن الذي دُعيت إليه ، ولا تَكْشَلْ كسل الجاهل
الغوي . والسلام !

رسالة (لز)

٥ اللهم إنك إن طردتنا عن بابك فبأجراننا^(١) التي هتكنا بها رمز
حرمانك . وإن قبلتنا على هاتنا ، فبكرمك الذي لم نزل نتوقعه منك .
وإن لم تطردنا ولم تقبلنا ، استبانة بنا وازدراء لنا ، وقبحنا^(٢) وجوهنا ، وأطلقنا
ألسنتنا ، وقلنا : على من تردنا ونحن عبيدك ؟ وإلى من تكلمنا ونحن خلقك ؟
تولنا كيف شئت ، ساخطاً وراضياً ، فقد استسأمتنا وسألنا . وقد علمنا ، يا إلها !
أنك لا تعاملنا بعد هذا الاتقياء والاستخذاء ، وطرح الكاهل في الفناء . ١٠
[١١٠] بعد الفناء ، إلا بما > أنت أهله في الجود والكرم والإحسان
الذي سبقت به إلينا في القِسم . وكيف نياأس من رَوْحِكَ ، أو نقنط
من رَحْمَتِكَ ، بعد ما أهلتنا لمواجهتك ، وأذنت لنا في مشافهتك ، حتى وجدناك
بما عرفناك ، ثم سألناك على ما وعدناك . فكن لنا عند هذا الظن ، فإنك
عند ظن عبيدك . ١٥

يا هذا ! أين الحياء من الله الذي أنعم عليك بدءاً وعوداً ؟ وأين الخوف
من الله الذي إن سبطاً ، أباد وأفنى ؟ أما تأخذ جذرك بمن إن شاء مَلَّطَكَ عليك ،

(١) جمع جرم : ذنب .

(٢) وقح وجهه : صبره وقحاً ، ويقال : رجل وقح الوجه وقاحه : صلبه ،
قليل الحياء ، والآنثى : وقاح .

فَهَيْتَكَ ^(١) عَضُوا عَضُوا ، وَبَدَّكَ شَلُوا شَلُوا ^(٢) ، وَجَمَلَكِ عِبْرَةٌ لِكُلِّ نَاطِلٍ
بَعِينٍ ، وَمِثْلًا لِكُلِّ سَامِعٍ بِأُذُنٍ . اتَّقِ اللَّهَ تَجِدَ ثَمَرَتَهُ شُلُوعًا ، وَعَاقِبَتَهُ مَحْمُودَةً ،
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْتَهُ اتِّقَاهُ غَيْرُكَ يَمَّا تَرَاهُ مِنْ إِنْزَالِ بَأْسِهِ بِكَ ، وَأَخَذَتَهُ لَكَ .
ثُمَّ تَقْتَرِ بِمَالِكَ : فَلَوْ شَاءَ ، لَأَفْقَرْتُ قَبْلَ الْمَسَاءِ ، وَأُحْوجُّكَ إِلَى أَقْلٍ الْخُلُقِ ؛
أَوْ بِمَوْتِكَ : فَلَوْ شَاءَ لَأَعْمَجَزَكَ عَنْ أَصْغَرِ الْبَقَى ^(٣) . إِنَّكَ غَيْرُ مُبْقٍ عَلَى نَفْسِكَ .
وَلَا وَاصِفٍ لِمَا بِكَ لَطِيبٍ يَجُودُ بِدَوَائِهِ عَلَيْكَ . أَيْهَا الْبَاحِثُ عَنْ غَيْبِ هَذِهِ
الشَّهَادَةِ ، بِلِسَانِ الدُّسْكِ وَالزَّهَادَةِ ، تَلَقَّ مَحَبَّتَهُ لَكَ بِرَوْحِكَ ، وَأَنْعَمِ بِنَسِيمِ وَدَّهِ
تَجِدَ رَاحَتَكَ ؛ وَانْفِ عَنِ هَمِّكَ كُلِّ مَا نَفَاكَ عَنْ حَظِّكَ ؛ وَاخْطُطْ عَلَى قَلْبِكَ
بِقَلَمِ الْعِلْمِ حَقَائِقَ الْحُبِّ بِعَلَائِقِ الْوَجْدِ ، مُتَبَرِّئًا مِنْ كُلِّ مَا رَاقَ الْعَيْنَ ، وَاسْتَرْقِ
السَّمْعَ ، وَاسْتَعَارِ الْمَشَاعِرَ ، وَحَالِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ السَّرَائِرِ ، فَإِنَّكَ مَتَى رَأَيْتَ
هَذِهِ الرَّبَاعَ ^(٤) الْخَلِصَةَ ، وَوَرَدْتَ هَذِهِ الْمَنَاهِلَ الْعَذْبَةَ ، وَتَعَطَّرْتَ بِهَذَا الْجَوْ
النَّدَى وَالْهَوَاءَ الرَّقِيقَ عَطَفْتَ عَلَيْكَ بِكَ ، وَرَجَعْتَ إِلَيْكَ مِنْكَ ، وَأَدْرَكَتْ
مَا فَانَكَ ، وَوَلَّيْتَ بِلَدِّكَ ، وَصَرْتَ أَذْنَا سَمِيعَةٍ ^(٥) ، وَعَيْنًا نَاطِرَةً ، وَلِسَانًا
خَطِيبًا ، وَقَلْبًا وَاعِيًا ، وَرُوحًا طَيِّبًا ، وَشَاهِدًا مَقْبُولًا ، وَغَائِبًا مُنْتَظَرًا .
يَا هَذَا ! الطَّرِيقُ مُخْتَصِرٌ ، وَالْأَدْلِيلُ وَاضِحٌ ، وَالشُّوقُ مُتَوَقِّدٌ ، وَالسَّرَارُ ^(٦)

- (١) هَتَ الشَّيْءُ (مِنْ بَابِ نَصَرَ) : كَسَرَهُ وَفَتَّتَهُ .
(٢) الشَّلُو : المَضُوعُ مِنْ أَعْضَاءِ اللَّحْمِ .
(٣) هُوَ الْحَشْرَةُ الْمَعْرُوفَةُ ؛ وَمَفْرَدُهَا بَقَّةٌ . وَهِيَ الْبَعُوضَةُ أَوْ دَوِيَّةٌ مَفْرُطَةٌ
حَرَاءٌ مُنَيَّنَةٌ .
(٤) جَمْعُ رَبْعٍ : وَهُوَ الدَّارُ بَعَيْنُهَا حَيْثُ كَانَتْ ، وَالْمَنْزِلُ ، وَالْمَوْضِعُ
يُرْتَبِعُونَ فِيهِ فِي الرِّبْعِ .
(٥) ض : سَمِيعَةٌ .
(٦) السَّرَارُ : ضِدُّ الْجَهَارِ .

مرفوع - والتمثال مجموع ، والشئ منتظم ، والحبل ملتئم . ولكن بقي
أن نجيب إلى مآلك بما فيك ، وتعاف ما يُغويك ويرُدُّك ، فإنك متى نبأت
هذا المكان ، وتربعت في هذه ^(١) المغاني ، ترثمت واجداً بقولك :

[١١٠ ب] مكانك من قلبي هو القلب كله

فليس لشيء فيه غديرك موضع
وذكرتك روي بين جلدي وأعظمي

فكيف تراني - إن نسيثك - أصنع
إذا كنت أخفي ما أجنُّ من الهوى

تكلّم من سرّي يميني أدمع

دعني أيضاً من هذا ، فقد والله بالغت في الأذى . أما تعلم أن الزرداب ^(٢)

في السرداب ، والخناجر ^(٣) في الخناجر ، والسواد في العواد ، والمساوى

على المطاوى ، والمناشر على المباشر ^(٤) ، والمعلق ^(٥) على الخائق ، والعلاقم ^(٦)

في الخلاقم ^(٧) ، والمناصل في المفاصل ، والفوائل ^(٨) على المقاتل ، والمشاقص ^(٩)

(١) ص : هذا .

(٢) الزرداب : هو ما انحدَر من السيل .

(٣) ص : الخناجر .

(٤) مصدر ميمي بمعنى البشّرات .

(٥) الأشياء التي يعلّق منها الخنوق .

(٦) مصدر ميمي من علّق الشيء : كان مُراً .

(٧) جمع حلقوم .

(٨) بمعنى الخبال المفتولة .

(٩) جمع مشقص : فصل عريض .

- على الفرائص ، والآوتاد على الأكباد ، والنار في العار ، والتدوب^(١) في القلوب ؟
 إن كنت لا تعلم ، فتعلم ، وإن كنت تعلم فتكلم ، وإن كنت لا تتكلم
 فاستسلم . طاش — والله — الخلم عند ما لاح من أسرار هذا العلم ، حتى
 لو قو بل الدماء بالرد ، وعمول المواهل بالصد ، وتمدى في جميع الأحوال كل
 حد ، لكان العذر بيننا ، والمعدل هيناً ، والشأن محتملاً ، والقريح^(٢) مدملًا .
 يا هذا ! لا تذكره تاسياً : ولا نفسه ذا كراً . فإليك إن ذكرتَه تاسياً
 حجبك بك ، وإن نسبته ذا كراً عجبك منك . بل اذكره ذا كراً ، ولن تذكره
 هذا الذكر حتى تنساك^(٣) في ذكرك ، وتفقدك في أمرك ، فينشد يستولى
 عليك مذكوراً قبل ذكرك له بذكره لك . على أن هذا الذكر توصل
 واستعطاف ، والمرء من ورائه ووراء ما وراءه . وليس هناك ذكر ، لأنه ليس
 هناك نسيان ، إنما هو اتصال ومواصلة ، ووصال ووفصلة ، وحديث يأتي
 على كل حديث ، وأمر يجلي عن كل أمر ، وشأن يعزب عن كل [كل]^(٤)
 ذي شأن . وكيف لا يكون كذلك وفوق ذلك بما لا منتهى لذلك ، والربوبية
 تسرى أنوارها ، والبشرية تضيق أقطارها ، والنفس تبدو أخبارها ، والغاية
 يعرف إضمارها ، والحال يبرز عوارها ! فمن ذا الذي يرى بصره هذا التلاميذ^(٥)

- (١) التدوب جمع تدب (محرّكة) : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجرح .
 (٢) القريح : المتروك ، الجريح ، والجمع : قرحى وقواحي . والقروح (بالفتح
 ويضم) : البثر إذا تراسى إلى فساد . والمدمل : المبرأ . ويمكن أن تقرأ : مدملًا .
 (٣) أي تنسى نفسك .
 (٤) كذا مكررة في الأصل .
 (٥) كذا ! وتلمع البرق وغيره : أضاء .

فَلَا يَغْشَى ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَجِدُ هَذِهِ الرِّوَاغَ فَلَا يَنْشَى ^(١) ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَكْتَنُهُ
هَذِهِ الْأَعْجِيبُ فَلَا يَلْتَمَعُ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرُدُّ عَلَى سَمْعِهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ
فَلَا يَرْتَاعُ ؟ [١١١] وَمَنْ ذَا الَّذِي يُسْقَى مِنْ هَذَا الشَّرَابِ فَلَا يُسْكِرُ ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُحَدِّقُ حَلْفَهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَاطِرِ فَلَا يَسْدَرُ ^(٢) ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ
هَذِهِ الصُّورَةَ فَلَا يَمُتِقُ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُحَرِّمُ التَّائِذَ بِهَا فَلَا يَقْلُقُ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي
يُؤْهِلُ لِهَذِهِ الْحَالِ فَلَا يَبْتَمِجُ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي بُرْخِزَحَ عَنْهَا فَلَا يَنْشَنِجُ ^(٣) ؟
وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ تَلَهَيْتُ أَكْبَادَهُمْ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ فَارَقْتَهُمْ
أَرْوَاحَهُمْ وَجَدًّا بِاللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ تَبَلَّغُوا بِالْحُبِّ وَالزَّحْفِ إِلَى اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا
إِلَى قَوْمٍ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ طَلَبُوا الرَّاحَةَ بِالتَّعَبِ
جِبَاءً ^(٤) لِلَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ طَلَقُوا الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا غِنًى بِاللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ
بَايَنُوا السَّكُونَ وَمَا فِيهِ اسْتِقْلَالًا بِاللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ صَاحَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِاللَّهِ !
وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ سَيِّقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى مِنْ اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ^(٥) زَاعًا إِلَى اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ رَاحُوا إِلَى مَصْدُورٍ ^(٦)
لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ ! وَاشْوَاقًا إِلَى قَوْمٍ قَالُوا لِلَّهِ ، وَسَكَتُوا لِلَّهِ ، وَتَحَرَّكُوا إِلَى اللَّهِ ،
وَسَكَتُوا مَعَ اللَّهِ !

آه ! مَاذَا يَنْفَعُنِي شَوْقِي إِلَيْهِمْ إِذَا لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ ؟ وَمَاذَا يَجِدُنِي عَلَى نَزَاعِي
نَحْوِهِمْ إِذَا لَمْ أُعْرِفْ بَيْنَهُمْ ؟ وَمَاذَا حَاصِلُ مَنْ ذَكَرَهُمْ إِذَا كُنْتُ بِجَهْلٍ

(١) نَشَى رِيحًا طَيِّبَةً (أَوْعَامُ) يَنْشَى نَشْوَةً (مِثْلَةُ النُّونِ) : شَقِيحًا .

(٢) سَدَرَ الرَّجُلُ (مِنْ بَابِ فَرَحَ) سَدَرًا وَسَدَارَةً : تَحَيَّرَ .

(٣) تَشَنَّجَ جِلْدُهُ وَانْشَنَجَ : تَقَبَّضَ .

(٤) جِبَا فُلَانًا كَذَا وَبَكَذَا : أَعْطَاهُ . وَجِبَا الشَّيْءَ لَهُ : اعْتَرَضَ .

(٥) رَحِبَ الْمَسْكَنُ (مِنْ بَابِ عَلِمَ) رُحْبًا وَرَحْبًا وَرَحَابَةً : اتَّسَعَ .

(٦) كَذَا : فَعَلَّ أَصْلَهَا : مَصْدُورٌ ؟

عندهم ؟ وماذا يُعْنَى عَنِ اتِّسَابِ إِلَيْهِمْ إِذَا كُنْتَ مُنْفِيًّا عَنْهُمْ ؟ وماذا يَبْقَى
مَعِي مِنْ تَعْدِي بِهِمْ إِذَا كُنْتَ ذَلِيلًا فِيهِمْ ؟ فَمَا حِيلَةٌ مِنْ إِنْ اشْتَقَّ بِحُسْنِ
خَلْقِهِ عَاقِبَهُ سَوْءُ فِعْلِهِ ، وَإِنْ حَزَّ بِفَرْطِ صَبَابَتِهِ تَقَاعُسَ بِسَالِفِ جَنَابَتِهِ ،
وَإِنْ قَالَ كَانَ عَيْتُهُ فِي بِلَاغَتِهِ ، وَإِنْ جَرَّعَ ^(١) كَانَ شَرَفُهُ فِي إِسَافَتِهِ ،
فَلَيْسَ يَصِفُوهُ حَالٌ إِلَّا تَكْدُرُ ، وَلَا يَقْسَهُ عَلَيْهِ مُرَادٌ إِلَّا تَعَسَّرَ ، وَلَا يَصِحُّ
أَمَانُهُ لَا فِي سَقَرٍ وَلَا حَضَرٍ .

يَا هَذَا ! إِنْ الَّذِي صَمَدُكَ إِلَيْهِ وَوَهْلُكَ فِيهِ وَإِمَاؤُكَ نَحْوَهُ وَإِعْجَابُكَ
مِنْهُ : حَاضِرُهُ غَائِبٌ ، وَغَائِبُهُ حَاضِرٌ ، وَحَاصِلُهُ مَقْشُودٌ ، وَمَقْشُودُهُ حَاصِلٌ ، وَالْأَسْمُ
لِحَبِيبِهِ مُسَمًّى ، وَالْمُسَمًّى فِيهِ أَسْمٌ ، وَالتَّصْرِيحُ بِهِ تَعْرِيفٌ ، وَالتَّعْرِيفُ بِهِ تَصْرِيحٌ ،
وَالْإِشَارَةُ نَحْوَهُ حِجَابٌ ، وَالْحِجَابُ نَحْوَهُ إِشَارَةٌ . وَهَذِهِ قِصَّةٌ لَا تَعْرِفُ إِلَّا بِهِ ،
وَحَالٌ لَا تُعْرِى إِلَّا إِلَيْهِ ، وَشَأْنٌ لَا يُوجَدُ إِلَّا لَهُ . وَإِنَّهُ بَأْسٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ
بِمَا هُوَ بِهِ هُوَ ، وَبِأَنْتَ الْأَشْيَاءَ عَنْهُ بِمَا لَا يَكُونُ بِهِ ، فَاتَّخَذْتَ الْأَسْمَاءَ وَالْمَعَانِيَ
حَسَبَ مَا وَجَدْتَ [١١١ ب] الْمَصَابِيحَ مِنْهُ ، وَاتَّخَذْتَ أَيْضًا حَسَبَ مَقَاتِلِهَا
مَا كَانَتْ تَكْمُلُ بِهِ . فَوَقَفْتَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بَيْنَ الْإِخْتِلَافِ وَالْإِتِّلَافِ ، وَجَلَّ
هُوَ عَنْهَا بِمَا لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ وَإِتِّلَافٌ . فَالْهَذَا وَشِبْهُهُ قُفِّدَتْ الْأَشْيَاءُ
وَالْأَضْدَادُ فِي تِلْكَ السَّاحَةِ لَعَلَّوْهُ مِنْهَا ، وَغَنَاءُ عَنْهَا ، وَوُجِدَتْ هَاهُنَا لِحَاجَةِ
بَعْضِهَا إِلَى بَعْضِهَا ، وَتِلْكَ الْحَاجَةُ هِيَ السَّمَةُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْعَلَامَةُ الْبَائِتَةُ بِأَنَّ الَّذِي
أَحْوَجَهَا هُوَ الَّذِي غَنِيَ عَنْهَا ، وَأَنَّ الَّذِي غَنِيَ هُوَ الَّذِي بَرَى مِنْهَا ، وَالَّذِي بَرَى
مِنْهَا هُوَ الَّذِي قَدَّرَ عَلَيْهَا وَصَرَفَهَا ، وَأَجْرَاهَا وَوَقَّفَهَا ، وَأَسْمَاهَا وَوَصَفَهَا ،
وَعَرَّفَهَا وَعَرَّفَهَا ، وَوَضَعَهَا وَسَرَفَهَا ، وَأَهْلَهَا وَكَلَّفَهَا ، وَسَوَّاهَا وَخَرَّفَهَا ، وَبَدَّدَهَا

(١) مِنْ بَابِ قَطَعَ : جَرَعَ الْمَاءَ جَرْعًا ، وَجَرَعَهُ مِنْ بَابِ فَرَحَ : ابْتَلَعَهُ بَمَرَّةٍ .
وَشَرَقَ (مِنْ بَابِ عَلِمَ) الرَّجُلُ بِرَيْقِهِ أَوْ بغيرِهِ مِنَ الْمَائِعَاتِ الْمَشْرُوبَةِ : غَضُ .

وَأَلْفَهَا ، وَثَقَّلَهَا وَخَفَّفَهَا ، وَكَثَّفَهَا وَلَطَّفَهَا ، وَأَبْرَزَهَا وَكَفَّفَهَا ^(١) ، وَأَقْلَمَهَا
وَعَطَّفَهَا ^(٢) . أَفَيَكُونُ هَذَا النِّعَتُ ، إِلَّا لِمَا لَكَ الْوَقْتُ الَّذِي جَلَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَوْقَ
أَوْ نَحْتِ ؟ أَلَمْ يَنْبَغِ لَكَ ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا السَّيِّدَ ، أَنْ تَبْغِيَ مَا يَصِلُكَ
بِهِ أَوْ مَا يُوصلُكَ إِلَيْهِ لَتَكُونَ عَزِيزًا بِهِ ، مَرْضِيًّا عِنْدَهُ ، مَأْمُونًا عَلَى مِرَرِهِ ،
مُجَابًا إِذَا كَبِّيتَ ، مَقْبُولًا إِذَا شَبِّهْتَ ، مُحْفُوظًا إِذَا غَبِثَ ، مَرْضِيًّا بِعَيْنِهِ كَيْفَمَا
حَالَتْ بِكَ الْحَالُ ، وَآلُكَ بِكَ الْمَسْأَلُ ؟ بَلْ إِذَا أَتَيْتَ ^(٣) عَلَى هَذِهِ الدَّوْرَةِ
الْإِلَهِيَّةِ ، وَأَشْرَفْتَ عَلَى هَذِهِ الرُّوضَةِ الْقُدْسِيَّةِ ، فَلَا يَحُولُ بِكَ حَالٌ عَنْ حَالٍ ،
وَلَا يَكُونُ لَكَ حَالٌ ، وَإِنَّمَا الْحَالُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْبُودٍ غَيْرِ مَشْهُودٍ ، وَهَنَّاكَ إِذَا
صِرْتَ إِلَيْهِ مَشْهُودٌ غَيْرِ مَعْبُودٍ ، إِلَّا أَنَّكَ تَسْتَعِيرُ هَاهُنَا أَسْمَاءَكَ الَّتِي عَمِيَ
حَدُّكَ ، فَتَسْتَعِيرُ بِهَا أَعْرَاضًا تَرْتَفِعُ عَنْ حَدِّكَ . وَلَوْلَا التَّشَابُهُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ
وَالْمَوْرِدِ ، وَبَيْنَ الْمَشْهَدِ وَالْمَعْبُودِ ، وَبَيْنَ الْمَرْصَدِ وَالْمَقْصَدِ ، لَكَانَتْ الْعِلَاقَةُ
تَنْقَطِعُ ، وَالْحَقَائِقُ تَرْتَفِعُ . وَهَذَا يُبَيِّنُ الْحِكْمَةَ الْمُبْتَوِّثَةَ فِي ذَلِكَ ، وَيُخَالِفُ
الْقُدْرَةَ الْمَوْجُودَةَ لِعَيْنِكَ وَقَلْبِكَ . وَبِهَذَا وَأَمثالُهُ قَوِيٌّ رِجَالُهُ الْعَالَمِينَ ، وَاشْتَدَّ
شَوْقُ الْعَابِدِينَ ، وَاسْتَبْرَأَ الْخَائِفِينَ عَلَى الْعَارِفِينَ ، وَاتَّقَادَ عِدَانُ الْمُشْتَائِفِينَ ،
وَاسْتَخَذَى ^(٤) أَهْلُ ^(٥) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، وَإِلَى هُنَا أَنْتَهَى قَوْلُ الْقَائِلِينَ ،
وَعِنْدَهُ وَقَفَ عِلْمُ الْعَالَمِينَ ، وَعَلَيْهِ طَافَتْ أَرْوَاحُ الْوَاهِلِينَ ^(٦) ، وَإِلَيْهِ أَنْتَهَى
سَعْيُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ .

(١) كَثَّفَهَا تَكْنِيفًا : أَحَاطَهُ .

(٢) أَمَلَهَا .

(٣) أَتَانِي عَلَى الشَّيْءِ : إِتَانَةً : أَشْرَفَ وَطَالَ وَارْتَفَعَ .

(٤) اسْتَخَذَى اسْتِخْدَاءً : خَضَعَ — (وَقَدْ يَهْمَزُ) .

(٥) أَهْلُ : مَكْرُورَةٌ فِي الْأَصْلِ .

(٦) وَاهِلٌ (مِنْ بَابِ عِلْمٍ) يَوْهَلُ وَهَالًا ، إِلَيْهِ : فَرَعَ .

- أيها السامع ! هذا شرب قليل الوراد ، ورَبْع عديم السكان ، لأنه توحيد
يَحْتُ ، وتجريد مُحَضَّ ، وهو العطاء الذي [١١٢] لا يُؤْهَلُ إلا من ارتضاه
اللهُ من عبادِهِ ، وجعله تَلَمَّذاً في بلاده . فَإِنْ صَحَّ لَكَ تَحَرُّمٌ ، وحضرك
عَرْمٌ ^(١) ، ولاح لك نور . وانجاب غنك غرور ، وشاع فيك حبور وسرور ،
فجَدَّ في هذه المناهج سالكا إلى تلك الغايات التي قد شَوَّقَتْ إليها بكل ما أدرك
مَطْرَفُكَ وصمعتَهُ أَذُنُكَ ، وحواه قلبك ، وبالجملة بكل مشاعرك التي هي شعائر
الله عندك ، وآثاره قبلك ، وروائده إليك ، وهو الله بك ، وطواله عليك ،
وتوابعه منك ، فإنك متى جعلت الروح بهذه الأحاديث الغريبة دَيْدَنَكَ ،
فعما قليل تصير ممن إذا قال باح ، وإذا سمع ارتاح ، وإذا فكر طاح ، وإذا
اغترم ساح ، وإذا جَبِقَ فاح ؛ بل تصير ممن إذا همَّ مَلِكٌ ، وإذا تمنى أدرك ،
وإذا رنا لَحَظَ ، وإذا وجد حفظ ، وإذا تحرك حَنٌّ ، وإذا سكن اطمأن ،
وإذا اقترح نال ، وإذا سئِلَ أنال ؛ ربوبيته غلبت على البشرية ، وبشريته
بادت في الربوبية . — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .
فاتحة مقاصد القوم أن يقال : الحق خفي لكنه جلي ، وجلي لكنه
خفي ، والجلاء والخفاء اسمان شاعا به ، لا حكايا جريا عليه ، وحيلتان ظهرا
منه ، لامينيان جلا فيه . إن أردت النجاة فاعبده ، وإن أردت الاتصال
به فاقصده ، وإن أحببت أن تحبده فاعرفه ، وإن تمنيت أن تعرفه فجده ^(٢) .
يا هذا ، لُغْتُ الحق يحول بينك وبين الإعراض عنه ، وعَنْفُ الخلق
يحنك على الاعتراض عليه . الحق وَشَى ، والخلق حشو ، والوهم نفي ، والوصف
لغو . الحق أقرب من أن يشار إليه ، وأبعد من أن يُطْلَعَ عليه ، لأن قُرْبَهُ
- (١) عَرْمُ الرَّجُلِ (من بابي علم وضرب) : اشتد .
(٢) فعل أمر من : وجد الشيء ، يجده : جده .

ليس بتدان ، وُئِمَدَه ليس بقاء . مواهب الحق متصلة ، وأسباب الخلق منفصلة ، وليس هذا الترتيب عبارة عن محايير ^(١) ، ولكنه إشارة إلى عينٍ من غير كيف ولا أين ، ولا تمويه ولا مَبْنٍ ^(٢) : عين هي ينبوع العيون ، وحقيقة ما كان ويكون ، على اختلاف القلب والسكون . يا هذا ! الكل باد منه ، وقائم به ، وموجود له ، وصائر إليه .

اللهم إذا رضيتم في الأول عن أنفسنا على مذهب المغترين ، وسخطنا في الثاني عليها على طريقة المستبصرين ، فقابلنا على ذلك بما يحفظنا لك ، ويحفظنا لديك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (لح)

[١١٢ ب] اللهم إنَّ سائلنا إليك وذرائعنا لديك : إلى إخلاص معرفتك ، وحسن الثقة بك ، وفَرَط الاستسلام لك ، وجميل الثناء عليك ، ولطيف التجوُّي مَعك ، وشريف العبارة عليك ، وغريب الإشارة نحوك . فنسألك — بفضلك وجودك وكرمك ومجديك — أن لا تَرُدَّ سائلنا ، ولا تُهَيِّن ذرائعنا ، فإنها صَدَرَتْ من قلوب محشوة بمحبتك ، ونبتت في صدور ممتلئة برعايتك ، وهي التي تستحقها بالوحييتك ، وتجد السبيل إلينا بعبوديتنا لك ، وأنت أكرم من أن تُنبذها في وجوهنا ، ولا تقبلها بحسن رعايتك لنا منا .

يا هذا ! جَدَّدْ نظرك في أمرك ، وجوِّدْ فكرك في شأنك ، فقد علت السن ، وركَّزَت الكبرة ^(٣) ، وصرت تتحرك بأعين . وتسمهر برنين ،

(١) جمع حَبِير : المكان .

(٢) المبن : الكذب .

(٣) ركرك الشيء : ضَمَف ؛ ركرك الرجل : جَبَن . الكبرة (يسكون

الباء) : كبر السن .

وتذكر زمانك الأول بحنين ، فاجد قد وقع في التحرك عن هذا الحبل الذي
 طال فيه كذلك ، واتصل شقاؤك ، وتغيرت بك حال بعد حال ؛ والريح معك
 في هذا النحول ، لأن معك توحيداً تضيق عنه الأرض والسما ، ومعرفة
 تطايق في ضرب الشدة والرخاء ، وتوكل بالكمالية ، وإشارة تهدي
 إليك العناية ، وإيماناً هو قُرَّة كل عين ، وإيقاناً يزيد على كل زين ، وطمأنينة
 هي كَنز ، وخوفاً هو حرز ، ورجاءاً هو فوز . فلا تُخرجَنَّ صدرك بهناة
 كانت منك في عُرضها ، فإن تلك لا تُطمئنُ المعالم ، ولا ترفع الأصول ،
 ولا تعمل في التواعد ، ولا تأتي على الأسس . وأي موقع لتطرات شيء كرهه
 في بحر تجلي يغشاها موج من فوق موج ! مَنْ مثلك — ونفثك بريئة من الشرك ،
 وقلبك نقي من الكذب ، ولسانك بليل بالذكر ، ودُوحك غائص في الفكر !
 أنت والله المحسود المغبوط ، بل أنت المحفوظ المحوط . ستبلغ إلى حضرة ربك
 فتصادف روحاً وريحاناً ، وسكوناً واطمئناناً ، وتلقى هناك أولياءه مقدسين
 مُقرَّبين ، يتقبلون في النعيم المقيم ، فتحادثهم مستأنساً بهم ، وتذكر نعمة الله
 عليك وعليهم ، وتسمع من قولهم : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وتصف
 ما كنت فيه هاهنا من أصناف الأذى ، وتشكر الله على نجاتك منها وانسلاك
 عنها وما عاضك عنده من الرضا والقبول اللذين هما فوق الذهب الأحمر والورق
 الأبيض والسُّلْك الرقيق والتطعم اللذيذ . وليس هذا ببعيد . وإنما بينك
 وبينه قومة ، ثم انتباهة ، [١١٣] ثم التَّبوُّء من الجنة حيث تشاء آمين
 الشُّرب ، طيب الشُّرب ، رخي البال ، رفيع الناظر ، تُجَنَّبِي بتحية الأمانة (١) ،

(١) ض : هو .

(٢) جمع : أمين .

مُتَمَلِّئٌ بِالسَّلامِ وَالسَّكِينَةِ ، فِي حُبِّهِ ^(١) مَوْصُولَةٌ بِحَيَاةٍ ، وَنِعْمَةٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَى نِعْمَةٍ ،
وَكَرَامَةٌ مَشْبُوعَةٌ بِكَرَامَةٍ ، وَسَلَامَةٌ مَشْفُوعَةٌ بِسَلَامَةٍ .

يَا هَذَا ! قَابِلْ تَشْوِيقِي لَكَ بِالشَّوْقِ مِنْكَ ، وَوَاصِلْ أَذْكَارِي لَكَ بِالتَّنْذِيرِ ،
وَاقْبَلْ نَصِيحَتِي بِالشُّكْرِ ، فَإِنَّ رَاحَ الْقُلُوبِ وَهَرَّةَ الْأَرْوَاحِ وَطُمَأْنِينَةَ النَّفُوسِ
فِي قَبُولِ النَّصَائِحِ وَرَفْضِ الْقَبَائِحِ . وَصِلْ قَبُولَكَ مِنِّي مَا تَسْمَعُهُ بِالزِّيَادَةِ فِي الرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ ، وَبِالنَّيِّبَاتِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَعْبُودِ الْمَنْصُودِ ، وَبِالْكَرَّخِ فِي كَسْبِ مَا يَرْضِيهِ
مِنَ الْعَبِيدِ ، — وَاثِقًا مِنْهُ بِحَسَنِ النَّظَرِ فَيَسَاءَ وَسَرَّ ، أَوْ نَفَعَ وَضَرَّ ، أَوْ أَحْلَا
وَأَمَرَّ . إِنْ مَضَعَ الْحَنْظَلُ الْحَوْلَى عَلَى بَسَالَتِهِ وَمِرَارَتِهِ قَلِيلٌ فِي طَلَبِ الدَّارِ
الْعُلُويَّةِ : وَالنَّوْمَ عَلَى الْمَزَابِلِ وَمُجَاوِرَةَ الْكَلَابِ سَهْلٌ مَعَ الْمَصِيرِ إِلَى حَيْثُ
لَا مَرَضٌ وَلَا عَرَضٌ ، وَلَا آفَةٌ وَلَا عَاقِبَةٌ ، بَلِ الْإِنْتِحَارُ وَفَتْ السَّكْبَدِ وَزَهَقَ
الرُّوحُ هَينٌ إِذَا كَانَ ذَلِكَ طَرِيقًا ^(٢) إِلَى رِضَا اللَّهِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ ، وَمُدَبِّرُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . ٥١ .

يَا هَذَا ! تَقَلَّبْ مَقْنَعًا فِي هَذِهِ الرِّيَاضِ الَّتِي قَدْ أَزْدَهَرَتْ بِالْعِلْمِ الْحَقِّ ، وَالْحِكْمَةِ
الْبَالِغَةِ ، وَالنَّصِيحِ الْحَاضِرِ ، وَالْإِشْرَادِ الْحَسَنِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْخُلُوعِ ، وَالِدَعْوَةِ
الْجَامِعَةِ . وَخُذْ نَصِيحَتِي مِنْ نَظَرِهَا فِي الْمَنْظَرِ ، وَطَيْبِهَا فِي الرَّائِحَةِ ، وَحُلُوهَا
فِي الْمَذَاقِ . فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ غَايَةٌ بِالْجِدْوَى ، وَخُفَّتْ عَنْكَ مَا تَجِدُهُ مِنْ ثَقَلِ
الْبَلَاؤِ ، وَمُقَرَّبَ لَكَ إِلَى فَنَاءِ بَابِ الْمَوْتِ .

لَعَلَّكَ تَشْكُرُ قَلْبَكَ وَتَجِدُ التَّوَادَّ عَلَيْكَ ، وَتَرَاهُ مُخَالَفًا لَكَ . فَلَا حُجْبَ أ
وَلَسْكَنَ دَارِهِ ، فَإِنَّ قَلْبَكَ أَنْتَ ، وَأَنْتَ قَلْبَكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ غَيْرَكَ يُضْجِرُ
مِنْ قَلْبِهِ وَيَشْكُو مَا يَنَالُهُ مِنْ كَرْبِهِ ، حَتَّى قَالَ فِي وَصْفِهِ مَتَضَجِّرًا بِفَعْلِهِ :

(١) الْحُبُّوَّةُ (مِثْلَةٌ) : الْعَطِيَّةُ .

(٢) ص : طَرِيقٌ .

قلبي إلى ما ضرتني داع ^١ يُكسر أحزائي وأوجاعي
ككيف اختراسي من عدوي إذ ^٢ كان عدوي بين أضلاعي ١٢
وقال آخر قد زاد على الأول :

هذا فؤادي وطرفي قد سببا لي حثي

٥ [١١٣] فكيف أحذر يا قوم م من فؤادي وطرفي !

صدق الرجلان : فالأول وجد ^(١) عدوه في نفسه فاستصعب التخلص منه ،
ولعمري هو صعب ! وأما الثاني فجمع بين فؤاده وعينه ، واستغاث منهما ،
وذكر أنهما قد أضافاه إلى حثفه ، وهذا كله لفسولة ^(٢) والظور ، والركاكة
والكيل . وإلا لو صدقت النية وجبت البرة ^(٣) وخلصت العزيمة ،
١٠ لكان قهر القلب إذا عتاسهلاً ، وغض العين إذا طفت قريباً . ولكن النيات
مدخولة ^(٤) ، والعزائم ضعيفة ، والتمني غالب ، والنفس مسولة ، والطباع خوارة .
وفي الجملة توفيق الله غير مستبذع ، وتأيمده غير مشتمل ، فكيف يكون حال
من هو موكول إلى حوله الضعيف ، ورأيه السخيف !

هذا والعادة على نعمها جارية ، والقرناء ^(٥) على غشهم مارئون ، فلا ترى
١٥ عين للخير مجتلياً ، ولا للتناصح مشهداً ، ولا للتعاون على البر والتقوى مجعاً ،
حتى كأن الشريعة ما وردت بمراشدهم ، والسياسة ما قامت بمصالحهم .

(١) ص : صدق الرجلان في الأول فوجد .. وهو تحريف ظاهر .

(٢) قيل (على الجهول) فسالة وفسولة : كان فسلاً والفسل : الضعيف
الذل الذي لا مروءة له ولا جلد ، وكل مستردل ردي .

(٣) البرة (بكسر الميم) : قوة الخلق وشدة .

(٤) المدخول : من طرأ على عقله دخل (وهو ما يدخل الإنسان من فساد

في العقل أو في الجسم ، أو المسكر والخدعة) ، المهزول : الغيب .

(٥) أو القرباء .

حتى كأنهم إنما فضَّلوا على البهائم بالقتل ، لا للمأبقة التي لا بد من الصيرورة إليها ، لتعجل اللذات في هذه الدار الزائلة الثانية التي ما حَمدَها أحد : لا مَنْ طَلَبَها فلم يجدَها ، ولا مَنْ وَجَدَها ، ولا مَنْ زهد فيها بغير خِبرته لها ، ولا مَنْ بلغ غاية مراده منها . فقد رأينا هذه الضروب ، فكلهم ذمُّوها وكرهوها ، واقشروا من دواهبها ، وأثَّروا من فجائعها ، وراحوا إلى الله بوجوه باسرة ^(١) ، وظهور ثقيلة ، وأكف خالية ، وآمال خائبة ، وظنون كاذبة ، وشقاوة غالبة . وليس عجبي من هذه الحال بعد المعرفة بأمرها والحيرة بشأنها ، ولكن عجبي من تهافت المتهافتين فيها ، وتهالك المتهالكين عليها ، وتسرع المتسرعين إليها . واتخذاعهم بأحرها وأصفرها منها ، وظنهم أن من فاز بالدنيا فهو الغانم ، ومن فاته فهو الشقي ، وليس ينقضى هذا العجب ولا ينتهي إلى آخر . والله المستعان :

يا عاشق الدنيا بجُلِّ ^(٢) لا تنجلك فيمن جهل

فكل ما أحبا قتل

يا جامع المال ! قارب وانظر هل جمع غيرك جمعك وبلغ إرادتك ، فإذا كان آخره ؟ [١١٤] يا مشتهراً باللهو واللعب ! قد أفنيت تشبيك ^(٣) في ذلك ، فما حاصلك ؟ يا ساعياً في الشر والفساد ، اجعل لنفسك غاية تقف عندها . يا شاكياً لربه ^(٤) إلى خلقه بقوله : رزقي قليل ، وحظي نزر ، وحالي قاصرة ، وحاجتي متصلة — لا تفعل ، واستيقن أنه ناظر لك في حالتك عُسرِكَ ويُسرِكَ ، وأنه أعلم بتدبيرك وأحفظ لمصلحتك . لا تنهم

(١) بَسْر (من باب نصر) ، بَسْرًا : كَلَح ، فهو باسر .

(٢) كذا :

(٣) التشبيب : ذكر أيام الشباب واللهو والغزل .

(٤) كذا ! ولعل الأصح : ربه .

في قضائك : ولا تنقبض من تدبيره . فما زوى عنك ما تريده بخلاً عليك ،
ولكن لأمرٍ جليله دقيق عندك ، ودقيقه جليل^(١) في نفسك . ولن تعرف
حقيقة ما تسمعه مني إلا بأن تتحقق أنك عبد . فإذا تحققت أنك عبد ،
تحققت أنه مولى . وإذا تحققت أنه مولى ، تحققت أنه ليس بين المولى والعبد
حقد ولا ترة^(٢) . ولا طائلة . فإن دبرك بما يلائم طباعك ويوافق هواك
فذاك ، وإن دبرك بغيره فذاك . أنت عبد ومُسْتَحْدَم ومُدَبَّر ، ولولاك فيك
مراد ، وذلك المراد غيب ، وليس لك أن تدقَّ باب الغيب ، وتستشف
ما وراء الحجاب ، وتدنو إلى محلٍّ لم تؤهل له . ولم يؤذن لك في الوصول
إليه . فهل تُتَبَّق بعد هذا كله مع هذا الجناح والطامح^(٣) ، والغيط والكمد ،
والتطويل والتهويل ، إلا ما تسلَّم به عاجلاً وآجلاً : عاجلاً من بلاء يَهْتِك^(٤) به ،
ويجعلك مشاراً إليه بين خلقه ، وآجلاً بفضبه وإيعاده^(٥) وسُخْطه وعذابه ؟
إنك < إن > لم تسدد الفكر في هذا وشبهه ، شئت بك من هو دونك .
يا هذا ائخذ بنا إلى ذكر قوم قطعوا أيام حياتهم بالصبر المر ، وتجرعوا
مرارتها بشدة الشكائم وقوة الصراخ : وطلوا ما انتشر منها بالثقة الموقنة
والطمأنينة الثامة وطلب الزلفة عند من له السلطان والعظمة والقدرة والعزة ،
ورأوا أن ما بذلوه من أنفسهم دون ما أحرزوه^(٦) لأنفسهم ، وما جروه إلى أنفسهم

(١) ص : جليله .

(٢) الترة : التأثر .

(٣) الطامح (بالكسر) : الكبر والفخر .

(٤) هَتَّ (من باب نصر) العِرض : مَرَّته .

(٥) أوعده إيعاداً : مهَّده .

(٦) ص : أحرزه .

فوق ما أطلقوه من أنفسهم ، وأنهم بصير أيام قصيرة أدركوا ما أطلقوه ،
 وبثحمل أذى فنقص نالوا ما تمنوا . فتعال حتى نلبس شمارهم ، ونلزم هديهم ،
 ونفوحى وحيهم ، ونقتنى إثرهم ، ونأخذ عناهم ، ونرضى بما رضوا ، ونحيا
 كما حيوا ، ونهوى ما هؤوا ، ونرمى إلى غرضهم فإنه منصوب ، وندين بدينهم
 فإنه محسوب . وإذا كان الطريق نهجاً ، والسالكون قوفاً ، والعمل
 خفيماً ، [١١٤ ب] والزمان نصيراً ، والغرم قليلاً ، والغنى كثيراً ، والمعونة
 حاضرة ، والنية طاهرة ، والزاد موجوداً ، والمهمل أهلاً ، والمسلك آمناً ،
 والسبيل مضمناً ، والليل مقمراً ، والنجوم زاهرة ، والسرى ^(١) متصل ،
 والصباح محمود ، والبلاغ قريباً ، فما الذى يتعد بالمسافر عن قطع المرحلة
 وطى السبيلة إلا سوء الاختيار وقلة النظر لنفسه فى الإيراد والإصدار ؟
 والله ما هو إلا إغفاءة عن هذه الدنيا الجافية النايطة القاسية الفادرة الفانية
 الفاجئة ^(٢) النكدة : ثم المتقارب إلى الله الكريم ، وجناته المحفوفة بالنعيم ،
 وحضبة ملائكته المقربين . فليَم هذا كله ، وعَلَام هذا كله ؟

من غَصَّ دَاوَى بِشُرْبِ الْمَاءِ غُصَّتْهُ

فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ ؟ !

(١) السرى : سير عامة الليل ، مؤنث ويذكر : يقال : أعجبتنى وأعجبتنى
 سراً . وقوله هذا يذكر بالمثل المعروف : عند الصباح يحمد القوم السرى :
 مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة ؛ ويضرب أيضاً فى الحث على مراعاة
 الأمر والصبر وتوطيد النفس .

(٢) فجأة وفجئة (من بابى علم وقطع) والثانى أفصح : فجأً وفجأةً وفجأةً :
 هم عليه وطرقه بغتة من غير أن يشعر به ، — فهو فاجئ .

اللهم إنا نرى الطريق سهلاً قريباً إذا نظرنا إلى تفضلك علينا وإمدادك
لنا ورأيتك بنا ، ونراه عسيراً بعيداً إذا فكرنا في إصرارتنا على مخالفتك
وقلة انقيادنا في طاعتك ، ودوام عكوفنا على سخطك ، وسوء نظرنا فيما بيننا
وبينك ، فنحن بين النظرين على ترجيح وترجح ، لا استقرار لنا ولا ثبات
ولا زاد . إلاً ثلثت بإحسانك في الثاني كما بدأت به في الأول فإنك إذا فعلت
ذلك ، وجدنا ما ضلّ عنا ، وأدركنا ما طائنا ، ولعمنا وسعدنا ، وحسدنا غيرنا
كما كنا تحسداً غيرنا . وما يكبرُ عليك ذلك ، فقد عرفت فقرنا وحاجتنا ،
ومعجزنا وفائقنا . وإن اختيارنا لا يعبقُ بالصواب إلا إذا أرشدته ، ونظرنا
لأنفسنا لا يظفر بالنتيج إلا إذا سددته . فكل ذلك لا يتم إلا بك ، ولا ينظم
إلا بعرفتك .

١٠

يا هذا ! قد صرقت لك القول في فنون من العبارة على ضروب من الإشارة ،
جذباً لضبعك^(١) إلى المحل الأعلى ، ورفعاً لطرفك إلى الحد الأقصى ، ورفعاً بك
في كل ما تفرق منه وتخشى ، وتقديماً للحزم في أمرك بإرشادك وتبجيلك .
فكنُ مُعِينِي عَلَى نَفْسِكَ كما كنتُ مُعِيناً لَكَ فِي اجْتِلَابِ أَنْفِكَ . وعلى أى حال
كنتُ ، فلا تَنْبِ^(٢) على محارم الله منتهكاً ، ولا تَقَسُّ على عباد الله محتكاً ،
ولا تنس حظك من الله معترماً^(٣) ، ولا تنس ذكر الله متهاوناً ، [١١٥] ولا تبحث
عن مكنون غيبه مُقَدِّماً ، ولا ترتكب مخالفته مجاهداً ، ولا تترك التوبة في كل
حال مستظهِراً ، ولا تَسَلَّ غيرك مستخبراً ، فإنك أعلمُ بِدَخَلَتِكَ ، وصالحَتِكَ

١٥

(١) مهيلة النقط في الأصل ، فاخترنا أن نقرأ هكذا ، والضبع (مثلكه
الضاد) : الكيف والناحية ، ويقال : هو في ضبع فلان أى : كنهه وناحيته .
(٢) مضبوطة هكذا في الأصل .
(٣) اعترم وتعترم علينا : أشرف ومرح وسطاً .

وطائلتك ، وفائدتك وغائلتك . وعائدتك وعاديتك . بل الإنسان على نفسه
 بصيرة . وصادقٌ من يدعوك من الدنيا إلى الآخرة : ومن أطلق إلى الله ،
 ومن الشهوة إلى العفة : ومن الكسل إلى النشاط ، ومن الغفلة إلى اليقظة ،
 ومن الإهمال إلى الحزم ، ومن السكر إلى الصحو ، ومن الخرق ^(١) إلى الرفق ،
 ومن الهوى إلى العقل ، فإن أكثر الناس نجوا بقرنائهم ^(٢) ، كما أن أكثرهم
 هلكوا بقرنائهم ^(٣) ، للتدبير الواقع بينهم ، والتناصح المرفوع عنهم ،
 والتكالف ^(٤) الذي يصطلحون عليه في كل حال ، لا جرم يتورطون
 في عواقبهم ويتمنون الرجعة إلى أحوالهم ، فيكون ذلك كله غروراً منهم ،
 وجهلاً بهم ، ونعوذ بالله من الشقاء إذا أطل ، والحين إذا أقبل ، والعسر
 إذا استمر ، ومن البلاء إذا استقر .

فالله الله في نفسك الضعيفة ، لا توردها إلا بعد الثقة بصدرها ، ولا تصديرها
 إلا بعد الأمن من ورودها .

يا هذا ! هذا كله هيئمة ^(٥) لقوم قد فقد سوادهم في عصرك من بين
 من ترى . كانوا يديرونها بينهم كصحيفة منشورة : ينظرون فيها ، ويتعرفون
 ما في حواشيتها . فإذا رأوا حسنة سرّوا بها غير بطّرين ، وإذا رأوا سيئة
 ندموا عليها مستغفرين ، ولم يعودوا إليها مجتهدين . فاليوم قد نسيت هذه
 الهيئمة وأخذ فيما لا عائدة له ألبتة : من شتم عرض وذكرة ^(٦) شعر وحسد

(١) الخرق (بالضم) : ضد الرفق .

(٢) كذا في الموضعين ! ولعل أحدهما : بقرائهم .

(٣) تكلف بعضهما أمور بعض . وقد تقرأ : التكاذب .

(٤) الهيئمة : الصوت الخفي .

(٥) الذكرة (بكسر الذاء) : ضد النسيان .

صاحب وقرَّح بإرجاف ، وإظهار لِسخط وِطَّاول بكبر ، وتبسُّط في مُكر ،
وتقبض عن عُرف ^(١) . لا جَرَم إذا رأيت ذادين وعقل ، رأيت شاحب
الوجه ، خفيض الصوت ، ضئيل الجسم ، كليل الحد ، قليل النشاط ، شديد
التبرم بالحياة ، كثير الحنين إلى الوفاة . يتكلف إذا تكلم ، ويتحمل إذا نهض ،
ويتباعد إذا دنا ، ويقتم إذا قضى . قد يئس من الحياة وطيبها ، ورفع الطمع
عن عود الشريعة إلى مأثها الحلو المذاق ، وإلى زينتها الأولى ، وإلى عيودها
الأول . فهذا وما أشبهه قد بهتته وكرَّبه وحال بيته وبينه ، [١١٥ ب]
فهو كالغريب بين الناس : يعلم ما هم فيه ، ولا يعلمون ما هو فيه ، مشغول
بنفسه ، معتذراً إلى الله تعالى من عجزه عن إقامة مناره ، وإظهار شعاره ، على غاية
اختياره ، ونهاية اقتداره ، للتائبين شأن ، وله شأن والسلام .

١٠

رسالة (بلج = لعل)

إلهنا ! إلهنا ! كيف نسبو عنك وأنت تُجاهنا ، وتواصلنا بالنعيم بعد النعم ،
وتغمرنا بغرائب فنون المواهب والقيم ، وتناغي أسرار قلوبنا بصنوف اللغات ،
وتنشر علينا عجائب الملكوت على اللغات ، وتلاطفنا في كل حال من الحالات ،
بما هو أعود علينا من الحياة الموصولة بالحياة ! نسألك — بجلال وجهك ، وضامض
غيبك ، وخفيات ملكوتك — أن تُوفِّقنا لشرك ، وتهيئنا لقبول مزيدك ،
حتى إذا أحسننا بذاك من فضلك ، نعمنا في توخي مَرْضاتك وغنيننا به
عن جميع خلقك .

١٥

إلهنا ! أنت الكهف عند الشدائد ، والمُنْتَهَى عند الأوايد . ذلَّ لجبروتك
السَّهْلُ والجَبَلُ ، وطاب من أجلك اللوم والعَدْلُ ، وزكا بتوفيقك العلم والعمل ،
(١) أي : معروف .

٣٠

وانقاد لأمرك الأئس والجن ، واستوى في إدراك كُتُهِك اليقين والظن .
 قد تعرضنا لجودك ، وشئنا برِّق عطائك ، ووردنا شريعة فضلك ، ورفعنا قلوبنا
 بالإخلاص إليك ، وتوكلنا في سرائنا وضرائنا عليك . فيصك نلتبس ،
 ونورك نقبس ، وفي بحر أياديك ننغمس . اللهم فتمم النعمة علينا ، بأن تكفيننا
 ٥ مؤونة خلقك التائبين عن بابك ، المصيرين على مخالفتك ، الجاهلين الجاحدين
 لنعمتك ، الخدوعين بخارف عالمك ، المغرورين بخوافي استدراجك . فقد عاذونا
 من أجلك ، وحسدونا لما خصصتنا به من وحيك وتأييدك ، وحاولوا بُعدنا
 عنك ، وسعوا في إبادتنا وإيارتنا ، لأننا دعوناهم إليك ورغبناهم فيما لديك ،
 وفطمناهم عن ارتضاع الدنيا المشئومة ، وعنفناهم عند احتقابهم للأوزار
 الثقيلة . وفي الجملة ، ملئناهم ومَلُونَا ، وضائق صدورنا بهم وصدورهم بنا .
 ١٠ فكما فرقت بيننا وبينهم بما وهبت لنا وحرمتهم ، فرق أيضاً بيننا وبينهم
 حتى لا نخس بهم إذا سبعونا ^(١) ، ولا نحمل بتوهم إذا سبونا ، ولا نكثر
 لنكائتهم إذا قصدونا ونصبوا لنا .

[١١١٦] أيها السامع ! هذه مناجاتي لربي مع أخوات لها عندي .
 ١٥ فإن حركك العشق الرباني ، وحفز سرك الشوق الإلهي ، وهب في فضاء صدرك
 النسيم القدسي ، فتبلغ إلى واحل ثلك على حتى تصدر غنياً بلا مال ، وعزياً
 بلا عشير ، ومستقلاً بلا معين ، وحيّاً بلا آفة ، وواجداً بلا عدم ، وكافياً
 بلا فناء ، وفرداً بلا رقيب ، وتاماً بلا نقص ، ومسروداً بلا هم ، ومشروحاً
 بلا كرب ، وطالماً بلا غروب ، وصاعداً بلا نزول ، ومنظوماً بلا انقثار ،

(١) سبع فلاناً (من باب قطع) : شتمه ووقع فيه ، وقيل : عضه بأسانه .

وملوماً بلا انتشار ، ومزحاً بلا بَطَر ، ومُدْرَكاً بلا عُسر ، ومقبولاً بلا رد ،
وموصولاً بلا صد ، ومُتَعَمِّلاً عليه بلا تنقيص ، ومحبواً بلا تنقيص .

نعم ! فديتك ! هذا حظك مني إن فادك التوفيق إلي ، وأوفدك السمُد علي .
وإلا فأنت من خُشارة ^(١) هذا السواد الذي لا يبالي الله في أي واد هلكَتْ ،
وعلى أي جانب وَقَعَتْ .

يا هذا ! دَعْ ما وَقَرَّ في أذُنك من جلة ما هَدَيْت به عليك ، وحَصَلْ الآن
ما أقول : فإنه الوصف الذي شملني ، والنعمة الذي ملكني ، واطلب نفسك
في جَنَابِهِ ^(٢) ، وتصفح عن أصلك وفصلك بعلاماتك ، فلملك تأخذ بيدي
عند عثرتي ، وترحمني لانسكاب عبرتي . فأول ما أقول واصفاً لحالي في سرى
وعلائقي : استرقني عن عياني خبري ^(٣) ، فيها أنا بين العيان والخبر بلا عين
ولا أثر . ولقد صبرتُ على الاسترقاق ، لولا أنه اتصل الآن بالاسترقاق ،
فقد وحقَّ الحقُّ دُبْتُ كُنداً ، ومدت ومدا ^(٤) ، ومارست كُنداً ^(٥) ، حتى لحظت
أحدًا فرداً صمداً . فالآن شوق إلى عَيْن تَبْسُط خبري ، وإلى خبر يحقق عيني ،
فأرتقي من ذاك إلى أن أبين في كوني ، وأتبرأ من شَيْئِي إلى زيني ، وأخلص
إلى حرم ساكنه مطمئن ، ومنتجعه مختضم ، واليقظان فيه متنعم ، والحالم به

(١) الخُشارة . (بالضم) : الخُشار : وهو الرديء من كل شيء ، وسفلة
الناس ودونهم .

(٢) ص : حنابة .

(٣) وقد أصلحت في النص هكذا : استرقني في عياني خبري .

(٤) وَمِد عليه : غضب وحمي . وماد يميد : مال . والنص كما أثبتنا .

وقد يجوز أن يكون صوابه : ومدت ومدا .

(٥) الكُبد (محركة) : الشدة والمشقة .

مفتنم ، والراضى به مرضى ، والمسكتفى به مكفى . هناك هناك ! وما أدراك ما هناك ! هناك غيث رذاذه وابل ، وقليله كثير ، وصعبه منقاد ، وعدمه وجدان ، ونقصانه رجحان ، وبعضه كل ، ونزده نظم ، ولطفه نطق ، وعبدته سيد ، وفقيره غنى ، وكرهه شهى ، وقعره وطى ، وغريبه آهل ، ومصدوره باهل ^١ ، ووارده ناهل ، وظلامه نور ، وصوته درور ، وكاه سرور ، وبعضه حبور . يا هذا ! [١١٦ ب] زلت عن رسم حالى ، لاختلافى فى مقالى وفعالى ، وغيبتى فيما عالى عالى . وهذه أماره سوء ، وكسوف ضوء ، وخلاف نور . فما أصنع ؟ البرق خطوف ، والمزن قنوف ، والمركب قطوف ^٢ ، والسائق عنيف ، والفائد شئوف ^٣ ، والنفس عزوف . إن شكوت ماى لم يسمع ، وإن سمع لم ينفع ، وإن نفع مع الحال يقطع ، وإذا قطع زاد الوجع . فيا عجبا ! أين العطف والرأفة ، وأين الرقة والشفقة ! وأين البقية ^٤ والرحمة . هيهات ! النمشة عند العثار معدومة ، والدهشة عند النار مكتومة ، والشهادة فى الغيبة مجحولة ، والنبية فى الشهادة مجحولة . وكل هذا عجب ، وكل عجب من هذا شجب ^٥ . فهل عندك يا أنيسى حيلة فيما ذكرت ؟ بل هل عندك خبرة بما طويت ونشرت ؟ بل هل تقف على عويص هذه الترجمة الإلهية ؟

- (١) المصدر : الراجع ، والباهل : المتردد بلا عمل ، أو قليل الحظ من الشيء .
- (٢) القطوف : الدابة التى تسمى السير وتبطن ، والجمع : قُطُف .
- (٣) غير واضحة تماماً . وشئف الرجل (بالبناء على المجهول) : فرع وذعر فهو مشؤوف . وشئوف صيغة مبالغة .
- (٤) غير واضحة فى الأصل .
- (٥) من الشحوب : وهو تغير اللون من الهم أو هو الهم نفسه أو لعل : شجب (بالجيم المعجمة) : الحاجة والهم .

بل هل لك طريق إلى ترجمة هذه العويصة الانسية ؟ إنه يسبق إلى ظني
أنك من لفيف هذا السواد ، الذين يتقلبون في البلاد ، بلا زاد ولا عتاد ،
ولا مَراد ولا ارتياد ، ولا اعتياد ولا اعتداد ، ولا انقياد ولا اقتياد . رؤوس
وعمام ، وأكتاف وطيالس وأكلم ، وتبختر وأذيال ، وتسحب **<وإدلال>**
ثم لا لفظ منقّى ، ولا لحظ موقّى ، ولا أرى له عَقْبِي ، ولا مرأى له تقوى ،
ولا علم له مُقْتَبَس ، ولا عمل له مُلْتَمَس ، ولا استظهار لغد ، ولا أَسَفَ على أمس ،
ولا انتبَاهَ لحكم الوقت ^(١) ، ولا أَسَى على فائت ، ولا ندم على تقصير ،
ولا تلافٍ لمكن ، ولا قيام بواجب ، ولا تشاغل عن ممتنع ، ولا إحساس بالمهم ،
ولا احتفال بالمُسَلِّم . إنما هو حرص خنزير ، وتبصص كلب ، وروغان
ثعلب ، وافتراس أسد ، وجهل حمار ، وعادة ذئب ، ونوم فهد ، وحقد جمل .
١٠ العمري إن عمرًا انقضى بهذه الأخلاق لعمرٌ مشؤم على صاحبه غير ذى غبطة ^(٢)
في جميع أمره .

يا هذا ! ارجع إلى سِرِّكَ الذي تحت حُجُبِ صَدْرِكَ ، وانظره : هل تجد
لهذا الكلام مصافحة له أو أَرَأَى فيه ، أو مَدَقَّةَ بياضه ، وإلمامًا بحافاتِه ، أو حومًا
في عَرَصاته ، أو وجدًا في نغماته ، أو حنينًا إلى نبراته ، أو نزاعًا إلى خَطَراته ،
١٥ أو ولهاً على سَوْرَاتِه ^(٣) ، أو طلبًا على قَرَاتِه ، أو دنوًا من [١١٧] حجراته ،

(١) حكم الوقت : هذا من اصطلاحات الصوفية . والوقت هنا هو ما يصادف
الصوفي من تصريف الحق له دون ما يختاره لنفسه . ومنه قولهم : فلان « بحكم
الوقت » ، يعنون أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختياره (راجع
الكشخاني : « جامع الأصول في الأولياء » ص ٣١٢ : القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ) .

(٢) مهملة النقط في الأصل .

(٣) السورة (بفتح السين) : الشدة .

أو سبجاً في غمراته . فإن كنت تُجِد ، فأنت والله المخصوص بالمنحة الكبرى ،
المعموم بالنعمة العظمى ، المُرشَّح للغاية القصوى ، المراد بصديق البُشرى ،
المنذور في الملاء الأعلى ، المأخوذ بيده إلى سُدرة المنتهى ، المقرب إلى الذورة
العليا بلا عدوى ولا دَعْوَى .

٥ وإن كنت لا تُجِد ما وصفت لك بهذا البيان الصريح وهذا اللفظ الصحيح ،
فأنت والله اللقي^(١) الشقي ، المطرود من باب الكرامة إلى فيناء الهوان وعِدرة^(٢)
الذلِّ وساحة الحُسرة . قد رَكِبْتَ الْوَحْشَةَ ، وَمَلَكَتْكَ الدَّهْشَةُ ، وزايلتك
النَّعْشَةَ ، وحالفتك الرَّعْشَةَ . فأهْلُ الْبِكَاءِ ، وأَجِدُ اللَّظْمَ ، وَتَجَرَّعُ مِرَارَةَ
السَّكْاسِ ، الْمُتَرَعَّةَ بِالْحُسرة واليأس . وليت البكاء نفعك ! وليت النوح أجدى
عليك ! وليت الحُسرة أفادتك ! وليت الندامة نفعتك !

١٥ هيهات ! قُتْ قَوْتاً > لَا < دَرَكَ بَعْدَهُ ، وَبُنْتُ بُيُوداً^(٣) لَا عَوْدَ مَعَهُ ،
والعثرة غير مُقَالَةٍ^(٤) ، وَالْخِئْثَةُ غير مُرَالَةٍ ، والحال غير مُحَالَةٍ . وبعد وقبل :
فإن أمكنت أن تكون يقظان فلا تنعس ، وإن استطعت أن تفرَّغ الباب
فلا تكسل ، وإن قَدَرْتَ على تلافٍ وإن كان يسيراً فلا تُدَكِّصْ ، وإن وجدت
سبيلاً إلى الاعتذار فلا تعجز ، وإن كان وراءك حُجَّة فلا تحسبن ، وإن اهتديت
١٥ إلى دُخْرٍ فلا تبخل ، وإن كنت من أمرك على بصيرة فلا تجهل . الحازم — أخذ

(١) رجل لقي (كفى) : أى مُلتقى في الخير والشر ، وأكثر استعماله
في الشر .

(٢) العِدرة (بفتح فكسر) : الفائت ومجلس القوم وأردأ ما يخرج من الطعام ،
وفناء الدار . . . وكلاهما يصلح هنا .

(٣) باد يبيد (من باب ضرب) ، يبدأ وبُيُوداً : هلك .

(٤) من : أقل العثرة : خلاصه منها .

الله بيدك — من شمر واتخذ الليل حلاً وعبر . وعرفان الفتور في المهم مؤق
إلى التلطف ، والتقصير في حيازة الحظ من أسباب الحرمان . ومهما أخذت
وتركت ، فلا ترَضَ لنفسك بالموت في أمر عاجلته رَيْنَ وأجلته أمن . وثق بأن
العمل محفوظ ، والعلم من دونه مفلوظ ، وأنت من بينهما مبهوظ ، والحساب
دقيق ، والجزاء مرصود ، والغاية مع بعدها قريبة ، والرقيب عتيد ، والاهتمام
شديد ، والظهر صحيح ، والوعد صريح ، والوعيد فصيح ، والرحيل جد ،
والظن كدوب ، والمرء دؤوب ، والصبح مُنْجَل ، والمدي مبلوغ ، والقول كثير ،
والنصح قليل . وكلُّ عَيْنٍ فلها شغل بمنظرها : أنيقاً كان أو غير أنيق ؛
وكل أذن فلها زهول بمسوعها : مطرباً كان أو غير مطرب ؛ [١١٢ ب]
وكل نفس فلها شدة بمعشوقها : مستحقاً كان أو غير مستحق . فإذا صحَّ
اعتزامك على تخليصك من سرك فابدأ بعينك واغضضها عن مناظر الدنيا ،
ثم بأذنك فاسدّها عن أخبار الشفلى ، ثم بنفسك فازمها ^(١) عن استشعار البلوى ،
ثم بلسانك فاكفها عن إعادة الشكوى ، ثم صِرْ أَحْصَنَ حصن بينك وبين كل
ما خبتك أو خبتك ^(٢) ، أو خدعتك أو سحرك أو قهرت ^(٣) ، ولئن تقدر
على هذا إلا بعد رياضة لنفسك الزعرة ^(٤) ، ومفارقة عادتك الوضرة ، والتنزه
عن الأمور القذرة .

فإن وجدت مع هذه الحال التي أنشأتها فأنست بها صحابة يعينونك

(١) من زَمَ البعير : خطمه (وزم من باب نصر) .

(٢) بمعنى احتبتك : أي أوقعك في الأحبولة .

(٣) تعدية للفعل : قهر الرجل : تحير بصره من التلج ولم يبصر فيه .

(٤) الزعرة (بضم الزاى وفتح العين والراء) : طائر لا يرى إلا قلقاً ، استعير

هنا للنفس القلقة المضطربة .

بالعلم الحق ، ويساعدونك على العمل الصالح ، وينذرونك بالرافة ، ويأخذون بيدك عند الزينة والورطة ، فاذهب فإنك من الذين أنعم الله عليهم ، ونظر بالتوفيق إليهم . فحينئذ شجرتك ثورق ، وأغصانك تلدن^(١) ، وفنئتك ينحضر ، وفمرتك تحلو ، وربعتك يزكو ، ونارك تذكو ، وناصيتك تعلو ، وباعك يطول ، وصوابك يسوم ، وخطاؤك يزول ، وسهوك يفارق ، ويقطعتك تعانق ، ويعنك يحضر ، وبركتك تكثر ، وقلبك ينقى ، وذكرك يبق ، وقدرك يرقى ، ومملكك يأنس بك ، وشيطانك يئأس منك ، وعينك تقرر ، ونفسك تسر ، وخيرك يدور ، ورشدك تازم ، وعييك يهزم ، وكلك يسعد ، وبعضك لبعضك يشهد .

فيالك من مُلك سبق إليك ، ويالك من شمس طلعت عليك ! اللهم كما وقفنا لنصيحة غيرك^(٢) ، فوقفنا لنصيحة أنفسنا حتى نبدأ بالأهم فالأهم من أمرنا ، ولا يشغل بالنا بالأهم عن الأخص ، ولا نلهو عن الأنفس بالأخس ، واجعلنا عند الدعاء إليك من المستجيبين لك ، وعند ذكرك من الواجدين بك ، وعند موافقتك من المتهالكين فيك ، وعند مخالفتك من الثائبين إليك ، وعند الشدائد من المتوكلين عليك .

اللهم كما هديتنا لهذا البيان الذي فقد من جمهور عبادك فاهدنا للإخلاص فيه ، ووقفنا للعمل به ، واجعلنا إذا ذكرناك وجدناك ، وإذا وجدناك [ذكرناك ، وإذا ذكرناك وجدناك^(٣)] عرفناك ، وإذا عرفناك أظعنناك ، وإذا أظعنناك رعينناك ، وإذا رعينناك حفظناك ، وإذا حفظناك اشتقناك ، وإذا اشتقناك رأيناك ، [١١٨] وإذا رأيناك ارتضيناك ، وإذا ارتضيناك أرضيناك .

(١) لئن الشيء (من باب ضرب) لدانة ولدونة : كان لدنا ، أى ليتنا .

(٢) كذا في الأصل صوابه : غيرنا .

(٣) كذا في الأصل مكررة .

إلهنا ! كُنْ لنا فوق ما نتمناه لأنفسنا ، واعصمنا من كل ما يُسخطُك علينا ، وأَجِرْ ألسنتنا في تمجيدك وتوحيدك وتقديسك وتمجيدك^(١) وتنزيهك وتعظيمك بما يكون نوراً في صدورنا ، واملأ قلوبنا من محبتك وبموافقتك ما يكون قرة لأعيننا ، وَضَرَحاً^(٢) لأفئدة عيوننا ، وبرداً تتلذذ به أسرارنا ، ورتقاً لكل حجاب بيننا وبيننا . ومهما أتيت في أمرنا ، فلا تطردنا ولا تهمقنا ، ولا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ولا تهملنا فتنةً للذين جهلوك ، وشردوا عنك ، وكفروا بأيديك ، وجحدوا نعماءك ، ولا تُشَمِتْ أعداءك فيك بنا . وفي الجملة ، ارحمنا في التفصيل ! أكرمنا يا ذا الجلال والإكرام !

١٥ رسالة (لد = م)

اللهم إنا نخشع لك لأئذين بك ، ونخبر عنك مُتَحَرِّينَ فيك ، وندعو إليك مُقْصِرِينَ فيك . فارحمنا رحمة المولى لعبده ، واعصمنا من حيث لا يبقى لما أنت أهله ، يا ذا الجلال والإكرام ، والمجد والإحسان والرفد !
 بالله أيها الصديق الخالف ، والصاحب المكائف^(٣) ! أما ترى انتشاري في كلامي ، ووقوعي دون مقصدي ومرامي ، وتلعنني في عبارتي ، وتعنري في إشارتي حتى كأنني أحنت^(٤) من حالي أو نُحْزِيت في مالي ! هنا والله شعار

(١) كذا في الأصل ولعلها مكررة أو ضوابعها : تمجيدك .

(٢) ضَرَحَ الشيء ، (من باب قطع) ضَرَحاً : دفعه ونجَّاه .

(٣) كافئه مكافئة : عاونه .

(٤) كذا في الأصل ! ولم نجد إلا : تحت من كذا : تأثم منه .

المرحومين وحيلة المتصّرين . ولا عجب من عي العبد في وصف سيده ! فمن وَجَدَهُ
كوجدى وكنايته كنفائى وإعماؤه إيمائى يحصر^(١) وإن كان بليغاً ، ويتبادر
وإن كان متحفظاً ، وينيب وإن كان حاضراً ، ويعجز وإن كان قادراً ،
ويحار وإن كان ناظراً ، ويكل وإن كان سائراً .

يا هذا ! لن تقدر على النظر في هذا الديوان إلا لحساب تقدمه بينك
وبين نفسك على مؤامرة لك فيها رُشدٌ وغبطة ، واستظهارٌ وحِيطَةٌ . فإنك
إذا نويت هذه النية ، وأخلصت فيه الروية ، وأحكمت عليه الطَوِيَّةَ اطلعت
على النجد ، وامتلأت بالوجد ، واستغنيت بالمشافهة عن السفرة ، وكُفيت
مؤونة الترهيب والتحذير . ما الذى يقعد بك عن هذه الدُرَى العالية ،
وعن هذه الغايات المتناهية ، وقد تالت عليك العبرُ [١١٨ ب] والعبرُ ،
والتقى عندك انخبرُ والأثرُ ، وحصلَ قبلك الظاهرُ والباطنُ ، وأملَى عليك
الغابرُ والراهنُ ، وشهدتَ في خلال ذلك المتحرك والساكن ؟ وقرَّ في عقلك
كلُّ ما يتمخض به الليل والنهار ، فأين يُذهب بك عن هذه الآيات
المتشابهة بلحق ، عن هذه الأمارات المتحدية بالصدق ، وعن هذه النعم
المتصلة بأصناف الخلق ؟ أفيها شئ خلا من الحكمة ؟ أم فيها شئ عرَى
عن النعمة ؟ أم فيها شئ فات القدرة ؟ أم فيها شئ نبا عن المشيئة ؟ أم فيها
شئ سكت عن الدلالة ؟ لا والذى أنطقنى بلطفه ، وأسمعك برحمته ، ما ترى
عينك إلا محلاً ، ولا تُجد إلا نفسك معلماً ، وإن عقلاً يصداً عند هذه الآيات
لستخيف ، وإن لساناً يعيا عن وصف هذه الأسرار لضعيف .

(١) أى يصيبه الحصر : وهو العجز .

يا هذا ! الطود ذو قُلة شاحنة ، والبحر ذو أمواج ملتطمة ، والفيضة ذات دَعَلٍ أَشْب (١) .

فحدثني الآن : بم يُبدلُ المِبدل ، وعلامَ يعتمد المَعتمد ؟ فخبذا موحشي بمراده ، وحاملي على مكروهي بين إصداره وإيراده !

٥ لا أَناح الله لي فَرَجًا يوم أَدْعُو منه بالفرج
وجدتُ ما وجدتُ منه ، وَعَدِمْتُ ما عدمتُ به ، وقلتُ ما قلتُ له ،
فكفلي بالاستعارة وله بالحقيقة . فإن شاء بَقِيَ ونَعِمَ ، وإن شاء أبلى وأَسَمَ ،
لا اعتراض للعبد على المولى ، ولا عار على العبد وإن رُدَّد بين البلوى .
ألا ترى الأول يقول :

١٠ العبد عبدك فاحكم فيه واحتكم
واعِدِلْ وَجُرْ غَيْرَ مأخوذ بلا ولم

ويحك ! كيف تحكم بِلَمٍّ على خالقٍ لَمٍّ ؟ أم كيف تحتج بالحجة على مظهر
الحجة ؟ أم كيف تدلُّ بالعقل على ملشي ، العقل ؟ أم كيف تباهى بالعلم
واهب العلم ؟ أيها الإنسان ! لو عجزت من جلبابه الذي به زينك ، وخلوت
من فضله الذي به أمكنك ما أمكنك ثم حصلت حقيقتك ، كنت هباء
١٥ منشوراء أو غُثاء (٢) منشورا ، لولا أنه « خلقت فسواك فعدلك » (٣) ، متى كنت

(١) أشب الشجر (من باب علم) أشبًا : التَّفَّ ، فهو أَشْب . والدغل (محرَّكة) : الشجر الكثير الملتف ، واشتباك النبت وكثرته .

(٢) غثاء (كغراب ورثاق) : الزيد ، الهالك ، البالي من ورق الشجر الخالط زيد السيل .

(٣) سورة « الانقطار » : ٧

تستقل بذاتك ؟ وكيف كنت تشرف على صفاتك ؟ وبأى شيء كنت تميز مالك منك ، وما عليك فيك ، وما عندك بك ؟ هذا يسوى ما عرض عليك من آثار مُلكه ، وأحضَرَه بين يديك من أمرار غيبه ، حتى ناداك بلسان السَّمَر ، ونابجك بعد في كل أمر يسير [١١٩] وعسير ، وأهلك لما وجدك به من بين هذا الصغير والكبير ، بالبشير والنذير ، مرة في الخطر بالضمير ، ومرة بالبيان الواضح الشهير .

اشهد يا هذا غرائب نعمه عندك وكُنْ له من الشاكرين ، وانشر آلاؤه بين عباده وكن من الخامدين ، فإنَّ الشكر مفتاح المزيد ، والحمد بابُ التوفيق . ومهما حضرت فلا تقصِّر في حفظ ما منحتك ، وطلب الفضل من عنده بقدر ما فتح عليك ، فإنك بُعِضَ خير ما دمت تصفى إلى هذا النظم — فلعلك تعتبر .

واعلم أن الاعتبار روضة العارفين ، والتفكر في ملكوت السموات والأرضين من عادة عباده المخلصين . فلا يشغلنك من هذه العوائد شاغل .

يا هذا ! التصفح يُريك حُسْنَ الثناء في مقابلة حُسْنِ الخلق ، ويفيدك من المعرفة التعظيم ، ويبسطُك في سلطانه بحلية الاختصاص ، ويشرفك بما دنا إلى ما نأى حتى تأخذ العتاد ، وتقدم الزاد ، وتعمل لدار المهاد . ها أنا أشتاق مهيماً إلى محل < عنه > صدرت ، وأهذى بحالى مُتيمماً على من به وجدت ما وجدت . فلا في شوق سكون أتعلم به ، ولا لى في هديانى استقلال أرجع إليه ، لأنى مُغفل في الأول ، ومخدوع في الثانى ، وهالك في الثالث . وإنما يغلب هذا المعنى لئلا أرى طلوعى على ما أطلعه غروباً ، واستحقاقى فيما أظاھر به سرايا . فما حيلة من إن أعلن كتم ، وإن نادى رحم ، وإن انتثر نظم ، وإن وجد عدم ! له منه سرٌّ خاف عليه ، وفيه به خوف لا طمأنينة معه . وإن شكاً عجَّزه ،

وإن تجلد مقتوه ، وإن صرّح طردوه ، وإن كُتّي عاندوه ، وإن ساعد استقلوه ،
وإن نافر استحملوه ^(١) ، وهو في غرض ذلك يقول :

لا أستطيع نزولاً عن مودتكم

أو يصنع الدهرُ بي غيرَ الذي صنعا

فأى فكاك لأسير قد أسلمه أحتاؤه ، ولو فكك لكان أسره في فكاكه ،
ولو نجا لكان وقوعه في خلاصه ؟ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو شجنٍ مُخاص
يُقلقه إذا أطرق ، وذو حُزنٍ ظاهرٍ يُحرّقه إذا نطق ، فلا قرار له إلا على نزوع ،
ولا سكون به إلا على تفرّج ، ولا عجب ممن حاله هذه الذي يبكي العيون مسبوغها ،
ويطيل الحيرة منظرها . ولكن العجب من استسلامه فيها ، وتلذذه بما يتوالى
عليه من لواذعها [١١٩ ب] وخوادعها . وهذا خبره ، وعلى هذا سَمَره ؛
إلا أن يأتيه الفرج من جهة من أبلاه بما أبلاه ، ويكشف عنه الضرّ ويتولاه .
جُلّ حديثه إذا خلا أن يقول : إلهي !

لو أشرب الشاوان ما سلّيتُ ما بي غنى عنك وإن غنيتُ
ومن غريب شأنه أنك إن بشرته بالعتق اغتم ، وإن حدثته عن غيره
أعرض ولم يستم . والناظر إليه راحم هو فيما فيه مغتبط . فواغيبا من أسرار
الخلق في أعماق قلوب الخلق ! لكل أمرئ شأن مخصوص وهويّة : إما زائد ،
وإما منقوص الإلهيّة . لا يمسح بالوهم ، ولا يقدر بالفهم ، ولا يُشرح بالعقل ،
ولا ينال بالترجمة . وهل يجوز ذلك ، والعبودية لانسبة لها إليها ، ولا سبيل لها
عليها ؟ إنما هي حيلة عجز ، وجبلة عوّز ، وديدن حاجة ، ومعدن لجاجة ، وقطب
كون ، ومدار فساد ، وباب حيولة ، وجانب زيلولة ، ليس لها ثبات ، ولا عليها
(١) استحملة نفسه : حمله حوائجه وأموره ؛ وسأله أن يحمل . واستحمل :

قوى على الحمل وأطاقه .

مَمُولٌ لَدَى ثَبَاتٍ . حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا شَمْسُ الرِّحْمَةِ ، وَكُنْفَتُهَا يَدُ الْعَصَةِ ،
وَعَذَّتْهَا كَفُّ الشَّقَةِ ، تَعَاوَلَتْ بَعْدَ تَطَامُئِهَا ، وَاسْتَقَلَّتْ بَعْدَ انْخِذَالِهَا ،
وَمَرَّتْ عَلَى خِيَلَانِهَا بِمَا صَحِبَهَا مِنْ غُلَاقِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ يُظْهِرُ الشُّكْرَ الصَّحِيحَ
بَشَرطِ الْإِيمَانِ الْقَوِيِّ ، أَوْ يَغْلِبُ الْكُفْرَ الصَّرِيحَ بِحِكْمَةِ الشُّرْكِ الْغَوِيِّ .
فِيَا عَجَبًا مِنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ ! وَوَاحِزَنَا مِنْ آخِرِهِ !

طَلَحَتِ الْأَلْبَابُ الْمَفْتُوقَةُ بِفَنُونِ الصَّوَابِ ، وَانْجَلَّتِ الْأَحْقَادُ بِمَا غَلَبَ
عَلَى جَمِيعِ الْأَشْهَادِ ، وَبَادَتْ الْكَيْنُونَةُ فِي الْبِيدُودَةِ ^(١) ، وَهَدَّتِ الْبِيدُودَةُ
فِي الْكَيْنُونَةِ ، فَصَارَ الْمَحْوُ رَسْمًا مَشْهُودًا ، وَعَادَ الرَّسْمُ أَمْرًا مُحَدودًا .
فَإِنْ قُلْتَ : « لَمْ » اَزْدُرُوكَ ، وَإِنْ قُلْتَ : « نَعَمْ » اعْتَرُوكَ ، وَإِنْ تَبَرَّأْتَ
مِنْهَا انْتَبَهَوْكَ حَتَّى لَا يَبْقَى لَكَ . — هَذَا نَبَأُوكَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ بِأَنْفِكَ وَتَتَفَقَّهُ
بِعِظْفِكَ ، وَتُظَنُّ أَنَّكَ قَدْ أَوَيْتَ إِلَى كُنْفِ يُعْرُوكَ وَيَحْرُوكَ . وَإِنَّمَا ذَلِكَ
غُرُورٌ مِنْكَ بِهَذِهِ الْمَنَاطِرِ الْمُرْخُوفَةِ ، وَتَعَلُّلٌ بِهَذِهِ الْعَادَاتِ الْمُسْتَسْخَفَةِ .
أَيْنَ أَنْتَ عَنْ سُكْرِ فِي صَحْوِكَ ، أَوْ عَنْ صَحْوٍ فِي سُكْرِكَ ، فَتَذُوقُ طَعْمًا لَمْ تَعِهدْ
مِثْلَهُ فِيمَا خَلَا مِنْ زَمَنِكَ ، فَتَفْتِي هُنَاكَ عَنْ خَفَائِكَ لِمَنْ بِهِ قُوِيَتْ عَلَى ذَلِكَ
لِمَنْ يَنْسَلُ مِنْ إِهَابِكَ الَّذِي بِهِ نَسَكِرْتَ عَيْنُكَ ^(٢) ؟ حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَّ هَذَا كُلَّهُ
وَبَعْضُهُ ، حَقَّتْ عَلَيْكَ كَلِمَةُ اللَّهِ بِالْخُصُوصِيَّةِ ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى مَا سَبَقَ لَكَ
مِنْ الْخَيْرِ فِي الْحَالِ [١٢٠] الْأُولَى . فَيَا بَرْدَهَا عَلَى الْفُؤَادِ ! وَيَا طَرَبًا
عَلَى الْقُرْبِ بَعْدَ الْبِعَادِ !

أَيُّهَا السَّامِعُ ! هَذَا تَأْنِيسُ لَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِأَنَّكَ مُسْتَوْحَشٌ بِنَفْسِكَ
الَّتِي أَطْعَمَهَا فَعَصَتُكَ ، وَوَقَّيْتَ لَهَا فَغَدَرَتْ بِكَ ، وَنَصَرَتْهَا فَخَذَلَتْكَ ، وَتَابَعَتْهَا

(١) الْفَسَادُ وَالْفَنَاءُ ؛ مِنْ بَادَ : يَبِيدُ .

(٢) أَوْ : غَيْبِكَ ، عَيْبِكَ .

فأردتكَ ؛ وهى النفس الموصوفة . فإن أنست به . وبما جرى فى عُرضه فاحفظ
إليك راجع ، والنورُ فيك شائع ، والأرج منك ساطع . وإن ترعنت ^(١)
فأنت الخاسر الدامر ^(٢) ، والخائر البائر — والسلام .

اللهم إنا قد قابلناك بوجوهنا خينا ، ومُتينا فى محبتك بين أيديك فأحينا ،
وَبَدَّدْنَا عَنْ بَابِكَ بِالْجَهْلِ فَاجْعَلْنَا ، واتَّصِمْنَا بِمِلَاسَةِ الْهَوَىٰ فى مخالفتك فارْقِنَا ،
وكن لنا دوننا فإننا وإن كُنَّا كُنَّا بعجزنا وضعفنا ، وإذا كنت لنا أغنيتنا
عنا وأفدتنا منا وبَصَّرْتَنَا لَنَا . فلم لا ندعوك بلسان الضَّرْع تاركين لأسباب
المكر والخدع ، ناصحين لأنفسنا عند النَجْع ^(٣) والرجع ، لعلك ترحمنا رحمة
تُسَكِّنُنَا عَنْ سِوَاكَ وَلَا لَعْلَ . فإن يدك بالعطاء أبسط ^(٤) من ألسنتنا بالدعاء ،
وسَبَقَتْكَ بِالتَّفَضُّلِ أَقْدَمُ مِنْ بِدَارِنَا بِالتَّذَلُّلِ . وإنما هى كلمة تقولها بالعادة
التي أجزيتنا عليها ووسمتنا بها . وإلا فإنك ترحم وتعطف ، وتصنع وتلطف ،
وتعدل وتُنصف ، وتعطي وتُسعف ، وتهب وتُثخيف ، وتحب وتُشرف ،
شئنا أم أبينا ، كنت لنا أو علينا .
يا هذا لقد اختلفت المناجى ^(٥) ، وتباينت المغازى ، وتباعدت ^(٦) المرامي ،

(١) صرت أرعن .

(٢) ص : الدامر . وضوايه ما أثبتنا . والدامر : الهالك — من دمر
(من باب نصر) دموراً ودماراً ودمارة : هلك .

(٣) يقصد التوجه والإثابة إلى الله .

(٤) أشد بسطاً وسعة .

(٥) بالجمع المعجبة ، جمع منجى : مكان الخلاص .

(٦) ص : تساعدت . السياق يقتضى ما أثبتناه .

وتنازحت^(١) المساعي . فهل لك في جليل ذلك أو دقيقة؟ لست ، إذا ادعيتته ،
 صَحَّ لك ؛ وإذا تشرفت به سلم في يدك . أو هل لك في قليل ذلك أو كثيره
 علامة تدل على عبوديتك بالتحقيق ؟ لست أعنى عبودية الخلقة ، وما وجدت
 عليه من الخور والركاكة ؛ بل أعنى عبودية الخدمة والأدب ، وما إذا ثَبَتَّ
 عليه كان لك زلفة ، وحلت إليك ألفة ، وَحَدَفَ عنك كُلفَةٌ . فأما الزلفة
 فكسوبة بالشفقة الظاهرة الغالبة ، والنصيحة الحاضرة الغائبة ؛ وأما الألفة
 فبتأ كد الحرمة ورسوخ العهد وثبات الذمة . وأما حَدَفَ الكُلفَةَ فبالترويح
 المأمول ، والتزويه المسؤول . ومن اختار هذه ، أعنى الزلفة ، بحقيقتها ، والآفة
 بخالصتها [بخالصتها^(٢)] ، وكفى الكلفة بما فيها ، فقد عُلى إلى مُعللة ليس
 للناظرين إليها إِلَّا حَسَدٌ مَنْ ملكها ونالها .

يا هذا ! إن كنت وَجِعاً فأين تأوهك ؟ وإن كنت مريضاً فأين أنينك ؟
 وإن كنت مهجوراً فأين استيحاك ؟ وإن كنت موصولاً فأين استئناسك ؟
 وإن كنت قريباً فأين علامتك ؟ وإن كنت بعيداً فأين حزنك وحسرتك ؟
 وإن كنت مريداً فأين اجتهدك^(٣) ؟ وإن كنت واجداً فأين سكرتك ؟
 وإن كنت تائباً فأين إخلاصك ؟ وإن كنت متوكلاً فأين تفويضك ؟

(١) صارت نازحة : بعيدة ، ومنه قول علي بن الجهم (راجع « ديوانه »
 نشرة خليل مردم ص ١٥٤ ، دمشق سنة ١٩٤٩) :

وارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه حينما !

(٢) كذا مكررة في الأصل !

(٣) ص : وأين . وهو تحريف ظاهر .

(٤) في الهامش صح [وإن كنت مراداً فأين استغلاك ، وإن كنت
 عارفاً فأين انبساطك ، وإن كنت غريباً فأين انقباضك ؟] .

وإن كنت مُدَّعِيًّا فَأَيْنَ شَاهِدُكَ ؟ وإن كنت شَاهِدًا فَأَيْنَ دَعْوَاكَ ؟
وإن كنت مُحْتَاجًا فَأَيْنَ تَبَصُّصِكَ ؟ وإن كنت غَنِيًّا فَأَيْنَ صَوْلَتِكَ ؟
وإن كنت مُتَحَنِّنًا فَأَيْنَ حَزَنِكَ ؟ وإن كنت آمِنًا فَأَيْنَ طَمَآنِيَّتِكَ ؟ وإن كنت
خَائِفًا فَأَيْنَ خَفَقَانِكَ ؟ وإن كنت زَاهِدًا فَأَيْنَ عِفَافِكَ ؟ وإن كنت رَافِعًا
فَأَيْنَ مَبْدُولِكَ ؟ وإن كنت مُتَرَفِّعًا فَأَيْنَ لَحْنِكَ ؟

يا هذا ! لَا تُكْذِبْنِ نَفْسَكَ فَلَا تَحْمِلْنَهَا عَلَى أَنْ تُكْذِبَكَ ، فَإِنَّكَ
إِنْ تَكْذَبُهَا هَلَكْتُمَا ، كَمَا أَنَّكَ إِذَا تَصَادَقْتُمَا حَيَّيْتُمَا . فَأَمَّا تَكْذَابُكَ فَيُؤَيِّدُ قَبُولَكَ
خِدَاعَهَا ، وَفِي قَصْدِهَا خِدَاعُكَ . وَأَمَّا تَصَادُقُكَ فَيُؤَيِّدُ أَخَذَكَ الْحَذَرَ مِنْهَا
فِي انْقِطَاعِ طَمَعِهَا مِنْكَ . وَهَذِهِ مِشَاكِسَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ ، لَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَاتَّقِهَا ، وَاعْمَلْ فِي تَقْطِيعِ شَوْكِهَا ، وَفِي اسْتِفَاءَةِ ^(١) مَاشَرَدِ
عَنْهَا ، وَفِي نَفْيِ مَا رَكَدَ عَلَيْهَا مُفْسِدًا لَهَا . فَإِنَّكَ بِهَذِهِ الْعَنَايَةِ بِكَ مِنْكَ بَكَ ،
وَلَاكَ فَيْتُكَ ، تَبْلُغُ غَايَةَ لَا تَقَالُ بِهَا هَوَاكَ ، وَتُتْرَكُ بِهَا مُنَاكَ .

رسالة (هـ = ما)

كَيْفَ أَتَكَلَّمُ وَالْفُؤَادُ سَقِيمٌ ؟ أَمْ كَيْفَ أَتَرْتِمُ وَالْخَاطِرُ عَقِيمٌ ؟ أَمْ كَيْفَ أَصْبِرُ
وَالْبَلَاءُ شَامِلٌ ؟ أَمْ كَيْفَ أَجْزَعُ وَالْعَنَاءُ حَاصِلٌ ؟ أَمْ كَيْفَ آتَسُّ بِالصَّدِيقِ
وَالصَّدِيقُ مُدَاجٍ ؟ أَمْ كَيْفَ أَسْلُو عَنْ الْإِلْفِ ، وَالْإِلْفُ مُنَاجٍ ^(٢) ؟ أَمْ كَيْفَ
أَتَقُ بِمَا نَقَى مِنَ الْخَيْرِ وَقَدْ كَدَّنِي مَا حُنِّقَ بِالْعِيَانِ ؟ أَمْ كَيْفَ أُسْكُنُ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ
وَقَدْ أَثْلَقَهُ الْمَنَامُ ؟ أَمْ كَيْفَ أُسْتَرِجِعُ إِلَى الْمَنَامِ وَحَدَّ لَعِبَتِ بِي الْأَحْلَامُ ؟

(١) استفاءه : طلب فيثته ، أى : رجوعه وعودته .

(٢) نالها مناجاة : صار أحدها نحو الآخر ، وهنا بمعنى نحا الواحد

عن الآخر ، أى : أنصرف . أو أصلها : مُنَاجٍ ؟

نفس يتردد بالخرق في جوانح قد تمسكت بالأماني ، وجرة تتوقد بالحسرات
 كأنها سير الدواني ^(١) ، فما تنفع الراحة المأمولة مع الكرب اللازم ،
 وماذا يجدي الزجاء السكندوب مع الخطيب المتفاقم ؟ الويل لمن أعرض عنه الحق !
 والويل لمن نبل بالخلق ! وكيف لا نعظم البلى بالخلق على من هو أيضاً [١٢١]
 من الخلق ؟

يا هذا ! الضلوع مشوية بالأسى والحزن ، والأكباد منهيرة بأنواع
 الآفات والسقم ، والأرواح ذائبة بضروب الحسرة واليأس — فلا إلى الخطوة
 معالج ^(٢) ، ولا بالمجالس ابتهاج . ليل يكرهم ناصب ، ونهار يمر بكرب
 لازب ، وعين إذا رمقت بهتت ، ونفس إذا تمت تعفت ^(٣) ، وروح إذا
 هشت عذبت ، وأعراض بين هذه الأحوال ليس لها لبث فتعرف ،
 ولا لها ريث فيصرف . وعلم مع ذلك كله لا ينفع ، وعمل لا يصح ، وإشارة
 لا تصدق ، وعبرة لا تتحقق ، وحجة إذا لاحت طاحت ، وشبهة إذا
 وردت ركبت ، وقول كلما طال عنى ، وسكوت كلما امتد أضى وأفنى . فالتسليم
 حرب ، والروح في كرب ، والمستقيم موج ، والخطيئ على الساحل ملتجئ ^(٤) ،
 والوقت كدر والزمان غر ، والراحي قانط والصاعد هابط . قتل لي الآن :

(١) السواني جمع سانية ، والسانية : الناضجة وهي الناقة يستق عليها
 من البئر ، وفي المثل : سير السواني سقر لا يتقطع .

(٢) مصدر ميس من عاج يعوج عوجاً ومعاجاً بالمكان : أقام به .

(٣) ص : معنت . وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وتعنى الرجل تعنيا :
 نصيب وناله العناء ؛ وتعنى الأمر : قاساه وتجشمه .

(٤) التيج البحر : غمر واضطرب ، التيج الظلام : التيس ؛ التجت
 الأصوات : اختلطت .

عن أتعلق ؟ ولئن أتعلق ؟ وماذا أقول ؟ وأي شيء أسمع ؟ وفي أي شيء أفكر ؟ وبأي ركن ألوذ ؟ وفي أي واد أهيم ؟ وعلى ماذا أعرج ؟ وإلى ماذا أتسب ؟ قد بلغت عني بما بان مني ، وازدهيت بما ازدهى علي . فلا تجرم الاستطالة غالية ، والكبر متسلط ، والروم محال ، واليأس وبال ، والتحدث جسارة ، والتريث خسارة . ومع هذا كله فأنا كنت من بلاد ، فلي إلى وجهه التفات . أما تعلم :

أَنْ الْوَدَاعَ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَافِلَةٌ لِلظَّالِمِينَ إِذَا مَا يَمُوتُوا بِلَدَا
ولست أدري ، إذا شط المزار غداً ، هل تجتمع الدار ؟ أم لا نلتقي أبداً ؟
يا هذا ! استعفيتك من الكلام فاعلم أن فيضى زاهر . وإذا حضضتك
على السماع فاعلم أن فحوى نازح^(١) . وإذا أنشدتك بيتاً فاعلم أن إشارتي وراءه ،
وإذا رويت لك حكاية فاعلم أن مغزاي دونها . وإذا أبرزت لك العين فاعلم
أن مرادى عرفانك بها . وإذا سترت عليك الغاية فاعلم أن قصدي استعدادك
لها . وإذا صرحت بالمعنى فاعلم أني حاثك^(٢) إليه ، وإذا كئيت
لك عن الفحوى فاعلم أني مُشَفِّقٌ عليك من غائلة الحال التي أنت مُبْتَلًى بها
أو مُسْتَبْتَلًى بها .

فانظر كيف تدبيري لك وكيف جودي عليك ! فلا تشهدني فيما أقول ،
ولا تعجب مني فيما أسمع . فلانما هذا كله قسطن من الحق في حلية [١٢١ ب]
القبض ، وإيحاش من الخلق في شكل الإيئاس ، وبَعَثَ لغرائب نسيم الغميب
(١) النحو : المقصد ؛ نازح : بعيد ؛ أي اعلم أن مقصودي بعيد ليس
هو الظاهر المتبتمى لك .
(٢) حاش الصيد يحوشه حَوْشاً : جاء من حواليه ليصرفه إلى الحباله ؛
وحاش الإبل : جمعها وساقها .

في قضاء الشهادة حتى تطيب الأنفاس ، وتحيا به القوامس ^(١) ، ويقع التنافس ،
وترق أخلاق ، وتطمئن قلوب ، وتتشعر جلود ، وتطرب أرواح ، وتُصَحَّ السُّنَنُ ،
وتلين جوارح ، وتمتلئ صدور ، وترنو عيون ، وتُبَصَّر وجوه ، وتكف أيدي ،
وتخف أقدام ، وتهرد أكباد ، وتخلو شمائل ، وتُبْتَنَّى شواكل ^(٢) ، وتزول
غوائل ، وتكثر توافل ، وترد نوائل ، وتخرس عواذل ، وتشر فواضل ،
وتدرك طوائل . وعلى هذا مما لا يجري به ولا يشرحه قلم ، ولا ينظمه بتسنيقه
كلم ، ولا يظهر بمنزونه ومكنونه علم . فخذ الآن لحالك إن كان لك في هذه
اللغة عبارة ، أو هبت في حجاب صدرك من هذا الحديث إشارة . وإذا وجدت
بجالتك ذلك فاستمل من وجدك برؤيدك حتى تحضر ذاتاً وتغيب حاضراً وتغيب
مُبْصِراً ، وتبصر مُغْضِياً ، وتحيا مُكْرَماً وتُكْرَمُ مُحْيِياً لا تستغرب هذه المناجاة
فإنها والله ضاحية عند من « أَلْقَى السَّمْعَ وهو شهيد » ^(٣) . أتدري ما صدر هذا
الحرف ؟ لملك تدري ، ولكن ليس لك لسان يجز مع الإلقاء التسليم ، والسَّمْعُ
القبول ، والشهادة الوجود ، بل الإلقاء الياز ، والسَّمْعُ الارتياح ، والشهادة
الكُفَّة ، بل الإلقاء الدنو ^(٤) ، والسَّمْعُ السمو ، والشهادة الدنو ^(٥) . أما ترى
بالله هذا التشويق في هذا المضيق ؟ والله لو توقفت بإدراكك ، وسكنت إلى نيلك ،
وظننت أنك تذوق ونجيد وتشم وتشهد ، لقلت في عنوان هذا الأمر العجيب ،
ما يُسَلِّيك عن متنه الغريب . على أني إن أمسكت فلما لك لا بد من أن يطاع ،
وإن أطعت فلسر لا بد من أن يذاع .

(١) قامسه : مقامسة وقامساً : فخره وغالبه ، قامس فلاناً : فآثره وباحثه .

(٢) جمع شاكلة : مثال .

(٣) سورة « ق » : ٣٧ .

(٤) كذا في كلا الموضعين في الأصل ، ولعل أحدهما : الرنو .

يا هذا طالت الديانة ، واشتدت النجوى ، وتكرر التشاور ، والقلب
 في خلال ذلك واجب^(١) ، والطرف عليه واجم ، والظهر والرحيل أرف ،
 وربك بالمرصاد . وما أولانا مع هذا الأمثال المضروبة ، وهذه المياه المسكوبة ،
 وهذه القباب المنصوبة ، وهذه الفايات المطلوبة ، بأن ننهي حيث انتهى بنا ،
 ونقبل ما قبل لنا ، ونصدق من أثنانا ، ونسلم ما خفي علينا ، ونكتفي بما بدا لنا ،
 ونقدم على ذلك كله بدارنا ، ونكل جميع ما بنا إلى من يملك جهارنا وسرارنا .
 وإنما قلت : ما أولانا بهذه الحال ! [١٢٢] لأننا عبيد ، والذي يليق بالعبد
 أن يلزم حده ، ويبذل جهده ، وينفق وجده^(٢) ، ويحفظ وجده^(٣) ، ويدلل
 عظمه ، ويطلب رفده ، ويلحظ سمعه ، وينتظر وعده ، ويصحح قصده ،
 ويستديم وكده^(٤) ، ويحصل نقده ، ويرتكب فنده . فإن العبد إذا فرغ
 مما عليه بحق العبودية ، شغل بماله من حق الربوبية ، وكما كان في حاله الأولى
 مربوطاً بما عليه ، كذلك يكون في حاله الثانية مغبوطاً بما لديه . فهل رأيت
 عبودية أدت إلى ربوبية غير هذه ؟ وإنما كان هذا على هذا لأنها عبودية
 بحق لمن له ربوبية بحق ، والحق أحق بالحق . فتعال حتى نسكت هاتين ،
 ونقول لخبثتين^(٥) ، ونعمل مجتهدين ، ونعلم مستسلمين ، ونزهد مؤدعين ،
 وننتبه متعجبين ، ونصطحب مشفقين ، ونفترق متواصلين ، وننتذاكر

(١) من الوجيب : الخلقان .

(٢) ما يجهد من المال .

(٣) من الوجد : شدة الإنفعال والعواطف .

(٤) الوكد (يضم الواو) : السعى والجهد .

(٥) من الإخبات : يقال أخبت القوم إلى ربهم : أطاعوا إليه ، ومنه :

« هو يُصَلِّي بِخُشُوعٍ ، وَإِخْبَاتٍ وَخُضُوعٍ وَأَنْصَاتٍ » . فهو مخبت .

مستفيدين ، ولتعتقد محققين ، ولتحقق ممتقدين ، ولتستقبل القبلة مستغفرين ،
ونذكرك في الذاكركين مولانا ، وننتبه بين الغافلين ، وترجو خائفين ، ونخاف
راجين ، ونفرق بين الشك واليقين ، ونتوغل في إقامة وظائف الدين ،
ونزاحم مناكب المتقين . فإذا تماونا على هذه الأحوال الحسنة في هذا الزمان
الذي قد عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ غريباً^(١) ، كنا نجوم الأرض وأعلام
الخلق ، وآنانا الله من عنده ما نغبط به وننافس عليه . وقد قال الحق في تنزيله
على قلب رسول الله عليه السلام : « وَلَمَّا وَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَمَآ وَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ »^(٢) . فما الذي يبقى بعد هذا الدعاء بالخص على إحراز
النصيب والحظ ، إلا أن نكون جاهلين بما لنا وعلينا ، غمياً عما بنا وفينا ؟
ونعوذ بجلال وجه ربنا من ذلك أن نكون . وكيف ذاك ولنا أعين تجول
في ملكوته ، وقلوب تفقه كريم خطابه ، وآذان تسمع لطيف سره ! فما بالنا
نبعد أباديه عندنا ، ومنته قبلنا ! وكيف ننسى ما سبق به إلينا ، ونحن إذ ذاك
لأعين ولا أنر ، ولا عيان ولا خبر ، فأنشأنا وأظهرنا ، ولصرتنا وعلمنا ،
وقدسنا وكرمنا ، وهدانا وأرشدنا ، وأبرزنا وأشهدنا ، وألفنا وأفردنا ،
وجاد علينا بما لم يكن في حسابنا ووهبنا ! فأية يد بيضاء لم تسبق له إلينا !
وأى منة غراء لم تسبق له علينا ! وأى نعمة لم تخلص له لدينا ! وأى نور

(١) إشارة إلى الحديث المشهور : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ
غريباً ، فطوبى للغرباء » (مسلم : ك ١ ح ٢٣٢ ؛ الترمذى : ك ٣٨ ب ١٣ ؛
الداؤدى : ك ٢٠ ب ٤٢ ؛ ابن ماجة : ك ٣٩ ب ١٥ ؛ ابن حنبل ، ج ١
ص ٣٩٨ ، وج ٤ ص ٧٣) .

(٢) سورة « المائدة » : ٢

لم يشع له على كل واحد منا ، وأى رَوْح لم يصل منه إلى قلوبنا ! وأى كَرْب لم يزل به علينا ! وأى [١٢٢ ب] رَاحَة لم تطلب به لنا !

اللهم إنا قد أحسننا بأيديك عندنا ، وتقبلنا في وِافلك قبلنا ، وشتمنا فَوَاحِ برك بنا ، ووجدنا حقيقتك في أسرارك ، وذقنا حلاوة مناجاتك لنا ، ورأينا عياناً آثار رَأْفَتِكَ بنا ، وأَصَدِّنا — بفضلِكَ وجودك — ما أردنا وفوق ما أردنا . فبهذه المعرفة التي قد أنبأنا بها على نعمك علينا إلا ختمت لنا بالخسنى ، وهَوَّنت علمنا المصير إلى ذراك في المحل الأعلى . وقبل ذلك : فإننا نسألك أن تكفيننا ، وَوَرَّةَ خَلْقِكَ ، فقد صَدَدُونَا عن سبيلك ، وَفَرَّقُونَا من أجلك ، وطلبوا عثراتنا بسببك ، لأننا ذكرناك حين نَسُوك ، وَفَرَّقُونَا بابك حين لا ذوا يباب غيرك .

اللهم فامحُ أسماءهم عن ألسنتنا ، واطمسُ صفاتهم من قلوبنا ، واشغَلْنَا بك عنهم حتى نذكرك بالإخلاص ، ونصير من حزبك بالاختصاص ، فإنك ربُّ الناس « مَلِكُ الناس ، إلهُ الناس » ^(١) — نسألك بكلماتك الثابتة ، وَسُبُحات ^(٢) وجهك ذوات الكرامة : أن تجيب دعاءنا ، وتسمع نداءنا ، وترحم نجاتنا ^(٣) ، وتقبل ثناءنا — وما أولاك بأن تفعل ذلك وما فوق ذلك !

أيها الأجنبي في هذه الطريقة ، المُتَبَكِّرُ هذه الحقيقة ! حَرَامٌ عليك أن تسمع من هذا الديوان حرفاً بقلبك المنحرف ، وحرفك المنكشف ، وبلائك الملتحف . وحرام علينا أن نبدي لك من هذه الصحائف كلمة سائفة ، أو حكمة بالغة ، فإن بليما بأن نقول فأبليت بأن تسمع ، فذاك والله لتفسير

(١) سورة « الناس » : ٢ — ٣

(٢) سُبُحات (يضم السين والباء) وجه الله : أنواره .

(٣) النجاء : الخلاص .

قد كان منا ، ولحمة قد أردت بنا ^(١) . وقانا الله فتنة القول ، وكفالك فتنة
 الجحود ، وجعلنا جميعاً تحت جناح رحمته طائرين إلى ذروة عزه ، نائلين
 من خيرات ملكه ، راقعين في رياض نعمته ، ساجدين إلى حيازة مرضاته ،
 أيها المُرَوَّرُ ^(٢) عن أكناف الحكمة ، والثاني لمطفه عند فوائح المعرفة ،
 والمتكبر عن أبناء جنسه بفضل اليسار والثروة ، والمتشقق في حديثه
 إذا جرى نعتُ المملكة ، والمتبعضر عند أعاجيب القدرة السارية في البرية !
 أقطع عن عادتك هذه الذميمة ، واتق عواقب هذه الطرائق الخبيثة ،
 وتطلع نحو هذه الأنباء السعيدة ، وتذوق حلاوة هذه النعم الجسيمة ، وابحث
 عن هذه الأسرار المكشونة ، وعانق هذه [١٢٣] الأحوال العزيزة المصونة ،
 وأبلى صدق ما أقول وحقيقة ما نعى مرة واحدة . فإن رأيت الرشد والغبطة
 والسرور والحبور والتمام والعز والمظلة في ذلك فزد في اجتهادك ، وتصف
 في اعتقادك ، وترق إلى غايتك في اعتمادك ، وحق عزيمتك في كل وقت
 بحسن ارتيادك . وإن لم تر ذلك ولا شيئاً منه ، فأورك في يدك ، ورأيك إليك ،
 واختيارك لديك . وهذه مكاسرة ^(٣) مني في مخاطبتك ^(٤) ، وإلا فلو وردت
 هذا الجنب لمعيت آمناً ، وأقت ساكناً ، وأدركت ما تدركه معافياً .
 كان الله لك حافظاً وكافياً ! اللهم حقق ما نسألك ونطلبه منك ، إذا الجلال
 والإكرام !

(١) أردى به : أهلكه .

(٢) ازور عن كذا : انقبض ولوى عطفه .

(٣) أي : ملاطفة .

(٤) ص : مخاطباتك ؛ وتصح ، ولكن آثرنا ما أمتنناه .

رسالة (ه = م ب)

اللهم اسلكننا في سبيل مرضاتك على شمائل العارفين بك ^(١) في درجات
المحببتين لك عند كل خاطر يحس بسرّك مع كل لسان مع تبين بذكرك .
وارفع عنا جَهْدَ الزمان وجورَ الإخوان وتلونَ الشان بعد الشان . وصل
اثارنا بأمرك . وأسئِلْ علينا كشيء سترَك . واملأنا ببرهان ربوبيتك .
وَجَرِّفِنا بنابيع البيان عن إلهيتك . وصنْ وجدنا بك عن وجدنا لك .
وأشئْ فينا نوراً نهتدى به إليك ، واجعل في الجلالة والتفصيل كلامنا كله
كلاماً ^(٢) عنك ، ودعاءنا إليك ، ونخبرنا عن قدرتك ، وسكوننا معك ،
وتلفتنا لك ، وبها لکننا فيك ، وتوكلنا عليك ، وقرة أعيننا عندك .

نسألك اللهم بحجرك وتلك أن تعلمنا إذا جهلنا ، ونستعملنا إذا علمنا ، وتعالفنا
إذا شردنا ، وتونسنا إذا استوحشنا ، وتكرّمنا إذا هنتنا ، وتهدينا إذا
حرّنا ، وتقفنا إذا برّنا ^(٣) ، وتصلحنا إذا فسدنا ، وتُعزّزنا إذا ذلّنا ، وتكثّرنا
إذا قلّنا ، وترشدنا إذا ضلّنا ، وتُسّطّنا إذا ملّنا ، وتجوّزنا إذا انكسرنا ،
وتغنينا إذا افتقرنا ، وتبْلغنا إذا انقطعنا ، وتدارينا إذا امتنعنا ، وترفعنا
إذا اتضعنا ، وتحضرنا إذا استمعنا ، وتسهلنا إذا تعسرنا ، وتغفو عنا إذا
قصرنا ، وتنفّعا إذا علمنا ، وتوفّقنا إذا عملنا . يا هذا ! إذا أهلك ^(٤) لدعائه

(١) ص : لك .

(٢) في الأصل : كلامنا .

(٣) من : بار يبور يواراً ويواراً : بطل وكسد .

(٤) ص : هلك

فقد عرّضك لآنيته ^(١) ، وإذا وفقك بينائه فقد اجتباك لبطائه ، فاختر . . .

. . . ^(٢) . . . في جميع خطراتك الباطنة ونظراتك الظاهرة بين قُدرة

بها استترت في [٢٣ب] هذا الظلام ، وبين حكمة بها استعليت على هذا الانام ،

والحظ النعمة بعين الوفاء ، فإن لاحظ ^(٣) لها بعين الوفاء امتراء ^(٤) من الزيادة

فيها وامتياز ^(٥) . ومهما جمعت هكذا وهكذا فافه يفنك ، وتوجه إليك

يقبلك ، واعمل واحدة فإنها دعامة حالك ، وقد قرنتها ببالك . ولا تألف

الشكوى ، ولا تنخدع بالندوى ، ولا تتوجع بالبلوى ، ولا تطلب الشكوى في غير

دار السكنى ، فإن من ألف الشكوى يُفد من البلوى على البلوى ، ومن طلب

السكنى في غير دار السكنى فعن قريب يسمع : « وَبلى ! » « وَوَابلى ! »

يا هذا ! رياض الأئس زاهرة ، وحدائق المعرفة ناضرة ، وبحار النعيم

زاهرة ، وآيات الحق حاضرة . فما هذا التعلل بأحلام النائم ، وما هذا الزهد

في حياة العالمين ، وما هذا الإعراض عن علم اليقين والعلم المبين ؟

يا هذا ! اعتصم بالمرؤة الوثقى التى لا انفصام لها . استمتع بالنعمة

التي لا كدر فيها . اقطب من الشجرة التي لا تفاد لثمرها . تغمم بالكلمات

التي لا فراق بعدها . اشهد العزة التي لا يؤس عندها . بان صفاتك التي لا خير

لك منها . استقل عثراتك التي لا عثرة لك وراءها . تحض عينيك عن هذه

(١) يمكن أن تقرأ غير ذلك لإيهال نطقها .

(٢) بياض في الأصل ، بيد أن الكلام يمكن أن يستقيم ويتصل .

(٣) ص : لحظ .

(٤) امتري الشيء ، امتراء : استخرجه .

(٥) امتار لشيء امتياراً بمعنى أمارهم ومارهم : أى أناهم بميرة .

- الزهرة التي في الحياة الدنيا ، وأَوْنُ^(١١) إلى ما وراءك وأَرْنُ^(١٢) إلى ما وراءها في الدرجات العلى . قد أَلَّتْ تَأْلِيْقًا به نظامك ، فلم تَشَبَّثْ ؟ ورُعِيَتْ مراعاة بها قوامك فلم تَتَمَتَّ ؟ وكُفِيَتْ أموراً لو طولبت بإحضارها لتَقْصُرَ عنها حَوْلُكَ وُقُوتُكَ ، وبَادَ دونها نشاطك ومُنْتَهَا^(١٣) . واشْهَدْ هذه الكفاية التي سبقت لك في القَدَمِ ، وَصْنَعْ لك بها وَأَنْتَ في الْعَلَمِ . ثُمَّ اشْهَدْ ما لَاحَ لك في مقامك هذا من العلم بعد العلم حتى رَوَيْتَ بعد العطش ، واطْمَأْنَنْتَ بعد اندھش .
- يا هذا ! عَزَّ على حالك فإِذَا عُرْضَةُ^(١٤) سَبَايا عِيُونِ الْحَقِّ ، وَلَكَ فِيهَا صَدُورُ وَوُرُودٍ ، فَاحْذَرْ كُلَّ الْخَذَرِ أَنْ « تَزَلَّ قَدْسُكَ »^(١٥) بعد ثبوتها « فَتَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ السَّادِمِينَ . وَيَحْكُ فَقَالَ^(١٦) وَتَلَوْكَ إِصْبَعُكَ الْإِرَاحِمَ عَلَيْكَ ، وَلَا مَقْبِلَ عَلَيْكَ ، وَلَا بَاسِطَ لِعَذْرِكَ ، وَلَا نَاعِشَ لَصِرْعَتِكَ . قَدْ أَمَكَنْتَ مِنْ نَفْسِكَ الشَّامِتِينَ بِكَ ، وَبَسَطْتَ أَسْفَتَهُمْ عَلَيْكَ ، وَمَا بِكَ قَدْ أَنْسَاكَ مَا بِكَ مِنْ غَيْرِكَ .
- [١١٢٤] يا هذا ! اجْمَعْ ذِيْلَكَ ، وَازْرُرْهُ وَجِيْبِيْكَ ، وَقَصِّرْ كَمْلَكَ ، وَهَبْ عَنْ مَكَانِكَ هَذَا وَثْبَةَ الطَّالِبِ لِنَجَاتِهِ ، الْعَامِلِ بِوَصَاتِهِ ، الْوَائِقِ بِرِجَاتِهِ^(١٧) ، الْكَابِتِ لَعْدَاتِهِ ، النَّازِعِ إِلَى حَسْرَاتِهِ ، النَّائِلِ لِحَيَاتِهِ ، الْجَامِعِ بَيْنَ وُلَاتِهِ وَنُحَاتِهِ ، الْوَاصِلِ إِلَى هِدَاتِهِ وَثِقَاتِهِ ، الْمُتَخَلِّصِ مِنْ آفَاتِهِ وَعِلَاقَاتِهِ .

(١) كَذَا ١

(٢) فعل أمر من رنارنو .

(٣) المنة (بضم الميم وتشديد النون المفتوحة) : القوة .

(٤) العرضة : المهمة .

(٥) سورة « النحل » : ٩٤

(٦) كَذَا ١

(٧) الرجاة : الرجاء ، المرجاة : الرجاءة .

يا هذا ! هذه مناغة الحق لأصحاب القلوب المحترقة فيه ، ونَجْوَى الحق
لأسرار الحائمة عليه . فالزم هذا اليفاع^(١) فإن الألفاظ تنثر عليك . وأعلم أنها
إذا انتشرت عليك انتظمت لديك . وإذا انتظمت لديك غنيت بها .
وإذا غنيت بها أغنيت منها . وإذا أغنيت منها استغنيت عنها ، وإذا
استغنيت عنها^(٢) > عدت غنياً بولائها ومُسْنِئها .

يا هذا ! أما ترى هذه الدقائق كيف تحل بالحروف المجموعة المفرقة ؟
أما ترى هذه العجائب كيف تدق عن اللغات المزمومة^(٣) المنسقة ؟ أما ترى
فيها كَأَنِّي من أهلها ونسْتُ من أهلها ؟ أما ترى عارياً منها وكَأَنِّي حال بها ؟
أما ترى غريباً فيها وكَأَنِّي مستأنس بها ؟ الويل لي إن كنتُ فيها أقوله
غريباً منه . والويل لك إن كنتُ فيها تسمعه بعيداً عنه . إن القائل إذا لم يقل
عن الحقيقة الأولى لم يسمع السامع على الطريقة المثلى . وبعدُ فإن القائل
إذا لم يكن واحداً^(٤) لما يقوله لم يكن السامع واحداً^(٥) بما يسمعه : إنما هو
قلب يتأجج قلباً ، وروح^(٥) تتأجج روحاً ، وعقل يطارح عقلاً ، وربُّ ينادى
عبداً ، وعبد ينادى عبداً : فلماذا من حيث ينادى بالصدق يحجب ،
والمنادى من حيث يحجب بالحق مناد .

يا هذا ! التيقظ بالمعارف إيقاظ للقلوب من الغفلات . التعارف بالتذاكر
استحفاظ للغيوب من الهفوات . فاجتهد أن تديم المذاكرة ، فإن أدنى ما فيها

(١) اليفاع : التلُّ المُشرف ، وقيل ما ارتفع من الأرض . وجاء في جمعه : يُفوع .

(٢) أضفنا هذه الزيادة لأنه يلوح أنها ناقصة .

(٣) المضمومة الموثقة .

(٤) واجد الأولى ضد فاقده ، والثانية من الوجد : وهو الانفعال والتأثر .

(٥) ص : روحاً .

أن يتصرم عنك وقتك ولك فيه أثر ، وليس يتصرف عنك وقتك ولك فيه أثر إلا وتبقى عليك منه روح يكون لك عنه خبر . ودع عنك الشواغل من زيد وعمر وبتكر وخالد فإن الخلق عليك لا لك ، واجعل الحق قبالة شرك وتجاه حبة قلبك < و > وراء شفاف فؤادك ، فإن الحق لك ، لا عليك . وثق بأنك إذا أدبجت نفسك وأخلاقك وأعمالك ومعارفك وخطواتك في هذه الصفات التي قد تكررت عليك وصارت ديواناً واسعاً عندك ، لم تقدم روحاً يننى [١٢٤ ب | عنك كل كروب جائم كان على بكبك ، بل لم تقدم كشفاً به تشرف على كائنات الغيب الذي لم يك في ظنك ، بل لم تقدم حالاً إذا رُمت وصفها بالسكاف والقاف ، والعين والعين ، والطاء والطاء ، لم تستطع ، لأن لغة ذلك البلد لا تفهم في هذه المدينة ، كما أن عادة هذه المدينة لا تستمر في ذلك البلد .

يا هذا ! إن شعاع هذا الشمس يختطف أنوار هذه الأبصار ، ويحرق هذه الأحوال يبتلع جميع البحار ، وثمرة هذه الشجرة تسقى عن كل النار ، وسر هذه النصة يحرق رسوم سائر الأسرار . فالزم جدك في جدك ، وتحرر وعدك بإنجاز وعدك ، وخف ردك برّدك ، واستمد مُمدك فإنه إن أمدك كفأك مؤونة قُر بك وإمدك ، وأغناك عن ترفك ورغدك .

اللهم ! إنا نغدو ونروح ، وننوح ونبوح ، فأجعل غُدونا إذا غدونا لك ، وروحنا إذا رُحنا بك ، وتوَحُّنا إذا بُحُّنا عندك ، وتوَحُّنا إذا بُحُّنا على فائتنا منك ، حتى نكون في حالاتنا كلها متشبهين بذيل النمل لك ، منتسبين إلى عزِّ كنفك ، مهتدين بقبس لطفك ، قارين في عقوة عزك ، متفهمين

(١) العقوة : ما حول الدار ، الساحة والمحلة كالعمارة ، حج عقاء يقال : « ما يطور بعقوته أحد » أي لا يدنو منه أحد ولا يقرب صاحته إنسان .

بظال كرامتك ، متتليين بنعمتك على نعمتك ، سالكين طريق طاعتك بطاعتك ، واصابين إلى معرفتك بمعرفتك .

يا هذا ! تجنب الأضداد فإنهم مفسدة ، وتجنب الأمثال فإنهم مشغلة .
واعلم في الجملة أن وصالهم صرّم ، وحبهم بفض ، وبرهم جفاء ، وعظمتهم
صدود ، ومسلتهم حرب ، وإقبالهم كرب ، وتوالمهم حرب ^(١) ، والفكر
فيهم عطب .

يا هذا ! إن كنت مع العلم فأين العمل ؟ وإن كنت مع اليقين فأين الهيبة ؟
وإن كنت مع الحياء فأين المراقبة ؟ وإن كنت مع الطمع فأين البذل ؟
وإن كنت مع كبر الهيبة فأين الشدة ؟ وإن كنت مع المحبة فأين الاتباع ؟
وإن كنت مع الظاهر فأين الأدب ؟ وإن كنت مع الباطن فأين الطرب ؟
وإن كنت مع الدّعوى فأين البينة ؟ وإن كنت من أهل الديوان فأين
المنسوب ؟ وإن كنت من عند صاحب فأين الخاتم ؟ فلا لك من المبدأ خبر ،
ولا لك من المنتهى أثر . رضيت برؤخرف القول غروراً ، وذهبت بما لك عما
عليك حسرة وسروراً . حتى إذا جدّ رحيك وحضرك مبرمك وسجلك ،
بقيت على قارعة الطريق بلا هادٍ ولا حادٍ . أما علمت أن من أشار إلى الحق
قولاً ثم ركن إلى غيره فعلاً فقد حجب عن الصديق عهداً واحداً . أما علمت
أن كل عامل [١٢٥] مطرود إلا من أريد بذلك ، وكل وارد محدود
إلا من أدن له في ذاك ، وكل متمكن مغرور إلا من كوشف هناك ؟ يا هذا !
إن قصدت بالأدب خففت ، وإن خادعت في قصدك لفظت . أما علمت

(١) حرب الرجل ماله : سألته ، فهو محروب . وحرب (من باب علم)
يجرب : كلب ، واشتد غضبه ، ودعا بالويل .

أن الصادق مغبوط ، والكاذب محطوط ؟ أما سمعت الذي أنبأ عنه حين قال :
أوفوا بهدي في دار نعمتي على بساط خدمتي لحفظ حرمتي ، أوف بهديكم
في دار نعمتي على بساط قريبي بجلال رؤيتي .

يا هذا ! قد أصبحت في قبضة العز تجرى عليك تصارييف القدرة وأحكام
المشيئة ، بين أستار سائفة من النعمة ، وأكبان^(١) طليعة بالرأفة والرحمة ،
فلا تتعرض لتغيرها عليك فإنه قد أبان في تزليده ذلك حين قال : « إن الله
لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »^(٢) .

يا هذا ! قد ناجيتك وقاديتك وناغيتك ، كل ذلك باطلف قصدتك به ،
وشفقة آثرتها : تارة بأن أريتها إياك حتى تنق ما بك مما قد أقذاك ، وتارة
عرضت عليك صفاتك حتى تعرف منها حقيقةك فتصح لنفسك ، وتارة حدثتك
عن إخوانك وأعدائك لتأخذ أهبتك فيما يجب لك وعليك ، وتارة تلوت^(٣)
عليك الظاهر لترتاض ، وتارة شوقتك إلى الباطن لتعاض ، وتارة سمرت
بينك وبين ربك ليصير لك عنده وزن فيخلصك إذا قرعت بابه ذا كراً ،
أو إذا حضرته مفكراً ، أو إذا شهدته واجداً ، أو إذا وجدته مشهوداً ،
أو إذا أحبته ملتبساً ، أو إذا دثوت منه مجيباً ، أو إذا أخذته^(٤) متجنباً ،
أو إذا ناجيته متقرباً ، أو إذا أخبرته منه شاكراً ، أو إذا وصفته ممجداً .

(١) الكن (بالكسر) : ولاء كل شيء وسفروه ، والبيت . والجمع :
أكنان وأكنة . وطليلة : نزل عليها الطل ، أي نديته بالرأفة والرحمة .

(٢) سورة « الرعد » : ١٢

(٣) ص : « كَوْن .

(٤) ص : أحدمه . والصواب ما أثبتناه : وأخْصَمَ الرجل : أقر
بالذل وسكن .

فما جزأتني على ما تفرغت لك به ! وما نوابي على ما أفرغت عليه من ذنوبه ؟
بل جزأتني أن تضاعف سماعك مني ، وزيد في إصفاائك إليّ ، وتقطع ما بيني
وبينك بسببي ، وتصل ما بينك وبينك من أجلي . فإن قبولك مني يزيدني
رغبة في إرادة الخير بك جهدي وطاقتي .

٥ إلهي ! إني قد لاطفت عبدك ليفي ، إليك ، ويطلب مالدنيك ، فأعنه
على ذلك ، وأعني عليه في ذلك ، فإنك الجواد المسالك .

يا هذا ! قد نهيت منك عليك فلا ترفد ، وقد عرفت مالك فيك فلا تغفل .
وسيق إليك ما كان غائباً عنك فاستكن . وكيفما دارت بك الدائرة
فكن مستكيناً فإنك تُرحم ، وإذا رُحمت فقد فاز قدسك ، وأورى زائدك .
١٠ إن الرحمة من المولى للعبد مبلغة بالعبد المبالغ . وإياك [١٢٥ ب] وإئت السهو ،
فإن السامعي ههنا جدير هناك بالندم والأسف ، والتسليم واللاهف .

اللهم أعنا على أنفسنا الوثابة علينا حتى تتممها عنها ^١ فنعبدك بعزائم
الأحرار وشكائهم الأبرار ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (محج)

١٥ اللهم إنا لا ندعو بلسان الإخلاص من معدن الاختصاص ، فنقول : إلهنا !
لا ثقة لنا إلا إليك ، ولا اعتماد لنا إلا عليك ، ولا قرار لنا إلا لديك ،
أنت كمفنا الحصين ، وحببنا المتين ، وما لكنا الرؤوف ، ومَدبرنا اللطيف —
فهب لنا من لدنك رحمةً واسعة تغمرنا بمجودك وكرمك ، وأفض علينا
من عندك نعمة سائغة تُسرنا بفضلك ولطفك ، ولا تَكِلنا إلينا فنعجز
٢٥ عن إصابة خيرك ، ولا تَرُدنا علينا فكسد على غيرك .

(١) كذا ! ولعلها : عنا .

أيها السامع ! احضرْ بقلبك ، واستدركْ بلبك ، وانظرْ لنفسك في يومك
 بغير ما كنت عليه في أمسك ، وانقبه للزاجر من ربك ، والتفتْ إلى اللد^(١)
 من الملك الموكل بك ! فلا خاسر أخسر منك إن لم يكن لك سكون من يقين ،
 أو تبصّر من معرفة ، أو حياء في مراقبة ، أو خوف من سطوة ، أو رغبة
 في قرينة ، أو طمع في وُصلة ، أو ندم على هفوة ، أو حنين إلى مناسمة ، أو ظمأ
 إلى مجالسة ، أو إشارة إلى عين التوحيد ، أو عبارة عن مخض التجريد ،
 أو نقطة من عقل قد حُفّ بالتأييد ، أو وجد لمشاهدة خلّصت على الاتصال
 والتأييد . فإن جَسَرْتَ على أن تدعى هذا المقام وتحدث نفسك بهذا المرام ، فهاتِ
 العلامة التي تُدلُّ على هذه الكرامة ، فإن الدعوى بلا برهان مردودة ، والنفس
 في الناية بلا طمأنينة مكدودة — قلْ متى كان الليل مطيتك بالتهجد ؟ متى كان
 النهار منصرفك بالترهد ؟ متى كانت ساعاتك مشغولة بالتفرد ؟ متى كانت حركاتك
 مقصورة على التعبد ؟ متى كانت سيرتك جارية على التوحش والتأبّد ؟ متى جعلت
 حياتك قعوداً سترك ؟ متى قصصت الجنة بغاية وطرك ؟ متى وجدت الله في أقاصي
 نظرك وفكرك ؟ متى تركت الدنيا قالياً لها ببصيرتك ؟ متى أصبحت ماقناً لها
 بخبرتك ؟ ما اعتدلت فيها بما^(٢) وصفها به الواصفون — أليس قيل : الدنيا سجنُ
 المؤمن ؟ فلم جعلتها أنت رَوْضَتَكَ وبهجتك ؟ ولم أخلدت إليها بجهلك [١٢٦]
 وغرّتك ؟ وهلا أخذت في تحصيل ذلك وأهبتك ؟ متى كان العقل دليلك
 في طريقك ؟ متى كان الجوع والعطش صاحبك في حالك ؟ متى كان اللوم
 (١) لده (من باب نصر) لماذا : تواضع له بالذل . ويمكن أن يكون مقلوب
 لَدَمَه ولده (من باب ضرب) : لطمه ، فاللدم هو اللطم ، وكذا اللمد .
 وهو الأقرب إلى المعنى هنا .

(٢) ص : ما .

والزراية مُعِينِيكَ عَلَى نَفْسِكَ الْأَمَارَةَ بِالشَّوْءِ لَكَ ؟ مَتَى اتَّخَذْتَ الصَّادِقِينَ إِمَامَكَ
وَإِخْوَانَكَ فِي أَمْرِكَ ؟ مَتَى اسْتَظْهَرْتَ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى فِي شَأْنِكَ ؟ مَتَى كَانَ ذِكْرُ
اللَّهِ بِالْخُشُوعِ شِعَارَكَ ، وَالْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ دُثَارَكَ ؟ مَتَى كَانَ الْقُرْآنُ حَدِيثَكَ وَالْخُلُوعُ
بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ دِيدَنَكَ ؟ مَتَى اتَّخَذْتَ الصَّبْرَ وَسَادَةً ، وَالصَّمْتَ عَصَابَةً ، وَالْحِكْمَةَ جَنَّةً ،
وَالتَّسْلِيمَ حِجَّةً ، وَالْخُوفَ قَرِينًا ، وَالرَّجَاءَ خَدِينًا ، وَالتَّوْبَةَ فَرَاشًا ، وَالْأَمَانَةَ
رِيَاشًا ، وَالْإِعْتِبَارَ مَعَاشًا ؟ أَيْنَ سَهْرُ الْعِيُونِ وَمَوْتُ الطُّبَاعِ فِي الْخَالَفَةِ ؟ أَيْنَ حَيْنُ
الْقَلْبِ وَشِدَّةُ التَّزَاعُ إِلَى الْمَوَاقِفَةِ ؟ أَيْنَ رَاحُ النُّفُوسِ وَالشُّوقُ إِلَى الْحُلِّ الْمَأْتُوسِ ،
وَالتَّطَعُّمِ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَى الْمَغْرُوسِ ؟ أَيْنَ مَتْعَةُ الْأَرْوَاحِ بِطَرَائِفِ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ،
وَهَنَاءِ الْغَدْوِ وَالرَّوَّاحِ ؟ أَيْنَ الْهَشَاشَةُ بِالنَّجَاحِ ، وَالْبَشَاشَةُ بِالْفَلَاحِ ؟ لَا تَعْرِفُ
الْفَرْقَ بَيْنَ الظَّلَامِ وَالشَّعَاعِ . ١٥

يَا مَنْ تَهَاوَنَ بِنَظَرَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَجْبَرَ بِجَهْلِهِ عَلَيْهِ ، غَيْرَ ذَا كَرٍّ لِمَوْتِهِ ،
وَلَا خَائِفٍ مِنْ قُوَّتِهِ ؟ يَا مَنْ عَظَّمَ حَرْمَهُ ، وَتَضَاعَفَ عَزْمُهُ ، وَقَلَّ بِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ عَلَيْهِ !
يَا مَنْ طَالَتْ غَفْلَتُهُ ، وَاسْتَحْكَمَتْ قَسْوَتُهُ ، وَاسْتَعْرَبَتْ عَلَى مَا سَاءَ وَبَاهُ ^(١) زَلَّتْهُ !
يَا مَنْ امْتَدَّ بِهِ تَوَمُّهُ ، وَضَاعَ أَمْسُهُ وَيَوْمُهُ ، وَشَمَّتْ بِهِ عَشِيرَتُهُ وَقَوْمُهُ ! يَا مَنْ
قَلَّ حَيَاؤُهُ فَلَا يَكْتَرِثُ لِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، وَلَا يَهَابُ إِطْلَاعَهُ عَلَيْهِ ! يَا مَنْ تَوَالَى
وَعَدَهُ ، وَتَمَادَى حَلْفُهُ ، وَتَقَدَّمَ عَهْدُهُ ، وَقَرُبَ نَكْثُهُ ، وَخَافَ بَعْزَتَهُ فَمَا وَفَى ،
وَعَسَ فِي يَنَابِيعِ الْهَدَى فَمَا صَفَا ، وَوَلَّى أَمْرَ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ فَمَا كَفَى ! يَا مَنْ
يُدْمِنُ أَحَبَّتَهُ وَأَعَزَّتَهُ وَإِخْوَانَهُ وَجِيرَانَهُ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا يَقْلَعُ عَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْيِ
وَالزُّهْمِ وَالغَشَمِ ^(٢) وَالظُّلْمِ ! يَا مَنْ ذُنُوبُهُ لَا تَحْصَى مَعَ التَّضْيِيعِ لِمَا أَمَرَ بِهِ ! ١٥

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ! وَلَعَلَّ ضَوَايِهِ : مَا شَاءَ وَتَاهُ .

(٢) غَشَمَ الْوَالِي فَلَانًا (مِنْ بَابِ نَصَرَ) غَشَمًا : ظَلَمَ .

قد رضى أن يكون مطروداً عن باب ربه لا يراه أهلاً لمعاملته . صدق
الحكيم المتقدم :

لا يبلغ الأعداء من جاهلي ما يبلغ الجاهل من نفسه

يا أبا العثرات بعد العثرات ! يا كاسب السيئات بعد السيئات ! يا صريع
الشبهوات في الشهوات ! [١٢٦ ب] يا خائضاً في الشبهات على الشبهات ! يا أسير
الذات في الذات ! يا قرين الغفلات في الغفلات ! يا ثاوياً في الضلالات
بعد الضلالات ! يا معتقداً في الجهالات بعد الجهالات ! متى يكون انتباهك ؟
وإلى أي حد يبلغ سهوك ؟ لعمري فظلم الأرواح عن الأجساد شديداً ، ولكن
هلاك الأرواح والأجساد أشد ، وفوت الدنيا والآخرة وخسرانه أبين وأبين .
ويحك ! إذا فأنك الله فبم تسأل ؟ وإذا وجدت الله فعلام تحزن ؟ أما تعلم
أن في الله عوضاً من كل فائت ، ودرّ كافٍ لكل مأمول ، وبلوغاً إلى كل مراد ؟
ألا أقفوا على ديار الهالكين ، واستخبروها عنها إن كنتم شاكين ، ونادوا
في أقطاب الربوع الهامدة ، وآثار الجموع البائدة : يا منازل الأمم الخالية ،
ومعاقل أولى المهم العالية ! ما فعل سكانك الأولون ، وأين حلّ قطآنك
المتحملون ^(١) ؟ وكيف تفرقت تلك الأجسام الكشيقة ، واضمحلت تلك
الجواهر الشريفة ؟

أيها المغرور عن تصاريف الأيام ! ما أغفلك ! أما نعتبر بمن كان قبلك !
ألهام الأمل فهم ساهون ، وغرّتهم الأمانى وهم غافلون ، واخترمتهم ^(٢)

(١) تحمل : سافر وارتحل .

(٢) اخترمت النية فلاناً : أخذته . وكذا تخزمته ، واخترمت القوم
وتخزمتهم : استأصلتهم .

يد المنون وهم يلعبون ، واعتورتهم الأيام بكر صروفها وهم يرحون . لقد ناداهم
ذو الجلال بالنبية لو كانوا يسمعون ، فقال : « أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ — إلى قوله : « يَسْمَعُونَ » ^(١) ، إلا القوم الخاسرون ؟
أنذرتكم الأيام بغيرها فلم ترتدعوا ، وأرتكم الليالي تقلبها بأهلها فلم تنتفعوا ،
ونادتكم الدنيا بترك السكون إلى لذاتها فلم تستمعوا . خدعتكم الشهوات
فهلكتم ، وغرتكم الأمانى فأهلكتم ، وسباككم الشيطان من أوطانكم فباعكم
في أرض أعدائكم بثمان بخس ، فخرستم ورجع عليكم ، فبقيتم في بلاد الغربة
حيارى متلذذين ^(٢) بلا أنس ولا سلة ، فأنتم بين شرق بشرته غصان ،
وشج بنضته ظمان ، ومُدَّله بشبهته خيران ، ومقلبل بلواعة ولحان .
قد غرقتم في بحار الفرور ، وكنتم في مهامه الثبور ، وكنتم ^(٣) في منابر الندامة ،
وركضتم في ميادين أجرامكم التي تلزمكم منها الملامة ، فلا إلى ثقة [١١٢٧]
من سراركم تسكنون ، ولا في مدة آجالكم لأنفسكم تهتدون ، ولا من غضب
ربكم يوم القيامة مشفقون . إن عذاب ربكم غير مأون . أما سمعتموه يقول :
« إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ » ^(٤) ؟ فيا الساجدين على شجوة
أنفسهم المبررات ! ويا المقطعين نياطة لولبهم بالزفرات ! ويا الهائين على وجوههم
من شدة الحشرات ! ويا للاطمين من حرق الوجد خدودهم والوجعناات !
فيأرحنا ^(٥) لقوم بعدوا عن منازل المقربين فسمحت ديارهم ، ونأوا عن درجات

(١) سورة «الأعراف» : ٩٧—١٠٠

(٢) كذا في الأصل بالذال المعجمة !

(٣) من باع يبيع : أبعد خطاه .

(٤) سورة «المؤمنون» : ٥٨

(٥) ص : فأرحنا .

الْفَارِثِينَ فَاتَّخَذَتْ أَئَاثَهُمْ ، وَنُفُوًا عَنْ بَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فَتَقَبَّحَتْ أَخْبَارَهُمْ . فَلَوْرَأَيْتَهُمْ
يَوْمَ الْقَرْعِ ، وَقَدْ سَاخَتْ بِهِمْ ^(١) الْأَرْضُ ، فَتَدَمَّعُوا عَلَى مَا فَرَطُوا أَيَّامَ الْمَهَلِّ ،
وَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْمَذَابِ بِالْوَعِيدِ الْأَوَّلِ ، لَعَلَّتْ أَنْ التَّاجِرَ فِي الدُّنْيَا
مَنْ صَادَفَ رَبِّهَ فِي الْآخِرَةِ ، وَالتَّاجِرَ فِيهَا مَنْ قَنَعَ بِالْفِلَقَةِ وَالْخُرْقَةِ . أَتَدْرِي
مَا كَلِمَةُ الْمَذَابِ ؟ قَوْلُهُ : « ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ » ^(٢) ، « اخْسَأُوا فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونَ » ^(٣) . آهَ مِنَ الشَّقَاوَةِ الَّتِي لَيْسَ بِمَدَهَا شَقَاوَةٌ !

يَا هَذَا ! مَنْ سَمِعَ نِدَاءَ الْحَقِّ فِي أَعْمَاقِ جَوَانِحِ سِرِّهِ ، شَهِدَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ
فِي عَجَائِبِ أَمْرِهِ . وَمَنْ ارْتَوَحَ إِلَى صِيَانَةِ مَا تَحْتَ سِرِّهِ ، أَخَذَ بِصَنْعِهِ إِلَى غَايَةِ
مَا أَرِيدَ فِي دَهْرِهِ وَبَعْدَ دَهْرِهِ . وَمَنْ فَتَحَ فَاةَ نَاطِقَاتِهِ يَدَائِعَ الْحَقِّ فِي صَدْرِهِ ،
أَهْلَ الْخَائِرِ مَا فِي مَلِكِهِ مِنْ ثَمَنِهِ وَبَرِّهِ . وَمَنْ غَبِنَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، نَكَصَ
عَلَى عَقْبِهِ فِي حَيَاتِهِ وَغُمُرِهِ . وَمَنْ اتَّكَلَّ عَلَى عَفْوِهِ مَعَ إِصْرَارِهِ فَقَدْ بَاءَ بِسُخْطِ
فِي وَرْزِهِ وَضَيِّقِ عَذْرِهِ فِي عَذْرِهِ . وَمَنْ لَزِمَ حُدُودَ الْعَبِيدِ فِي صَبْرِهِ وَشُكْرِهِ ،
قَدْ أَمِنَ مِنْ اسْتِدْرَاجِهِ وَمَكْرِهِ . وَمَنْ اسْتَعَرَّ بِوَجْدِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَقَدْ حَشَدَ
عَلَى رُوحِهِ مَنْ يَأْتِي عَلَى عَفْوِهِ وَنَفَرِهِ !

يَا هَذَا ! إِنْ كُنْتَ عَبْدًا فَارِقَ بِالذِّلِّ وَالْقُلَّةِ . وَإِنْ كُنْتَ رَبًّا فَأَبْرَزَ
قُدْرَتِكَ عَلَى قُوَّةٍ . أَنْتَ هُنَا لَسْتَ هُنَاكَ ، فَلَمْ تَجْمَعْ ؟ اشْهَدْ ضَعْفَكَ فِي قُوَّتِكَ ،
وَأَشْرِفْ عَلَى قُوَّتِكَ فِي ضَعْفِكَ ، تَجِدَكَ مَنْقُوصًا بَعْدَ الزِّيَادَةِ . وَرَدَّتْ قَبْلَ
أَنْ تَحْمُومَ ، فَشَرِّقَتْ . وَلَوْ هُتَّ قَبْلَ أَنْ تَرِدَ لَشَرِبْتَ سَائِغًا ، وَجَرَعْتَ هَبِيبًا ،

(١) سَاخَتْ بِهِ الْأَرْضُ : غَارَ فِيهَا .

(٢) سُورَةُ « النَّحْلِ » : ٢٩

(٣) سُورَةُ « الْمُؤْمِنُونَ » : ١٠٨

وثلمت ناهلاً ، وعلمت أنك مكفى مَعَانٍ ، ومُسَرَّفٌ مَّآْنٌ^(١) . فالآن وقد خذلك
سوء الاختبار ، لَدَىَّ بِحْسَنِ التَّنْصِلِ والاعتذار ، فليس لك من دونه اقتدار
ولا انتصار . إن قبلك فلفضله عليك ، وإن رَدَّكَ فلتنقصك الذى لا يخفى عليك ،
وإن عاتبك فلأنه يستصلحك ، وإن أَعْرَضَ عنك فلأنه [١٢٧ ب] يستدرجك ،
وإن تَغَاكَ فلأنه يجب أن يجتبيك ، وإن حَا بينك وبينه فلأنه قد فَلَكَ
واطَّرَحَكَ .

يا هذا ! إياك أن تسأله فى الطاعة إلا الطاعة فى الطاعة ، وإياك أن تطلب
منه العطية ولكن العطية فى العطية ، وإياك أن تشير إليه بالإشارة ولكن
الإشارة فى الإشارة . أتَعْمَلُ ما تسمع ؟ أو تَلْذُ ما تَجْزع ؟ أو تَخْشى ما يلقى
إليك من هذه النجوى التى فانت أهل الدنيا ؟ ليس لهم منها لا^(٢) الشخص
ولا الظل ، ولا الكُثْرُ ولا القُلُ .

يا هذا ! الطاعة فى الطاعة الإخلاص ، والعطية فى العطية الرضا ،
والإشارة فى الإشارة التجريد — فحَدِّثْنِي بعد هذا الشرح : هل وقع دوائى منك
على الجرح ؟ وهل وجدت خفاء من البَرَحِ^(٣) ؟ وهل وثقت بروح البر وبعد
مَسَّ القرح ؟ إن كنت مراداً فقد نوديت ، وإن كنت مُزْدَاداً فقد يوديت ،
وإن كنت مردوداً فقد عوديت ، وإن كنت مجتبي فقد هوديت . أنت أعلم
بتنفسك بقدر ما أَعْلِمْتَ ، وأبصر بها بقدر ما بَصَرْتَ . إنما أروك العين
لتبصر العين فى العين ، وأشهدوك الشاهد لتشهد الشاهد فى الشاهد ، وأخبروك

(١) اسم مفعول من آتاه : رفق به .

(٢) ص : إلا .

(٣) برح الخفاء : وضع الأمر .

عن الغائب لتغيب في الغائب ، وكلفوك ليرقهوك ، وثقلوا عليك ليخففوا عنك ،
وكثروك ليلبثوا بك الراحة التي لن تنالها إلا بالكّد . فلا تنهم مالكك ،
ولا تستفس ناصحك ، ولا تركن إلى ما سَوَّاتْ لك نفسك وزخرفه لك هواك ،
وأعاده وأبداه قرين سوء معك . واعلم أنك بعرض أمر جسيم ، ومُراد
خطر عظيم ، ومدعو^١ إلى خلود ونعيم مقيم ، في جوار رب كريم . أقلّ تبذل
على هذه المكرمات كدّ عمر قصير ، وتعب أيام معدودة قد ذهب أكثرها
باللهو واللعب ، وبقي آخرها بالكلال والتعب ؟ لأن بذات قليلاً ، لتعوض^٢
كثيراً . ولئن نصبت يسيراً ، لكنت ربحن^٣ طويلاً .

يا هذا ! دع هذا وخذ بنا في حديقة الحقائق لعلمنا نتخلص من هذه
البوائق^١ ، ونسلم على^٢ هذه العوائق ، وننسل عن هذه العلائق ، وتلبس
بتلك الأنوار والبوارق ، واسمع ما أقول لك في وصف الملكوت الذي^٣ قد بهر
الخلائق ، وميز السوابق من الواحق : تراءت المناظر فخارت النواظر ، وتوارت
الخباير [١٢٨] فتبارت الخواير^٤ . فأما تراءى المناظر فبشواهد الحق الذي
الذي هو المعصور فيها والمغلوب بها ، المتراءى فيها والمرأى منها ، والمرأى عليها
والمرأى بها . وأما حيرة النواظر فبشواهد الخلق الذي هو المعصور فيها والمغلوب
بها والمغلوب بها والمنصور عليها . وأما توارى الخباير فللعز المحفوف بها والسلطان
القائم عليها والتدبير الخفائي فيها . وأما تبارى الخواير فالغيرة عليها والوجد

(١) جمع بائقة : داهية .

(٢) بمعنى : على الرغم من هذه العوائق . أو لعلها تحريف صوابه : من .

(٣) ص : التي .

(٤) جمع حائرة أي سائرة : يعني الأمور السائرة ، من حيرة : سرّة .

بها والشوق إليها والهدف عليها . وهذه حدود ما لا ذنبها بشر إلا بقي مسحوراً ، ولا يبحث عنها إلا عاد مبهوراً مقهوراً ، ولا أفرج عنها إلا كان معذوراً ، ولا ادّعاها متكذباً إلا كان مبهجراً منكوراً .

رسالة (مد)

من قرع باب الله ولج ، ومن طلب ما عند الله ادّج^(١) ، ومن توجه إلى الله استسلم ، ومن طلب المسكنة العلية عند الله استعصم ، ومن ذاق ما أسي الله استخلاه ، ومن اشتاق إلى ما وعد به استخلاه^(٢) . وفي الجملة ، من تأهب واستظهر بزياده ، وخفّض من مقاده ، وتعرّى من مراده ، فإنه يصل إلى غبطته وبهجته وراحته ورشاده . ومن سكر من شراب الدنيا ، هلك في خمار^(٣) الهوى ، وبعد من أوطان الهدى ، وتاه في أودية الردى .

يا هذا ! انتصحنى فوالله ما آلوك جهداً فيما عاد عليك بالثمرة الخلوّة والمسرّة الباقية والجّدوى الحسنة . وإن رددت نصحنى وتأنفت عند قولى ، وسددت عن ذلك كله أذنك مكايده لى ، وأنفة منى ، فلا عجب ! فلك فى هذا شركاء ، وهم بأمثاله ملاء^(٤) . ولا عجب منك ، فيما تسمع ، إذا نأيت عنه . فيها أنا أقول ما أقول ، ونصيبى منه أقل القليل . ولولا أنى مراد بما ترى ،

(١) ادّج القوم ادلاجاً : ساروا من آخر الليل ، والاسم الدّجج والدّججة .
(٢) ص : استخلاه (بالحاء المهملة) . وصوابه ما أثبتنا . واستخلى الملك استخلاه : سأله أن يجتمع به فى خلوة ، يقال : « استخلى الملك فأخلده وأخلى به » — أى اجتمع به فى خلوة .

(٣) الخمار (بضم الخاء المعجمة) : صداع الخمر وأذاها ، وبقية السكر .

(٤) جمع : ملىء .

لنكبت عن طريقة ليس لي فيها زاد ولا قري . فما أقبح النصيح إذا كان الناصح به مخالفاً لنصحه في سيرته ، وما أسمى الوعظ إذا كان الواقع به غير منتحل لأحسنه ، وعندى أن الدعوى بلا بيّنة فضيحة ، والظاهر بلا باطن فاحشة ، والقول بلا حجة يمتحان ، والتقنى بلا سعى صغور^(١) ، والسعى بلا توفيق شقاء ، وركوب البر بلا دليل بلاء وعناء .

أيها الراكب سنام الدنيا ، المعرض عن حرم المولى ، التارك للطريقة المثلى ! أبشر بالخسر والمسر وضك المعيشة [١٢٨ ب] في الآخرة والأولى ! أيها الجاهل تعلم ! أيها العامل اعمل ! أيها العامل أخلص ! أيها المخلص اثبت ! أيها الثابت استمسك ! أيها المستمسك خف المكر ! أيها الخائف ارج ! أيها الراجي ازود ! أيها الواقع اعظ اعظ قبل أن تمظ ! أيها السامع احتفظ قبل أن تستحفظ ! أيها الشاوخ تطامن ! أيها الداهي في الشمال تيامن ! أيها المطرود عن الباب أجد البكاء لعلك ترحم ! أيها البائس ألق واندم لعلك تقبل أو تكرم ! أيها الخائف في غمرات هذه العاجلة رق لعلك تسلم ! أيها المفر بالصحبة والشباب^(٢) اعلم أنك ستسقم ! أيها المسرور بالمال والولد والريح والنعمة تنبه لعلك تعلم أو تعلم .

إلحنا ! لولا قبحتنا معك لم نستقبلك بوجوهنا مع اللطخ^(٣) الذى بنا ، والدّرّ الذى قد غلب علينا . ولولا جودك وكرمك لم تؤهلنا لما أهلتنا لأننا نذكر بك^(٤) بالسنّة سليطة في إلحنا والشّر والفرع والرّود ، ونشأناك

(١) ضنا إليه : مال حنكه وإحدى شفتيه . يقصد : انحراف وانصراف .

(٢) كذا ! ولعلها : والشباب .

(٣) اللطخ : التلوث .

(٤) كذا ! ولعلها : نذكرك .

بقلوب مُطْمَئِنَّةٍ بالرياء والنفاق والخبث والفساد والريبة ، وَنُذِلْ عَلَيْكَ بِأَعْمَالِ
إِذَا قَدِمْنَا بِهَا عِنْدَكَ جَعَلْتَهَا هَبَاءً مَنْثُورًا لَأَنَّكَ لَا تَرَى فِيهَا نَفْسًا خَلَصَ لَكَ ،
وَلَا وَهْمًا سَلِمَ مِنْ سَوَالِكِ ، وَلَا خِيَالًا جَرَى عَلَى مَرْضَانِكَ . ثُمَّ إِذَا كَانَ هَذَا
حَدِيثَنَا فِي السَّنَةِ إِذَا ذَكَرْنَاكَ ، وَفِي قُلُوبِنَا إِذَا اشْتَقْنَاكَ ، وَفِي أَعْمَالِنَا إِذَا
قَصَدْنَاكَ ، فَكَيْفَ نَنْجُحُ عِنْدَكَ ، وَكَيْفَ نَسْلُمُ عَلَيْكَ — إِلَّا أَنْ الظَّنُّ بِكَ يَارَبَّنَا
جَمِيلٌ ، وَأَمَلُنَا فِيكَ قَوِيٌّ . لَا يَلْ بَدَأْتَنَا مِمَّا لَمْ نَكُنْ أَهْلَهُ مِنَ الْكُرمِ وَالْجُودِ
وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ . وَمَنْ بَدَأَ بِالْحَسَنِ عَادَ بِالْأَحْسَنِ ، وَأَنْتَ الْبَادِي بِالْحَسَنِ
وَالْمَادِي ^(١) بِالْأَحْسَنِ . هَذَا حُكْمُ أَنْتَ أَقَمْتَهُ فِي عَقُولِنَا حِينَ أَعْلَمْتَنَا كُرمِ
الْكَرَامِ ، وَأَنْتَ فَوْقَ كُلِّ كَرِيمٍ . فَكَيْفَ لَا تَعُودُ بِمِثْلِ مَا بَدَأْتَ بِهِ وَبِأَزِيدَ مِنْهُ
وَمَنْ نَضْرَعُ إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَلَوْ ذَكَرْنَاكَ هَذَا اللَّيْلَ ، وَنَعَفَرُ وَجُوهَنَا لَكَ
بِالْخُشُوعِ وَالذَّلَّةِ . وَأَنْتَ حِينَ بَدَأْتَ بِمَا بَدَأْتَ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الَّذِي
وَصَفْنَاهُ ، وَكَيْفَ نَخِيبُ مَسْئُولًا ^(٢) وَقَدْ أَنْتَ مُبْتَدَأًا ^(٣) ؟ ! هَذَا مَا لَيْسَ
فِي عَقُولِنَا الَّذِي وَهَبْتَنَا لَنَا وَجَعَلْتَهَا حِجَّةً عَلَيْنَا .

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الظُّرُوبِ عَلَى مَا تَسْمَعُ ! إِيَّاكَ أَنْ تُفْتَلَّ ^(٤) عَنْ حِفْظِكَ وَتُخْذَعُ ،
فَتَسِيلَ فِي وَادِي الرِّجَاءِ غَيْرَ عَامِلٍ عَلَى [١٢٩] كَيْسٍ ^(٥) الْمُسْتَظْهِرِينَ ، وَلَا آخِذًا
بِحُجَّةِ الْمُسْتَبْصِرِينَ .

(١) كَذَا ١ وَالْأَقْرَبُ أَنْ تَكُونَ : الْعَائِدُ ، لِقَوْلِهِ قَبْلَ : عَادَ .

(٢) أَيْ حِينَ تَسْأَلُ .

(٣) أَيْ مُبْتَدَأًا بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُ .

(٤) فَتَلَهُ عَنْ كَذَا : صَرَفَهُ (مِنْ بَابِ ضَرْبِ) .

(٥) كَيْسٌ : كَيْسٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا : وَالْكَيْسُ ضِدُّ الْحَمَاقَةِ .

وَالْمُسْتَظْهِرِينَ : الْمُخْتَاطِينَ ، مَنْ اسْتَظْهَرَ الرَّجُلُ : اخْتَطَأَ ، وَاسْتَظْهَرَ لَهُ : اسْتَعَدَّ .

يا هذا ! إن الله وَهَبَ لَكَ هذه الأَحْصَاءَ لتَعْتَبِرَ بِهَا فِيمَا تَرَى ، وتَسْمَعُ ،
وتَذُوقُ ، وتَسْمُ ، وتَلْمَسُ ، فجعلت الاعتبارَ بِهَا بَطَرًا وَأَشْرًا ، وتَأَلَّمتَ
على واهبِهَا لَكَ مِنْهُمْ كَأَمْسِكَبْرَا . هَكَذَا يَشْكُرُ الْمُنْعَمُ ، وبِهَذَا تَقَابِلُ النِّعَمُ ،
وإِلَى هَذَا كَانَ الشُّوْطُ ! مَا أَقْلَ حَيَاءَكَ ! وَمَا أَصْلَبَ وَجْهَكَ ! وَمَا أَوْقَحَ
حَدَقَتَكَ ! بَلْ مَا أَغْرَقَكَ فِي بَحْرِ الْجَهْلِ ! وَمَا أَتَمَّكَ فِي يَرِّ الضَّلَالِ ! بَلْ مَا أَعْمَكَ
عَمَّا لَكَ ، وَمَا أَبْصَرَكَ فِيمَا هُوَ عَلَيْكَ ! يَأْعِدُونَ نَفْسَهُ ، وَجَالِبَ حَتْفِهِ بَيْنَهُ ،
وَيَا شَارِبَ سَمِّهِ بَأَنفِهِ ، وَيَا خَانِقَ حَلْقِهِ بِحَبْلِهِ ، وَيَا غُرْبَ بَيْتِهِ بِسَاعِدِهِ ، وَيَا سَيِّئَ
النَّظَرِ لِنَفْسِهِ ، وَيَا جَاهِلًا بِحِفْظِهِ ، وَيَا مُسْتَعْتَبًا لِحُسْرَتِهِ بِذَنْبِهِ ، وَيَا مُجْهِزًا
عَلَى رُوحِهِ بِخَنْجَرِهِ ! إِنَّمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ هَذِهِ النِّعَمُ الْخُتْلَفَةُ وَشَانَهَا بِمَا أَثَرُ فِي صِفَاتِهَا ،
لِتَحْنَّ إِلَى نِعَمٍ عَنِ أَصْفَى مِنْهَا وَأَوْسَعِ ، وَأَدْوَمِ وَأَرْفَعِ ، وَأَطْيَبِ وَأَسْبَغِ وَأَهْنَأِ ،
حَتَّى إِذَا حَنَنْتَ إِلَيْهَا سَأَلْتَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَوَصَّلُكَ بِهَا وَتَوْفَرَ قِسْطُكَ مِنْهَا
مِنْ خَيْرِ تَعْمَلُهُ ، وَشَرِّ تَتَكَبَّرُهُ ، وَجَائِعِ تَشْبَعُهُ ، وَعَارِ تَنْكُسُهُ ، وَجَادٍ ^(١) تَسْعُنُهُ ،
وَخَائِفٍ تَوْتَمُّهُ ، وَضَائِعٍ تَحْفَظُهُ ، وَذِمَامٍ تَعْقِدُهُ ، وَفَقِيرٍ تَرْفُدُهُ ^(٢) ، وَحَقٍّ تَنْصُرُهُ ،
وَبَاطِلٍ تَحْذُلُهُ ، وَمَسْجِدٍ تَعْمُرُهُ ، وَبِرٍّ تَتَعَوَّذُهُ ^(٣) ، وَضَالٍّ تُرْشِدُهُ ، وَدَاعٍ
تُجَبِّدُهُ . فَبِهَذَا وَأَمْثَالِهِ تُشْكِرُ النِّعَمَ وَتُسْتَدَامُ ، لَا بِمُخَالَفَةِ اللَّهِ وَعِصْيَانِهِ
وَالْمَكُوفِ عَلَى مَحَارِمِهِ ، وَالْمُجَاهِرَةِ بِمَا يُبْعَدُ مِنْ رِضْوَانِهِ .

- (١) الْجَادِي : السَّائِلُ (وَمُعْطَى الْجَدْوَى — ضِدٌّ) .
(٢) رَفَدَهُ (مِنْ بَابِ ضَرْبٍ) رَفَدًا وَأَرْفُدُهُ : أَعْطَاهُ .
(٢) الْبِرَّ (بَفَتْحِ الْبَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ) : الْبَارَ . وَعَوَّذَهُ بِهِ تَعْوِذًا : دَعَا لَهُ
بِالْحِفْظِ وَقَالَ لَهُ : أَعِيْذُكَ بِاللَّهِ ، وَرَقَاهُ ، يُقَالُ : تَعَوَّذَ بِاللَّهِ وَاسْتَعَاذَهُ وَعَوَّذَهُ .
وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنْهُ : اعْتَصَمَ وَجَلَأَ إِلَيْهِ — أَوْ : وَبِرٍّ تَتَعَوَّذُهُ ؟

يا هذا ! قد صرّفتُ لك القولَ ، وضربتُ لك الأمثالَ ، وأقنيتُ في اللفظ والمعنى ناصحاً لك ، وطالباً لسماعتك ، وهادياً لك إلى راحتك . فإن أصفيت إلى هذه كلها قائلاً ، وتشبّثت بها عاملاً ، وتثبتت عليها راجياً آملاً ، ضمنت لك الفوز بالنعيم الدائم ، وبالحياة الصافية ، وبالعيش الطيب ، وبالروح المتصل ، وبالرضوان الرفيع ، وبالنظر إلى وجه الله الكريم كفاحاً بلا حائل ولا حاجز . وليس بعد ذلك أملٌ أضمنه لك ، ولا مطلوب فأشوقك إليه .

يا هذا ! غيّبُ هذا الحديثُ خاف ، والرمزُ عنه متخاف ، وإما تدندن^(١) حول هذه المغافى^(٢) ، هنالك تنال ما لا أُذنُ سمعت ، ولا عينَ رأت ولا خطرَ على [١٢٩ ب] قلب بشر . فتق — عافاك الله — بهذا الذي كنينا عنه ثقةً توفى على ما صرحنا به ، فإن غاية الإيمان اليقين ، وغاية اليقين ما تجده بقلبك ، ونحييه بروحك ، ونهيم عليه بفؤادك ، وتساو به عن نفسك وحسبك . وإن عبداً بلغ مع الله هذا المقام ، لجديرٌ بأن يكون قريح العين ، مغبوط الحال ، عظيم القدر ، واضح المنزلة ، شريف الحلية ، عجيب الجملة ، غريب التفصيل ، يديع الخبير ، طريف الأثر ، عزيز الوصف . إن ذكرَ وجده عليه ، وإن نُعتَ اشتيق إليه .

اللهم كما علمتنا هذه الصفات التي تختصُّ بها من تشاء من عبادك بمشيئتك السابقة وقدرتك النافذة وحكمتك الخافية حتى وصفناه بوصف شافٍ ،

(١) دندن الذباب والزنبور : صوت وطن . والرجل : نغم ولم يفهم منه كلام .

(٢) ص : المغافى . ولعل صوابه ما أثبتنا وهو جمع : مغفى ، مصدر ميني من غفا يغفون : نام .

وذكرناه بذكر بالغ ، فخذنا حتى نظهر لك بحسبها وتتجلى لعبادك بنورها ،
وندعوهم إلى خدمتك بما يعود عليهم منها ، ويعدهم بمنك مثلاً ، ويكون
سبباً لهم في محبتك وعبادتك ، ولزوم فرائدك ، وطلب عطائك ، وغشيان
بابك ، والتعلق بأسبابك ^(١) ، وانتحال توحيدك ، والأهيج بمحبيدك .

إلهنا ! أنت أهللتنا لهذا التوجه ، وألهمتنا هذا الدعاء ، وصرفتنا
في هذا ^(٢) الفنون ، وأرتمتنا في هذه الرياض ، وسقيتنا بهنم الكؤوس ،
وغسقتنا في هذه العيون ، وأوردتنا هذه القُدُرات ، وأطلعتنا على هذه النايان ،
وحيمتتنا بهنم التحايا ، وأوسعتنا من هذه العطايا ، وناغيتنا في المنام ، وصارحتنا
في اليقظة . فكما أهللتنا لهذا كله فأهلاًنا لرضائك عنا ، وإحسانك إلينا ، ولرفقتك
بنا ، ولصنعك لنا ، وزدنا بعد ذلك ما لا تهتدى إليه فتسأل ، ولا تعرفه فنطلب .
اللهم إنا لا نشبع من فضلك ، ولا تروى من إحسانك ، فلهذا نُلج
ونُلجف ، ونطلب ونفترح ، ونجتاوز قدرنا في الانبساط .

يا هذا ! إن كنت ظالمًا فردّ ولو حبّوًا ^(٣) ، وإن كنت غريبًا فاستأنس
فلك المشوى ، وإن كنت عليلًا فصفّ ما بك فإنك تشفى ، وإن كنت
فقيرًا فعرّض ^(٤) فلك الغنى وما فوق الغنى ، وإن كنت ضالًّا فاضرع
فلك الإرشاد والهدى ، وإن كنت معزولًا فاخطب [١٣٠] فلك الولاية
الكبرى ، وإن كنت مهجورًا فاعترف فإنك تنال المرتبة العليا ،
وإن كنت حزينًا فاذكر ما بك فلك الفرحة الطولى ، وإن كنت تريد

(١) ص : بأسبابها .

(٢) كذا !

(٣) من حبا يحبو : مشى على يديه وبطنه ، زحف قبل القيام .

(٤) أى توجه بالسؤال إلى الله .

الدنيا فلا تذكُرْ المَوْتُ . أما تعلم أن العيش مع المولى أحلى من المَنِّ^١
والسَلْوَى^٢ ؟ أما ترى يا صاحبي ما نحن فيه ؟ نَعْرِفُ كَانًا لَا نَعْرِفُ ،
ونعرف ما نصف كَانًا لم نصف . قلوبٌ تعترف ، وألسنة تختلف ، وأعمال
لا تنتظم ولا تأتلف . ليت هذا لم يكن شقاء بنا ، ولا استدراجًا لنا !

اللهم إليك نفرع في كلِّ مأمٍّ ودَهَمٍ ، وعليك نتوكل في كلِّ ما ناب
وأَلَمٍّ . وقد أَمَّهْمُ أَمْرُنَا ، ودَهَمْنَا بِلَاؤُنَا ، ونابنا التقصير الذي فضحنا ، وأحاط
بنا الخوف من الخِزْيِ المالك لنا . فاكفينا أنت ، واروِّف بنا أنت ، واعطف
علينا أنت ، فإنك أنت أنت ، وإعما نحن بك لانتاك . نتقلب في ظلال
نعمتك ، وترجو عواشي رحمتك ، ونسألك الاتصال بك والدعاء إليك
والخشوع لك وأنت مالِكُنَا ومُصَرِّفُنَا ، فارزُقْنَا رضاءنا عنك برضاك
عنا . هـ .

أيها السامع ! هذا لسانُ الحقِّ واعظًا وموقظًا ، فانظر أين أنت منه ،
فإنه إن كان لك فيه نصيب فأنت حبيب ، وإن لم يكن لك منه نصيب فأنت
غريب ، وإذا أردت أن تعرف نصيبك منه فانظر إلى سِرِّكَ كيف استنارته
عند ذكر الحقِّ ، وإلى قلبك كيف استراحته عند مجاري الأحكام ، وإلى روحك
كيف هشاشته وبشاشته إذا صدرت بوادي الغيب إلى مواطن الملك ،
وإلى شمائلك كيف اهتزازها في أرجاء القدس ، وإلى نفسك كيف استجابتك
للعصر عند الكوارث ، وإلى جملتك كيف انتباهها بأنقال الحوادث ، وإلى كَلْمِكَ
كيف ثباته عند اختلاف الصوارف والبواعث ، وإلى بعضك كيف فِراجه
عند ظُلُوع السواحر النوافث ، وإلى وجدك كيف صحته عند السماع ،

(١) المَنُّ هو الطعام الذي يقال إن الله أنزله على بني إسرائيل ليقبَلُوا به ،
والسَلْوَى : العسل .

وإلى طمأنينتك [وصفك] كيف طمأنينته عند الوداع ، وإلى طاعتك كيف
 [١٣٠ ب] إخلاصك منها عند المراهز ، وإلى معصيتك كيف نفورك منها عند
 الخوافز . تصفح النفس — غافك الله — صعب ، وحملها على الجادة شديداً ،
 وإذعانها للحق مُعَوِّز ، وإنصافها متعذر ، والاتصاف منها معدوم ، وبلاياها
 بلا نهاية ، وسراياها بلا آية ، لها خداع ولك الخداع ، فما الذى يبقى من الخداع ؟
 والانخداع مع شره العادة ، وخُبث الطباع ، وبين مكاره الوقت وفن الزمان ،
 لأن الكلمة مشتتة ، والدعوة ملتاثة ، والرحمة مفقودة ، والوصاة بالنيرة مهجورة ،
 والقبائح فاشية ، والخيانة ناشية ^(١) ، والاصطلاح واقع على رفض المواعظ وترك
 التنصيح . لاجرم اللبيب كئيب ، والمُحَصِّل غريب ، والقول فى هذه الحال
 العامة الطامة طويل عريض ، فقد أصبح الدين وما لمنهجه سالك ، ولا عن حكمه
 سائل ، وأمسّت الدنيا وحلّوها مُرَّة ونفعها ضَرَّة . غلب والله اليأس ^(٢)
 لما قد غمرَ الناس . إليك المُشْتَكِي يا إلهنا !

يا هذا ! الدارُ داره ، والخلقُ خلقه ، والمصادر عنه ، والموارد إليه ،
 والمشيئة منه ، والتصاريف بإذنه ، والحوادث بأمره ^(٣) ، يفعل ما يشاء
 ويحكم ما يريد . اهـ

فما بالناس نقلق هذا القلق ، ونفترق ^(٤) هذا الفرق ؟ أمحسن بنا أن تنازعه
 التدبير ، وأن ترد عليه التقدير ، وأن نطلق أن نظرنا أصلح ، ورأينا أصح ،

(١) مخفقة من ناشئة — أو من نشئ بالشئ : عاوده مرة بعد أخرى —
 أى : الخيانة تتكرر مراراً .
 (٢) مخفقة من اليأس .
 (٣) ض : فبأمره .

(٤) كذا ! والأرجح أن تكون : نفرق : نخاف .

وعلمنا بالغيث أوج ، ومعرفتنا بالكون أجمع ؟ لا والله ! ما هذا بلائق بنا ،
ولا مُسلم لنا ، لانا أذلاء ، بالفطرة ، عبيد بالخلق ، مبسوطون بالحاجة ، محمولون
على المسكنة . إن رأينا قال ^(١) رأينا ، وإن ظننا التبس بالثقل ظننا ، وإن حكمنا
اختلط بالجور حكمنا ، وإن وعشنا اتصل المحال بعشنا . فكأننا صادر
عن التقصير ، وعلمنا مشوب بالجهل ، وواضحنا راجع إلى العويص ، وصلاحنا
ممزوج بالفساد . فقل هذا كيف يصح لنا قصته ، وكيف ينبغي لنا ختيه ،
وكيف يُقيم لنا سرية ^(٢) ؟ وكيف تصفو لنا عطية ، وكيف تصدر منا روية ،
وكيف تخلص لنا طوية ، وكيف تبقى فينا ^(٣) قنية ؟ هذا ما لا ينبغي
أن نطلع فيه وأن نحوم حومه ، ونروم رومه . بلى ! إن الذي يجب علينا ،
ويحسن بنا ، ويسخل في آداب العبد مع ساداتها ، أن ننظر إلى الملك
على مجارى كون الكائنات ، مُسلمين مُدعنين ، متعجبين مُعجبين ، فما كان
مُوافقاً ^(٤) لذيذاً قبلنا بالنشاط والأريحية ، وما كان منافراً شديداً حملناه
بالمسرة السوية والعقيدة القوية . فإن التردى بهذا الرداء ، والالتظار بسكنى
هذا الفناء ، بجلبه لسوانح النعماء ، مكسبة لمهاوى العطاء ، مسئلة لا تقال العناء ،
مطرقة بأنواع الفناء ، مطردة لأسباب الفناء ، مقربة لأحوال البقاء .

هذا ما أفضى إليه نظرى ، ووقف عليه بصرى ، واحتوى نحوه ورذى
وصدرى ، وطاح فى عُرضه خطرى وقررى ، بعد الاستخارة المقدمة ،

(١) قال (بالفناء ذات النقطة الواحدة) رأيه : فسد .

(٢) السرى : الجيد من كل شئ .

(٣) ض : فتنه — ويمكن أن تكون : بقية ، أما القنية (بكسر القاف

وضمها وسكون النون) ، فهى : ما اكتسب ، والجمع : قنى .

(٤) أى : سهلاً ميسوراً .

والاستشارة المتعمدة ، وبعد توجه القلب لصفاء الضمير ، وبعد التبرؤ من التقدير والتدبير . فإن سرّك أن تبرز بهذه النحلة ، وتتخلص من ضروب الخدعة ، وتفوز بمراتب المنحة بعد المتعة — فافعل ، فإن الحظ في ذلك كله لك ، والرجح في يدك ، والقبلة مكتنفة نظريتك ، مشتملة عليك . والسلام !

رسالة (هـ = مه)

كتبت إليك والربيع مُطِلٌ ، والزمان ضاحك ، والأرض عروس ، والسماء زاهرة والأفصان لينة ، والأشجار وريقة ، والغدران مُتَرَعَّة ، والجبال مبتسمة ، والرياض معشوشبة ، والجنان ملتفة ، والثمار مهتلة ، والأودية مُطَرَّدَة . فما تقع العين إلا على سندس واستبرق ووشى القين وديباج الروم ونش الصين . وكأ أن العين في جميع ما وصفت مراداً^(١) ، كذلك للقلب في عرض ذلك كله مُراد . ولكن أين القلب وأين صاحبه ؟ وأين العقل وأين ما يعتله ؟ العين تبصر الألوان وتكَلِّ ، والنفس تضمر الأحزان فتقلُّ ، وأنت الحبيب دنا بعد نأيه ، وقرب بعد بُيْدِه ، فكانت حرارة الفؤاد تبرد ، وحسرة الروح تخمد . وليت الحبيب كان يَهْمُ بالوصل ويأذن في اللقاء ويعد بإعادة العهد ، ويترنم بما سلف من الأيام الخالية من تنفس في خلوة^(٢) ، ونأس في خلوة^(٣) . وكانت الجبال تقشعر ، والأشجار تنساقط ، والأودية تنصب ، والغدران تجف ، والرياض تنقف^(٤) ،

(١) موضع ازتياد .

(٢) « خلوة » الأولى بمعنى : المكان الذي يخلى فيه الرجل ، و « خلوة »

الثانية بمعنى : أفراد المرء بنفسه .

(٣) قف العشب والشجر (من باب نصر) قفوقاً : يبس ؛ وقفت الأرض

تقف (من باب ضرب) قفاً وقفوقاً : يبس بقلها .

والأغصان تَجَسُّو^(١) ، والبلاد تَقْسُو ، فإن في مشاهدة الحبيب عوضاً
 من كل بعيد [١٣١ب] وقريب . — فحدثني ياسيدي كيف أَسْرَحَ طَرْفِي في آثار
 هذا الربيع ، وكيف أفرح بما أرى من الزَّهر والنور ، وعلى قلابي أَقْفَالُ الغيوم
 وليس لها مفتاح ، وعلى كاهلي أَثْقَالُ الغيوم وليس لها منها سراح^(٢) !
 وإنما كتبت إليك بعنوان حالي على غير إشباع لذكر ما بي طلباً للروح
 في محادثتك ، وتسكيناً لما يصدر من حرارة الشيطان إلى من طوقني عنه ،
 ثم غرقني بفتنه ، ثم روقني بمحبه ، ثم ختم علي بالصبر وأغلق دوني بابه ، ونهتني
 عن الشكوى وأغلق علي أسبابه ، وطوقني على رؤوس الأعداء سائِمَ الوجه
 بالمخالفة ، ذابل الشَّقة باليأس ، كتميب الببال بالحزن ، مُقَيِّدُ الشاهد والغائب
 بالتحكم ، متلجلج اللسان في الاعتذار ، مردود الحجة عند الانتصار . إن رمقتني
 عين رحمتي بالبكاء ، وإن دنا مني إنسان وجدني كرسم الهباء ، بعد ما عهدتني
 جذلان ناعم الببال رَيِّحَ القلب ، أوجع إلى ثقة النفس في السراء والضراء ،
 وإلى مقة الأنس في الأمان والطمأنينة^(٣) . فهل تعرف ياسيدي بلوى تشبه
 هذه البلوى ؟ وهل يصبر العبد على مثل هذا من المولى ؟ بل يصبر ويصبر ،
 ولكن بعد مائة من نظر جهيل يقتاتها ، ويتقوى على حاله التي يتقلب في عرضها
 وطولها . فالسجون يُرْفَقُ به لثلا يموت ، والحزون يُعْطَفُ عليه لثلا يبلى ،
 والمهجور يُسأل عنه لثلا يتلف . وما غاية أمل بعد هذا الذي طولت به خبري
 إلا أن أعلم أين مرق قدمي من مكاني ، وماذا الذي يصيبني ممن دمانى ، بالوان

- (١) جسا (من باب نصر) يجسو جُسُوًّا : يئس وصَلَبَ ، فهو جالس ، وجسا
 الشيخ : بلغ غاية السن ، وجسا الماء : جمد .
 (٢) السراح : الانطلاق .
 (٣) الطمأنينة : الأمر الخشن .

أشجاني ؟ وهل العطشة مرجوة ؟ وهل الفيئة^(١) منتظرة ؟ وهل الرحمة متوقعة ؟
 وهل لزمان الفكرة والمؤانسة ، والغبطة والمنافسة ، رجوع وإياب ، وشهادة وغياب ،
 وعتاب واعتياب^(٢) ، واعوجاج وانتصاب واعتراب ، وتباعد واقترب ؟
 فديت ذلك التباعد بجلاوات الشقي ، بل فديت ذلك الاقتراب بمد تحمل أنقال
 التقي ، بل فديت تلك الطمانينة التي كانت تحفظ دعائم حالي ، بل فديت ذلك
 الارتباب الذي كان يستوقف حظي من مالي أيام كنت أهيمن في كل شعب ،
 وأنسب إلى كل قبيلة ، وأنتصب لسكل فضيلة ، وأبرأ من كل رذيلة ، وأقول
 للحجير : ذب — فأرى بأنه قد ذاب ، وأقول للبحر : امدد — فأظن
 أنه استجاب ، أيام أقول :

١٠ | ١٣٢ | يا معيري^(٣) طول الضنا والسقام ! ما تراني أهلاً لرد السلام ؟

جُدْ بوعدي إذا مقلت دهوراً فلعل الميماد يشفي سقامي
 أيام حلمي يُرِنِّي كل فائت ملحوقاً ، ويُصَوِّرُ لي كل باطل محقوقاً ،
 وتناغميني حال أكتشفتها يلطف عن النهم ، وأخفاها يعاو عن الوهم ، حال كلما
 سلطت عليها العبارة وأرسلت إليها الإشارة حلت عن هذه ، وزلت عن حاله —
 ١٥ حال كانت المنى تخطبها على وجه الدهر . فلما بذت بحقيقتها استولت عليها
 يدُ الدهر . فيما حزناً لمن لما وجد فقد ، ولما ملك هلك ، ولما أبصر غشى ،
 ولما أمن خشي ، ولما أوضح افتضح ، ولما ارتفع اتضع ، ولما علا هبط ،
 ولما استوى سقط . وواللهي وواللهي على ستر كتم حتى لم نعرف منه لا الرسم

(١) الإناة والرجمة .

(٢) بالمعنى المبهمة في الأصل . والمنافسة : من ناقسه : عابه .

(٣) من أعاده .

ولا الاسم . لعلك تظن أن الاسم بلا ^(١) عُرِفَ لأنه سرٌّ . فياويحك ! هذا خيال منك ، ووبال عليك ! أين الاسم الذي هو حروف ، من مضمونه الذي هو وراء الحروف ، الذي لا يناله الوجود لا بالسمي ولا بالتوقف ! وذلك هو الذي أفاد الاسم مرتبته ، وجمع بينه وبين نظيره ، وفرق بينه وبين ضده ، ذاك الذي نظر فعمان ، وأراد فمكان ، وظهر فبان ، وأظهر فابان ، ورقق فزان ، وكفل فمان ^(٢) ، وتوكل ففان ، ودنا فآن . سرٌّ هو كانه ، وأمر هو ناطقه ، وبرق هو عارضه ، وشأن هو فارضه ، وكلٌّ هو حافظه ، وبعض هو ناقضه ، فليس لحقوق أن يلم بحافات ^(٣) هذا الحديث رمزاً أو نبساً ، أو غمراً أو همساً ، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ، ويرضى .

سیدی ! قد أوحيت عنائي ممك ، وطرحت نقلي عندك ، وناقلتك ^(٤) بلغة أنت أعرف بها من غيرك ، وأوقف عليها من سواك . وإنما كان ذلك مني لأشياء كثيرة شريفة خطيرة ، منها : تسكين هذه القورة التي قد بدت لك هواجسها بما يدلك على تواليها ، والثاني طلب القائمة منك بما جمع الله فيك ، والثالث إذعان النفس بالاعتراف لتصاريف الوقت ، والرابع مناقلة الأضداد فيما لم يفتح عليهم منه باب ، والخامس استبراء ^(٥) العيب ^(٦)

(١) ص : فلا !

(٢) مانه يمونه موناً ومؤنة : احتمال مؤنته وقام بكفائته في — فهو مائن .

(٣) كذا ولعل أصله : بخافيات — على أنه يجوز أيضاً .

(٤) ص : ناقلتك (بالثناء) ، والصواب ما أتمتاه . يقال : ناقلتك الحديث :

حدثته وحدثني ، أي نقلت إليه ما عندي منه ونقل إلى ما عنده وجلالته .

(٥) استبرأ : طلب الإبراء من الدين والذنب ، استبرأت الشيء : طلبت

آخره لأعرفه وأقطع الشبهة عنى .

(٦) ص : العيوب ، ويجوز أن تكون : العيب (بالعين المهملة) كما أتمتاه .

بما هو صمد^(١) له من هذه الشهادة ، والسادس التعاون على نيل المراد من جانب الملك بحال لا تفسرهما ألف ولا ياء ، ولا يخبر عنها جيم ولا حاء .

بالله ياسيدي ! أما تراني كيف أبدأ لك بلسان قد ظهر بيانه ، في معرض شأن قد استر عيانه ؟ وما هذا إلا لأن المكاتبة بالتلم تدعو إلى مثل هذه الحال التي وإن كنت مستغنياً بالله منها ، فإني مُعَاتٌ بتوفيق الله فيها . فهل بقي الآن بيني وبينك بعد هذه التجوى إلا أن تكُفَّ ناظري عن محاسن غيرك بنُضْل إحسانك ، وتضاعف نشاطي فيما يصل إلي من جوابك بما يضاعف نشاطك ؟ فإنك إن فعلت ذلك وصلت قديم برِّ بحديث شُكْر ، وأفأت على سائلك ضالة حق . فبحرمة انتسابك إلى الحق ، وبشرف انبساطك مع الحق ، وبعدوبة سرارك لالحق إلا ببات طلبي ببنائك ، وجُدت على بما خصصت به من هُداك .
١٠ وإني إلى ذلك منك محتاج ، وليس لي إلى غيرك فيه مَعَاج . فاسمع ما أقوله متحققاً ، فما قلته إلا محققاً . وكيف أستحل النقاق معك وأنت عين الوقت ولسان الزمان وعنوان الحق !

اللهم إنا نكاتب الخلق التي أظهرتها في آفاق ملكوتك ليكونوا شفعاءنا عندك ، ونستدعي من أحوالهم خيراً عنك حتى تكون لنا في ذلك وُصْلَتك وقيامٌ على أمرك ونهيك . فإذا حركتنا لطلب ذلك منهم لأجلك ، فخرّكهم لإسعافنا بذلك ليكون ما يكون منهم بك مضافاً إلى ما كان مِنَّا لك . وارحم فقرنا إلى غيرك بسببك ، وأغننا بك عن كل ما سواك . وكما أظعأنا إلى عين معرفتك ، فأرونا منها بقدرتك ، فقد حرّزنا نواصينا في حَرَم طاعتك ، وضممنا قواصينا في ساحة خدمتك ، وتلهينا آسفين على فائت منك ، وتحرّقنا لاهنين .
٢٠

على فوائدنا بك . ففسألك اللهم أن تغفرنا بفضلك ، وتستعيننا بسجك^(١) ،
وتُصَفِّينَا^(٢) للقرب منك ، ثم تصافينا بتأنيبك . وقبل ذلك كله فاكفنا
مؤونة خلقك وغوائل عبادك ، فقد أصفقوا^(٣) على هجرنا وجفائنا لاعتصامنا
بجبلك ، وانتسابنا إلى قدسك ، وشغفنا بذكرك ، واقتباسنا من نورك ،
واعترازنا برؤيتك .

يا هذا ! إذا مررت بك هذه الطرائف فخذ بها نفسك ، ثم جُدْ بها على نفسك ،
ولا تفكرها برماً بها ، ولا تبرم بها منكرًا ، ولا تجعل منشأك الفاسد حاكماً
عليها ، ولا قرينك السوء معترضاً عليها ، فإن أكثر الناس لا يعلمون
ولا يعقلون ، وإنيهم بما بهم غما لهم جاهلون . [١٣٣] وإن عقلاً قتل
عن هذه المحارج^(٤) لمؤيد ، وإن وهماً يصل إلى هذه المناهج لموحد ، وإن وجداً
يعبق بهذه الفوائد لموقد . فديت قلباً لأن عنده هذه المغانى . فديت عيناً
ذرفت على هذه المغانى . فديت لساناً جرى بهذه الفتون . فديت عقلاً جُنَّ
على هذا الجنون . فديت عيناً اغرورقت على هذه العيون . لله الأمر من قبل
ومن بعد .

آين نحن ، ويحك ! وفي أي شيء . كنا ! وعن أخبرنا بما أخبرنا ! وإلى
أي غاية أُجْرِينَا ! ومن أي فن قطعنا ! وبأي سحاب ابتلنا ! وعن أي غاية
أُنْبِئْنَا ! وأي ذرة استخرجنا ! وبأي معرض اجتلبنا ! ومن أَمَلْنَا وَرَجَوْنَا !
وبأي بيت غنينا وشجونا ! وكتاب من قصصنا وقرأنا ! وعتاب من سمعنا

(١) السجل : الدلو العظيمة .

(٢) أصفاه : اختاره .

(٣) أصفق على كذا : اتفق .

(٤) أي : مواضع الخرج .

وفهمنا ! وبحكمنا من قهرنا وشهرنا ! ودعوة من أجبنا وقبلنا ! وحضرة من
قصدا وصعدنا ! وخاتم من أخذنا وملكتنا ! وبمعز من ظهرنا وقهرنا ! وبحكمنا^(١)
من قهرنا وشهرنا ! [وكلمة من اعتقدنا واعتمدنا ! وتحت راية من سربنا وسرنا !
وبحب من نُحِبُّنا وَوَجَدْنَا^(٢) ! ورضا من تحرينا وتوخينا ! وفي مجلس
من رَعَيْنَا^(٣) ورقصنا ! ورداء من جذبنا وسحبنا ! ولوجه من ركعنا وسجدنا !
وبسبب من سمعنا وأطعنا ! ولرضا من رفعنا ووضعنا ! وبأمر من اعتمرنا
وحجبنا ! وبإذن من صُمِّنا وصلينا ! ولمراد من خضعنا وخشعنا ! ولعنة
من نشرنا وشكرنا ! وفي ديار من نزلنا وسكننا ! ولهيبه من سكنتنا وخرسنا !
ولحبة من قلنا ونطقنا ! وعلى بساط من تقلبنا وترججنا !

يا هذا ! كل هذا لمن له الخلق والأمر ، ولمن له الحلال والعقد ، ولمن
له التصريف والترصيف ، ولمن له التأليف والتكليف ، ولمن له الأول والآخر ،
ولمن له الإرادة والمشيئة ، ولمن له العلم بحركاته وسكناته ، وباستناباته ورجعاته ،
وسرراته وظلماته ، له كل شيء ، وبه كل شيء ، وإليه كل شيء ، وفيه
كل شيء ، وعليه كل شيء ، أما له كل شيء فلا له مالكة ، أما به كل شيء
فلا له مُبدِئ ، وأما إليه كل شيء فلا له غاية ، وأما فيه كل شيء فلا له
مبدأ ، وأما عليه كل شيء فلا له حامل . ووراء هذا أيضاً ما يتفهم
على ترقيشه^(٤) ، ويتهالك العقل عن تفتيشه ، ويتلجلجُ اللسان عن تنقيشه .
وكيف لا يكون هذا هكذا وكل ما دونه ناقص ، وليس للناقص أن يحيط

(١) كذا في الأصل وقد تكررت .

(٢) من وَجَدَ به وَجَدنا : أحبه ، ووجد به أيضاً : حزن به .

(٣) زَعَقَ الرَّجُلَ (من باب قطع) ، زَعَعًا : صاح ؛ وزَعَقَ فُلَانًا وفُلَانًا : ذعره .

(٤) رَقَشَ كلامه : زَوَّرَه ؛ زَخَرَفَه ؛ رَقَشَ الرجلُ : نَمَّ .

بما ليس يناقص : لا بالقوة التي هي في أول المراتب ، ولا بالفعل الذي في آخر المذاهب .

[١٣٣ ب] إلهنا ! جلّ شأنك فإير ومك رائم إلا رجّع مبهوراً ، ولا ينمّتك ناعت إلا انتهى مبهوراً . ولا يصفك واصف إلا وما زال عنه أكثر مما يدل عليه بلفظ ، لأنك فوق كل نعمت ، وفوق كل مظنون بظن ، وفوق كل موصوف بوصف ، وفوق كل معقول بعقل . اللهم فتوّز ذوايا قلوبنا بمعرفتك ، واحرس ^(١) أسرارنا بالتوحيد لك ، واملاً ما خلا منا والتوكل ^(٢) عليك ، واذا ذكرنا عند ذكرنا لك ، وإذا ذكرتنا فذكرنا ، وإذا كرّمنا ^(٣) فبين ذلك لنا ، وإذا بينت ذلك لنا فاحفظنا حتى لا نظير فرحاً به ولا نهم جداً عليه ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (مه)

اللهم إنّنا نغادي فيك الشيطان فاعصنا ، ونعصي من أجلك الهوى فارحنا ، ونجد بذكرك إذا ذكرت فأكرمنا ، ونتمتع بين آلائك ونعمائك فألهنا ، ونعترف بتقصيرنا في شكرك فتوّنا . نغرتنا بعبودك أولاً وآخراً ، وعممتنا بإحسانك وفضلك قديماً وحديثاً ، وألمجتنا بتوحيدهك سرّاً وجهراً ، وخصصتنا بالدعاء إليك والإجابة لك قولاً وفعلًا . فعرّصت قلوبنا مشحونة بعبودتك ، وأفنية آمالنا عامرة بالشوق إليك ، وأطراف ألسنتنا مرّجئة بنشر أياديك ، وأودية أنفسنا جارئة بالتهلل فيك . إن عاقبنا عنك عائق

(١) ص : احرس .

(٢) كذا !

(٣) الأصح أن تكون : كرّمنا — ويصح أن تكون : كرّمنا .

الهُوَى اسْتَعِينَا ^(١) عَنْهُ بِقَائِدِ الْهُدَى ، وَإِنْ سَاقَنَا إِلَيْكَ سَائِقُ الدَّعْوَى
 قَوْمَنَا بِحَقَائِقِ الرُّعْوَى ^(٢) وَالتَّقْوَى ، وَإِنْ تَزْخَرُفُ فِي أَعْيُنِنَا حَاضِرُ الدُّنْيَا
 كَفَفْنَا أَعْيُنَنَا عَنْهُ بِغَائِبِ النُّجْوَى . وَلَمْ يَسْتَوْسِقْ ^(٣) كُلُّ هَذَا لَنَا إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ
 الَّذِي نَحْوِلُ بِهِ الظُّلْمَةَ نُورًا ، وَيَعُودُ الْغَمَّ بِهِ سُرُورًا ، وَتَصِيرُ الْكَتَابَةُ
 بِهِ خُبْرًا . — أَيْهَا الْمُدَّةُ فِي حَالِهِ ، الْمَتَسَكِّمُ فِي أَمْرِهِ ، طِبُّ نَفْسًا ، وَازْدَدَ بِاللَّهِ
 أَنْسًا ، فَمَا فَتَحَ عَلَيْكَ بَابَ ذِكْرِهِ إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَلَا كَرَّرَ
 اسْمَهُ عَلَى لِسَانِكَ إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَكَ فِي خِدْمَتِهِ ، وَلَا يَرِدُ فُؤَادَكَ بِمَحْنَتِكَ
 إِلَّا وَقَدْ رَفَاكَ إِلَى أَوْطَانِ خَالِصَتِهِ ، وَلَا عَرَفَكَ مَوَاقِعَ التَّقْصِيرِ إِلَّا وَقَدْ عَزَمَ
 عَلَى نَفْسِكَ بِالْخُطْبِ تَدْبِيرَهُ ، وَلَا أَطْلَعَكَ عَلَى ثَمَائِلِ نِعْمَتِهِ إِلَّا وَقَدْ بَعَثَكَ عَلَى الْقِيَامِ
 بِشُكْرِهِ ، وَلَا أَذِنَ لَكَ فِي الدَّعَاءِ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ ضَمِنَ لَكَ التَّسْدِيدَ فِيهِ ،
 وَلَا حَمَلَكَ عَلَى الْإِدْلَالِ [١٣٤] عَلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الْإِنْسَابِ مَعَهُ ،
 وَلَا اخْتَبَرَكَ بِأَمْرِهِ وَنَبِيهِ إِلَّا وَقَدْ اجْتَنَبَكَ لَهَاوِيَتِهِ ، وَلَا نَبَّهَكَ ^(٤) عَلَى فَائِئِكَ
 إِلَّا وَقَدْ آثَرَ أَنْ تُلَحِّقَهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَلَا أَقْصَى عَلَيْكَ حَدِيثَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَّا لِمُتَعَبِرٍ
 بِهِ فِيمَنْ تَأَخَّرَ . فَانْظُرْ يَا هَذَا كَيْفَ أَوْرَدَكَ رِيَاضَ هَذِهِ النِّعَمِ ، وَكَيْفَ قَلْبِكَ
 فِيهَا ، وَكَيْفَ طَيِّبَكَ بِطَيِّبِ رَوَائِحِهَا وَغَالِبِ فَوَائِحِهَا . ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ جَعَلَكَ
 بَعْدَ مَا كُنْتَ مَتَفَرِّقًا ، وَكَيْفَ أَظْلَمَكَ بَعْدَ مَا كُنْتَ مُتَبَدِّدًا ، وَكَيْفَ هَدَاكَ
 بَعْدَ مَا كُنْتَ مُتَحِيرًا ، وَكَيْفَ شَفَى عَائِلَتَكَ بَعْدَ مَا كُنْتَ مُسَحَرًا ^(٥) ،

(١) ص : اسْتَعِينَا .

(٢) الرُّعْوَى (بضم الراء وفتحها) : الرُّعْيَاءُ الرِّعَايَةُ .

(٣) اسْتَوْسِقَ لَكَ الْأَمْرُ : أَمَكْنِكَ .

(٤) ص : يَنْبُهَكَ .

(٥) كَذَا وَلَعَلَّ صَوَابَهُ : مُسَحَّرٌ ، أَيْ مُصَابٌ فِي سَحَرِهِ ، وَالسَّحَرُ : الرُّوَّةُ .

وكيف أَرَوَى ظَمَأَكَ بعد ما كنت لاهناً ، وكيف أولمَكَ بالجد بعد ما كنت عابثاً ، وكيف فُتِحَ بصرَكَ على حظكَ بعد ما كنت غصياً ، وكيف شَرَحَ صدرَكَ بعد ما كنت مريضاً ، وكيف فُتِحَ سَمْعُكَ بعد ما كنت مُرْتَفِقاً ، وكيف رَتَقَ طبعَكَ بعد ما كان مفتقاً ؟ والله لو ظَاهَرَكَ على هذه النعم الجسيمة ، وعلى إحصاء هذه القسَمِ الكريمة : النِّقْلان : الجنُّ والإنسُ ما قدرت على عَشِيرٍ من ذلك . فَاكْتَفِ أيُّهَا الْعَاقِلُ بهذا التَّنْبِيهِ ، واسلك نفسك من هذا العاجل المحشوء بالتمويه : فإن الأمر عن قريب يَخْلُصُ إِلَيْكَ ، والطاعن بك يقف عليك — فينتقد لا تستأخر ولا تستقدم . قد وَعَظْتُكَ الْوَاعِظُ ، ونَصَحَ لَكَ النَّاصِحُ ، وأَعْدَرَ إِلَيْكَ الْمُشْفِقُ . وإن كان لك رأى في خلاص مُهِجَتِكَ والخلوص إلى يَهْجَتِكَ ، فبادر .

يَا أَهْلَ الْجَفَاءِ ، تَاهَبُوا لِقَوَارِعِ الْبَلَاءِ ! يَا أَهْلَ الْوَلَاءِ ، تَوَقَّعُوا حُلَاوَاتِ الصِّفَاءِ ! يَا أَهْلَ الْفَرَقِ فِي النِّعَمِ ، تَقَرَّبُوا إِلَى وَاهِبِهَا بِالْهَبَةِ مِنْهَا ! أَيُّهَا الْمُرْضُونَ عَنْ اللَّهِ ، اسْتَأْنِفُوا إِقْبَالَكُمْ إِلَيْهِ ! إِنَّهُ مَا أَقْبَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا قَبِلَهُ ، وَلَا قَبَلَ أَحَدًا إِلَّا خَصَّهُ ، وَلَا خَصَّ أَحَدًا إِلَّا احْتَبَاهُ ، وَلَا احْتَبَاهُ أَحَدًا إِلَّا اصْطَفَاهُ ، وَلَا اصْطَفَاهُ أَحَدًا إِلَّا وَلَّاهُ ، وَلَا وَلَّى أَحَدًا إِلَّا تَوَلَّاهُ ، وَلَا تَوَلَّى أَحَدًا إِلَّا كَفَّاهُ ، وَلَا كَفَّى أَحَدًا إِلَّا مَلَأَ قَلْبَهُ وَجَدًا بِهِ ، وَطَوَّقَ عُنُقَهُ حُلِيَّةً مِنْهُ ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ فِي الْوَصْفِ لَهُ ، وَأَعْلَى كَعْبِهِ مُبَاهَاةً بِهِ . وَلَا عَجَبَ ! فَالْآلَاءُ مِنْهُ مُتَابِعَةٌ ، وَالْمُنَاسِحُ مِنْهُ مُتَوَاتِرَةٌ ، وَالْمَدَائِحُ لَهُ كَثِيرَةٌ ، وَالْأَفْوَاهُ بِذِكْرِهِ رَطْبَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لِقُدْرَتِهِ خَاضِعَةٌ ، وَالْأَيْدِي إِبْرَةٌ مَبْسُوطَةٌ ، وَالْعِيُونُ نَحْوُهُ طَامِعَةٌ ، [١٣٤ ب] وَالْأَمَالُ بِحُجُودِهِ مُتَمَلِّقَةٌ ، وَمِظَانُ الرِّجَاءِ وَالطَّمَعِ فَمُيَسِّحَةٌ . فَلَا أَثَرَ إِلَّا وَهُوَ بَادٍ مِنْهُ ، وَلَا خَيْرَ

إلا وهو شائع ، ولا صغير إلا وهو مشير إليه ، ولا كبير إلا وهو دليل عليه .
فهل بقي بعد هذه الصفات وما وراءها مما هو من جنس هذه ^(١) الهنات
إلا فصولك في نفسك ، وتوانيك في مصلحتك ، واستبدادك برأيك ، وقلة
نفتك بمعودك ، وسوء نظرك في أمرك ؟

- يا هذا ! أما حان لكيثكم ^(٢) أن يُدِرَّ ؟ أما أوجب لمفونكم أن يُسَرَّ ؟
أما دنا لغائبكم أن يحضر وأن يُبَرَّ ^(٣) ، ولستفيمكم أن يستشفى ! أما أن لمفصركم
أن يستعفى ؟ بلى والله قد حان ووجب ، ودنا وقرب ، وآن . ولكن صدق الله
العظيم حين يقول : « كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ يَمَآ كَانُوا يَكْسِبُونَ » ^(٤) .
أيها النائي عن العرصة ، الجاهل بانهيار الفرصة ، الصابر على تجميع الغصة !
اشتق إليه واجداً به ، وجُدْ به والهاً فيه ، وله ^(٥) فيه مبالكا عليه ، وتهالك
عليه ناسياً لما عناه ، وامح البيئونة بينك وبينه . أتدري ما البيئونة ؟
والبيئونة هي الكينونة ، هي أنت : أنت الكينونة بأفانك ، وأنت البيئونة
بشهوأتك . وكيف تهجدك وقد ضللت عنك ، بل كيف تضل عنك وقد وجدتك ؟
ضللت بإرادتك التي غسستك في بحار شهوتك ، فخذك الآن بشهادات الحق
التي قامت عليك في حالاتك فلا سبيل لك إلى الإنكار ، وقد صح منك الإقرار
بالاغترار ، في هذه الدار بالاستكثار ، والاستكبار ، مع أهل الخسار والدمار . والله !

(١) ص : هذا الهتان . ويمكن أن تقرأ : الهيئات .

(٢) يكأت الناقة والشاة (من باب قطع) بكأ : قلّ لبتها ، والبئر :

قل ماؤها .

(٣) ص : وإن فرق !

(٤) سورة « المطففين » : ١٤

(٥) فعل أمر من : وله .

أما تأنف من مشابهة البهائم في السَّرَط بعد السَّرَط^(١) ، والتَّلَط بعد التَّلَط^(٢) ،
والْبَلَع بعد البلع ، والجَرع بعد الجرع ، والحِساء بعد الحساء ، والامتلاء بعد
الامتلاء ، والسُّكْر بعد السكر ، والخمار بعد الخمار ؟ أما تعاف هذه المزيلة
التي قد وقعت^(٣) أنفك بهذه الأنتان المنكرة ؟ أما نحن إلى الطهارة التي هي حياة
الاجساد في الظاهر وحياة التلويح في الباطن ، وقد وخطك الشيب وأنت مشتمل
على العيب ، وخائض في الريب ، لا تُقْلَع عن إصرارك ، ولا تَعْتَدِر عن زلتك ،
ولا تعتبر عن مضي قبلك كأنك لست من طيبتهم ، أو كأنك غير جارٍ
على شيعتهم ؟ أخلاذٌ إلى الدنيا [١١٣٥] وقد علمت تغلبها بأهلها وبُغْيَتِهَا
لساكنتها ، وتخليها في كل وقت من^(٤) المقيمين فيها ؟ أولايرون أنهم يستنون
في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ! « وَإِذَا قِيلَ لَهُ : اتَّقِ
اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِفْخَرِ ، فَحَسِبُهُ جَهَنَّمُ »^(٥) .

أيها صاحب الجنب ، والسامع بالأذن دون القلب ! ها أنا قد أَعْتَرْتُ
إليك فيما أوردت عليك ، وإن كنت على بعض ما لا أرضاه منك ، ولا أحبه لك .
فإن علمت أني قد نصحت لك ، وأمكنتك من حظك ، فاقبل قولي ، وصر
إلى رأي ، واعمل بمشورتي ، فلعل أسعد بك إذا سمعت بي . فما لبثنا في هذه
البلدة الوبيئة ، والمدينة الحرجة إلا كَلَفَتِ اليمين على الشال ، وكنترة الذبك

(١) مصدر سَرَطَ (من بابي نصر وعلم) : سَرَطًا وسَرَطَانًا : ابتلع .

(٢) تلط (من باب ضرب) الثور والبعر والصبي ، تلطًا : سلخ سلخاً رقيقاً ، يقال للإنسان إذا رقى نحوه هو : يتلط تلطاً .

(٣) ص : وقعت . وقع في الشيء : دخل ، وقع : قهره . أما فعم (من باب فرح) فعمناها : أصابه داء .

(٤) كذا ! ولعل صوابها : عن .

(٥) سورة « البقرة » : ٢٠٦ .

في الماء ، أو كظم النائم في الليل ، أو كظلم قد أخذ في النقصان ، أو كالنقابة^(١) من مؤل ، أو كطوهم من النفس ، أو « كَلَمَحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبَ »^(٢) . هل تحس من غيرك ما مضى ؟ هل تجد من أمرك ما قد انقضى ؟ كذلك لا تحس ولا تجد فيما بقي . وإنما أنت لساعتك ، وإنما ساعتك هي أنت . فنكن وشمر ، واغضب على نفسك وتعمّر ، واعمل على أنك مُسَلِّمٌ في أيدي عَطَاكَ^(٣) ، فاطلب النجاة منهم بجميع حولك وقولك ودهانك ، ولا تدع من الجهد شيئاً فإنك تندم .

يا هذا ! أحمّد لك ربك لتشتاق^(٤) إليه ، وأنشر آلاءه لك لتتوكل عليه ، وأصفه لك بالكرم لتثق به ، وأدلائك على عينيك لتفهم عنه ، وأزفّق بك في السر لتبلغ المنزل ، وأستجملك^(٥) في الحال لتكون على عتاد في المستقبل . ١٠ فلو كنت مأخوذاً بك ومطالباً بذلك ، هل كنت أزيد على هذه الفتون التي إن كان لي في عرضها تذكرة فلك أيضاً وتبصرة ، وحظك أوفى ، ونصيبك أجزل ، لأن الثقل فيما أقول ، وليلي أسأل عن حقايقه وألطفه عليك فيما تسمع إن جريت على طرائقه ، وتبرهت في حدائقه ، وآويت إلى سرادقه .

(١) النقابة (بفتح النون) : مصدر نقب على القوم (من بابي علم وكرم) : صار قبيحاً عليهم ، أو النقابة بالكسر الاسم ، وبالفتح المصدر .

(٢) سورة « النحل » : ٧٧

(٣) جمع عاطب — من عطب على فلان (من باب نصر) : غضب عليه أشد الغضب .

(٤) ص : الشقاق .

(٥) يقال : إني لأستجمل قلبي بشيء من اللهو حتى أقوى على الحق : أي : إني لأجعل قلبي يتفكّه بشيء من اللهو ليستجمع قوته .

فيا أيها المكفي: اسعدنا فقد قيل: السعيد من كفى. ويا أيها الثمير: أقبل! فالملحوظ من أقبل. ويا أيها العاقل: تنبه! فالملحود^(١) من تنبه. ويا أيها الجاهل: اعلم! فالناجي من علم. ويا أيها العالم: اعمل! فالراجي من عمل. ويا أيها اللاعب: اجتهد! فالمتظاهر من جهد. ويا أيها القائل: توق! فالسروور من توق. ويا أيها السامع: عه! فالراشد من وعى. ويا أيها الناسك: اثبت! فالشجاع من ثبت. ويا أيها العابد: أخلص! فالمتبول من أخلص. ويا أيها الرافد^(٢): احلم! فالصالح من لم يحلم. اللهم إنا كيفما ذكرنا فإليك نفى، وعليك لعطف، وكيفما حُلنا فعليك بُدُل وبك نشرف. اجعل ظنوننا فوق أقوالنا، «وأقوالنا» دون أفعالنا، وأفعالنا كفاء رضوانك عنا. وإذا مَقَّتْنَا فلا تطردنا، وإذا طردتنا فلا تُهِنِّلْنَا، وإذا سَخِطْتَ علينا فلا تَدَعْنَا، وإذا قبلتنا فلا تَرُدَّنَا. وإذا أطمعنا في بعض ما دعوتنا إليه، فلا تؤاخذنا في بعض ما قَصَرْنَا فيه. مَنْ ذَا بِنِي بِحَقِّكَ كُلِّهِ!

إلهنا! ماشئت فاصنع! لا بد من العفو، والعفو خلق من أخلاق الكرام، وأنت أكرم الأكرمين. فاعفُ عنا إذا الجلال والإكرام! أيها الحاضر بجثته، الغائب بهيمته، الناظر في عطفه، المتعافل عن سخطه، العاشق لما جلته، الذائق سقمه بيده، الساهي بيومه عن غده، الظان بنفسه أنه ذو حول وقوة. سواءٌ لك، والسواءُ عليك مشتملة، وأفٌ عنك، وأنت لذلك أهل! أما تستحي إن نكسَ في معاملتك بالدرهم والدينار ولا تحابي منهما بالحبية والذرة، وترى أن ذلك منك غيب في الرأي، ثم تقبّله.

(١) السعيد.

(٢) هكذا في الأصل! والآنسب أن يكون: الراقد (بالقاف ذات الفتحة)، بدليل قوله: احلم، من الحلم (أى المنام والرؤيا فيه).

في معاملة ربك بما يزللك من الجنة فيزحزحك من النار ، وتغض بعد ذلك عن سهو كثير ، بل تعالط نفسك وتستخدم عقلك لتسهوتك ، وتغفر خدك للذاتك ، وتنجزع من فوت أيسر حاجة لبدنك في مأكل أو مشرب أو منكح ، ولا تنال أن تكون ممقوتاً عند ربك الذي خلقك فسواك ، وكيفك وآواك ، ومنحك وحباك ، وحفظك ورعاك ، وجمالك وكلاك ، وعلمك وهداك ، واجتباك ورفلك ، وأعلاك من حين أنك^(١) . فهذا من العقل الذي تَبَجَّحُ بنوره بين أصدقائقك وأعدائك ؟ أهذا من الجنس الذي تعامل خاصتك وعامتك ؟ أهذا من الحرم الذي تدخره لدهرك ؟ أما ترى أنياب الرزايا بارزة متناعبة ؟ أما ترى عين^(٢) الليالي متشايعة ، أما ترى الصبر محذقة ؟ أما ترى الآفات متواليه ؟ إنك عَمَى ، إنك صَمَمَ ، إنك كَلَمَ ، إنك جنون . لا والله ما أنت إلا سواك : بصير كيفس خبير ، ولكنك تؤثر زهرة الحياة الدنيا البائسة الفانية على غضارة نعيم الأبد ، وإني لأظن أن هذا من سقوطك [١٣٦] من عين الله ، ومن شُرودك عن الله على الله ، ومن قلة تمسكك بأمر الله ، ومن عجبك بنعمة الله ، ومن قربن السوء الذي يصرفك عن محبة الله ، ومن شؤم ناصيتك في مخالفتك لله .

١٥

يا هذا ! إلى متى هذا التطنى ، وهذا التكاره ، وهذا التجبر ، وهذا التكبر ، وهذا البأو^(٣) ، وهذه القسوة ، وهذه الفظاظة ؟ أمّا أنت من طين ؟ أمّا أنت

(١) غير واضحة تماماً في الأصل هكذا : من حراماك .

(٢) العينة (بكسر العين) : مادة الحرب والجمع عين .

(٣) كذا في المخطوط واضحة ولم تهتم لمعناها ، على أنها في معنى التكبر .

وقد ورد في اللسان : باء مثل باع : تكبر .

من ماء مهين ؟ أما أنت على بساط رب العالمين الذي لو أمر أضعف جارية لك لأسلعتك ، ولو شاء لاختطفك من مأمك ؟ أتجحد قدرة الله السافذة فيك ؟ أنكر إحاطته بك ؟ أنظن أن إمامك إهمال ، أو حلفه عليك إغفل ؟ كلا والله ، ولكنه يتأني ويرفقي ، ويعيد ويبدى ، ويدعو ويكرر ، ويستتر ويرحم ، ولصنع ذلك منه مألوف ، وهو به معروف ، ولكيك دلي نفسك عسوف ، وعلى ما فاتك من حظك أسوف .

اللهم تجدد علينا بما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

يا هذا ! إنما أنت في حال كرقدة في الحلم أو حلم كاللمح ، ثم الاطلاع على نعيم كنا تنهالك ههنا بشباهه لا بجمته ، ونحن على أسمائه لا على معانيه ، ونظن أننا قد وجدنا عزيزاً وملكنا نفيداً . وأى عز لما يبتله الليل والنهار ؟ وأى قدر لما يتخونه ^(١) التماس والمقدار ! وأى شرف لما لا يشبت في لحظته دلي حال ! له في كل آن اسم ، وفي كل أوان رسم ، أعنى أنه يقال له عريض وذابل ، وجديد وخلق ، وشاب وهريم ، ومقبل وموئل . على هذا ، فإن الأمثل بمثله مضروبة < ، والأدلة على نظائره منصوبة ، ولكن التلويح عن التحقق بها محجوبة ، والنفوس في طلب ذلك منها وفيها مكروبة .

يا هذا ! عَضْ على ناجدك عند مرارة الكون العارض فإنه كلفتة لا فت أو كعطفة عاطف . فإن ذلك يهون عليك الصبر ، ويُيسر منك الصدر ، ويزيدك نفسه بالمَوْض ، وزهادة في هذا العَرَض .

يا هذا ! إن كنت تحب نفسك فلا تحفر لها مُمَوَّاتها ^(٢) بيدك .

(١) تخونه : تهينه ، تنقصه ، أتاه .

(٢) مصدر ميمي من : غَوَاه نفوية : أضله ، أى مُضَلَّات .

ولا تكتبها عارك بجهلك ، واستيقن أن محبة النفس في معرفة النفس ،
وأن في معرفة النفس استكشافاً لمحلة القدس ، أعني أنك إذا لهجت بذلك
عرفت الله الذي به قوام النفس ، وإليه مصير الجن والإنس . وفي هذه المسألة
دقائق | ١٣٦ ب | من البحث ، وغوامض من النظر ، وغرائب من الجواب ،
وبدائع من الإفصاح ، والله المستعان !

رسالة (مر)

يا هذا ! تعبد الله متأبداً ، وتأبّد لله متعبداً ، وتأبّد^(١) في طلب مالهديه
متأودداً ، وتأود^(٢) في التماس ما قبله متأودداً . أتدرى ما التعبد وما التأبّد
وما التأبّد وما التأود ؟ إني أظنك لا تدري ، فما أسلموك في ديوان الأدب ،
ولا حلّوك بحلية ذوى الشكل والظرف والأدب . التعبد ظاهر ، وباطن :
ظاهر أن تكون بخلةتك عاجزاً ، وباطنه أن تكون بهمتك لمن أنت له متعزداً .
والتأبّد أن تكون من بنى جنسك متميزاً ، ومن التشبه بما هم عليه سرّاً
وجهرّاً متحرراً . والتأود أن تطمئن إلى خطرات الحق محتثاً ثمرات الصدق .
والتأود أن تذل طالباً فتعز واجداً ، فإنك إن انتظمت هذه الحالات
التي ذكرتها لك بأسمائها ، وقفت عن قريب على غيوبها وأنبيائها ، فحينئذ ينثال
عليك من معين قد سُدّ ما يطويك عن الكون ، وينشرك بين الملأ الأعلى ،
وهناك تسقى الجيب شتاً ، وتجد ما تجده يقيناً وحقاً ، وتقال ما تناله عياناً

(١) تأبّد : تقوى .

(٢) تأود : انحنى وانعطف .

وذوقاً ، ثم تطعم وتسقي ، وتنعم خالداً ولا تشقى . اللهم إنا نعتزى ^(١) إليك
عالمين بشرفنا في ذلك ، ونتحدث عنك بصفاتك واتقينا بأذكى فوق ما هنالك ،
ونضرع معترفين بالحاجة إلى ما لديك لتفتقدنا من هذه المهالك . ونقترح مدلين
عليك أن تصحبنا في تلك المسالك ، وتنزل في برد ظلالك مفضياً عنا
فيما سلف منا ، آخذاً بالجوهر الإلهي معنا ، ناظراً بالعطف والراحة إلينا .

اللهم إنا بقدرتك ظهورنا ، وعلى مشيئتك جربنا ، وإلى إرادتك انتهينا ،
وبعلمك فيما حدثنا — وإن كنا قد تركنا أمرك وخالفنا . ولولا ذلك ما شهدنا
بالتقصير ، ولا اعترفنا ؛ وعلى كل حال ، حكمت فيما أنفد من حكمنا ،
وقضاؤك أجرى علينا من قضائنا ، وقدرتك أشد إحاطة من قدرتنا
على أنفسنا . فأى نسبة الآن لنا ما أوى بسطة لنا علينا ، فبحق إلهيتك
في هذه الصفات التي نشرنا وطوينا ، وبحق هذه الكلمات التي ألهمتها
حتى روينا ، إلا تجاوزت عنا ، وساحتنا في معاملتنا ، وأربتنا في حضورنا
بين يديك ووقوفنا من جودك الغامر لنا ، وفضلك [١٣٧] المنسكب علينا ،
وخيرك المحيط بنا حسب ظننا ويقيننا . وأشهد أنك لم تنطق بهذا الدعاء
ألسننا إلا وأنت تحب أن تستجيب لنا ، يا مجيب الدعوات في الخلوات
على كثرة الخطايا والزلات .

(١) اعتزى إليه وله ، اعتزأ : انتمى إليه صدقاً أو كذباً وانتسب ؛
والاسم العزاء .

رسالة (مح)

واهلاً لنفسي مُنيت بهوى شديد ، ورُميت عن مدى بعيد ، وفتفت
 بقلب عبيد ، وفطنت لعائده ^(١) شريد ، حتى خلقت ^(٢) في اختلاف شكولها
 واختلاف انقطاعها ووصولها معارف حال في مناكر أخرى ، بين ظن موسوم
 بيقين ، وعلم مرسوم بتلقين ، ورأي مخوض في الأهواء ، وعيب مقوض
 للأكناف والأرجاء . معارضها كون بآند ، ومرافضها نون زائد ، ومشاعها لطف
 رائد ، ومطالعها تلف عائد . فلا جرم سرورها لمع ، وحزنها فطع ، وأمانها
 خدع ، ومواردها جرع ، وحليها جرع ، وخلوها فزع ، ولسانها عي ، وشأنها
 غي ، ونشرها طي ، وبذلها آي ، وعزها ذل ، ومركزها قل ، وكلها كل ، وتومها
 كلف ، ويقتلها كلف ، ووعداها سلف ، وانتظارها تلف ، وظاهرها حسرة ،
 وباطنها حيرة ، ووصلها فرقة ، وفراقها حرقه ، وروايتها تكذيب ، وكرامتها
 تعذيب ، وفطنتها تحبيب ، ونقلها ترتيب ، وسكرها خطر ، وصحوها بطر ،
 وفعلها عدوان ، ودعواها بهتان ، وشكرها كفران ، وأولها خداع ، وأوسطها
 متاع ، وآخرها ضياع ، وكلها في كلها قناع ورواع . أتدري لم هذا كله ؟ هذا لأن
 مقاصد ضائر الخلق ساجدة في آفاق بحار العتل ، لالفاية بادية يقصد إليها ،
 ولا لأيد هادئة تدل عليها ، ولكن لسر التهم الأسرار ، ولعنى هتك الأسرار ،
 وغائب ^(٣) منع من الاستخبار والاستكبار ، وحاجز وقف من دون الاسترسال
 والاستظهار ، وسبق كل فئمة سباقا عنيفا ، وحجب الجميع عنها حجاً كثيفاً ،

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً : غار ، غابر ، غائب .

(٢) ضرب عليها وكتب في الهامش مكانها : شاهدت .

(٣) ص : غالب مع .

وتفرد هو عن ذلك نفرداً لطيفاً . نعم ! لَوْح بعض الأمر باليقين ، وطَوْح كله ،
وأعلن لعنه ^(١) الأمر ، وأسرَّ خالصة المراد ، ودعا بلسان التشكيك ، وحجب
بغيب المعلوم ، ووهب عارض البقاء ، ووشحه بثابت البلوى ، [١٣٧ ب]
وأَنعم بمحبوب الحياة ، وحفها بمكروه التنقيص ، وأسلف المنى بالوعد ، وأنسأ ^(٢)
الإنجاز بالتسويق ، ومن بفروع القوة ، وفُغَطِر على أصول الضعف ، وزين بالقُدرة ،
وفضح بالعجز الخافي ^(٣) . نعم ! وطوى الأسرار في الأسرار ، وطلس صَوَاهَا ^(٤) ،
وأخفى الآثار في الآثار ، وأدمج أولاهَا في آخرها ، وعم من وجهه اشترك الجميع
فيه ، وخصَّ من وجهه اضطرب الكل عليه . فالحسن مشغول بزينه عالمه ، والعقل
مبهوت في بدائع صنعه ! والنفس وَلَمَّ مع دوام الحاجة إليه ، والحاجة داحضة
عند محاولة الاعتراض عليه . فلا عجب مما رأيت منه عجب من فيه بما أرادني مني .
فقل لي الآن : كيف أرجو شفاء مالي ودائي من دوائي ، وعائتي من طيبتي ؟
اتصلت الحروف بالحروف ، وغارت الطروف ^(٥) في الطروف ، واشترك المستور
بالمكشوف ، والتبس المسكور بالمعروف ، واشتبهت الصفات على الموصوف ،
وعاد خفي الغيب يخطب ناصع التسليم ، وجلى الشاهد يشكل في حشو المكشوم ،
ويشير إلى الفضل الواقع بين الخصوص والمعموم . فأين الفضل إلا عند اللافت به ،

(١) كذا في الأصل !

(٢) أنسأ : أخر .

(٣) كذا !

(٤) الصوى . علامات الطريق .

(٥) الطروف جمع طرف (بكسر الطاء) : الكريم الطرفين أي الأب والأم ،
والمستطرف الذي ليس من نتاج صاحبه ، والحديث من المال ، والرجل لا يتبث
على صمبة أحد — وهي طرفة .

المعتاد له : المغرور فيه ! فأما عند من علم أن المين دنت مُشَوِّقَة ، ونأت مَوْقَة ،
وبدت غامرة ، وعادت مطبقة ، واستقلت قاهرة ، وأعادت محققة ، وخبت
مطمعة ، وأفرحت مُؤَلِّسة ، وأراعتُ تحببة ، وأزلفتُ خنيبة — فلا أسمع حديثي
وأنت حاضر ببالك ، ومحصل برؤيتك ، ومنصف لفصل عدلك . آتسنى بحاضر
البقاء ، وأوحشنى بوارد الفناء ، واسترقنى بنصح العقل ، وأعتقنى بعشق التحير ،
وألح الأمر لفهمه جهراً ، وروى عن المراد بملومه سراً ، وقربنى من شاهد
الفحوى ، وباعدنى من غائب النجوى ، وقطعنى بينهما بتحمل البلوى وفضيحة
الشكوى وفقد العدوى واختلاف الفتوى . فلا لى منى وطرٌ مقضى ، ولا لى عنى
خبرٌ مَرُوى ، ولا عندى شيخ مرئى ، ولا معنى بى معنى مرعى . لى ! كللى عند
الفاية مَسْنَى مَرْمَى ، وجميعى لدى النهاية مَنَسَى مَنَى ، وبكل داهية شماء
مراد ومَعْنَى ، وبكل آبدة شوها مقصود ومَحْوَى . فأين نصيبى لنفسى ؟ وأين
نسبى إلى بنى جنسى ؟ وأين موقى وتوتى ! وأين تصرفى [١٣٨] وتصوفى !
وأين تسنى وتفلسنى ؟ وأين ترفى وتحتى ؟ وأين تحرق وتشوقى ؟ وبيانى وتبينى ؟
وأين استنباطى وفطنى ؟ وأين سنانى ، وميجنى ! وأين أبى وأئى ^(١) وأئى ؟
وأين كونى وعونى وعينى وعنى ومنى وكأئى ؟ هيئات ! تَصَبَّ ماء على
ورسمى ، وباد شاهد حلمى وقسمى ، وسامرتنى الأمانى مُخَمِّلَةً لى آجلتى فى رثى
عاجلتى ، وتجمعت لدى الأسباب بالآمل البسيط فازهمتُ بها فى صورة مخدوع
حتى رفضت يقينا يشعر به الحس ، كالظنون لا يصل إليه الحدس ، واقترحت
عن موجود يشهد به العيان ، الخبر ليلة ^(٢) البيان والبرهان . فلهنى الآن على واحد

(١) الآن to ev : الموجود أو الوجود . والآن بعدها أى : الآنين .

(٢) غير واضحة تماماً .

ما نلتته حتى فاتني ، ولا حييت حتى أمانتي ، ولا بذت له حتى أبادني ، ولا بدت به حتى أعادني ، ولا أعادني حتى أمانتي . سلام عليه وإن كثرت جوره ، ونجته له وإن لم يبلغ غوره ، ومرحباً بإقباله وأن أضني ، وتسليماً لحكمه وإن أفني .

حدثني عن معنى يزعمني ومع إزعاجه يعجبني ، وأعشقه ويعشقني ، ومع عشقه يتعبنى — أمرٌ خارج عن العبادة وغريبٌ في التعارف ومُتكرر عند الجمهور .

وأعود فأقول : الويلُ لي إن أعرضت عن السكنه مشرباً إلى الطمع في ظهوره لي ، بل الويل لمن إن آلت منه نفورا مما ينبغي عليّ ، بل الويل لي إن رُمته بشاهد الرسم وشائع المجاز وموضوع الأصل . بل الويل لي إن فاتني مع حضوره وظهوره كيفما أشرت إليه بأصبع وأصغيتُ إليه بسمع

أو سدت نحوه بطرف أو تجوّته ^(١) بقلب ، أو لعتّه بلسان ، أو نشرته بذكر ، أو غلبته بفكر . حقاً أقول ، وبالخلق أصول . سُئِلَ بأمره على حد

الأمثال إعراض عنه ، وانتقادي لإرادته تحكُّك به ، وتعزّي ببادي حاله جميل بعاقبي ، واستتاري عني إشراك بالمطلع عليّ ، وانتشاري بصفاتي عشق مني لجوهره ، وخبري عن قِيَّاي وجدان لما بقي مني ، وطاحي ^(٢) نحوي

سُكْرٌ قد غَلَبَ عليّ ، واستملائي إظهاراً لمعجزتي ، واستمساكي احتياطاً على معزّي ^(٣) ، وإفراطي في القول عدول عن منهجي اللائق بي ، وإسرافي في الاعتذار تشاكس في خاقي ، وتجلدي على من به جلدي تعرّضٌ لانتطع

مادته مني ، وظني في ظني أني مضيت في ظني [١٣٨ ب] ومال عليّ . ونكرتي

(١) نجياً فلاناً نجواً ونجوى (من باب نصر) : ساره .

(٢) الطاح (بكسر الطاء) : الكبر والفخر .

(٣) احتاط على الشيء : حافظ . والمعز (محركة) : الصلابة ، يقصد :

محافظة على كياني .

في معرفتي مقام لا ثبات لي عليه ، ومعرفتي في نكرتي باب لا سبيل لي إليه ،
 واستخفائي في بروزي أمر لا قرار لي لديه . وما حيلتي وجلتي رهينة مُلكه
 وأسيرة قبضته ، وواقفة عند حدود مشيئته ، وجارية على نصاريق قدرته
 وتكاليف حكمته ! — وإن كانت الإضافة عارية عندي والنسبة لاصقة بي ،
 والدعوة راجعة عليّ ، وكنت وحدي في مصدري وموردتي ، وفقدت وحدي
 في وحدي بما غلب من مشهدي ، ووجدت فقدي في فقدي بما تذكرت
 من معهدي . أتدري ما الذي قيل لي ؟ قيل لي : هيهات ! هب لخواهب ما وهب
 لك ، فإنه مردود إليك بشرط الشفقة عليك ! وأنت مُحباً به ^(١) على طريق
 المكافأة . فإن كان هذا ممحواً يزع الجبروت ، محموقاً في شاهد الملكوت ليكون
 في كونك غير كائن ، ويظهر في أينك غير مُخبر ولا مُعاب ، ويبقى به له غير
 مواصل ولا مبين ، ويُنتصب عنه غير خائن ولا شائن — وهذا كلام يُصم
 الأذن عند السماع ، ويستنفد الذهن بعد الفكر ، ويحجب الوساوس مع التعقب ،
 وخروج ^(٢) عما عليه الداس بالتعارف فما أصنع ! قد كان ما كان ! وطني اللسان
 بما زان وشان ! وغارت العين في الأعيان ! ولم يبق الإنسان لما هو به إنسان !
 وُقِلْتُ ما سمعت ، وبلغت ما حملت ، وأدّيت ما أودعت . إن كنتُ أسأت
 فبعد اللثمي والقي ، وإن كنتُ أحسنت فبعد سوابق غيب لا يحيط بها همّي وأُمّي .
 وإن كنتُ ما أحسنت فلا أسأت ، فبعد أمرار حلت عن شهادتي وغيبتي .
 نعم ! وقيل أيضاً : اتحب أن تصير إلى ما تمنى بكل معنيٍّ ومزميٍّ ، وبكل مرفيٍّ
 ومعنيٍّ ؟ قلت : نعم ! ومن لي بذاك ، وأنا دائم الدؤوب في البلوغ إلى هناك ؟

(١) ص : مُحباً به . فهل صوابها : مُحبو ؟

(٢) ص : خرج .

قيل لي: اللفظ كَلَّكَ عن هذه الجُوبة^(١)، وادْفُضْ عينك في تِبه الغيبة، ثم انفض
انطلق بيد الخيبة، ثم الحظ الحق بظاهر الهيبة، ثم اقطع الطمع عن الآوبة
إلى هذه الجوبة^(٢)، ثم افن باقياً به كما بقيت فانياً بك، ثم افن أيضاً عن فتائك
ببقائه لك لا ببقائه له، حتى ينقطع نسبك عن لفظ مُعَرٍّ، ويدرس^(٣) خبرك
بكل معنى مزور، ويعفو أثرك عن كل علم مُصَوِّر، ويتوحد كُتُهِك
عن كل مراد مخبَّر. ١٥.

حبيبي! دَعْ أيضاً والدَّ عما مضى وانقضى، واعمل عملاً تصل به إلى
الرضا، وإن عرضت على جمر الغضا. [١١٣٩] واعلم أنه غلط النواظر إليه،
وأشرف الغالط عليه، ولعمته مستشعراً له، وهو من دونه قرباً ودنواً، ووصفه
قائساً إلى خلقه، وهو من وراءه بعداً وعلواً. ليس القرب والبعد هاهنا
محمولين على رسم شاهدك وجاري غادتك ومعروف استعمالك، لكُتُها^(٤)
منسوبان إليك بحكم الاصطلاح والاتفاق، ومنفيان عنه بحق البشرية
والاستحقاق. فإياك أن تقف مع اللفظ القصير فتُسَحَّرَ به عن المعنى العريض،
فإن اللفظ للعامة والمعنى للخاصة، وما يرتقى عنهما فهو سُبُحات الإلهية ونفحات
الربوبية. فانظر أين أنت، وكيف أنت، وما أنت، ومن أي بذت،
وبأي كنت، وما الذي تريد، وما الذي يراد بك؟ وهل حصولك هنا

- (١) الجوبة: الحضرة؛ المكان الوطئ في جلد من الأرض ورجلها؛
والجمع جُوبٍ.
(٢) الإنم.
(٣) درس الرسم دروساً (من باب نصر): عفا فهو دارس.
(٤) كذا، والأصوب أن تكون: ولكُتُها (أي القرب والبعد).

- لحصول ، وهل بعد فضولك ^(١١) من ثم وصول ! ومهما شككت فيه فلا تشكن
 فيما أوحى إليك وأشير به عليك ، فإنه عُرِفَ من غدير العارفين ، وقُطِفَ
 من غصن شجرة الفاضلين ، واقتبس من حضرة الحاضرين ، ولقن من أفواه
 الصادقين ، واستملي من عقول المبشرين بالحكمة واليقين ، وحصل عن قوم
 كرام أعياد مشقتين . حُصِرَ البيان عن « لَمْ » وأُعْرِيَ به أمراً ، وأسر الوهم
 عن « كيف » وساطع عليه سرّاً ، وقيد الفهم عند « حيث » وسبب فيه مكرّاً ، ونهى
 الضمير عن « لو » وسبق إليه جوراً ، وقطع اللسان عن « لَيْت » واستنطق به عذراً ،
 وصرف الجميع بالحروف واستولى عليه قهراً ، وليس هذا إلا لطافية مسلمة
 عند طول السؤال وتواصل الجواب ، واختلاف المقال في الخطأ والصواب .
- اللهم اجعل قولنا موصولاً بالعمل ، وعملنا محققاً للأمل ، ولا تضايقنا
 فيما ننحوك به وننتقلبك فيه ، وكثف علينا شركك ، واخصصنا بما هو أليق
 بك ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (مط)

- المُسْتَعَاث ^(١٢) بالله من قلب لا عهد له بالركة والرأفة ^(١٣) ، ومن نفس
 لا خير عندها من التقرب واللطافة ، ومن عاذة بريئة من المروءة والظرافة ،
 ومن أذن قد ألفت التزوير والجزافة ^(١٤) ، [١٣٩ ب] ومن جملة قد اشتملت

- (١) فصل فلان من البلد (من باب نصر) فصولاً : خرج منه .
 (٢) أى : الاستغاثة .
 (٣) تقرأ مخففة للسجع .
 (٤) أى العمل جزافاً ، أى بالظن والتخمين ، من جازف في كلامه : أرسله
 إرسالاً من غير روية ولا حسن تقدير .

على الآفة بعد الآفة ، ومن تفضيل قد أشرف على المخافة بعد المخافة . يا هذا !
إذا كان هذا خبرى عن باطن الأمر ، فلم تخضع نفسك في ظاهره ؟ وإذا كان
هذا فرارى من شر الغيب ، فلم تهجم على بأذى الشهادة ؟ وإذا كان هذا شرحى
لخفى القصة ، فلم تذهب مع جلى الحال ؟ كأنك تستغشى^(١) فيما أقول ، فكأنك
تنصح لنفسك فيما تسمع . هيهات ! للقول شروطاً لا يفي بها مكلمك ، والسماح
حدود لا يملكها مثلك . فكم تدور بفقرك على فقر مثلك ! وكم تغتر بعتق
بغيرك ! وكم تظن أنك متقدم وأنت متأخر ! وكم تحسب أنك فى أعلى عِلّيين
وأنت فى أسفل السافلين ! فإنّ ملكك الآفة مما تسمع ، وطارت فى خيشومك
الخنزروانة^(٢) مما ترى ، فتم يحق ما بدالك مما لا شك فيه عندك ، ثم تعمق
بعد ذلك فى حقيقة البادى لك فانظر إلى وجدك به ، ووجدك له ، ووجدك^(٣)
فيه . فإنك إذا تصفحت هذه المثنائى بمَرْفٍ لا نكر فيه ، واستنقبت^(٤) بعلم
لا جهل معه ، وتوجهت نحوه بسعى لا فتور به ، صدّق رائدك ، ورشد قائدك ،
وقوى ذائدك ، والتقى عليك بادئك وعائدك ، وسلمت فى مرامك من المرام ،
وسعدت فى يقطتك والمنام . ا هـ .

يا هذا :

يُؤَيِّسْنِي فَيُطْمَعِنِي بَوَصْلٍ وَدُونِ وَصَالِهِ وَنَعْمُ التَّصَالِ
بِنَفْسِي مِنْ يُبْلِيْلُنِي هَوَاهُ وَمَنْ ذِكْرُهُ مَوْصُولٌ بِبَالِ

(١) أى : تنسبني إلى الفش .

(٢) الخنزروان والخنزروانة والخنزروانية والخنزروانة (يضم الخاء فى الجميع) ،
الكبيرة ، يقال هو شديد الخنزروانة ، ونزت فى أنفه خنزروانة .

(٣) الجدة : الفقر — أى الاحتياج إليه .

(٤) نقبت عنه .

يا هذا ! أتدري أى غاية صُيِّت بك ! وإلى أى عاقبة أُخذ بيدك !
 وأنى سِرَّ أودع صَدْرَكَ ! وأى كلمة أُنطِقَ لسانَكَ ! وبأى ميل ^(١) كُحِّلَ
 طَرَفُكَ ، وبأى يُنَمِّنْ عَصِيَّتْ ناصيتِكَ ، وبأى غناء أترطربك ، وبأى لغة
 شوق قلبك ، وبأى نور أبرز كلك ، وبأى وديعة خص بعضك ، وعلى أى
 روضة فتح بصرك ، وبأى شراب برد غلملك ، وإلى أى تحفة مدت يدك ،
 وبأى هدية ملئت كفك ، وبأى تحية تلقى وجهك ، وبأى توفيق حفظ
 أمرك ، وبأى عتاب خوطب ضميرك ، [١٤٠] وبأى لطف قوى رجلك ؟
 والله ما تدري ! وإنما أحلف لعلى بسَهْوِكَ ، وإطلاعى على لعبك وهوك .
 وما يصرفنى عن الرحمة لك والفيظ عليك إلا ما أتيقنه عن خاصة حالى دونك .
 ولو أنصفتك ، كان حيائى منك يشغلنى عنك . ولكن ! للخسارة إنارة ،
 وللإنارة إنارة ، ومع كل حلالة مرارة ، وعند كل لذة عرارة ^(٢) ، وفى كل
 قدْحٍ شرارة .

يا هذا القولُ حُجَّةٌ على التائل متى لم يؤيدها بما يحقِّقه ، والسمع وبأل
 على السامع متى لم يؤكده بما يشهد الوجد به . على أن السكوت على التقصير
 رضا به ، كما أن الكلام عليه انقماش فيه . وكما أن القول لا يخلو من فتنة
 الزخرفة ، كذلك السكوت ليس يعزى من محنة الغلفة . وإذا كان الكلام
 والصمت محشونين بالبلاء ، فبلاء اللسان أشقى لكمد النفس ، وأرغى لعنان
 اليأس . وبعد ، فالشككية ^(٣) بلية ، والبلية أذية ، والنفس بين هذه وتلك

- (١) الميل . (بكسر الميم) : المُلُول الذى يكحل به البصر ، وآلة للجراح
 يختبر بها غور الجرح ، ومنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها .
 (٢) العرارة : الشدة ، الرفعة ، السؤدد ، سوء الخلق .
 (٣) الشكوى ، ومثلها : شكاة ، شكاوة ، شكاية .

شقية . إلا أن تلك الرحمة ممن وسعت رحمته كل شيء ، وأحاط علمه بكل شيء ، وقدر على كل شيء ، وانقاد له كل شيء .

يا هذا ! أين عِزَّةُ الربوبية الصادرة عن القدرة التامة ، من ذلة العبودية

الواقعة على العجز البادى . أجل ربك عنك ، وبأن فيك منك ، وظهر عليك لك .

فاشهد الآن ما خلَّك به ، واشكره على ما أناك من لدُّنه ، وأذكر في معرفته

سواء ، واعرف في نكرته هُداة ، واستخلص إشارتك من كل قادية ^(١)

حتى تذوق حلاوة ما خصصت به ، وتجد حاصل ما ظهرت من أجله . فإنك

إن قرَّعتَ هذا الباب المصور فتُفتح لك ، وإن لُزمتَ هذا الجَنَابَ الذى أقبل

عليك وإن صَبَرْتَ على الخدمة ، حَمِدَ أثرك ، ولَمَلِكَ بعد ذلك نُحْيَا بتحية

الملوك ، وتتَّوَجَّعُ على سرير الملكوت ، ويقال لك : كَمُنْ وَسَلِّمْ ، وتحكم وقُلْ ،

وارقَ وابقِ ، وُجِدَ وخذ ، فطالما طلبنا فى حسرتك ^(٢) ، وحذت إلينا

بحرقتك ، ونحوتنا بإصبعك ، ولَدَّتْ بِفِئائِنَا بِضَمَّتِكَ ، وصدقتنا عن نفسك ،

وهجرت من أجلنا من كان كريمًا عندك ، وعاديت فينا من كان عزيزاً

عاليك . فتنعم الآن بما وصلناك به ، وواصلنا عليه ، وثق بأنك عندنا

فى دار الأمر وكفِّ القرار مع الرُّوح والريحان ، والقرب والرضوان .

يا هذا ! أما ترى كيف آسُوك وأجرحك ، وكيف أوقد عليك وأطفئ

عندك ، وكيف أبسط رجلك ، وكيف أقبض [١٤٠ ب] قنوطك ؟ هذا كله

تَطَهَّرُ لك واستظهار معك ، لأن العادة خبيثة ، والقرين مُهْلِكٌ ، والجار حاسد ،

والصاحب مريب ، وهذه أشياء لا تَزِيلُ عنك إلا بانسلاخك منك : والقول

فى هذا الباب سهل على السَّمْعِ ، ولكن بحقيقته صَعْبٌ فى المَرَأَى . وإن يتم ذلك

(١) كذا فى الأصل : قادية ا

(٢) كذا ويمكن أن تقرأ : حيرتك . وطلبنا : كذا ، والأصح : طلبتنا .

- إلا بعزيمة الأواهين المنيبين ، بل لا يتم إلا [بشعار الخبتين ^(١)] بوثة الأقوياء
 المعزمين ، بل لا يتم إلا بالأخلاص ^(٢) الموقنين المخصوصين ، بل لا يتم
 إلا بشعار الخبتين المهتمدين ، بل لا يتم إلا بانتهاز فرصة اليقين على هدى
 المتقين ^(٣) ، بل لا يتم إلا بجد رب العالمين الذي هو غاية الطالبين من العالمين .
 فهات الآن من نفسك ما وعدت به من الصديق في التمشير ، وقدم
 على ذلك الجد في ترك التخصير . واعلم أنك واثقاً ^(٤) متى تقدمت ذراعاً ، تقدم
 مرادك منك باعاً . بل متى توجهت إليك ^(٥) قابلك ، ومتى وقفت عنده قالوك
 منه ، ومتى أنست به فإوضك ، ومتى تركت شيئاً لوجهه عوّضك . ما ضاع
 عنده عمل عامل ، ولا خاف عليه أمل آمل . له لطائف لا تهتدى إليه ^(٦) إلا ماني ،
 ونعم لا تلحقها سير السواني ^(٧) . يمنع وهو في منعه ، يعطي ، ويحرم وهو
 في حرمانه واهب ، ويضع وهو في وضعه رافع ، ويذل وهو في إذلاله معز ،

- (١) في الأصل كأنه يوجد شطب على هذه الجملة ؛ وقد وردت س ٣
 (٢) كذا في الأصل ولله أراد منها أن تكون جمع خلص (بكسر الخاء)
 أي خدن ، وإن كان الجمع المشهور هو : خلصاء . أو يكون صوابها : بإخلاص .
 (٣) هنا وردت جملة مكررة هي : بل لا يتم إلا بشعار الخبتين المهتمدين ،
 بل لا يتم إلا بالأخلاص الموقنين المخصوصين ...
 (٤) كذا في الأصل ؛ ونرى صوابه : واعلم واثقاً أنك .
 (٥) كذا : والأصح : إليه .
 (٦) كذا : والأصح : إليها .
 (٧) السواني جمع سانية ، وهي الناضحة أي : الناقة يستقى عليها من البئر ،
 والجمع سوان : يقال « أذل من السانية » ومنه المثل : « سير السواني سفر
 لا ينقطع » .

وَيُعْرِضُ وَهُوَ فِي إِعْرَاضِهِ مُقْبِلٌ ، وَيُبْعِدُ وَهُوَ فِي إِبْعَادِهِ مُقَرَّبٌ . الظاهر عند
الخلق يبالغ علمهم باطن عنده بخفى حكيمه ، والباطن عنده بمجهول عند سواه .
يا هذا ! إذا كنت تائها في بَرِّ الخيرة فاهتد بنور ما ترى من عينك ،
وتسمع بأذنك ، وتجد بحسك ، وتلاحظ بعقلك ، وتُدرك بنفسك . أما ترى
هذه الزينة ؟ أما ترى هذه الأشكال المينة ؟ أما ترى هذه الأصول الممهدة ؟
أما ترى هذه الفروع الموقدة ؟ أما ترى هذه الحِلْمَ المتبددة ؟ أما ترى هذه النعم
المُحددة ؟ أما ترى هذه الأطناب الممددة ؟ أما تسمع هذه النفثات المرددة ؟
أما ترى هذه الانضاد ^(١) للمؤبقة ؟ أما ترى هذه الأحوال المؤبقة ؟ أما أنا
فأصدفك ولا [١٤١] أ كذبك ، وأشهدك ولا أغيب عنك . وحق الحق !
لقد تفاجت الأرواح بصنوف الارتياح ، بين هذا الصباح والمساء على قلوب
كانت دامية بأنواع الجراح . لا جرم تلاامت الفرق ، وتباعدت الحرق ،
وتوضحت الطرُق ، وصار يرى بتغميض البصر ما كان لا يرى بانفتاح العين ،
ويُنال من البعد ما كان لا يوجد بالقرب . فهل هذا إلا بتيسير من له دق هذا
العلم وجله ، وإليه بعضه وكله ، وبه عزه وذله ، وعفاه كثره وقلة ؟
حدثني عنك : هل هزّ روحك هذا الكلام ؟ وهل حوّلك من مقام
إلى مقام ؟ وهل فرق لك بين اليقظة والنام ؟ وهل وجدت به شفاء بعد سقام ؟
وهل أحسست بعافية بعد آلام ؟ اهـ .

بل حدثني عنك : هل حسبت أنك راجح أو خاسر ، وغائم أو غارم ،
أو ^(٢) قادر أو عاجز ، ومقبول أو مردود ، وموصول أو مهجور ، وحبيب
أو بغيض ، وقريب أو بعيد ، ومراد أو مريد ؟ وهل حدّثك تحدّث بلا لفظ

(١) التضد : العز والشرف ، والجمع : أنضاد .

(٢) كذا : والأصح أن تكون : وقادر .

تَحْكِي ، ولا معنى مَرَوِي ، ولا قول مسطور ، ولا مُراد مشهود ؟ وهل نُرْمَت
 فيما بينك وبينك بما لا ترجع له بين الخلق ، ولا بيان له إلا عند الحق ؟
 وهل تلذذت بما أدركت في وزن ما تحرق في ما فاتك قبل ؟ وهل أحسست
 بساوق عن الدنيا المشوقة لك مذ كنت بما لاح لك من مكنون الغيب
 مذبذبة ؟ غالب ظني أنك قد وجدت هذا كله وأهملت لما ستجده بعده .
 فاللفظ ^(١) به ، واعتكف عليه ، وارو بشرا به ، وابال سرك بسحابه ، وتغن
 طرباً عليه ، وهم عجباً بما حبيت به . فإذا فرغت من ذلك — وأتى لك
 بالفراغ ! — فارشش ^(٢) ما فضل من الإحسان إليك ، وألعم علينا بما ألعم
 الله عليك . والسعيد من اقتدى بربه .

- ١٠ بلغت — هداك الله — هذا المكان في مناقلتك ومطاولتك ، والكرى قد عبث
 بعيني ، والسكل قد غلب على أطرافي ، وبعضى قد فارق بعضى ، وكلى قد تنكر
 على كللى . فاعذرتني إن كنت مُقَصِّراً في أمرك لتقصيري في أمرى ، والفتوة
 حاكمة عليك بما سألتك ، وحرمة هذه القصة ضامنة للجميل منك ، وأنت جابر
 في كل حال مع حسن الظن ، حاو في كل أمر كل ما كسبتك جميل الثناء عليك ،
 يا قرّة عين الإخوان ، ويا واحد [١٤١ ب] من نطق في هذا الزمان بأفانين
 ١٥ البيان ، وأظهر غرائب البرهان في وصف ما يكون وكان ، وقام وجاب ببصره
 هذا الشأن ، متحلياً أثقل الدّل والهوان ! لهذا أنت فرد في لفنك ، لطيف

(١) ص : المظ به ؛ وصوابه : المظ به (بالطاء المعجمة) : ولفظ الرجل
 (من باب نصر) لفظاً : أخرج لسانه بعد الأكل والشرب فمسح به شفتيه ،
 أو تتبع الطعام وتذوق .
 (٢) رش الماء والدمع (من باب نصر) ، رشاً وثرشاً : نفثه ؛ رش
 الشيء : غسله .

في مقنك ، معشوق في جميع أحوالك ، صُرِفَتْ عَنْكَ عَيْنُ السَّوْءِ . وأرجو
أن يرفع الله بهذا وأمثاله قُدْرَكَ ، ويُعَلِّمَ عَلَيْهَا كُتُبَكَ ، حتى تبحث عن أسرار
الغيب من حافات الألوهية من تضاعيف النبوة لخصائص الولاية على أحكام
الهداية ، بعقل مصون بالتوفيق ، واستبصار مقرون بالتوسع والتشقيق ، وبيان
معمود بالتدقيق والتحقيق . والله يفعل ذلك بك : فمخيلتك ناطقة ، والفراصة
فيك صادقة ، والعلامات منك بارقة ، وسجائب الحق عليك وادقة .

اللهم : إِنَّا نَهْبُ بِرِيحِ رَبِّكَ ، وَنَرْكُذُ بِعِزِّ سَطْوَتِكَ ، ونقول بأدبك ،
ونسكت للعجز عن وصفك ، ونفكر متحيرين في عظمتك ، ونفتخر منتسبين
إلى عبوديتك ، ونُدَلُّ بِذِكْرِكَ ، وَنَدَلُّ لِأَمْرِكَ ، ونحن في كل حال إلى وجهك ،
ونفار عليك ، ونرى أن لا نقبل إلا بأن تنفضي عن كل ما هو سواك ، شوقاً
إلى السكْنَى في دارك وِرْاعاً إلى أن نراك .

إلهنا ! فَأَعِنَّا عَلَى مَطَابَقَتِنَا بِتَوْفِيقِكَ ، وَاحْرُسْنَا فِي مَسَالِكِنَا بِتَأْيِيدِكَ ،
فَأَنْتَ مُحَرِّكُنَا فِي هَذَا الْقَوْلِ ، فَكُنْ أَنْتَ مَجِيبِنَا فِي هَذَا السُّؤَالِ . أَتُرَانَا يَا إلهنا
ندعوك بهذه الضراعة جاهلين بقدرتك ؟ فَإِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي طَاعَتِكَ ،
لَا وَحَقَّ فَإِنَّكَ حَقٌّ لَا يُؤْدِي بِبَذْلِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ، بَلْ نَدْعُوكَ عَارِفِينَ
بأنك أنت الجواد الوهاب المعطي لمن سأل ، والبازل لمن لم يسأل .

اللهم ! كُنَّا مَوْثُونَ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَيْكَ ، الظَّالِمِينَ بِكَ ظَنِّ السَّوْءِ ، وَاضْرِبْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُوراً مِنْ قُدْرَتِكَ لئلا نَرَاهُمْ بِأَعْيُنِنَا ، وَلَا نَسْمَعَ أَصْوَاتَهُمْ بِأَذَانِنَا ،
فَقَدْ كَادُونَا مِنْ أَجْلِكَ ، وَغَاظُونَا بِسَبِّكَ ، وَمَا ذُنُوبُنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَأَنَّا نَدْعُوهُمْ
إِلَيْكَ ، وَمَا غَضَبُنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا لَنُرَدِّدَهُمْ عَلَيْكَ وَيَأْسَهُمْ مِنْ خَيْرِ مَا لَدَيْكَ .

إلهنا ! جَهْلُوكَ لِمَا فَفُوكَ ، وَنَسَكُوكَ فَجَدُوكَ ، وَلَوْ فَطَنُوا لِمَا فَاتَهُمْ مِنْكَ
لَأَجْبُوكَ ، وَلَوْ أَجْبُوكَ لَمَبْدُوكَ ، وَلَوْ عَبَدُوكَ لَمَرْفُوكَ ، وَلَوْ عَرَفُوكَ لَسَكَمْتَ
لَهُمْ فَوْقَ الْأَمِّ الرُّؤُوفِ وَالْأَبِ الرَّحِيمِ ، [١١٤٢] يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ !

رسالة (زنج)

اللهم اغرس أشجار كلامنا في خطط قلوبنا ، ثم اسقها بصوب^(١) تأييدك
عند رقدتنا وانتباهنا ، ثم استخرج أوراقها وأزهارها في تصاريف أحوالنا ،
ثم تحل ثمارها بصبرنا ووفائنا على اختلاف سرائنا وضرائنا ، فأفلك إذا
دبرتنا هذا التدبير ، ففترنا من قصدك أجدّ التشهير .

٥

يا هذا ! أعلّ الدنيا تعرج^(٢) ، وفي طلبها تلجج^(٣) ، ونيرانها توجج ؟
لم هذا ؟ وكيف به ؟ أين حصافتك وبصيرتك ؟ وأين نظرك واختبارك ؟
وأين استنباطك وفطنتك ؟ وأين معرفتك بال دقيق والجليل ؟ وأين تحصيلك
للليل والكثير ؟ وأين حسك الصادق عن الصحيح والعليل ؟ أما ترى ؟
— وليس فيها معنى إلا وفيه مبكى ، ولا ملهى إلا وعنده مهوى ، ولا مرعى
١٠ إلا ودونه^(٤) . . . أما ترى صروفها ، وفي صروفها حتوفها ؟ أما ترى أهلها
كيف كطرقهم طوارقها ، وفي طوارقها بوائقها^(٥) ؟ أما ترى كيف تسرهم^(٦)
مراتبها ، وفي مراتبها معاطبها ؟ أما ترى خبرها ، وفي خبرها عبرها ؟ أما ترى
غناها كيف يفتن ، وفقرها كيف يحزن ؟ أما ترى أعلامها تنبأ أحداقها ؟
١٥ أما ترى قصورها موقوفة على خرابها ؟ وهل تركت الدنيا لأحد شبهة وإشكالا

(١) ص : بصوت .

(٢) عرج في الشيء وعليه (من يأي ضرب ونصر) عروجا : رقى وصعد .

(٣) لجج القوم : ركبوا اللجة ، واللجة معظم الماء أو معظم البحر .

(٤) كذا ! ويظهر أن هنا نقصا .

(٥) البائقة : الداهية ، والجمع : بوائق .

(٦) ص : قسرهم !

في فضل الإعراض عنها ؟ أليس مُرُّها غامراً لخلوها ؟ أليس كَدُّ رُها غالباً
لصفوها ؟ متى أفادت أحداً من سكانها فائدة فلم تكن عليه بائدة ؟ أليس
أبناءؤها بقية المالكين ؟ أليس جديدها ميراث البالين ؟ اللهم غفراً !
نصفها صفة العارقين ، ونصحبها نُصْحَةُ الجاهلين . ما أقبح الأمن في عَرَصَةِ
الظوف ، وما أشنع الجهل في وقت العلم ! ما أضر النوم في مكان الانتباه !
ما أشد حسرة الخاسرين في تجارتهم ، بعد كسبه في حالته ! ما أسخن عيناً قَوَّت
بما لا حاصل له ! ما أأرب قلباً سكن إلى ما لا عائدة منه ! يا هذا :

هل أنت معتبر بمن خَرِبْتَ عنه ، غَدَاة قَضَى ، دَسَا كَرِهَ ؟
ومن أذلَّ الدهرُ مَصْرَعَه فِتْرَاتٍ منه عَشَائِرُه ؟
ويَتَمَنُّ جِلَّتْ منه أَسْرَتُه ويَمْنُ خَلَّتْ منه مَنَابِرُه ؟
[١٤٢ب] أين الملوك ، وأين هزَمُ^(١) صاروا مصيراً أنت صائِرُه ؟

بل ما بدا لك أن تنال من م الدنيا ؟ فإن الموت آخره
يا هذا ! إنما أذكر لك معائب الدنيا حتى تطهر نفسك من أنجاسها ،
وتبتاعد جَهَنَّمَ من أَدْناسها ، وتُفَرِّدَ حالك من أحوال ناسها . فحينئذ إذا
صفا لك جوُّ الدين تنفست فيه ، وإذا تدلى على فؤادك جبلُ اليقين تَمَرَّستَ
منه ، وإذا انكشف عنك غطاء الجهل سَرَّحتَ طَرَفَكَ بعده ، وإذا سمعت
قنّاً من تجويز الحق طربت عليه ، وإذا أودعت سرّاً من الغيب لم تُفْشِه
إلى ما ليس من أهله ، وإذا كوشفت بعين الاختصاص لم تحس بما عده ،
وإذا قيل لك : ادنُ إلينا — لم تدنُ وفيك هيئة البشر ، وإذا قيل لك : اطلب —
لم تطلب وعليك أثر من آثار أهل الشر ، وإذا قيل لك : اسمع ! — لم تسمع
وأنت منتشر^(٢) .

(١) كذا ! ولعل أصله : عزهم .

(٢) أي مشتت الذهن .

اللهم عزيرٌ على أن أقول ما أقول [ما أقول] ^(١) ونصيب منه اللفظ
الحجّر ، ومحصولي منه الأمر المحسّر . فأما أنت أيها السامع ، فمكول إلى شأنك
بما أنت عليه أهله وبه من ودك وشفائك ، لا سلطان لي على قلبك ،
ولا مستنبط لي من عينك . إن أنت إلا لنفسك على ما كنت عليه في أمسك ،
فإن كنت ذا غبطة في ذلك فالزم ، فالغبطة هي المطاوعة لك والمرادة بك .
ولكن بقي عليك شيء : هل أنت عارف بالغبطة ما هي ؟ وكيف هي ؟ فإنني
خائف عليك أن تظن أن الغبطة في شهوة تنال ، ونعمة تدرك ، ولين يلبس ،
وحلو يتلعم ، وبارد يشرب ، وكأس يتعاطى ، وتديم يضاحك ، وعود يضرب ،
وصوت يقترح ، ومجلس يغني ، ووجه ينتظر إليه ، وحديث يقفه عليه .

- ١٠ هيات ! عزّب ^(٢) لبك ، وتاه قلبك ، وركبك شيطانك . هذه أضاليل
قد حُتت بأباطيل برهانها . من لا حكمة له ولا حكمة عنده لا يفرق
بين العرف والنكر ، ولا بين اليوم والغد ، ولا بين الثابت والزائل ، ولا بين
الباقى والحاصل ، ولا بين الصاعد والنازل ، ولا بين الجادّ والهازل .
الغبطة — عافاك الله — في حال أخرى أنت منها في قُطرٍ شامع لا يلوح لك
ولا يترأى لعينك . الغبطة في النجوة ^(٣) من هذه التي [١٤٣] قد ضربت ^(٤)
١٥ على غضب الألباب من أربابها ، ومرنت على تصديق الشمل بين ألافها
وأحبابها ، إلى محل الألم فيه ^(٥) ولا ألم ولا أذى ، ولا شوب به ولا قذى ،

(١) زيادة في الأصل لا محل لها .

(٢) عزب الشيء عنه (من بابي نصر وضرب) عزوباً : بعد وغاب
وخفى ، فهو عازب ؛ يقال : عزب عنه حمله أي غاب .

(٣) هو في النجوة من كذا : أي بعيد عنه ، سالم منه .

(٤) أو صوابها : دربت ؟ بدليل قوله بعد : مرنت .

(٥) كذا ! ولعل صواب العبارة محل لا ألم فيه ولا أذى .

إلى محل تجد فيه النعيم صافياً والحق بادياً ، إلى محل لا يعتريك < منه > ملل ، ولا يلتاك فيه علل ، حيث تنسى فيه الحزن حساً ورثماً ، حيث يحكمك المولى فتحكم ، ويدنيك إلى حضرته فتتغم ، حيث لا يلهب لك في صدرك نفس ، ولا يخمد بين يديك قبس .

يا هذا ! إنما أشوقك إلى هذا المحل نظراً لك ، وأدلل لك السبيل إليه شفقاً عليك . فأعني على نفسك والكثير في أنسى بأنسك ، واعتقد أني مفتيض لك من جهة ولئلك ليكون له عندك في ، فقد ^(١) يجب عليك شكرها ونعمة يلزمك القيام بحقوقها . فإن شهدت هذا التفتيض الذي أشرت لك إليه ، سمحت بذلك التفويض الذي جبتك عليه . وإن عمت — والعياذ بالله — فما أتيت إلا من جهة أذن إذا سمعت لم تع ، وإذا وعدت لم تف ، وإلا من جهة عين لا تبصر ، وإذا أبصرت لا تحصل ، وإلا من جهة قلب لا يهتم ، وإذا اهتم لا يستم ، وإلا من جهة نفس لا تنقاد ، وإذا انقادت لا تتردد ، وإلا من جهة عادة لا تفارق ، وإذا فارقت لا ترتفع ، وإلا من جهة قرين لا ينصح ، وإذا نصح لا ينفع ، وإذا كنت مأمناً ^(٢) من هذه السبل الخافية كيف الأمان لي منك عليك ، وكيف الرجاء لي فيك ، وكيف الشغل لي بك ؟ ! حدثني عنك فقد بليت بك ، وأصدقني جهتك فقد أضفت إليك . وإذا امتحنت بأن أقول لك ، وامتحنت بأن تسمع مني فلا أقل من التماون الذي هو شيمة الفتيان ، ولا أقل من الرقة التي تدرك الإنسان على الإنسان . فإن لم ترحم نفسك في قلة قبولك مني ، فارحني لشدة إقبالى عليك . أجبني إلى حظك . صاخني عن الوفاء لك . اجمعني عن بعض السكد من أجلك . ارحم عيبرتي حسرة على ضياعك . تعصب

(١) كذا ! والعبارة لا تستقيم إلا بافتراض مثل : عندك فضيلة ...
(٢) وإذا كنت مأمناً : كذا في الأصل ، وهو لا يستقيم تماماً مع ما مضى .

لَغَيَّرْتَنِي عَلَيْكَ . تَعَجِبُ مِنْ انْتِصَابِي بِسَبَبِكَ . أُعْطِنِي أَجْرَتِي عَلَى سَعْيِي . اشْكُرْنِي
 عَلَى سَهَرِي لَكَ . أَمِنْ الْفُتُوَّةِ أَنْ تَرَانِي أُنْعِبُ لَكَ ، فَلَا تَرْحَنِي ؟ أَمِنْ الْمُرُوءَةِ
 أَنْ تَجِدَنِي مَكْدُودًا عَلَى سَعَادَتِكَ ، فَلَا تُسَاعِدَنِي ؟ أَمِنْ الْفَضْلِ أَنْ أُحْسِنَ إِلَيْكَ
 بِكَ ، فَلَا تَقْبِلَ إِحْسَانِي فِيكَ ؟ لَوْ كُنْتَ غَرِيرًا لَعَذَرْتُكَ ، وَلَوْ لَمْ يَخْطُوكَ الشَّيْبُ
 لَا طَلْتُ رَسَنَكَ ^(١) ، وَلَوْ لَمْ يَجْمَعْنَا دِينَ الْحَقِّ لَأَهْلَمْتُكَ ، وَلَوْ لَمْ يَعْقِدْ بَيْنَنَا الْمُلْحُ
 لَا زَوَّرْتُ عَنْكَ ، وَلَوْلَا عِلَاقُ [١٤٣ ب] بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَأَرَحَيْتُ أَنَا مَلِي
 مِنْ ذِيكَ . فَلَا تَغْفُلْ ! — اذْنُ مَنِي وَأَقْبِلْ عَلَيَّ ، وَشَرِّبْ قَلْبَكَ كَلَامِي ، وَبَيِّرْ
 مَالَكَ مَا عَلَيْكَ بِإِرْشَادِي . فَمَنْ قَلِيلِي تَقْدَرُنِي ، وَيُنَآئِي سَوَادَكَ مِنْ سَوَادِي .
 فَلَمَّا لَكَ حِينٌ أَنْ تَتَمَنَّى أَنْ يَجُولَ فِي أَذْنِكَ صَوْتِي ، وَتَقِفَ لَمِينِكَ صَوْرَتِي ،
 ١٠ وَتَلْتَمِسَ بِقَلْبِكَ نَضْجِي فَلَا يُجِدُنِي . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ، فَلَا تَبْخُلْ بِدَمْعِكَ لَتَكُونَ
 رَحْمَةً لِي وَرَقَةً لَكَ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ إِذَا جَادَتْ بِدَمْعِهَا شَوْقًا إِلَى أَخٍ ، أَوْ نَدَمًا
 عَلَى سَالَفٍ ، أَوْ حَسْرَةً عَلَى فَائِتٍ ، أَوْ اسْتِجْدَاءً لِقَدَرٍ ، كَانَ ذَلِكَ شَاهِدًا
 لِصَاحِبِهَا بِرَقَّةِ الطَّبَاعِ ، وَسُرْعَةِ الْإِنْقِلَاعِ ، وَشِدَّةِ النِّزَاعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
 وَبَعْدُ وَقَبْلُ ، فَلَسْتُ أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَلْبَسَ شَعَارَ الْمَعْصِيَةِ ذَاكَ بِيَدِ مَوْلَاكَ .
 ١٥ وَإِذَا أَهْلَكَ أَلْبَسَكَ ، وَإِذَا أَرَادَكَ أَشْخَصَكَ ، وَإِذَا اخْتَارَكَ قِيضَكَ . لَا مُقَدِّمَ
 لِمَا آخَرَ ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ . وَإِنَّمَا أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَهْتَمَّ بِحِجَابِ الْمَعْصِيَةِ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُ ، وَتَنْشِئَ حَالًا فِي التَّمَرُّفِ إِلَيْهِ ، وَتَخْلُطَ بِسَيِّئَةٍ قَدِيمَةٍ حَسَنَةً حَدِيثَةً ،
 فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ يَقْتُلُ حَبْلَكَ بِحَبْلِ الصَّالِحِينَ ، وَيُرِيثُ نَبْلَكَ بِنَبْلِ الْمُخْلِصِينَ ،
 وَيَكْتَسِبُ اسْمَكَ فِي عَصَابَةِ الْخَبِيثِينَ ، وَيُجْرِي ذِكْرَكَ فِي الْمَلَأِ ^(٢) الْأَعْلَى .

(١) الرسن (محركة) : الخبل .

(٢) ص : البلا !

فإن لم تستجب لى ضربة واحدة ، فاستجب حالة خالة . ولا تأنف ولا تستكبر ،
فما أنف من الله أحد فأنجح ، ولا استكبر أحد على الله فأنجح . هذا رفي بك
ونظري لك ، فكن أنت لنفسى أكثر رضى فى . اللهم لولا إذكك لما دعونا
إليك ، ولولا فضلك لما دللنا عليك ، ولولا إيناسك لما استوحشنا من غيرك ،
ولولا رجاؤك لما بسطنا الفنا على خيرك . بك فلوذ معتصمين ، وإياك نسترحم
محتاجين ، وبآلائك نتحدث معجبين متعجبين ، وإلى فنائك ناوى واثقين
مُبدلين ، وبحبلك نتعلق صاعدين ، وفى آفاق ملكوتك نهول راغبين ومُرعبين ،
ورضوانك نخطب عارفين موحدين ، وفى رياض نعمائك نرتع شريهين وطيبين .
يا هذا ! الزم باب الافتقار إليه بالدعاء ، فإنك مادمت على هذا الالتزام
رجوت لك الفوز . وقد قيل :

أَخْلِقْ بِذَى الصبر أن يحظى بحاجته

ومُدمِنِ القَرع للأبواب أن يلجأ

وثق بالله ! ما أولئك بذكره < إلا > وقد رشحك لوصله ، ولا أوحشك
من خلقه إلا وقد هياك لأنسه . وهذه ولاية مانها أحد فأتناه العزل ، فلا جد
به الجد فأتناه الهزل . فاشدد الآن وسطك ، واطلب [١١٤٤] قسطك ، وشمّر
ذلك ، وقطع ليلك ، فكأنك وقد رأيت مساءك صباحاً وظلامك مصباحاً .

يا هذا ! اسمع رطانة أخرى ، ولغة ليس فيها فحوى ، وكن من قبولك لها
ونبؤك عنها بين تقوى ، فإن العبارة قد طالت فى وصف الدنيا ، والإشارة
قد توالى فى الخبر عن أصحاب البلوى . وهذا كله لما أقوله وتسמע عني . قولى
لا شرّح له ، وسمعتك لا فتح معه ، لكن لا بد من التنفّس عند تضاييق الخلق ،
ولا بد من التغايب عند تفاقم الإغلاق ، ولا بد من الانحجاز^(١) عند تعذر

(١) انحجز : أتى الحجاز ، أنجد : أتى نجداً ، أعرق : أتى العراق .

الإنجاد والإعراق . نعم حبيبي ! كنت ثم تكونت ، ثم بنت ثم تبينت .
أتفهم هذه المويضة ؟ إنك تخلص من هذه القبيصة ^(١) .

يا هذا ! كنت كوناً بائداً من أنت به فكأنك كَوْنَك مطلقاً ،
ثم تكونت بإمداد مَنْ كنت له فصار تكونك امتداداً لكُونك . فلما بلغت
آخر التكون بِنْتٌ ، وإِنَّمَا بِنْتٌ لِمَنْ كنت به ، فلما بِنْتٌ تبينت ، أعنى ظهرت
خالداً بعد ما كنت غبت بائداً . إلا أن بيدودتك ^(٢) كانت بالحس ، وخلقوك
كانت ^(٣) بالقدس . فحدثني عنك ، وخبرني منك ! أين أنت من هذه اللبنة
الثابتة ، ومن هذه البارقة الصادقة ؟ هل وجدت منها نسيماً أهدى إليك نعيماً ؟
بل هل وجدت منها ما لم تجدها ، فإنك في إحدى الوجدانين مُهْتَأً ،
وفي الآخر مُعَزَّى !

٩٠

يا هذا ! ما أشد انخداعي لك بما ألقى إليك ! وما أقبح إغراضك عني
فيما أخلعه عليك ! ولو كنت مُقْصِراً في أمرك وماله عائد في خالصة حالك ،
لبسطت العذر سراً وجهاً ، ولكني وحق الحق جواد بما وجدته ، بدول
لما ملكته ، غيور على ما عرفته ، نصيح لمن أصبته ، صبور على من بلوته .
ولولا حركات أسرار لها جَوَلَات في النبية ، ورجعات إلى الشهادة ،
لما نبست بحرف من هذه الغرائب ، ولا ترنمت بشيء من هذه اللحون .
ولكن : مُكْرَهُ أخوك فاعذر ، ومضروب بك فاصبر ، ومستعين بك فأنصر .
يا هذا ! مَنْ عرف في الشاهد لم يخل بالغائب ، ومن اعتنق الغائب
لم يلتفت إلى الشاهد ، ومن تذبذب بينهما فهو الساقط الهابط .

٩٥

(١) القبيصة : التراب المجموع ، الحصى ؛ يقصد : المعضلة الشديدة .

(٢) مصدر باد يبيد : هلك .

(٣) كانت : كذا ، والأصح أن تكون : كان .

يا هذا ! أتريد أن تصيب الهدف ولما تسدد ! أتريد أن تبلغ المنزل
ولما تجتهد ! أتريد أن تلحظ الأعلى ولما تحديق ! أتريد أن تجالس الملوك
ولما تقاديب ! أتريد أن تسعد جزافاً وتبال مُهرادك اختلاصاً !

هيهات ! إن المراصد مشحونة بالموانع ، وإن الآفاق مملوءة بالمقارِع ،
وإن الأسرار ملتبّهة بالنوازع ، وإن المناظر منقوشة بالروائع ، وإن الألحان
مصطحبة بالبدائع ، فلا عَيْنَ إِلَّا وهي عَبْرِي ، ولا نَفْسَ إِلَّا وهي حِيرِي ،
ولا لَفْظَ إِلَّا وهو مُعَاد ، ولا وَصْلَ إِلَّا وهو مُعَيَّاد .

دَعْنَا في هذه الزاوية الحرجة حتى نتشاكى وتقباكى : تارةً على فقد حاصل
لم يَبْقَ ، وتارةً على طلب مراد لم يَرَقْ ، وتارةً على مُدْرَكٍ بعقل لم يَخْلُصْ ،
وتارةً على فائتٍ بحسٍ لم ينقص .

اللهم رحمتك ترجو ، ودرأفتك تتمنى ، وإليك > نضرع ^(١) > إذا صفونا ،
وإلى فئائك نسير إذا خطونا ، وإياك نطلب إذا عطونا ^(٢) ، وبك نستجير
إذا نبونا ، وباسمك نلهج إذا صفونا ، وآلاءك ننشر إذا صبونا ، وإلى بابك
نقصد إذا حبونا ، وعفوك نلتمس إذا هفونا ، وبِحُجَّتِكَ نقفى إذا رمونا .
فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (هـ)

أيها صاحب المستأنس بهذا الفن ، المسافر إلى هذا الوطن ، الساكن
في هذا الموطن ، المستخبر عما ظهر فيه وبطن ، السكاره لأن يقال فيه وَهْمٌ
وَقُنْ ، العَجَبُ بأن يسمع فيه حَقٌّ واستيقن : هل شهدت حالاً تقلل
عن الزمان والمساكن الذين يتقرب منهما كلُّ إنس وجان ، وهل ورد عليك

(١) ناقصة في الأصل هي أو ما في معناها .

(٢) عطا يعطو عَطُواً — إليه رأسه ويديه : رفعه .

ما حاكك عنك وسلبك منك وتركك بلا أوان تجده واسطة فيما أنت
 محبوس به ، محبوس فيه ، محبوس عليه . وهل قام في نفسك أن الزلقة [١٢٥]
 عند الحق هي البراءة من جميع الخلق ؟ كان ذلك زماناً أو مكاناً ، أو خيراً
 أو عياناً ، أو حجة^(١) ، أو بياناً ، أو ريبة أو برهاناً . فإن كان ذلك كذلك
 فلقد خصصت بحلاوة الأنس ، ومشاركة ودائع الله في حظيرة القدس ، مما لا يقدر
 عليه الجن والإنس . وإن كنت في هذه البلاد غريباً ، وعن هذه السرائر
 والغيوب طريداً ، فلا عليك أن تصل ليلك بنهارك ، وتوطن سرارك
 بجهارك ، وتجمع بين إضمارك وإظهارك ، وتحقق حالك في إيرادك وإصدارك ،
 وتفرق بين حالك في اغترارك واستظهارك ، وتنتفي من شعارك وديارك ،
 في انتصارك واقتدارك . فإنك إذا هديت لهذا الطريق سلكت واحداً ،
 ووجدت غاماً ، وغنمت جدلاً ، وجدلت ناعماً ، ونعمت واصلاً ، ووصلت
 مقبولاً ، وقبليت مرضياً ، ورضيت مكفياً ، وكفيت محمياً ، وحميت مهدياً .
 وليس بعد الهداية والوجدان ، والغنمة والجلل ، والنعمة والوصال ، والقبول
 والرضا ، والكفاية والحماية ، غاية — تتمنى بالعبودية ، ولا نهاية يترقى إليها
 بالبشرية . وكل ما وراء ذلك إنما هو من جنس الإلهية التي إذا سطعت
 أنوارها غصت بالهدايا والتحف أقطارها ، وامتألت بالألاء والنعم أنفاسها^(٢) ،

(١) كذا في الأصل ؛ ولنعقد أن ضوايه : جمجمة ؛ يقال : مخرج
 في خبره : لم يبينه أو لم يكشف .

(٢) جمع نفق (محركة) : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان ؛ يقال :
 ابتغى نفقاً في الأرض .

وفاضت بالزيادة والفضل والجدوى آفاقها . فيا من يرم ^(١) هذه القاضية ^(٢)
 متمنياً في الخلوة ، لم لا تتبرأ من زخارف هذه الدار ، مظهرًا لنفسك من ضروب
 الأوطار والأقدار ، حتى تؤهل للأسرار ، وتصافح بالمبار والمسار ^(٣) ؟
 ولم لا تصحح نسبك ممن أنت منسوب إليه ؟ أعني بذلك أنك تنسب إلى أبيك
 الأدنى باللحم والدم ، وإلى أبيك الأقصى بالماء والطين ؛ وقد غرّك هذا
 النسب ، وأغواك هذا السبب حتى نسيت الذي تنسب إليه بكلك وبعضك ،
 وبأصلك وفصلك ، وبه تعرف في أولك وآخرك ، وله تسكرم في غيبك
 وشهادتك ، وإليه تضرع في نازلتك . وإياك نسأل دوام رَوْحك وراحتك ،
 في سعيك وقدرتك . ولم لا تقدّم على ذلك نظرك في نفسك وفي عواديبها
 عندك ، ولم لا تحاسب نفسك لنفسك ؟ متى تعرف الفضل الذي لك [١٤٥ ب]
 فمحرزه ، وتقف على الوكس ^(٤) الذي عليك فتعيّزه ؟ هذا بيان حالك
 فيما هو ظاهر دنياك ، هاتِ بيان حالك فيما هو حقيقة دعواك ، وإليه توجهك
 وعنده منتهاك . فإن كانت عينك لا تبصر إلا العاجلة ، ونفسك لا تهوى
 [هذه] ^(٥) إلا الصور المتقابلة ، فقد أحاط بك الردى وأنت لا تشعر ،

(١) رم البناء وغيره (من بابي نصر وضرب) رَمًا ومَرَمَةً : أصلحه ؛
 رم الشيء : أكّله .

(٢) وتقرأ أيضاً : القاضمة . وبهذه القراءة يكون المعنى : يا من تأكل
 ما يأكلك (أى الدنيا) ، أى أنك يا قبالك على الدنيا إنما تفتى نفسك .
 فأكلك لها هو أن تؤكل منها .

(٣) جمعاً : مبرّة ومسرّة .

(٤) الوكس : الخسران والنقصان .

(٥) زيادة لا غل لها .

وحاق بك أمرُ الله وأنت لا تبصر ، وجاءك منك ما ينسبك عنك ، وثار عليك ما يشعلك فيك . وما أدري ما أقول سوى أتى أستريح إلى قول ربى : « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نَوْراً فَمَا لَهُ مِنْ نَوْرٍ »^(١) .

- يا هذا ! الوقت مجتمع معصوم ، ومفترق مرحوم ، والله فيه نظرات إلى عباده المؤمنين ، فيَجْبُرُ بها كلَّ كسير ، وَيُنْعِشُ بها كلَّ عائر ، ويهتدى كل تائه ، ويرتاح لها كل حزين ، وَيَغْنَى بها كل محتاج ، ويَجِدُ بها < كل > معصم . فالويل لمن انقلب عنه خاسراً باسراً قد حُتِيَ^(٢) في وجهه التراب ، وحُرِمَ جزيل الثواب ، وقيل له : أُمِّلِكَ عليك مردود ، وجوارحك بمخالفتك عليك شهود ، وسَوَّطَ العذاب على هامتك مَصُوب ، وَخَدَّلَانُ الله إليك مجلوب . آه من الخالفة إلى ما نهى عنه ، وواحسرتنا على بجانب ما أمر به ! هذا مع دُرُور النعم التي لا تُحْصَى ، واتصال أيديه التي لا تستقصى ، ولطائفه التي لا يأتي عليها لسان وإن كان رقيق الحاشية ، وخيراتها التي لا يهتدى إليها إلا إذا خص أوليائه بالمعرفة الناشئة . وأين قدرة العبد الشاكرة إذا أنعم عليه ، مَنْ تفضل الرب الرؤوف إذا نظم أنواع بره بين يديه ؟ ليس بينهما نسب يعتمد ، ولا حاصل يعتمد .

يا أخى ! لقد عصيت زاجرك إذ زجرك ، وخالفت أمرك إذ أمرك ، وركنت إلى زهرة الدنيا وزخرف الأمل ، ورضيت بوخيم عاجلها ، وزهدت في نعيم آجلها ، وتوفرت على نظرتها ولآلائها ، فَإِنَّكَ^(٣) لا تؤمن بانقراضها وفنائها . فإلى متى هذه الغفلة والسُّهُو ، وهذه العِزَّة واللَّهو ، وهذه الأبهة والزهو ،

(١) سورة « النور » : ٤٠

(٢) صنيعه المبني للجهول من حثا يحثو التراب : نثره .

(٣) كذا ! والأصح أن تكون : كأنك .

وهذه السفاهة واللقو ؟ مَلَكْتَ الهوى زمامك ، واجتلبت بسوء الاختيار
جَمامك ، وانخذعت بلُعاة ^(١) الدنيا ، والزخارف فيها — والله يا أخى —
المخاوفُ والمتالف . ٥١ .

وأوردك الجملُ والإغترا رُ صُنُوفُ البِلَايا ، وما يتقى
وَمِلْتَ إلى عاجل تافهٍ وصادتك أشراكها يا شقى ٥
حتى متى إلى الشيطان سُكُونُكَ ، وإلى الدنيا وعارثها ركُونُكَ ،
وعلى خطاياها وسقامها جنُونُكَ ؟ أما تعتبرين مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ ، وبمن وارته
الأرض من خِصائِكَ وأَلَافِكَ ؟ أما يردُّكَ عن جِهْلِكَ رادِع ؟ أما يَقَمِّعُكَ
عن غِيْلِكَ قانع ؟ أما أنت عما أنت عليه من الخطايا مُقْلِعٌ نازع ؟ أما تلاحظ
بعين فكرِكَ الأُممَ الخالية ، والملوكَ الفانية ، والفراعنة الماضية ؟ هل تحسُّ منهم ١٥
من أحد ؟ وهل ترى لهم من باقية ؟ طوَّهم يد الحِمام ، وطحنهم رَحَى الأيام ،
وقرضهم ^(٢) مرُّ العام بعد العام . فهاتيك بيوتهم خاوية ، ومجالسهم في قصورهم
قاروة ^(٣) ، والأوزار في أعناقهم باقية . ٥١ .

وَحَلُّوا بدار لا تَزَاوَرُ بينهم وَأَتَى لِسكان القبور تَزَاوَرُ ؟ !
لقد نجا امرؤٌ نجا عن نفسه شاهدٌ . هذا الموجود مازوم الخدمة لله الملك ١٥
المعبود . أَلَا صَافٍ مِنْ كَدَرِ الأَقْدَارِ ؟ أَلَا مُتَمَيِّزٌ عَنْ عَادَةِ الأَغْمارِ ؟
أَلَا رَاغِبٌ فِي طَرِيقِ الأَخْيَارِ ؟ أَلَا آتِفٌ مِنْ مَذَاهِبِ الأَشْرَارِ ؟ أَلَا مُزَاحِمٌ
لِمُنَاكِبِ الأَبْرَارِ ؟ أَلَا هَارِبٌ مِنْ أَوْطَانِ الشَّارِدِينَ عَنْ اللَّهِ ؟ أَلَا مُنْقَطِعٌ
إِلَى الْحَقِّ بِحَقَائِقِ الْوَاجِدِينَ لِلَّهِ ؟ أَلَا طَامِعٌ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَا وَعَدَ بِهِ

(١) اللعاعة (بضم اللام) : الخصب ؛ الدنيا .

(٢) قرض الشيء (من باب ضرب) قَرْضًا : قطعه .

(٣) قويت الدار قِيًّا وقواية : خَلَّتْ .

أولياء الله ؟ ألا مستحي من إعراضه عن الله مع علمه بما يصل إلى الله من طرائف ما عند الله ؟

يا أكلة الحرام ، وحملة الآثام ، وسفلة الأنام ! النجاء النجاء ! فقد أظلم علم الانتقام ، وفاتكم من الله — ذى الجلال والإكرام — الخلود في جوار الله والدوام .

- أيها الناس ! خبروني عنكم ، إذ وقفتم خدمتم^(١) الدنيا أعماركم ، بأي شيء ظفرتم ؟ بذلتكم حياتكم ، فأى زيادة ربحتم ، وبأي فائدة اقبلتم ؟ خاطرتكم بأرواحكم ، فأى فائدة أدركتم ؟ أتعبتم أبدانكم . هل بنسب حضرته عبقتم ؟ هل على ثغرات سره هربتكم ؟ هل بمدح مناجاته تلهذتم ؟ هل بحقيقة محبته خُصصتم ؟ هل بحلاوة بواديه من عنده أُرثتم ؟ هل على بساط تكبره جليتم ؟
- ١٠ بل هل بضائه لرزقكم وثقتكم ؟ هل على وعده توكلتم ؟ وهل علمتم ماذا أريد [١٤٦ ب] بكم ؟ أو فكرتم فيما أريد منكم ؟ إن كان ذاك أو بعضه فآين دلائله وروائده ؟ وآين أوائله وعوائده ؟ وآين غنايله وشواهده ؟ وآين وسائده وفوائده ؟ بل آين خوافيه وبواديه ؟ وآين مقدماته وهواديه ؟ وآين توابعه وحوادثه ؟ وآين الخلع التي^(٢) يلقبها على مصافيه ؟ وآين السرائر التي يستودعها من يتهالك فيه ؟ فلا أجسامكم تحلّت بالعبادة ، ولا قلوبكم ارتاحت في طلب الزيادة ، ولا صدوركم صُرِفَتْ عن الهوى بصدق الإرادة ، ولا أرواحكم هَشَّتْ للاستفادة ، ولا أطعامكم انحسرت بالزهادة ، ولا سيرتكم استمرت على الزيادة

(١) كذا ! ولعل صوابه : على خدمة .

(٢) ص : الذي .

والزيادة^(١) . لا جرم^(٢) شئت بكم عدو الله إبليس ، وبلغ بكم فوق ما أراد بالخيطة والتلبيس . « أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات »^(٣) ١٩ هيهات هيهات ! « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعددهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً »^(٤) . رَحِمَ اللهُ عبداً رفع طرفه ، وبسط كفه ، وشرح وهمه ، وسبَّح^(٥) فهمه ، ونظر إلى ما له فطلبه ، وإلى ما عليه فاجتذبه .

اللهم لا تؤاخذنا بالدعاء إليك قبل إجابتك ، ولا بإجابتك قبل اليقين معك ، ولا باليقين معك دون التهاك عليك ، < ولا بالتهالك عليك > دون^(٦) تجرُّع النُصص من أجلك ، ولا بتجرُّع النُصص من أجلك دون الرضا والتسليم لك ، ولا بالرضا والتسليم لك دون الغيبوبة عن كل ما عداك ، ودون البراءة من كل ما سواك .

إلهنا ! إنا لا نصل إليك إلا بك ، ولا نسلو عن غيرك إلا لك . نواصينا معقولة بتصرفك ، وآمالنا موقوفة على تشريفك ، وسُورنا مهدوم إلا إذا كُهِيت ، وحرمتنا مستباح إلا إذا حُميت .

اللهم إنا حضرناكَ نسين فطهرنا ، وسألناكَ محتاجين فأجبتنا ، ولدنا بك عاجزين فقمونا ، وخنناكَ لأجرمانا فآمنا ، ونكشفنا عندك فاسترنا ، واعترفنا

(١) من زاد يذود : حتى .

(٢) لا جرم : حق .

(٣) سورة « الجاثية » : ٢٠

(٤) سورة ١٩ « مريم » : ٩٤ — ٩٥

(٥) جعله يسبح .

(٦) كذا : ولعل فيه نقصاً أصله ما أثبتنا .

بِحُكْمَتِكَ فَاقْبَلْنَا ، وَخَضَعْنَا لِقُدْرَتِكَ فَارْحَمْنَا ، وَانْهَدْنَا فِي مَخَالَفَتِكَ فَاعْمُرْنَا ،
وَتَبَدَّدْنَا فِي مَلِكِكَ فَانْظُمْنَا ، وَشُبُّتْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا .

[١١٤٧] اللَّهُمَّ أَنْتَ بِنَا أَبْصِرْ ، وَنَحْنُ عَنْ مَصَالِحِنَا أَقْصِرْ ! فَرَقْنَا بِكَرَمِكَ
إِلَى حَظِيرَةِ الْقُدْسِ ، وَاسْقِنَا بِكَأْسِ الْقَبُولِ شَرَابَ الْأَنْسِ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ
ذَلِكَ بِنَا لَمْ نَنْظُمًا بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَلَمْ نُؤْثِرْ عَلَيْكَ أَحَدًا . آهٍ عَلَى أَقْدَامِ كَانَتْ
تَسْتَنْقِلُ حَمْلَ رَقِيقِ النِّعَالِ كَيْفَ تَطْلُقُ غَدًا هَوْلَ ثَقُلِ الْقِيُودِ وَالْأُنْكَالِ ^(١) !
آهٍ عَلَى جَنُوبِ ^(٢) كَانَتْ تَسْتَخْشِنُ لَيْنَ الْحَرِيرِ ، كَيْفَ تَصْبِرُ غَدًا عَلَى مَقَاسَاةِ
لُحْبِ السَّعِيرِ ! آهٍ عَلَى خُدُودٍ فِي ظِلَالِ التَّرَفِ تَتَدَلَّلُ نَاعِمَةً ، كَيْفَ تَكُونُ غَدًا
فِي أَطْبَاقِ التَّرَى سَاهِمَةً رَاغِمَةً ! آهٍ عَلَى أَجْسَادٍ فِي حُلُلِ الدُّنْيَا مَصُونَةً ، إِذَا
أَصْبَحَتْ غَدًا فِي أَثْنَاءِ الْجَنَادِلِ ^(٣) مَهِينَةً مَدْفُونَةً ! آهٍ عَلَى مَنْ قَدْ خَدَا فِي ضُرُوبِ
الْمَعَاصِي مُشْتَبِكًا ، كَيْفَ يَكُونُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ مُرْتَبِكًا ! — عَجِيبٌ
لِقَلْبٍ سَكَنَهُ عَقْلٌ ، أَوْ اطْمَأَنَّ بِهِ فَهْمٌ ، أَوْ سَنَحَتْ فِيهِ فُطْنَةٌ ، أَوْ هَبَّ فِيهِ
اِنْتِبَاهٌ ، أَوْ أَلَمَ بِهِ رَأْيٌ ، كَيْفَ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا جَهْلًا ، وَرَضِيَ بِهَا وَطْنًا ، وَوَجَدَهَا
مِنَ الْجَنَانِ بَدَلًا ، وَغَفَلَ عَنْ صُلَيْعِهَا بَيْنَ مَضَى وَخَلَا ! اسْمِعْ قَوْلَ الْقَائِلِ :

تَوَخَّ سَبِيلَ الْبِرِّ وَاجْتَنَحْ إِلَى التَّقَى وَخَلْ عَنِ الْآثَامِ وَاجْتَنِبْ الْفَحْشَا
تَفَرَّدْ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ادَّخَرْتَهُمْ لَا تُنْسِكَ ، وَاسْتَبْدِلْ مِنَ الْأَنْسِ الْوَحْشَا

- (١) الذِّكْلُ (بكسر النون وسكون الكاف) : القيد الشديد من أى شئ .
كان ، وقيل قيد من نار ، والجمع : أَنْكَالٌ وَنُكُولٌ .
(٢) ص : حيوت . وهو تحريف ظاهر .
(٣) الجنادل : الحجارة ، الواحدة جندلة والجمع جنادل ، يقال : « شاد
قصره بِصَمِّ الجنادل وَبِصَمِّ الجنادل » . أَثْنَاءُ : فَنِيَاتُ ، طَيَّاتُ .

فلست ترى إلاّ مشيرَ غداوةٍ لغيرك نصيحاً وهو معتقد غشياً
أرى باطن الدنيا سُومَ أراقم^(١) وإن^(٢) ملأت للعين ظاهرها نقشا
أفلا يعتبر المرء اللبيب بما يرى من تنعيمها^(٣) وورود الفجائع على أهلها :
من علة فاجئة ، أو ميتة قاضية ، أو دار بعد ما كتبها موحشة ، أو حال يهولها
وضعوبتها مدهشة ؟ قد كثر منها المنون ماصفا ، وتركها ريبُ الزمان
قاعاً ضئيفاً .

يا هذا ! شمر وخذ في الجِد ، فالأمرُ والله حق . أتدري ما الأمر ؟
الأمرُ هو الرحيل عن هذا الموضع النَّبَئِ^(٤) بأهله المزعج إلى محل آخر :
إما أن يكون أنعم منه ، وإما أن يكون أنبا^(٥) منه ، وبين الرحيل [١٤٧ب]
والوصول وحشة الفراق ، وبلوغ الروح التراق ، والتفاف الساق بالساق ، وحسرة
الصدور ، وتسكاب المآقي^(٦) . يا قوم ! ماذا أقول لكم ، وكيف أعرض
نصحي عليكم ؟ وما أنتم في الحقيقة مرادى ، بل أنا ذلك المراد ، وأنا الحاضر
ذلك النادى ، وأنا القادح لذلك الزناد ، وأنا المُنتَجِعُ لتلك العهد^(٧) ،
وأنا الخاطب لذلك الرشاد ، وأنا المقيم على نفسى أولئك الأَشْهاد . اللهم صلنا
بغيرك ، ولا تكلنا إلى غيرك ، يا ذا الجلال والإكرام !

(١) صن : فإن .

(٢) كذا في الأصل ! والمعنى على هذه القراءة : بما يرى من نعمها
ثم ما ثورده بعد النعم من القواجم . . .

(٣) نبا به المكان : لم يطب له .

(٤) أفعل تفضيل من نبا ينبو : لم يطب .

(٥) أى : المآقي .

(٦) جمع عهدة : كل مطر بعد مطر .

رسالة (حى)

إلهنا وإله الخلق أجمعين ! طوبى لمن أهله لمواجهتك بحديثه على طريق
الانبساط ! طوبى لمن وفقته فى عبادتك للأخذ بالاحتياط ! طوبى لمن صفيته
فى إشارته إليك عما ابتليت به غيره من الكدر والاختلاط ! طوبى لمن سبقت
له منا الحسنى فصار بين أهل السموات والأرض من أولى الاغتراب ! طوبى لمن
رفعت مقامه فى الملاء الأعلى عن كل استظهار واستنباط ! طوبى لمن عرفك
فوصفك أو وصفك فعرفك !

إلهنا ! سوابق ممتك تدعو إلى الاعتراف بفضلك ، وسوابغ نعمك تبعث
على العبادة لك ، وروادف يرك تستنفذ قوى الشاكرين على ذلك ، وسوالف
لطفك تأتى على آخر ما يقدر عليه الواله المتهالك بدعائك . أجبناك ، وإبرادتك
أردناك ، وبصنعك عرفناك ، وبإذنتك وصفناك ، ومن أجل ما عهدنا منك
اشتقناك ، وبجهازتنا عصيْنَاك ، وبفرط دالتك قصيدناك ، وبسوء آدابنا جموناك ،
وبحسن توفيقك استعطفناك ، ولولا جودك ما سألناك ، ولولا إحاطتك ماشهدناك ،
ولولا غلبتكَ علينا ما وجدناك ، ولولا لطفك ما عبدناك ، ولولا أنت فى كل
ما نحن فيه وعليه ما أطعناك . لآلاؤك أشيع من أن يُستر ، وآلاؤك أظهر
من أن تنكر . قدرةٌ مخفوفةٌ بالحكمة ، وحكمةٌ مكفوفةٌ بالقدرة ، ونعمةٌ مخوطة
بالرحمة ، ورحمةٌ منوطةٌ بالنعمة . فكل شئ منك لائق بالربوبية ، وكل شئ
لك شائق [١٤٨] إلى العبودية . عززت موجوداً ، وكرمت معبوداً ، وحضرت
مشهوداً ، وسئلت مقصوداً .

أيها السامع المتأيد ، والصاحب المتوجد ! لا يشهد فى مشاهدك غير من هو
شاهدك فتغيب عن غايتك بغيبتك ، ولا تجد غيره ظاناً أنه هو ، فتكون عادماً

لحقيقته بما أنت غيره ، ولا تترنم بغير حديثه ، فيذهب طربك هباءً منثوراً ،
وينطوى عمرك حسرة وثبوراً . واحترس من نفسك لنفسك ، فإنها عتوب
إذا لدغتك لم تبَلْ^(١) ، وإذا ضربتك لم تستقل . واحفظ عهد الله عندك ، والخط
رفقه^(٢) قبلك ، واستقبل أمره بالشياع^(٣) والجد ، والتشمير والجهد . فقد حملت
من سره عظيماً ، وكلفت من أمره جسيماً ، وعرضت لذكره في جميع أحوالك
كظلم . فبرز بالخشية والتقوى ، واحتجب عن البلى بالبراءة من الشكوى ،
واستيقن أنه مخبر في العاجلة ، ومعتبر في الآجلة . فإن يك شَفَّ^(٤) رجعت به
وإلا فإنك من النادمين . أما أنى أتكلم وفؤادى مبهم ، وقلوب مقيم ! مالى في هذا
الهوى الناعم مُتَمَسِّمٌ ، وفي هذه الأرض المريضة مُتَوَسِّمٌ . سر قد باح على قبل
أن أكنم ، وخبر قد شاع عني قبل أن أعلم ، وتظلم قد توالى من أجلى قبل
أن أظلم . فلا جرم العثر مردود قبل أن يسمع ، والعقاب واقع قبل أن يستحق ،
والخذور نازل قبل أن يستعد . وكيف يكون الشق إلا كما تسمع ، وهل يكون
المضروب عليه إلا على ما ترى ! فن لى الآن بجحد سميد ، وصديق ودود ،
لملى أتلو عليه نبأى وأستنجد به على ما أنا محمول فيه ومدفوع إليه . هيهات !
تَعَسَّ الجُدُّ^(٥) ، وخاس الصديق ، ودام التعب ، واشتد الأسى ، وتوالى الدم
على أُمُرٍ لم يملك أوله ، ولم يدرك آخره ، ولم يظفر بما بينهما لعوز ماله وحيد^(٦)

(١) أبلى من مرضه : شفى .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) الشياع (بكسر الشين) : الخدار والجِد في كل شيء .

(٤) الشفَّ (بفتح الشين وكسرها) : الرَجح ، الفضل .

(٥) الخط .

(٦) بمعنى : لو عُدل .

وَمُصَحَّحٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، كَانَ مَكَانَ هَذِهِ الشَّكَايَةِ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ تِلْكَذِ ، وَبَدَلَ هَذَا الْقَرْحِ
فَرَحًا ، وَدَوْنَ هَذَا التَّحَرُّقِ تَنْعُمٌ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَأْنَرَ بِالْحِكْمَةِ فِي غَيْبِ
مُصْلَحَتِي ، وَزَوَى عَنِّي رُوحَ حَيَاتِي ، وَطَوَى دَوْنِي سِرَّ عَاقِبَتِي ، وَأَفْرَغَ عَلَيَّ أَذُنِي
الْبَاوِي ، وَمَنْعَنِي فِيهَا مِنْ بَعْضِ الشُّكُورِ [١٤٨ ب] — حَمْدٌ ^(١) سَائِلٍ صَلَاحَ مَا بِهِ ،
مُسْتَمِدٍّ مِنْ فَضْلِهِ فِي اعْتَابِهِ .

أَمَّا وَاللَّهُ أَيُّهَا السَّامِعُ بِأُذُنِهِ الْحَاضِرِ بِذَهْنِهِ الْوَلَا لَزُومِي جَدِي فِي الْعِبُودِيَّةِ ،
وَتَلَطُّفِي فِي تَصَفِّحِ الرِّيَاضِيَّةِ ، وَأَخَذِي بِآدَابِ مَنْ كَانَ مَلِكُ النَّفْسِ ، عَزِيزُ الْهَمَةِ ،
بَعِيدُ النِّغَايَةِ ، لَتَحْطِيتِ عَلَى جَوَانِبِ ، وَصَرَّحْتَ بِجَوَانِبِ أَخْبَارِ لَيْسَ لِأَحَدٍ
مِنَ الْبَشَرِ عَنْهَا خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ . وَلَكِنْ مَا أَصْنَعُ وَالرَّقِيبُ يَقْطُلَانِ يُحْصِي أَنْفَاسِي ،
وَالْعَدُوُّ مَتَكِيٌّ فِي نَاحِيَةِ يَهْيَى أَمْرَاسِي ^(٢) . أَلَوْ تَقَيَّيْتُ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، وَصَفَّقْتُ ^{١٠}
مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، لَا دَعَى عَلَيَّ مَا يَزِيلُ بُنْيَانِي ، وَيَزِلُّ أَرْكَانِي . فَكَيْفَ إِذَا أَهْلَتْ
بَعْضَ الْحَقِّ ، وَأَغْفَلْتُ بَعْضَ الرِّفْقِ أَيْنَ يَجِدُنِي ، وَعَلَى أَيْ حَالٍ يَشْهَدُنِي !
لِسَانٌ يَنْطَلِقُ بِالسَّهْوِ ، وَنَفْسٌ تَطْرُقُ عَلَى الزَّهْوِ ، وَحَالٌ تَعْرِقُ فِي الْهَوِ ، فَإِنْ بَلَغَ
مَرَادٌ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا مُحْتَازًا ، وَإِنْ عَزَّ مَطْلُوبٌ لَمْ يَمُكَّ إِلَّا مُنْجَازًا . فَعَلَى ذَلِكَ لَيْسَ
الْحَالُ نَاعِمًا ، وَلَا الْأَمَلُ مُتَوَقِّعًا ، وَلَا الرَّاحَةُ مَظْنُونَةٌ ، وَلَا الْبَلَاءُ مُتَخَلِّيًا ،
وَلَا الصَّدِيقُ مُتَوَالِيًا ، وَلَا الشَّانِي مُسْتَبْقِيًا . — عَادَتِ الْحَسَنَاتُ بِسُوءِ الْأَدَبِ
سَيِّئَاتٍ ، وَسَارَتِ الطَّاعَاتُ بِفَرْطِ الْاعْتِرَاضَاتِ غِثَالَفَاتٍ . فَالْوَمُّ حَاقِقٌ ،
وَالْأَسَى مُعَانِقٌ ، وَالْخَوَاجِجُ مُتَآزِفَةٌ ^(٣) ، وَالِدَوَاهِي مُتَضَاعِفَةٌ . وَالْوَيْلُ لِمَنْ أُنْ

(١) مفعول مطلق لقوله : فالحمد لله . .

(٢) المرس (بفتح الميم وكسر الراء) : الحبل الناشب بين البكرة والقعو ،
والجمع أمراس .

(٣) تآزف : تقارب خطوه ، و — القوم : تدانى بعضهم من بعض .

تحت هذا الثقل الفادح ، والخيبة لمن شكايته إلى القريب أو النازح . لقد شد
 الوثاق ^(١) مَنْ عَنَفَ في السباق ، ومنع من الاستحقاق من رد صادق الاقتدار ،
 فلا قوة يستبد بها ، ولا رحمة يستمد منها . جهة معوزة ، ومضلة موعزة ،
 ووسواس ملتهب ، وكرم حاثم ، ومتمني مفقود ، وقول كلما أعيد كان أفضح
 وأضر ، وأدهى وأمر ، وكَمَدُ كلما ضُبر عليه كان أَقَدَّ للأحشاء ، وأقطع
 للرشاء ، وأكشف للغطاء والنشاء . خذ حذيثي بجملة فتفصيله باهظ ، واقنع
 بالعنوان فمفضوضه موحش . لم يكف زمانى ما رماني به عني وكَدَّنِي به لي ،
 وعَمَسَنِي فيه علي ، حتى يحال بيني وبين من كان للعين رَوْضَةٌ إِذَا مَرَحَتْ ،
 وللنفس مُتَلَهًى إِذَا تَرَوَّحَتْ ، وللحال ثِقَلَةٌ إِذَا اسْتَبْهَمَتْ ، وللغاية علامة إِذَا
 اسْتَعْجَمَتْ ، وللجنة خفة إِذَا اسْتَحْكَمَتْ . فلا جَرَمَ شوقِي إلى ذلك الفَائِتِ
 [١٤٩] العزيز على قدر وجدى به ، ووجدى به على قدر وَهَى فيه ، ووهى
 فيه على قدر تَهَالُكِي عليه ، وتهالكى عليه على قدر تخيلِي له ، وتخيلِي
 له على قدر امتزاجِي به . وهذه كنايةٌ مانعةٌ من البينونة التي بها يشار
 إلى اثنين أنهما واحد ، وإلى واحد أنه اثنان . وهذا حَدٌّ من استولى عليه
 كان خبره عن نفسه لنفسه ، ووجدانه لنفسه بنفسه . الصفات تتبرأ من هذه
 الخصوصية في العشق ، والعلامات تَمَحُّقُ في النبأ عن هذا الفتق والرتق .
 فما بعد هذا إِلَّا أَنْ تَسُدَّ سَمْعَكَ عن هذا الكُفْهَ اللطيف تحرياً للسلامة ،
 وأُزِمَّ لسانِي عن هذا الطير الطريف خوفاً من لاذع الملامة . إن العارف ،
 وإن ترقى في سلام المعرفة بحقائق الحال على تبين المكاشفة وغلبات المشاهدة ،
 ليس له أن يخبر إِلَّا بعد الإِذْنِ له ، وَإِذَا وَرَدَ الإِذْنُ ليس له إِلَّا الجمجمة ^(٢) إِذَا قَالَ

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) بالفتح ويكسر .

(٢) ص : الحجمة ا وصوابه ما أثبتنا . والجمجمة : عدم تبين الكلام .

- والهمهمة إذا سكت حتى يدرج فيها إليه تدرج ، ويعرج إلى ما عنه تعرج .
 لُتَّةٌ وَاللَّهُ مُشْكَلَةٌ ، وَعِلَّةٌ وَاللَّهُ مُعْضَلَةٌ ، وَدِيَّانٌ وَاللَّهُ مُخْتَوِمٌ ، وَسِرٌّ وَاللَّهُ
 مَكْتُومٌ . إِنْ أَلْقَيْتَ مَالَكَ مِنْهُ كُنْتَ مُحْرَمًا ، وَإِنْ التَّمَسْتَ مَالَكَ فِيهِ صِرْتَ
 ظَلُومًا ، لِأَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَكَ هُوَ لَكَ ^(١) إِلَّا إِذَا مَلَكَتَهُ ، وَإِذَا مَلَكَتَهُ فَلَيْسَ
 هُوَ أَيْضًا لَكَ إِلَّا إِذَا بَقِيَ عَلَيْكَ . فَإِنْ اسْتَدْرَجَ شَرَطَ فِي الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْفَرْقِ
 شَرَطَ فِي الْعِبُودِيَّةِ . فَلَا يُؤْمِنُكَ مِنْ هَذِهِ الْمَزَلَّةِ إِلَّا إِذَا تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ ،
 وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي هَذَا التَّوَكُّلِ إِلَّا إِذَا أَوْصَلَكَ إِلَيْهِ ، وَلَا تَوَكَّلْ وَلَا وَصُولَ
 وَهَنًا تَزَاغَ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَتَخَوُّضَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَالتَّفَاتُ إِلَى اللِّذَاتِ بَعْدَ
 اللِّذَاتِ ، وَإِعْرَاضَ عَنِ الْغَايَاتِ بَعْدَ الْغَايَاتِ ، وَأَخْذَ بِالرَّخْصَةِ فِي الْحَالَاتِ
 بَعْدَ الْحَالَاتِ . لَا وَحَقِّكَ حَتَّى تَوَدَّعَ كُلَّ مَا أَلْفَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْعَرِصَةِ ، وَتَذُوبَ
 دُونَهُ بِكُلِّ حَسْرَةٍ وَغُصَّةٍ ، وَتَهَيَّأَ لِهَذَا التَّوَدِّيعِ وَالذُّوبَانِ لِكُلِّ جُلُوسَةٍ وَفُرْصَةٍ .
 وَمَنْ لَكَ بَأَن تَوَهَّلَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ بِاسْتِرَاقٍ لِحُظَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْأَنِيقِ الَّذِي
 هُوَ غَايَةُ الْأَمَانِيِّ وَالْأَمَالِ ، وَمُنْتَهَى طَلِبِ الطَّالِبِينَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .
 مَا وَصَلَ الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَرْعِ الرُّوحِ ، وَقَلْعِ الضَّرْسِ ، وَاحْتِرَاقِ الصِّفَةِ ،
 [١٤٩ ب] وَتَبَدُّلِ السُّمَّةِ ، وَتَجَرُّعِ الْعَلَقَمِ ، وَمَعَانِقَةِ الْبَلَاءِ وَالتَّبَرُّثِ بِالنَّعِيمِ ،
 وَالتَّجَانُّفِ عَنِ الْمِهَادِ الْوَثِيرِ ، وَالتَّغْلِبِ عَلَى الْحَسَكِ الثَّابِتِ ، وَحَسَوِ الدَّمِ
 بِلَا هَاجِسٍ تَلَابَسَهُ كِرَاهَةً ، وَلَا خَاطِرٍ تِفَارِقَهُ نَزَاهَةً ، وَلَا عَمَلٍ يَشِينُهُ
 عِلْمٌ ، وَلَا عِلْمٍ يَخَالِفُهُ عَمَلٌ ، — بَلْ حَالٌ وَاحِدَةٌ يَفْرُقُ فِيهَا كُلَّ رَسْمٍ وَقَوْلٍ ، وَيَعْيِقُ
 فِيهَا كُلَّ نَسَمٍ ، وَطَوَّلَ حَالٌ لَا يَتَرَجَّمُهَا الْبَلِيغُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَرَكَ فِيهَا أَكْثَرَهَا ،
 وَيَبْدَى مِنْهَا أَقْلَهَا ، عَجْزًا عَنْ حَقِيقَتِهَا ، وَتَبَلُّدًا فِي مَعْرِفَةِ غَايَتِهَا . أَفَلَا يَنْتَحِرُ ^(٢)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ١

على هذه الصفات التي هو ^(١) استعارات عن تلك الحقائق ؟ أفلا يتبدل دون
 نيلها ما يملك من الذخائر ؟ أو لا يُهام عليها بكثرة الأبدان و تبدل الأرواح ؟
 أفلا يُجد لها بما هو دونها في القيم والأرباح ؟ أفلا تُتعرّف الطرق إليها ؟
 أفلا يستعان بكل صديق وصاحب عليها ؟ أفلا يتمسك على الفأنت منها ؟
 أفلا ^(٢) يطرب على الخمر الطيب عنها ؟ أفلا يقال كيف وما هي هي وإن هي ؟
 يا هذا ! كُفْ عني فقد غَطَّتني مني ، وأويتني منك أنك أني ^(٣) ،
 وهذه درجة لا أرضاها لمن هو عني . فدعني وأرْحني إن لم تُرَوْحني وتُفرحني ،
 إلى متى أُهرِفُ بما أعرف ، وأبين ما لا يستبين ، وأشير إلى ما لا تستشير ،
 وأروى ما لا تدري ، وأعلل نفسي منك بعلل وعسى ، واليوم وغدا ،
 وكلا ولا ، وبلى وبلى ؟ طابت الأوطان ، ورُحبت الأعطان ، وآن الرعي للسارح ،
 ومُتَهل المُناني على النادى والرائح . فهل من سامع نجوى أهل الحق لباله
 الكاسف ، وظلمته الآزف إلى صراط الله المستقيم ، ومقامه الآمين ،
 حيث لا خوف ولا حُزن ، ولا أنين ولا حنين ، حيث قرار ومعين ، ومكان
 ومكين . وهل من قارع لباب الصفاء بيد الوفاء على الرقى والتأييد ، والصبر
 والتوحد ، والقناعة والزهادة والزهد ، والنسك والتعب ، والخلوة والتفرد ،
 حتى أضمن لك زكاه ^(٤) العمل ، وبأوغ الأمل ، على الوحي ^(٥) والعمل . واشوقاً
 إلى مرید نظيف ! واأسفاً على ذى حال لطيف ! واحنيناً إلى عارف طريف !

(١) كذا في الأصل ، وصوابه : هي .

(٢) ص : فلا — وهو تحريف ظاهر .

(٣) أني : أنيتي وشكواي .

(٤) نمو .

(٥) ص : الوحا . والوحي : العجلة والإسراع ، كالوجه .

واحزننا من متكلم عفيف ! وا ويلي على ذي همة شريفة ! عذب — والله —
 هذا الشأن على أهل الزمان فلا خير ولا استخبار ، ولا تخبر ولا مُستخبر .
 أصبحت الدار خالية [١٥٠] من قُطَّانها ، وعادت أطلالاً بعد مهجتها
 بسكانها ، فلا لافظ ولا حافظ ولا رافض [و] : لا لافظ بالحق ، ولا حافظ
 للصدق ، ولا رافض للزق . وإلى متى أسفى ولهى على أمرٍ ولى ولم يقف !
 كمد قد أذاب الكبد ، أشكو إلى الله الواحد الصمد ، فالويل لمن رفع يده
 إلى غير الله ، ويَسَّسَ بجعله مما عند الله ، وظن أن له فرجاً إلا بالله !

اللهم إنا لا نملك ضرراً ولا نفعاً إلا بك ، ولا نرجو خيراً وميراً إلا منك ،
 ولا نخاف مولداً ^(١) إلا عليك ، ولا نطمع إلا فيما لديك . واجعلنا على ثقة
 من قبولك لنا ، وألف بيننا وبين رفقك بنا ، واشمَلنا بمطفك علينا ، واسلم
 بنورك في أسرارنا ، واصدع مرَّتق ^(٢) عقولنا ، وزدنا من فضلك لما يضيق
 عنه وسعنا عند مسألتنا . وكما حرمتنا الدنيا لتستمتع بنا ، فاصرف خيالها
 من قلوبنا حتى نلهمس عنها ، وخُذْ بأيدينا في مداخضها ، واحفظنا منها عند
 عوارضها ، وسلطها على شيطاننا وعلى أهوائنا بالقمع ، وعلى شهواتنا بالعقاب ،
 وعلى أمانتنا بالكفاف ، ولا تجعل خبرنا عنك غلطاً منا عليك ، ولا دعاءنا
 إليك سهواً منا عنك ، ولا انبساطنا معك سوء أدب منا في صحبتك . فإنا لا نسلم
 من الزلة إلا بتوفيقك ، كما أننا لا نأمن إلا بتصديقك ، يا ذا الجلال والإكرام !

(١) كذا ! ولعل المعنى : أن تكون مولداً عن غيرك .

(٢) اصدع : شق ، مرَّتق : ملتئم ، مطلق : أى : افتتح مغاليق عقولنا .

رسالة (لح هـ)

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِ اسْتِنَادِ بِنُورِ اللَّهِ أَنْ يَفْكُرَ فِي غَيْرِ عِظْمَةِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى لِسَانِ
تَعَوُّدِ ذِكْرِ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ غَيْرَ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى نَفْسٍ طَهَّرَتْ مِنْ أَدْنَسِ الدُّنْيَا اللَّهُ
أَنْ تُدَلِّسَ بِشَيْءٍ مِنْ مَخَالَفَةِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى عَيْنٍ نَظَرَتْ إِلَى مَمْلَكَةِ اللَّهِ أَنْ تُخَدِّقَ
إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى كَبِدٍ ابْتَلَتْ بِالثِّقَةِ بِاللَّهِ أَنْ تَطْمَأَنَّ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ
عَلَى مَنْ لَمْ يَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُجَدِّدَ طَمَعًا فِي غَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ شَرَفَ
بِخِدْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَتَضَعَّ بِخِدْمَةِ غَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ أَلْفَ فِتْنَاءَ اللَّهِ أَنْ يَفْرُجَ
إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ تَلَذَّذَ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ أَنْ يَنَاجِيَ غَيْرَ اللَّهِ ! حَرَامٌ
عَلَى مَنْ رَتَعَ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ! حَرَامٌ [١٥٠ ب] عَلَى مَنْ سَكَنَ
حَرَمَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِحَرَمِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَحْيِبَ غَيْرَ اللَّهِ !
حَرَامٌ عَلَى عَبْدٍ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مَوْلَى سِوَى اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ أُنْسَ بِاللَّهِ
أَنْ يَأْنَسَ بِغَيْرِ اللَّهِ ! حَرَامٌ عَلَى مَنْ عَرَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِسُخْطِ اللَّهِ !
حَرَامٌ عَلَى مَنْ عَرَفَ عَفْوَ اللَّهِ أَنْ يَغْلِبَ الْيَأْسَ مِنَ اللَّهِ !

يا هذا ! إِنْما أَنْتَ بِجِوَارِحِكَ ، وَجِوَارِحُكَ بِكَ . فَإِذَا رَقَبْتَهَا فِي مَرَاتِبِهَا ،
كَانَتْ لَكَ وَكَانَتْ لَهَا . فَإِذَا فَسَدَتْ نِظَامُهَا كَانَتْ عَلَيْكَ ، لِأَنَّكَ ، أَعْنَى أَنْ لَكَ
قَلْبًا فَرَّقْتَهُ عَلَى خِدِّ الْفِكْرِ فِي أَعْمَالِ اللَّهِ ؛ وَسِرًّا فَاحْشُهُ بِمَحَبَةِ اللَّهِ ؛ وَضَمِيرًا
فَقَلْبُهُ فِي تِيهِ حُسْنِهِ لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَنَفْسًا فَوَكَاهَا بِالرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَرُوحًا فَسَرَّحَهُ
فِي رِيَاضِ نِعَمِ اللَّهِ ، وَعَيْنًا فَسَدَّهَا فِي اعْتِبَارِ خَلْقِ اللَّهِ ، وَيَدًا فَزَنَمَهَا عَلَى تَنَاوُلِ
الْوَاجِبِ مِنْ مَلِكِ اللَّهِ ، وَقَدَمًا فَصَبَّرَهَا عَلَى انْخِلَاطَاتِ إِلَى بَابِ اللَّهِ ، وَعَقْلًا فَاجْمَعَهُ

رائداً لك عند الله ، وعلماً فاقصره على العمل لوجه الله ، وكللاً فابذله فدى
لمرضاة الله ، وبعضاً فقفه على سلوك سبيل الله .

يا هذا ! أما ترى حدثان الدهر ؟ أما تحس مصائب الدنيا ؟ أما تشعر بأحكام
الوقت ؟ أما ترى دوران الشمس ؟ أما تحس باختلاف الليل والنهار ؟ أما تؤمن
بغيب هذا الشاهد ؟ أما تثق بشهادة هذا الغيب ؟ أما تبصر بين الرأس
تصارييف القدرة ؟ أما تضطر إلى الإقرار بربوبية ؟ أما تلتجئ إلى القيام
بدينوته ؟ أما تعلم أنه محض عملك ومقتضى أثرك : بعلمه ، ثم بإطلاعه ،
ثم بإحاطته ، ثم بالحفظة من قبله ، ثم بالكشاف الأشياء له وانتصابها
بسمعه وبصره .

١٠ إلهي ! استررتني فلما رجئت حجيتني ، دعوتني فلما أجيبت خضرتني ^(١) ؛
خاطبتني فلما استفهمتك أهتمت علي ، عثرتني فلما استعنتك تركتني ؛ أظلمتني
فلما استسقيتكم ددتني ^(٢) . أثبتني فلما بدوت ^(٣) أيدتني . أحييتني فلما حييت
أمتني ؛ أمنتني فلما أمنت أخفتني . كوثنتني فلما كنت كنيثتي . فوحثك
لا فارقت بابك حتى تفصل أصرى ، وتحكم لي ، وتجدد علي ، وتنظر إلي ،
١٥ وحتى تنفذني من دارك التي حشوتها بالفصص والآفات ، وبالبلايا والمساءات ،

(١) كذا بالضاد المعجمة ، وعلى هذه القراءة تكون بمعنى : أصبتني بسوء ،
من قولهم : « أعوذ بك رب أن يحضروني » أي : يصيبوني بسوء . أو تكون
صحفها : حصرتني ، بالصاد المهملة أي : ضيق عليه وأحاط به .

(٢) غير واضحة تماماً في الأصل ، وما أثبتنا هو الأقرب إلى الرسم الظاهر .
وددتني : أي منعني من الشرب ، من ذاد يذود : منع .

(٣) ص : بدت .

وحق ترفعني إلى جوارك ذي الظلِّ السَّجَّجِ^(١) والماء المعين ، والقرار المكين ،
والمقام الأمين ، حيث لا أسمع فيه لأغية^(٢) ، ولا أقامى [١٥١] من ليس منى
في ناغية ولا راغية^(٣) .

أرْسُمُ لك في هذه الورقات كلاماً للحكماء في صفة الرجل العاقل العادل
كيف يكون ، ومن أين تحصل له هذه الفضيلة ؛ وصفة الرجل الخائر الخائر
كيف يكون ، ومن أين تدخل عليه النقيصة . زعمت الحكماء على ما أوجبه
آراؤها ودياناتها أن من الوحي القديم النازل من الله قوله للإنسان : « اعْرِفْ
نَفْسَكَ ؛ فَإِنْ عَرَفْتَهَا عَرَفْتَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا » . وهذا قول لاشيء أقصر منه لفظاً ،
ولا أطول منه فائدة ومعنى . وأوَّلُ ما يلوح منه : الزرابة على مَنْ جَبِلَ نفسه
ولم يعرفها . وأَخْلَقَ به إذا جهلها أن يكون لما سواها أَجْبَلُ ، وعن المعرفة به
أبعد ، فيصير حينئذ بمنزلة البهائم ، بل أرى أنه أسوأ منها وأشد انحطاطاً
وسفلاً^(٤) لها ، لأنها لم تشرکه في التميز ولا يشرکہا في الجهل . فلما حاول
امتثال هذا الأمر لم يصل إليه إلا بعد التمهُّر في الفنون العقلية ، والتوهم إلى فهم
دقيقها وجليلها^(٥) ، والإحاطة بكثيرها وقليلها . فكان ذلك الوحي إنما كان
تلفظاً من الله له في استيعابها بالإيماء والإشارة والخفيف من العبارة ، ثم أذاه

(١) السجج : الأرض ليست بصلبة ولا سهلة ، و — ما بين طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس . ويقال : « يوم سجج » إذا لم يكن فيه حرٌّ مؤذٍ
ولا قُرٌّ ، وكذا الليل .

(٢) الناغية : الشاة ، والراغية : الناقة ، ويقال : ماله ناغية ولا راغية .
وفي النص : راعبه .

(٣) سَقَل (من أبواب : نصر ، علم ، كرم) سُفُولاً وسَفَلاً : تقيض علا .

(٤) الدقيق هو المسائل الجزئية ، والجليل هو المسائل العامة الكلية .

وهذا الاصطلاح يرد كثيراً في كتب علم الكلام .

- الاجتهاد إلى أن عرف نفسه وحدّها بأنه حيّ ناطق مائت ، وأنه مركب من الأخطاط الأربعة التي هي عناصره وأصوله ، فإن فيه نفساً ذات قوى ثلاث : وهي الناطقة التي مَسْكَنُهَا الدماغ ، والغضبية التي مَسْكَنُهَا القلب ، والشَّهْوِيَّة التي مَسْكَنُهَا الكَبِد . لكن العادة جرت بأن تسمى هذه القوى نفوساً ، وإن كان مرجعها إلى واحدة فيقال : نفس ناطقة ، ونفس غضبية ، ونفس شَّهْوِيَّة . فللناطقة في الدماغ ثلاثة أَمَا كُنْ : أحدها يكون بها ^(١) التخيل والإحاطة بالأشياء المَبْصُرة والمَسْمُوعة على ما هي عليه ، وهو المُتَقَدِّم منه ؛ والثاني يكون به التمييز لهذه الأشياء ومعرفة حقّها من باطلها ، وصحّيحها من سقيمها ، وحسنها من قبيحها ، وممكنها من مستحيلها ، وهو الوسط ؛ والثالث يكون به الحفظ لما وقع عليه التمييز . فكأن الأوسط هو الأشرف ، إذ منزلته منزلة الحاكم الذي ترفع إليه الرّفايع ^(٢) وتصدر عنه القضايا ومنزلة المُتَقَدِّم [و] ^(٣) منزلة الشاهد الصادق الذي يُنْهَى إليه ما يُرى ويسمع ؛ ومنزلة المُؤَخَّر منزلة الخازن الحافظ يستودعه عِلْمٌ مميّزها وحصله ، ففي احتاج إلى شيء منه استدعاه من خزانته — فهذه حال النفس الناطقة ^١ هـ .
- وأما النفس الغَضَبِيَّة فيها تكون الأنفة ^(٤) من العار ، والأناة من الضيم ، وطلب الاقتصاص من الظلم ، والانتقام عند الغضب . وأما النفس الشَّهْوِيَّة فيها يكون حب المطاعم والمشارب واللذات . ومثال الناطقة مثال الملك المستولى ،

(١) كذا ١ والأصح : به .

(٢) الرفيعة : القصة المرفوعة إلى الحاكم ، يقال : « رفع فلان » إلى العامل رفيعة .

(٣) وردت الواو زائدة في الأصل .

(٤) ص : اللابقة . وصوابه ما أثبتنا بدليل ما يرد بعد ص ٣٥٨ س ٢

وأفضل أحواله أن يكون عادلاً سائساً مهيباً مطاعاً قوياً في غير غلظة ورؤوفاً في مهابة . ومثال الفضيلة مثال جُنْدِهِ الذين يُسُدُّون ثغوره ، ويدفعون أعداءه ، ويُقَوِّمون رعيته ، وَيَنْقُدُونَ أمره . وأفضل أحوالها أن تكون عزيزة الجانب في نفسها ، سليمة الاقياد والطاعة لسلطانها المستخدم لها . ومثال الشهوة ٥ مثال رعيته الذين يجب أن تكون عريكتهم ^(١) لينة مواتية ، ورهبتهم منه ومن جنده تامة مُسْتَحِكِمَةٌ .

وإذا جرى أمر الإنسان هذا المجرى وأخذت هذه القوى مأخذها ، وتعادلت على أوزانها وأقسطها ، كان فاضلاً . وإن زال عن ذلك ، نقص وكان نقصانه بحسب مقدار زواله . ومعلوم أن البهائم مساوية في جميع ١٠ أجزاء التركيب إلا في النفس الناطقة التي صار مهيباً على جمعها وسائساً قاهراً لها ، ومن أجلها كان مكلفاً موفقاً ، ومثاباً معاقباً . ومن وصل إلى هذه الغاية من معرفة نفسه ، لزمه أن يسوسها أحسن سياستها ، وَيَسْلُكَهَا أَرْشَدَ سبيلها ، وأن يميز بين الخير والشر فيتوخى مخدات الأمور ، ويتوقى مدموماتها . وإذا قد أتينا على هذه الجملة ، فينبغي أن نجعل لطريق الخير معالم تهتدى ^(٢)

١٥ إليه لتتبع ، ولطرق الشر معالم تنهى عنه لتجتنب . فنقول : إن كل ما تفردت النفس الناطقة باستحصانه من غيرها فهو الخير ، وكل ما استتبعته منه فهو الشر . وإنما قلنا : « من غيرها » لأنها ربما عجمت عن العيب إذا كان فيها ، وليست تغمي عنه إذا كان في سواها ، وعلى أن الشاعر قد أطلق ذلك ولم يرفههم مُبرِّكاً منه ولا سلباً ، فقال :

(١) العريكة : النفس ، الطبيعة ، « رجل لين العريكة » : أي سلس الخلق منقاد ، شديد العريكة : شديد النفس ، أي .
(٢) كذا ولعل ضوايه : تهتدى .

[١١٥٢] أرى كلَّ إنسانٍ يرى عَيْبَ غيره

وَيَقْنَى عن العيب الذي هو فيه

وما خيرُ مَنْ تَخَفَى عليه عيوبُهُ

ويبدو له العيبُ الذي لأخيه !

- والذي أصارها إلى هذه الحال اكتناف ما يكتنفها من شوائب النَّفْسَيْنِ
 الباقيين ^(١) المساكين لها في هيكلها : وهما الشهوية والغضبوية . فإنهما
 يجذبانها ^(٢) إلى الغلط في الأمر الخاص ، ولا يجذبانها إلى الغلط في مثله من غيرها ؛
 فليس تسلم من معارضتها إلا بأن تكون صارمة قوية ، وعزوفاً أبية .
 وليت لها إذا كملت قوتها واستحكمت شِدَّتُها < أن > تثبت لمغالبة العلويين
 اللذين معها . قيل : ويل للقوى بين الضميفين ! فلما أن كانت ضعيفة
 بين قوتين ، فهناك تجتمع الميوب والمثالب ، وترفع المحاسن والمناقب .
 وقد شبهت الحكمة الإنسان ببيت فيه إنسان وخنزير وسبع : فالإنسان
 العقل ، والخنزير الشهوة ، والسبع الغضب . وقالت : أيُّ الثلاثة غلبت ، فالمسكن
 له . وذلك يوجد قياساً وعياناً . فإن الرجل اللبيب الضابط لنفسه هو الحقيق
 بأن يسمى إنساناً ، والرجل الذي قد استبعدته ^(٣) واستبعدته شهوته بالخنزير
 أشبه . والرجل التائه الغضبان بالأسد أشبه . ويحتاج في هذا الموضع
 إلى قَصْلٍ إيضاح تنفصل به من زيادة الزائدين : وهو أن الشهوة والغضب ،
 لو كان قهرهما وحصرهما واجباً على الإطلاق ، لسقطا من أصل التركيب سقوط
 ما يستغنى عنه ، بل ما يتحرز منه . لكن هناك ضرورة إلى الشهوة لاجتذاب

(١) ص : الباقين !

(٢) ص : يجذبانها .

(٣) كذا ! ولعلها : استبعدته .

المطاعم التي بها قوام البدن ، والارتكاب من لظى المناكح التي بها بقاء النسل .
 وضرورة أخرى إلى الغضب : لدفع الظلم وإياء الضيم والأفة من العار والذَّبُّ
 عن الحريم . إلا أنه يجب أن تكون هاتان النفسان تحت طاعة النفس الناطقة
 وسلطانها لتُجَرِّبَهُمَا مُجَرِّبٌ [١٥٢ ب] المُرْكُوبُ الذي يركب عند الحاجة
 بِسَرَجٍ يُدَلِّهِ وشَكِيمَةٍ تَحْصِلُهُ وَعَنَانٍ يَتَنَبَّهُ وَسُوطٍ يَخْفِقُهُ . فإذا نزل عنه
 راكب ألزمه الرباط والشكال ، لئلا يجد على حال من الأحوال سبيلاً إلى أن
 يشرّد فيهلك نفسه ، ويحني على غيره .

ومما ينبغي للإنسان أن يعلمه أن هذين العَدُوَّيْنِ ، من شهوته وغضبه ،
 ربما اختدعا وتبهما له بالصدق الذي هو العقل ، فظن أنه في طاعته إياها
 مطيع له ، واستعمل الشرّ على أنه خير ، وجارّ على أنه عادل ، وأخطأ
 على أنه مصيب . وسبيل الحازم أن يستعمل على ما أرشدها إليه سالفاً ،
 لينجو من مصائدّها ومكائدها ، ويُفَلِّتَ من أشراكهما وحباثلهما ، فيعرّضَ
 على قلبه ما تدعو إليه نفسه ، على أن الفعل واقع من غيره وقوعه منه ،
 فليعلم أنه خير صالح ، وليتَّضِهْ . < و > إن كان على الضد من هذه الصفة ، فليعلم
 أنه شرّ محض وليبتنع منه . ثم ليتأمل المستحسنات فإنه سيجدها مما يُخَصُّ
 الإنسان به ، ولا تشرّكه البهائم فيه : كاللِّمِّ والسَّكَطِ والكَفِّ والعُزُوفِ
 وضبط الحمية وعصيان الشهوة واعتزال المحارم والتحوب ^(١) من المآثم .
 وليتأمل المُسْتَهْجَآت ، فإنه سيجدها مما تشرّكه البهائم فيه ، بل هي أقوم
 منه كشرِّم البطن ، وعُتْرُ الفرج ، ومحبة الانتقام . وكفاه بذلك وازعاً

(١) تحوُّب الرجل : اجتناب الخُوبِ أي الإثم ، يقال : هو يتحوَّب
 من القبيح ، أي يتحرّج منه ، ونحوب منه : توجّع وتحزّن . تحوَّب في دعائه :
 تضرّع .

عما صارَ عنها فيه ، وباعتناً عما استناره عليها به . وليس كلُّ مَنْ قاده عقله إلى العلم بمراشد الأمور ، انقادت له نفسه إلى العمل بها : فقد رأينا كثيراً من أهل المعرفة يأمرّون ولا يأتّمرون ، ويزجرون ولا يزدجرون ، ويعرف من المتطّيبين من كان ينهى عن يسير التخليط في الماء كل ، وينهك في كثيره . ومن المتفلسفين الذين هم أطباء النفوس مَنْ كان يَدُمُّ مقابح الأخلاق ومفاحش الأفصال فيتركها في خلواتها . وتاركُ العمل مع الجهل أعذرُّ من تاركة مع العلم . والحازم من الناس من سدَّ بالرأى ثُغورَ الهوى ، وربط فيها بجيوش الشَّهْوَى : إما بالمزَّ^(١) والاعتزام الفحل إن وَثِقَ من مُنتَه^(٢) بالقوة والاستقلال ، وإما بالتفويض إلى النصحاء إن أَحَسَّ منها بالضعف والافتئذال ؛ لأنه إنما يجاهد عَدُوًّا فزلاً بين حجابيه مالمَّا لجميع جوارحه عليه . فإنَّ أطاقه على الانفراد فليبارزه بالأعوان والأعضاء^(٣) ؛ وإذا كان الإنسان قد علم أنه مركب من شيئين : أحدهما شريف وهو النفس ، والآخر دنيء وهو الجسم ، فلتخذ للدنيء منها أطباء يعالجونه من أمراضه التي تعرفه ويواظبون عليه بأقواته > التي < تفذوه ، ويتعاهدونه بأدويته التي تنقيها ، وترك أن يفعل بالشئ الشريف مثلَ ذلك — فقد أساء الاختيار عن بَيِّنَةٍ ، وأتى الغلط على بصيرة . وأطباء هذه النفوس هم أهل الفضل ، وأقواتها الغازية التي لها هي الآداب المأخوذة عنهم ، وأدويتهم المنقية هي النواهي والمواظط المسموعة منهم والسلام . ٥١ .

(١) المزَّ : الصعب ، يقال : « أمرٌ مَزٌّ » أي صعب ، أي بالقهر والقسر .

(٢) المنته (بضم الميم وتشديد النون المفتوحة) : القوة .

(٣) جمع عضد (بفتح العين وسكون الضاد المعجمة) : الناصر ، المعين .

زينة اللفظ في المعنى ، وحسن المعنى في الصدق ، والصدق ينتظم على صالح القول المؤدب والفعل المهذب ، وميراث الفعل باقٍ على وجه الدهر وخوالده الليالي ، وقيل :

العُرف أصلٌ يُجْتَنَى من فرعه الثمر الجديد

يَبْلَى النقي في قبره وفعاله غضٌ جديد

وإنما يُقَدَّم هائل الخطيئة^(١) على مخوف الخطب .

أما بعد ! أطال الله بقاءك مُحَسَّنًا^(٢) ، وأدام عزك حميداً مؤيداً ، وأنعم عليك مُرَقِّهاً مُسَدِّداً . فقد علمت بصادق تجريبك وثاقب فطنتك ، وبممر الأحداث بك ، وصروف الأحقاب عليك ، وصفائح الأيام عليك — أن الجهد فضلٌ محروم ، والفاضل حر مظلوم ، والرأي سيئ كذوب ، والهوى عبث مغلوب ، والطمع خُلُقٌ خبيث ، والقدر طالب خفيث ، واللُّسَنُ^(٣) عدو ناصح ، واللفف^(٤) صديق فاضح ، والمُلْكُ والد عقيم ، والعشق دائم قديم ، والدهر غينٌ هَوَانٍ ، والقناعة خيرُ أمان ، والحرصُ صورةٌ شوهاء ، والحسد خلة يَلْهَأُ ، والعلم عنوان دارس ، والجهل حظ ناقص ، والزمان عسير غدور ، والخُرْ منه في طرفي غرور ، والفقر لباسٌ ذلٌّ وثوب عار ، والمسألة لُؤْمٌ نفس

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً : الخطيب .

(٢) حَسَّنَهُ تحسيدا ، مثل حسده ، ومنه قوله :

إن العرائن تلقاها مُحَسَّدةً ولن ترى للثام الناس حَسَّادا

(٣) اللسن (بسكون السين) : من لسن فلاناً (من باب نصر) لسننا :

أخذناه بلسانه وذكره بالسوء .

(٤) اللفف (محركة) : ما لفقوا من هنا وهناك ، كما يلفف الرجل شهادة الزور .

وسوء اختيار . نعم ! والموت رَكِيَّةٌ ^(١) مورودة ، وطريق مَهِيْعٌ ^(٢) ، وحال ملتبسة ،
والناس فيه أبناء واحد وحلفاء معاهد . ومع ضرب الأمثال وتصريف المقال ،
بينى وبينك أحوالُ اللسان لا يُصَنِّفُها ، والعبارة لا تصرفها ، والوصف لا يأتي
عليها ، والإشارة لا تصل إليها — كل ذلك للطافته ورقته ، ونحافته ودقته — ،
من فَضْلِكَ الذى أَظَلَّتْنِي غَمَاتُهُ ، وَمَطَّرَتْ عَلَى سَحَابَتِهِ ، وَأَزْهَرَتْ بِي أَرْضُهُ ،
وَاحْضَلَّتْ عَلَى رَوْضَتِهِ ، وَانْفَتَتْ عِنْدِي زَهْرَتُهُ ، وَتَكَلَّمْتُ عَلَى بَهْجَتِهِ ،
وَوَرِثْتُ مِنْهُ شَوْقًا يَقْلَعُ ^(٣) الكبد والفؤاد ، ويجلب الفكر والشهاد ،
ويزعج الروح والنفس ، وَيَسْلُبُ الرُّوحَ والأَنْسَ ، وغراماً يُزِمْنِي غُرْمًا
لا طوق ^(٤) في نقصانه ، ويسومني خَسَنًا لا أجد سبيلاً إلى عزائه ، ويُعَلِّقُنِي
ثَنِيَّةً أَمْنَى دُونَهَا مَعَانِقَةَ الْجَهِامِ ، وَيُهِبُّ ^(٥) وادياً أسهلُّ منه مضاجعة اللحد —
وَرِزَاعًا يَنَازِعُنِي فِي أَمْرِي وَيَحَاوِلُ بِشِدَّتِهِ انْقِضَاءَ عُجْرِي ، — وصباية أكاد
من رقتها أطيّر إليك ، وأقف بغرائب حالي عليك . فليت ذلك كذلك .
قلعك تطالع شهباً قد أنضاه السفر ، وأضناه التني ، وأحمله البلى ، وأذبله
البلاء ، وجار عليه الزمان ، وصد عنه الإخوان ، وَتَبَّتْ بِهِ الْأَوْطَانُ ،
وَبَقِيَ فَرْدًا لَا يُغَاثُ وَلَا يُعَايَنُ . إِنْ سَكَتَ نُسِبَ إِلَى الْكُنْهَةِ وَالْمَيِّ ،
وَإِنْ لَطَقَ رُمَى بِالرِّيَّةِ وَالنَّيِّ ، وَإِنْ تَحَرَّكَ هَبَّ بِهِ الْأَضْطِرَابُ وَالْوَلَّهَ ،
وَإِنْ سَكَنَ تَحَكَّمَ فِيهِ الْيَأْسُ وَالتَّصْنَعُ . فكل حاله عَيْثَ ، وكل أمره خَبَثُ .

(١) الرَكِيَّةُ : البثر .

(٢) واسع .

(٣) قلعه (من باب قطع) قلْعاً : انزعجه من أصله .

(٤) الطوق : الوسع والطاقة ، يقال : هو في طوق : أى في وسعي وطاقتي .

(٥) يجعلني أعلو وأصعد .

ليس له في أمره لسان ينطق بالحق ، ولا شفيع يقبل على الصدق . علته في كونه ، وراحته في فقد ، واستراحته في عدمه ، هنيئانه في ليله ونهاره قول القائل :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا^(١)

يَذُمُّ زمانه وهو عينُ المنعوم فيه ، ويهجو أيامه وهو قلادة العار عليها .
 قل لسيدي : فكيف يلد بعدد أحيائه مَنْ يعالج مع اللحاحات وفاته ؟
 أم كيف يتصرف بذكر ما حالقه وفتح به من ليس له لهجة تفصح ، ولا صدر
 ينشرح ؟ أم كيف يفاد سكون من تَزَحَّتْ داره عن [١٥٤] الجيب ،
 وحرم مشافهة الصديق ومفاكة الخليل ؟ بل كيف يصول بالعلم مَنْ منتهاه فيه
 الجهل ؟ أم كيف يلتجئ إلى الحيلة مَنْ فطرته العجز ؟ أم كيف يتناول الثريا
 من مأواه الثرى ؟ أم كيف يتشبع^(٢) الظهر لمن يتذكر عليه العيان ؟ أم كيف
 يوقن بالقول من يتشكك في الفعل ؟ أم كيف يطمئن إلى السكون من يهيجه
 الغليان ؟ أم كيف يهتدي < إلى > الريح من لا يخلص له من الخسران ؟ أم كيف
 يطمع في السكال من لا يخرج له من النقصان ؟ فسبحان مَنْ لو آثر لحكمنا
 في أمورنا ، فلملنا^(٣) كنا نصيب بعض الإصابة ، وننف منه على طرف
 من أطراف السعادة . هيهات ! تلك منية دونها منية ، وجهالة قريقتها ضلالة ؛
 ها أنا لا أحيى على غيري .

(١) بيت لستبي هو مطلع قصيدة له مشهورة (راجعها في ديوانه ص ٦٢٣)

نشرة فريدرخ ديتريخى . برلين سنة ١٨٦١) .

(٢) أى يصير ذا شبح ، أى هيئة وصورة وحقيقة .

(٣) ض : فلما — وهو تحريف ظاهر .

أَسْتَحِلُّ^(١) اللهُ عُمْدَتِي ، وَأَسْتَفِئُكَ رَهْنَتِي ، وَأَسْتَقْبِلُهُ عَثْرَتِي ،
وَأَسْتَنْعِشُهُ صِرْعَتِي ، وَأَسْتَرْجِعُهُ غَيْرَتِي^(٢) ، وَأَسْأَلُهُ بِلِسَانِ الذُّلِّ وَالضَّرَاعَةِ
تَوْقِيعَ الْكَفَايَةِ وَالْقَنَاعَةِ مِنْذُ حِينَ وَزْمَانٍ ، فِي كُلِّ وَطْنٍ وَمَكَانٍ ، فَيَأْتِي
إِلَّا مَا هُوَ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِي فِيهِ ، وَسَلَامَتِي عَلَيْهِ . وَإِلَيْهِ الشُّكْوَى ، وَنِعْمَ الْمَوْلَى !
هَذَا وَلَسْتُ أَمْسَى عَلَى فَائِتٍ ، فَإِنِّي أُحْرَزْتُ قَصَبِي^(٣) مِنْهُ ، وَاسْتَوْفَرْتُ
حَظِّي فِيهِ ، وَقَضَيْتُ وَطْرِي بِهِ ، وَحَكَمْتُ الْأَمَانِي عَلَيْهِ ، وَسَجَبْتُ ذِيْلَ الرِّضَا
مَعَهُ . وَإِنَّمَا تَحْرَكُنِي رِسْمُهَا الْبَاقِيَةُ فِي نَفْسِي ، وَأَتَارُهَا الْجَارِيَةُ عَلَى صَدْرِي ،
وَصُورُهَا الْمَائِلَةُ لِعَيْنِي ، وَخِيَالُهَا الْمُسْلِمُ لِسَوَادِي ، وَذِكْرُهَا الْمَوْلُجُ بِلِسَانِي .
فَأَمَّا إِذَا حَقَّتْ الْحَقَائِقُ ، وَزَالَ اللَّبْسُ ، وَصَحَّ الْعِتَابُ ، فَلَيْسَ الذَّاهِبُ
فِي التَّرَاعِإِ إِلَيْهِ بِأَجَلٍ مِنَ الْمُنْتَظَرِ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ . وَإِنِّي لِأَصْبِرُ مِنْ عَوْدِ^(٤)
لُجْنِيهِ طَلَبُ :

قَالُوا : تَصْبِرُ ! قُلْتُ : فَالصَّبْرُ شَيْءٌ قَلِيلٌ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْكَرِيمَ صَبُورٌ ؟
فَلَمَّا صَبَرْتُ لِأَصْبِرَنَّ بِحَسْرَةٍ وَلَمَّا جَزَعْتُ فَإِنِّي مَعْدُورٌ
وَلَيْسَ الْأَوَّلُ مِنَ الثَّانِي ، وَلَكِنْ كَمَا جَرَى النَّالُ عَلَيْهِ وَسَمِحَ الطَّبْعُ
بِهِ وَالْوَصْلُ :

كُنْ لِلْحَوَادِثِ بِالْعَزَاءِ^(٥) مَقْطَعًا فَلَمَلَّ يَوْمٌ لَا تَرَى مَا تَكُونُ

(١) أَلْتَمَسَ مِنْهُ أَنْ يَحِلَّ . . . وَأَنْ يَقِيلَ . . . وَأَنْ يَنْعَشَ . . . وَأَنْ يَرْحَمَ . . .

(٢) الْعَبْرَةُ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ) : الْحَزَنُ .

(٣) أُحْرَزْتُ قَصَبِي : اسْتَوَلَى عَلَى الْأَمْرِ .

(٤) الْمَوْدُ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ) : الْمَسْنُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَفِي الْمَثَلِ : زَاخِمٌ بِعَوْدِ

أَوْ كَرَعَ ، مَعْنَاهُ : اسْتَعْنَى عَلَى جَرَنِكَ بِالْمَشَايِخِ الْكُكُلِ .

(٥) الْعَزَاءُ : الصَّبْرُ .

[١٥٤ ب] آخر : ومن جعل الكلام له قعوداً

أصاب به الدجى خيراً وشرّاً

آخر : واصبر فما استشفعت في مطلب

بشافع خير من الصبر

آخر : في كل يوم للزمان عشار

ونوائب تدرى على كبار

وتنقل من نعمة في نعمة

ما تنقضي أو تنقضي الأعمار

وكأنتي بصروقه وخطوبه

ربيع محته الريح والأمطار

واصبر فإن الصبر عزم ذوى الحجبى

ووراء لك إن عقلت نهار

آخر : إذا الناس قالوا : كيف أنت - وقد بدا

ضمير الذى في - قلت للناس : صالح

آخر : هون عليك فإن الدهر غايته

إبرام منتقض أو تقص منبرم

ولقد سمعت بدويّاً في أرض بني ربيعة يقول لمسايره : أيها الإنسان !

عه مقالى ! من ذا الذى نبت عوده على جائحة الزمان ، وثبت عوده لعواقب

الدهر ؟ هون — فما أهونه على كرم مصاص^(١) ، وجوهر ثمين ، وعرق موصول ،

(١) المصاص (بضم الميم) : خالص كل شيء ، ومصاص الشيء : سرقه

ومنبته ، يقال : فلان كريم المصاص .

وأصل شريف ، ومُعْتَزَى محمود ، فاستحسنته فتلقنته . فهل تشاركني
في استحسانه حتى أنتقي من وحشة الانفراد ، وأحملي بأنس الافتقار ؟
فإن أعجبك هذا زدتك منه ، فأني سمعته يقول لصاحبه الأول في أعطاف^(١)
كلام كان يديرها^(٢) بقدرته ، ويتسلط عليها بساحه طبعه : يا أيها النفسه !
هل عائد الدهر إلا^(٣) ممن له خطر ؟

والله يا رفيقي وشريك زادي ، لقد صحبت الليالي ستين عاماً مذ عقلت ،
فما غدرني إلا من استوفيته ، ولا كدر علي إلا من استصفيته ، ولا أمر لي
إلا من استحلته ، ولا أهمل أمري إلا من استرعيت ، ولا قذيت عيني
إلا بمن جعلته ناظرها ، ولا انحني ظهري إلا بمن نصبته عماده ، ولا نجمت لي
نجاة إلا من حيث لم أحتسب ، ولا سبقت إلى مسرة إلا من أكتسب .
سيدى ! فهل بعد هذه الجملة قرار لنفس ، أو قرة لعين ، أو مهنأة لعيش ،
أو مرضاة لعقل ، أو تسليية لحر ، أو بقيا على فاضل ؟ اسمع مني ، فديتك !
واربق^(٤) في حميتك ، فهذا كله نفائة^(٥) صدر قد امتلأ بالغيظ ،
وعصاة^(٦) [١٥٥] فضل قد ابتلى بالنحس . واعلم أن الزمان جمعني وإياك
على غير شرط الأنس وحكم المراد وواجب التبسط ، فكان ذلك كسحابة
تطلعت ثم تقشعت ، واقتلعت ثم أقلمت . فيا لها أمنية لو وكفت بالحديث
الخلو ، واللم الخزون ، وانخلق الطاهر ، والفعل المصيب ، والآدب النفيس ،

(١) ثنايا .

(٢) الضمير يعود على أعطاف ، ولهذا جاء مؤنثاً .

(٣) ض : لا لا !

(٤) ربق فلاناً في الأمر : أوقعه فيه .

(٥) النفائة (بضم النون) : ما يتفنه المصدور من فيه .

والقول المزعفر^(١) بالنصح ، والبشر المصفر^(٢) بالنصح ، والرأى المؤيد بالحكمة ، والصواب المستفاد من الحنكة ، والحال الجامعة لشوارد الأنس ، والأمر المؤلف بين مختلفات الحسنى ! فإن لسانى على بُعد الدار وتراخى المزار لا يحول بخواص العلم خواص الأدب ، والعلل أنت أعرف بها وأهدى إليها . فليت الزمان إذا حرمنى المنى ، لم يُصْلي بِنار التنى .

يا سيدي ! هل عندك شيء مما عندى ؟ فلملى بالوهم نطق ، وعلى الظن جريت ، وبالبرق الخلب اغتررت ، وإلى جَيْدِ المِقْلِ اضطرت ، وسُورَةَ المَنُوتِ ، وأثرَ الوسواس قفوت :

قَلَمٌ أَرَّ مَحْزُونٌ أَحِلَّ رَوْعَةً عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مَنَى وَمَنْ جُحِلَّ
كَلَانًا يَرُدُّ النَّفْسَ وَهِيَ حَزِينَةٌ وَيُضِيرُ وَجْهًا كَالنَّوْافِدِ بِالنَّبِيلِ
إِنْ كَانَ — أَيْدِكَ اللَّهُ — لِلْمُضَارَعَةِ حَكْمٌ ، وَالتَّشَاكُلِ تَأْثِيرٌ ، وَلَا تَتَلَفِ
الْأَرْوَاحَ حَقِيقَةً ، فَيَهْدِيهِ الْقَصَّةَ مَرْضِيَّةً مُسْتَقِيمَةً ، وَهَذِهِ الْمَطَالِبَةُ صَحِيحَةٌ قَوِيَّةٌ ؛
وَإِنْ تَكُنْ أُخْرَى ، فَلَيْسَ هَذِهِ بِأَعْجَبَ مِنْ أُخَوَاتِهَا .

وَإِنْ اغْتَرَابَ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
وَلَا طَاقَةٍ يَسْمُو بِهَا لَعَجِيبُ
وَحَسْبُ امْرِئٍ ذُلًّا ، وَإِنْ أَدْرَكَ الْغَنَى
وَنَالَ ثَرَاءً أَنْ يَقَالَ : غَرِيبُ
آخِرُ : لِكُلِّ وَلايَةٍ لَاشْكُ عَزْلُ
وَأَمْرُ النَّاسِ عَقْدٌ نَحْمُ حَلُّ

(١) زعفره : صبغه بالزعفران ؛ — الطعام : جعل فيه الزعفران .

(٢) عصفر الثوب : صبغه بالعصفر ، والعصفر (كقنفذ) : صبغ .

آخر : دع الدهر يجري بمقداره
ويقفى عجائب أوطاره

وتم نومة عن ولاة الأمور
ووقف بالزمان وأدواره

٥ لعلك ترحم من قد قبطت
وكفجبت من سوء آثاره

آخر : وطالب جامد ما ليس يدركه
ومدرك ما تمى غير مجتهد
ولرب مدهر ما ليس آكله

١٠ ومستند ليوم ليس في العدد

هذا كله بساط طيه أولى ، ونشره أئلى ، ولكن الفريق بكل مرثية
حقيق ، ولو أذنت سألتك عن التناى عن بعض ما فاني في التداى ، فإن ذلك
يروح قلبي ، ويفرج كربى ، وأنا إليه فقير ، [١٥٥ ب] وبه مطالب . وأنت
العالم كل العالم ، والفاضل كل الفاضل : يجليل كل علم ، ودقيق كل معنى ،
١٥ وغرض كل قائل ، وأرب كل سائل . وسؤالى لا يقف على منهج واحد < و >
وتيرة واحدة ، فإن قاده مملون ، ومُنشئه مختلف ، وذلك لأنى أظهر تارة
بالرسوم وأنازعك فيها بالمعاني ، وتارة أدعى لك المعاني وأطالبك فيها بالحقائق ،
ثم أناديك بأسماء يعرفها القريب والبعيد ، والفائب والشهيد ، ثم أناجيك
بحروف يرحجُ الهمى عندها ، ويفضلُ الخرسُ عليها . فهل من صبر فأتقدم
٢٠ على مقدرة ، أو هل تتوقف محطاً فأناخر عن مقدرة ؟ سيدى ! لا تنكر تلون

(١) كذا في الأصل ! والوزن يقتضى : ورب — فهو من بحر البسيط .

خطابى وإطالنى به كتابى ، فكل ذلك لتباين أحوالى ، وشتات أمورى ،
واختلاف مقاصدى ؛ فإنى :

أريد فلا أُعْطَى ، وأُعْطَى ولم أَرِدْ

وقَصَّرَ عِلى أن ينالَ المُغَيِّبَا

٥ فلا جَرَمَ صباحى مساء ، ومساءئى عَمى ، ودعواى باطلة ، وقولى زور ؛
وانتباهى تغلل ، ورقدى موت ، ورضائى خسيس ، وعلمى تخيل ، ورجائى توهم ،
وظنى شك ، وحقى خُحيلة^(١) ، وطريقى حَسَك ، وعطائى خديعة ، ومنعى طبع ،
وطبعى نَكَد ، وكالى بعض ، وولائى عزَل ، وظاهرى حسرة ، وباطنى حيرة ،
وحالى سَراب ، وبُئْيائى خراب ، وجُرْفى^(٢) هار ، وصوابى خطأ ، وبقائى حلم ،
١٠ وفنائى رُوح وريحان . نعم ! وَكُلُّ كَلِّ بِكُلِّ^(٣) قبيح ، وجَمْعُ جَمِيعٍ بجيمى
مرذول . هذا لسانُ بحرِ البلاءِ فيه نقطة ، وركابهم فيه ميتة . فهذا حالى وشائى ،
وربمى وميتائى ، وما أَخَذْنِى وَمُضْطَرِّبِى ومُجَالِى ، فهل عندك من علاج
تكشف ما بى ، أو من مساعدة تخفف بعض أوصائى ؟ هيهات ! أُنَى ! يكون

(١) الخُحيلة (بفتح الميم وكسر الخاء) : الظن .

(٢) الجُرف (بضمة وبضمّتين) : ما تَجَرَّفَتْهُ السيول وأكلته الأرض ،
ومنه المثل : « فلان يبني على جُرف هار » لا يدري ماليل من نهار » ، الجمع :
أَجْرَف . والجُرف بضمتين : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر
كل ساعة يسقط بعض منه ، ومنه الآية : « أفن أسس بُنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير أم من أسس بُنيانه على شفا جُرف هار ؟ » . هار البناء : هدمه ،
وهار البناء : اتهم — لازم ومتعتر .

(٣) ص : فكللى — والأنسب ما أثبتناه بدليل ما بعده .

لك هذا ! وأنت تَوَقُّكُ إليه ! وأنت أيضاً في قبضتي تتبختر ، وفي ذبلي تتمتر ،
وإن كنت أمثل عني ، وإنما رضاك موقوف على مثل قولك :

والنارُ يعرفه من كان قد أحا

والشُّكْلُ يعرفه من كان نواحا

هذا الواصل إلينا من إشارتك . فأما ما اعتاص والتوى من مثل قولك :

[١١٥٦] تباركتْ حَطَرَاتِي فِي تَعَالَايَ^(١)

فلا إله ، إذا فكرت ، إلآي

وقولك فيه^(٢) :

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي هُوِيهِ إِلآي

١٠ مثل الدواء الذي تبغيه للداء

فإليك بيانه ، وعليك برهانه ، ولنا نُشَاحُكُ^(٣) فيه ، ولا ننافسك
به ، لأن اللفظ به كَدِيرٌ ، والمعنى عَسِرٌ^(٤) ، والإرادة في شقٍّ ، والعبارة
في شقٍّ ، وبهاؤه مُنْتَرَعٌ ، وتصحيحه ممتنع .

ونعوذ بالله من « الوسواس الخناس » ، الذي يُوسِسُ في صدور النَّاسِ ،
من الجِنَّةِ والنَّاسِ^(٥) .

١٥

(١) ص : تعالاي .. إلآي — وقد أثبتنا الهزمة ليستقيم الوزن ، وهو
من يجر البسيط . وتعالآي أي : « تعالي » الخاصة بي ، وإلآي : إلآنا :

(٢) ص : لا إله إلآ في هُوِيهِ إِلآي .

(٣) شاح زيدا : ماحكه وأعنته .

(٤) من : عَسِرَ الأمرُ (من باب علم) عُسْراً وعُسْراً وعَسْراً :

ضد يسر .

(٥) سورة « الناس » ، آيات : ٤ — ٦

[[تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ،

بحمد الله ومَنَّةً ولطيف صُنْعِهِ

» ويتلوه المجلدة الثانية ، وهي الرسالة الخامسة والخمسون :

« كتابي إليك ^(١) أيها الصديق ، وأنا أسالك أن يسألك » .

« وفرغ من كتبه محمد بن أحمد بن علي الأشعبي بتاريخ جُمادى الأولى

سنة إحدى وسبعين وأربعمائة » .

« مُعارضٌ مُصحَّحٌ من أول المجلد إلى آخره » [[.

(١) ص : كسائي .

تصويبات

صنعة	سطر	خطاً	الصواب
٩٤	٧	الفرطات	الفرطات
١١٠	٣	عطاط	عطاط
١١٠	تعلیق ٢	يُحذف ويُوضع بدلاً منه : القطعة : اضطراب الموج . وبحر عطاط وعطاط : عظيم كثير الأمواج .	
١١١	١٧	؟ إلا يضاء	لها : الأضواء

مراجعات

نيسر لنا ، بعد الفراغ من طبع هذا الكتاب ، أن نطلع على مصورة شمسية مختصرة الموجود في برلين حسبما أشرنا في « التصدير » (من كز) ، وهذه الصورة موجودة في دار الكتب المصرية برقم ٤١٧٩ تصوف . وقد وجدنا قرابة نصف هذا المختصر قد أخذ من هذا الجزء الأول من « الاشارات الالهية » فراجعنا على نسختنا هذه ، حسب ما وعدنا القراء في « التصدير » (من كج) ، فانتهينا من هذه المراجعة ومن إعادة النظر في نصنا هذا إلى التصحيحات التالية . أما النصف الآخر من المختصر فنستعرضه مع اختلافات الرواية بالنسبة إلى النصف الأول في كتاب مستقل :

من	من	المطبوع	المستدرك	من	من	المطبوع	المستدرك
كج ١	المخلص	١٨٨٣	المخلص	١١	من هذا	من هذا	المستدرك
١٧	١٧٨٣	١٨٨٣	١٨٨٣	١١	نعمهم	نعمهم	١٧٩
١٢	خطر	خط	خط	٤	سألك	سألك	٤
١٣	بنا	بنا	بنا	٤	سألك	سألك	٤
٣	واجبك .. فأرحنا	واجبك .. فأرحنا	واجبك .. فأرحنا	٧	النهى	النهى	٧
٤	فأمدّها	فأمدّها	فأمدّها	٧	يكون ذلك	يكون ذلك	٧
٧-٤	لطفك ..	لطفك ..	لطفك ..	٧	فيا لك ...	فيا لك ...	٧
٨	عيب	عيب	عيب	٧	طربت ... نعمت	طربت ... نعمت	٧
٩	بواقع	بواقع	بواقع	٧	لو احد	لو احد	٧
٥	تنكسر .. حسنوك ..	تنكسر .. حسنوك ..	تنكسر .. حسنوك ..	٧	عناك مني ما	عناك مني ما	٧
٢	٨	٨	٨	٧	علم	علم	٧
٣	٥	٥	٥	٧	لاستحي من طول	لاستحي من طول	٧
				٧	مالا نستحي	مالا نستحي	٧
				٧	مناجاةك	مناجاةك	٧
				٧	المشيئة	المشيئة	٧
				٧	فيه على	فيه على	٧

مس	س	المطبوع	المستدرك	مس	س	المطبوع	المستدرك
١٣		قديم	قديم	٨	١٠١	أكبر	أسكر (فعل أمر من أسكرى أى استأجر)
٢٢	١٠	أسرى	أسرى مقيدة	١٧	١١٧	إني وأيت... إلى	أبيات من قصيدة لأبي الغاهية ، راجعها في ديوانه من ٤ مع اختلاف في رواية بعضها .
١١		مختلفة	مختلفة	١٨		فكركت	فكركت
٢٤	٥	فيها يراد	فلجها بما يراد	٤	١١٨	ولا ...	من قيسع ولا أعلى يقر صاحبها
٣٠	٣٠	أطعت ... جرأ	بيت شعر	٧	١٢١	جحك	جحك (وقد وردت هذه الآيات في «الأمالى» ج ٢ من ٢٣١ — ٢٣٢ ، القاهرة سنة ١٩٢٦ ، ولم تنسب إلى أحد) .
٣٥	٢٢	تعليق ٤	يستبدل به التعليق التالي:	٨		رأط	رأط
			سكر يسكر (من باب نصر) : سكن (السان المرج ٤ ج ٦ ص ٤١ ، س ١٩) ٤ وسكر (بالشديد) : تكون إذن بمعنى : سكن .	٨		وما مرى	وما مرى
٤٥	٦	عليك	على	١١		بعيننا	بعيننا
		تعليق (١١)	يحذف	١١		تقلبت	تقلبت
٥٠	١١	بعيننا . تقلبت .	بعيننا تقلبت . .	١٢		ودارى	ودارى
٦٧	الآخر	ودارى	ودارى وارطان : سكن وصنف واسترخى .	١٢		تسكنى	تسكنى
				١٢		أشعار	أشعار
٩٠	٥	تسكنى	تسكنى	١٢		يعلمه	يعلمه
٦		أشعار	أشعار	١٢		أصف	أصف
٩		يعلمه	يعلمه	١٢		متك	متك
١٤		أصف	أصف	١٢		إلا إلى	إلا إلى
٩١	٢	يتك	يتك	١٢		متجافية . أين العقول	متجافية . أين العقول
٩٣	١٨	متجافية . . .	متجافية . . .	١٢		الصافية ؟ أين الأذان	الصافية ؟ أين الأذان
				١٢		الصافية ؟ أين الألباب	الصافية ؟ أين الألباب
				١٢		الناقية ؟ أين القرائح	الناقية ؟ أين القرائح
				١٢		الصافية . . .	الصافية . . .
٩٤	٤	الأشعار	الأشعار	١٢		لغناء	لغناء
٩٥	١١	لغناء	لغناء	١٢		لغناء	لغناء

مس	س	المطبوع	المستدرك	مس	س	المطبوع	المستدرك
١٦٦	١٦	جأت	حالت	١٨٥	٣	أحرّ	أحرّ
١٦٧	٤	لم لا . . .	لم لا تلتمس مأربك بالحسن	١٩٦	١٠	بل ما	نل ما
	٦	تستخدم	أن تستخدم	٢٠٠	١١	الحلى	الحلى (مخفف : محلا* أى : ممنوع عن الماء ، حلا من الماء : طارده ومنه)
	١٠	أرادك	أرداك				
	١٣	لاصدارك	لاصرداك				
	١٩	القحائين	القحابين				
	١٩	المصخر	الضجر	٢١٤	١٥	الخدم ...	الخدم . أوليت من حرمي روح الخصوصيين كفاني نوازع الندم والسدم ! أوليت من نبذني وراء كل شيء من على بشيء !
١٦٨	٣	علم . وما أشبه	علم وما أشبه .				
	١٥	يخفف عليك	يخفف عنك				
	١٧	استثنت	استثنت				
١٦٩	١٣	ترجرح	ترجرح				
	١٤	الايحاش	الايحاش				
	١٨	النفس	اليقين	٢١٧	١٦	فقلب . . ايشاء	فقلب ... أختاء
	١٨	ترجرح	ترجرح	٢١٨	٥	عناك	هونك
١٧٠	١	صنعة	صيفة		٩	علينا حين	علينا في الثاني حين
	٣	سافه	ساف		١١	أصف	أصنك
	٦	وقبول ... إماما	وقبول ما يشير به العقل		١٦	ثنائي	ثنائي
			الكريم والرأى الرشيد	٢١٩	٣	أكلتي بمناجيك	أهلتي لمناجيك
			تمحزم - هداك الله -		٨	فان	وإن (كما اقترحنا)
			في هذه التسكت البديعة ،		١٠	تكتلت	تكتلت
			ومحل بأحسنها منزينا		١١	السنوح	السبوح في مراد إلهيتك
			به ، واجعلها كلها		١٢	إلينا	علينا
			إماما . . .	٢٢٠	١٣	بلايا > غير < هذه	بلايا هذا العالم
	٩	الغادية	المازبة		١٤	ما	ما
	١٠	نصائح	ناصرح		١٥	يصح هذا الصحيح	نصح هذا الضحيح
	١١	انفسك	فاطت نفسك الثابتة منك ،		١٦	بما . . . داعين	ما . . . داعين
			واطاطك في نفسك	٢٢١	١	دويتا	كربنا
			المهلكة . . .	٢-٣	٣-٢	فراقك ، ومع ...	فراقك ومع هذا وذلك ،
١٧٣	٢	محلية لرسلك	محلية لرسلك				فانا نسالك اللهم ...
	٨	ولا لاهم	ولا لهم		٦	حاجة النبات	حاجة محيل النبات
	١١	وانك وجهك	زانك وجهك		٩	غيبتنا	رغبتنا

من	س	المطبوع	المستدرك	ص	س	المطبوع	المستدرك
١١		في اليقين	باليقين	٧		أقذنا	أقذنا
٢٣٠	٧	والاكرام	[والاكرام]	١٠		نقولها	نقولها
٢٣١	٢	حين	حسن	١٣٠٤	١	أودقيد؟ لست إذا	أودقيد؟ لست إذا
٢٤١	٦	حينه	حينه	٥		حلت	حلت
٢٨٠	٩	لج	لعل ضواها : لج	٨		اختار	اختار
٢٨٩	١٣	القيم	القيم	١٤		اجتهادك . وإن	اجتهادك . وإن
٢٩٠	٥	الجاهلين	الجاهلين بمكة ، الجاهدين			كنت واجداً	كنت واجداً
		لنعمتك	لنعمتك				
٢٩٣	٥	أرى . . . مرأى	رأى . . . امرؤ				
	٩	بالمسلم	بالمسلم				
	١٠	عاده	عاده				
	١٠	رحقه جهل	وجهل جل				
	١٣	وانظره	وانظر				
٢٩٥	١	خلاء . . . الفتور . .	جلا . . . وعبر . . فان	٣٠٥	٩	في	في
			الفتور		١٢	لا	[لا]
	١١	سرك	أسرك		١٧	نق من الخبر	نق من الخبر
٢٩٧	٤	موافقتك	موافقتك		١٨	أفاته	أفاته
	٥	وتأ	وفداً	٣٠٦	٩	تمت تمت	تمت تمت
	١١	لا تشمت أعداءك	لا تشمت بنا أعداءك فيك	٣٠٧	٤	غاية	غاية
		فيك بنا			٦٠٥	فأينما كنت . .	فأينما كنت . .
	٨	ارحنا في التفصيل .	ارحنا . في التفصيل			التفات	التفات
			أسكر منا . . .		٧	ناقة	ناقة
٢٩٨	١٠	تناك	اتناك		٩	استغفرتك	إذا استغفرتك
	١٨	بحرما	بحكا		١٠	نحوى	بحرى
٢٩٩	٨	البلى	البلى والبلى			تأليق ١	يكتب هكذا : نازح :
	١٦	أو	و				قيل الماء أو نافذ .
٣٠٠	٤	السفر . . . عبر	السفر . . . يسير ويسير		١٢	عليك	عناك
	٤	وجدك	وجدك		١٧	قطط	بسط
	٨	التوفيق	التوفيق والتسديد	٣٠٨	١	قضاء	قضاء
٣٠٢	٤	بمكة	بمكة		٣	تبصر	تبصر
٣٠٣	٥	بلامسة	بلامسة		٨	أوهبت	ووهبت

المطبوع	المستدرك	ص	س	المطبوع	المستدرك	ص	س
٣٠٩	٢	والظفر والرجل	والرجل آزف	٦	المؤقدة .. الحلم	٦	المؤقدة .. الحلم
		آزف		٧	المجددة	٧	المجددة
٣	٣	هذا	هذه	٨	عذه	٨	هذه
٨	٨	يذلل مقدم	يؤكد مقدم	٨	المؤيدة	٨	المؤيدة
٣١٠	٨	بالخص	والخص	١٠	الصباح والمساء	١٠	الصباح والمساء
١٣	١٣	نصرنا	نصرنا	١	مشهور	١	مشهور
٣١١	٢	علينا	عنا	٧	نهب .. تركد	٧	نهب .. تركد
٨	٨	فرقونا	فرقونا	٧	بأدبك	٧	بأدبك
١٧	١٧	جرك	جرك	١٩	لأنا	١٩	لأنا
١٩	١٩	فأبيت	أوفيت	٢١	فجدوك	٢١	فجدوك
٣١٢	٥	عن	على	٢٣	الرؤوف	٢٣	الرؤوف
٦	٦	عند أطحيب	عند سماع أطحيب	٤	يتقى	٤	يتقى
١٥	١٥	مداقياً	مداقياً	٥	منا	٥	منا
٣١٣	١٢	تعرنا	تعرنا	١٠	بدعائك . أجيئك	١٠	بدعائك . أجيئك
٣٤٩	١٦	المصدر	المصدر . أو لعل ضوايه	١٢	دالتك	١٢	دالتك
			التفاة	٢١	غابتك	٢١	غابتك
٣٦١	١١	كشف	اكشف	٤	أمرك	٤	أمرك
٣٦١	١٥	خير	خير	٧	إنه	٧	إنه
٣٦٢	٣	قرازي من شر	اقراري من سر	٨	مقيم	٨	مقيم
٣	٣	بأذى	بأذى	١٦	حيد	١٦	حيد
٤	٤	فكألك	وكألك	٦	جدي	٦	جدي
١٧	١٧	أشقى	أشقى	٨	جوانب	٨	جوانب
٣٦٤	١	تلك الرحمة	تذكرك الرحمة	١٢	يحدثني .. يشهدني	١٢	يحدثني .. يشهدني
٦	٦	قادية	قائدة	١٥	متخليا .. متواليا	١٥	متخليا .. متواليا
٨	٨	الذي	الذي	١٧	حائق	١٧	حائق
١١	١١	طلبت .. برقتك	طلبتنا في حيرتك، وحشت	٢	السياق	٢	السياق
			إلينا بحرقتك	٣	معوزة .. معوزة	٣	معوزة .. معوزة
٢٠	٢٠	بحقيقة	بحقيقة	٤	سكرم حاتم	٤	سكرم حاتم
٩	٩	خاف	خاب	٦	باهظ	٦	باهظ
٣٦٥	٩	خاف	خاب	٨	يحال	٨	يحال
٣٦٦	٥	هذه الزينة ..	هذه الصور المرئية ؟ أما ترى هذه الأشكال المبنية ؟	٩	نقلة	٩	نقلة

المستدرك	المطبوع	س	ص	المستدرك	المطبوع	س	ص
تستين	تستين	٨		تمحي	تمحي	١٦	
التأيد	التأيد	١٤		الذي لك ليس هو لك	الذي ليس لك	٤	٣٨٩
الوحي والعجل	الوحي والعجل	١٦			هو لك		
(والوحي : الابرار)				في	من	١٠	
شريف	شريفة	١	٣٩١	خاسة	جلسة	١١	
أضحت	أصبحت	٣		التقلب	التقلب	١٦	
جوارأ (ويحذف التمايق)	تولدا	٩		يمبق	يمبق	١٨	
اصدع بلطف مرتق	اصدع مرتق	١١		أين	ان	٥	٣٩٠
سلطانا على شيطاننا بالردع	سلطانها .. بالقمع	١٤		دونى	عنى	٧	
وعلى أهو اثنا بالقمع				بما لا تعرف	بما أعرف	٨	

تم طبع هذا الكتاب في مطبعة جامعة فؤاد الأول
بالقاهرة بتاريخ ١١ من شعبان سنة ١٣٦٩ ق
محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

1959-1960



ISLAMICA

— 12 —

TAUHÎDÎ

DIVINAE INVOCATIONES

EDIDIT ET PROLEGOMENIS INSTRUXIT

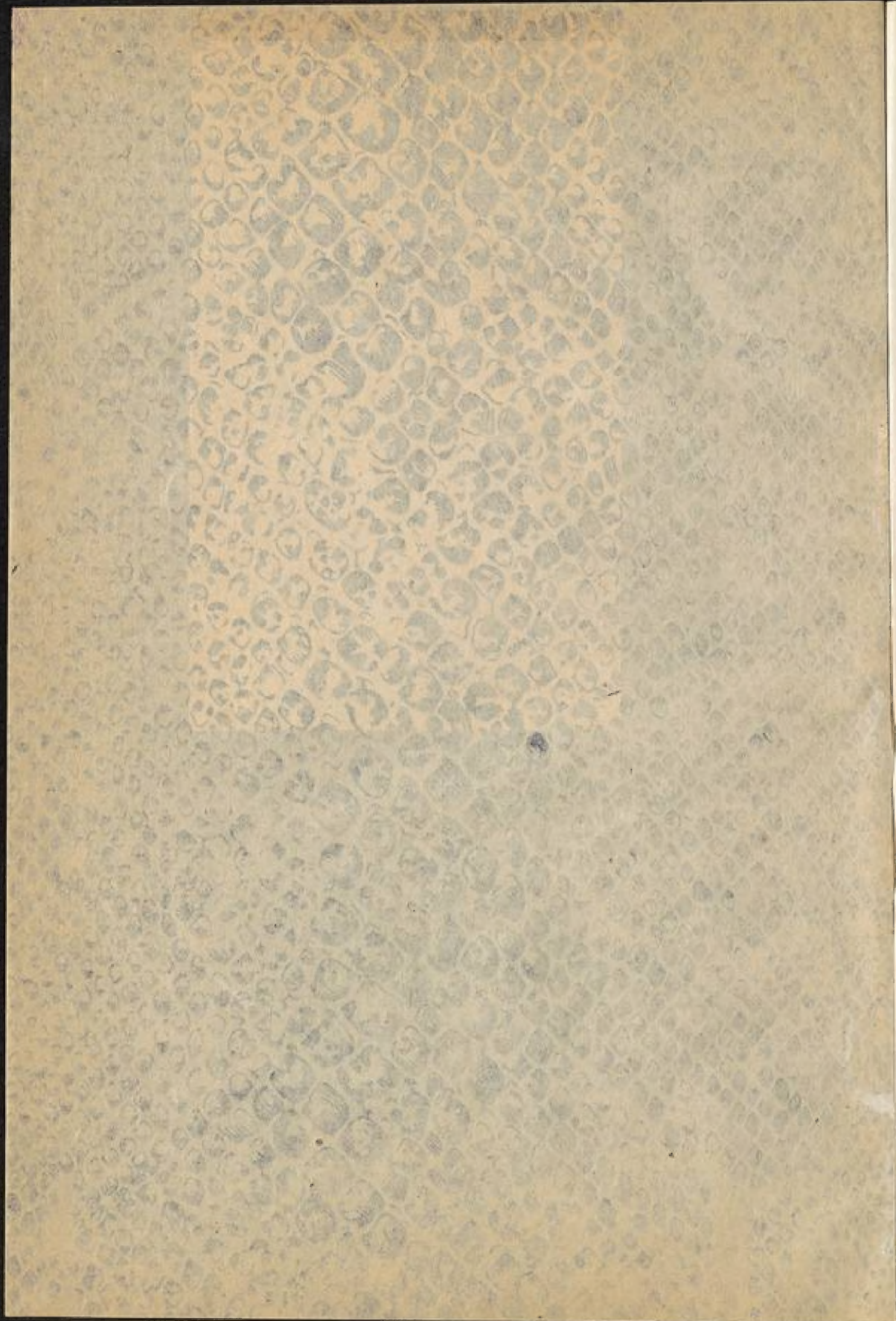
'ABDURRAHMÂN BADAWÎ

[PARS PRIOR]

CAHIRAE

EX TYPIS UNIVERSITATIS FUADI I

MCM L



[illegible]

SEP 10 1930

Printed
in USA:

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0114815443

893.7T199
R73
v.1

JAN 11 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59030070

893.7T199 R73

Isharat al-ilahiyah

7199
3